قلائد الجمان

في فرائد شعراء هذا الزمان

المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

المجلد الرابع

الجزء الخامس

المحتوى:

علي بن يوسف بن إبراهيم - أبو القاسم بن أبي جعفر بن عطية

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت

لبنان




قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعّار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

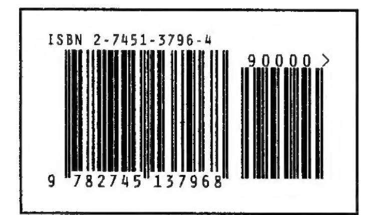
الناشر: دار الكتب العلميـــة - بيروت

عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنـان

الطبعـة: الأولى


ISBN 2-7451-3796-4
9 782745 137968 90000

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١١/١٢ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله الطيبين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

هذا هو الجزء الخامس من كتاب:

قلائد الجُمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

حسب تجزئة المؤلف.

ويقع في ٣١٤ ورقة، وقد كتب على ورقة الغلاف التي تحمل أختام التملك الموجودة في الجزءين السابقين، ما يأتي:

«الخامس من عقود الجُمان . . . . هذا الزمان لابن الشعار» ثم كتب بعدها بخط دقيق:

«الموصلي مصنف كتاب عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان في مدخل التاريخ».

أما خاتمة هذا الجزء فقد كتب فيها:

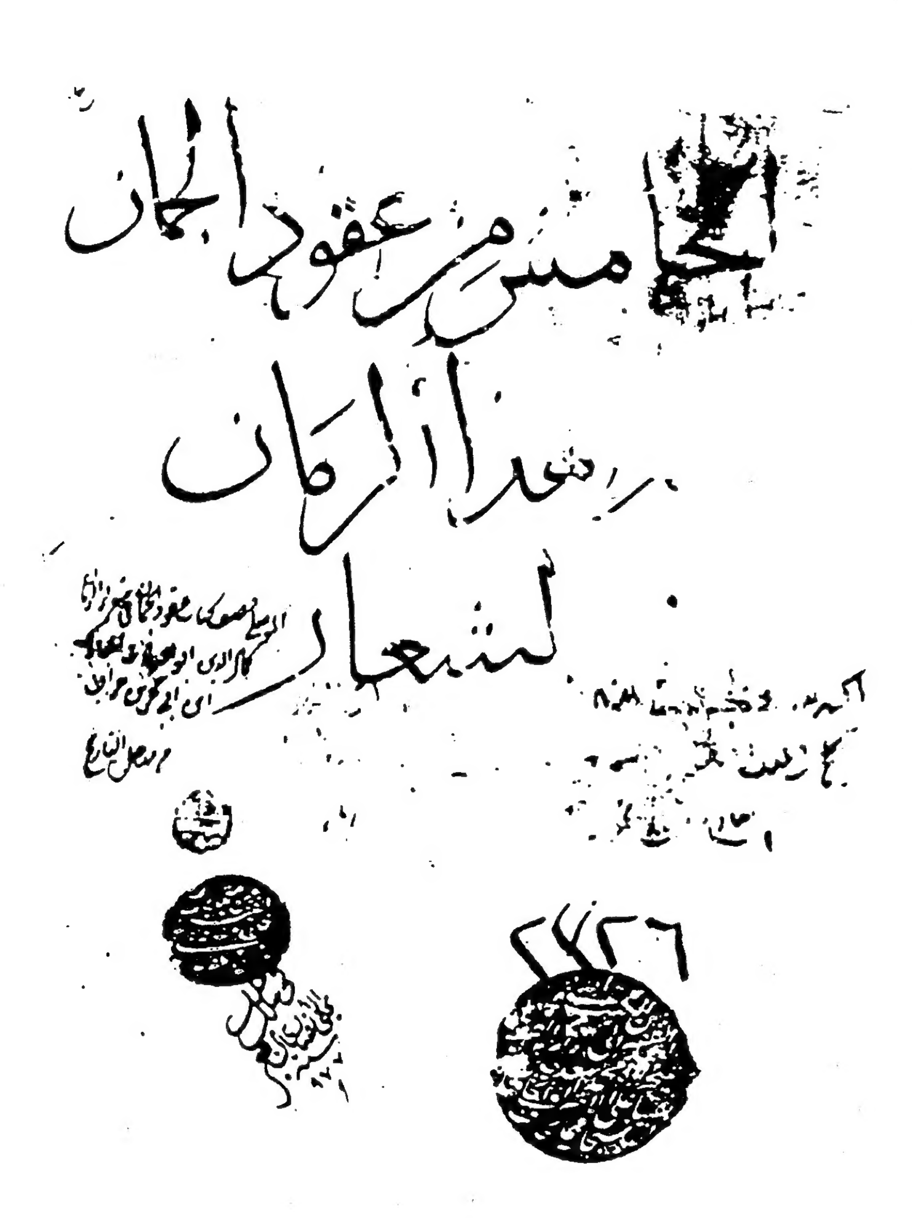
«تم الجزء الخامس من قلائد الجُمان، والحمد لله أولاً وأخيراً ويتلوه في الجزء الذي يليه ذكر مفاريد الأسماء في حرف القاف، إن شاء الله تعالى».

وفي هذا الجزء والجزء الرابع الذي سبقه، حدث اختلاط بين أوراق الكتاب ويبدو ذلك بسبب تفرّقها ثم تجليدها كيفما اتفق، وقد أعدنا ما اهتدينا لمعرفة محله وما استفدناه من قائمة الأستاذ المحقق إبراهيم صالح.

والحمد لله أولاً وآخراً.

المحقق





صفحة عنوان الجزء الخامس

بسم [illegible] الرحمن الرحيم [illegible]

علي بن يوسف بن ابرهيم

ابن عبد الواحد بن موسى بن احمد بن محمد بن اسحق بن محمد بن ربيعة

ابن الحرث بن قريش بن ابي اوفى بن ابي عمرو بن الحكم بن جبير

ابن عائذ بن حسان بن معوية بن تيم بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة

ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابو الحسن القفطي القاضي الاكرم

ابن القاضي الاشرف ابي [illegible] نزيل حلب [illegible]

الكاتب المشهور [illegible] الفضلا المذكورين جم الفضل كثير النبل

عظيم القدر واسع الصدر [illegible] في فنون العلم كالنحو

واللغة والفقه والحديث وعلم القران والمنطق والاصول

والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل

[illegible] من هذه الفنون على الاطلاق [illegible]

به احسن قيام ثم انه على الهمة في تحصيل الكتب النفيسة [illegible]

[illegible] وَلم [illegible] زماننا [illegible]

الصفحة الأولى من الجزء الخامس

في مبادئها واكمل قواعدها ومبانيها وله الكتاب المسمى الحث والتنبيه
والاحتجاج للدولة المستقبلة والادحاض للدولة الماضية
والمبالغة في الترغيب والترهيب والاقتدار التام في حسن
التدبير ونيل البعيد والتقريب وامثال ذلك ومذاهبه متوسط
في فنه موافق لطبعه سنه وكان بيني وبينه بحر الشعر مجاورة
ومزاورة ومحاورة ثم فارقوا ابتدى يعزم النفس وقد عرفت
مفاوضة في الصبا والعزلة والخمول وايثار الانزوا فقال

تنازعني النفس الى الامور ولست من العجز لا انشط
ولكن يقعدني عنه الحال يلومني سلامة من يسقط

تم بحمد الله الجزء الخامس من [illegible]

والحمد لله اولا واخرا ويتلوه في الجزء الذي
يليه ذكر مفاريد الاسماء في حرف القاف
ان شاء الله تعالى

الصفحة الأخيرة من الجزء الخامس

/ ١ ب/

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

[تتمة حرف العين]

[تتمة ذكر من اسمه علي]

[٤٥٤]

عليُّ بنُ يوسفَ بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمدَ بن محمد بنَ إسحقَ بن مَحمدَ بن ربيعةَ بنَ الحارث بنَ قريش بنَ أبي أوفَى بن أبي عمروِ بن الحكيم بَن الجبيرَ بنَ عاديةَ بنَ حيَّانَ بن معَاويةَ بن تيَم [بَن] شيبانَ بَن ثعلبةَ بنَ عكابةَ بـنِ صعـبِ بـن علـيِّ بـنِ بكـرِ بـنِ وائـلٍ، أبـو الحسـنَ القفطيُّ(١).

القاضي الأكرم بنِ القاضي الأشرف أبي علي نزيل حلب، الكاتب الوزير أحد

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٣٨ ـ ٣٤١ وفيه وفاته: «سنة اثنتين وعشرين وستمائة». معجم الأدباء ٥/ ٢٠٢٢ ـ ٢٠٣٦. معجم البلدان ٤/ ٣٨٣. تأريخ مختصر الدول ٢٧٢. مفرّج الكروب ٤/ ٣١٢. الحوادث الجامعة ص٢٣٧. الطالع السعيد ص٢٣٧ ـ ٢٣٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٣٢٤ ـ ٣٢٦ رقم ٤٣٥. العبر ٥/ ١٩١. عيون التواريخ ٢٠/ ٢٦. فوات الوفيات ٢/ ١٩١ ـ ١٩٣. مرآة الجنان ٤/ ١١٦. عقود الجمان للزركشي ٢٣٤أ. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦١. بغية الوعاة ٢/ ٢١٢ ـ ٢١٣ رقم ١٨١٦. حسن المحاضرة له ١/ ٥٥٤ رقم ١٢. شذرات الذهب ٥/ ٢٣٦. الأعلام ٥/ ٣٣. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٧ رقم ١٤٥. تأريخ الخلفاء للسيوطي ٤٧٦. نهاية الإرب ٢٩/ ٣٣١ ـ ٣٣٣. العسجد المسبوك ٢/ ٥٦٧. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٧، الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٠. إعلام النبلاء ٤/ ٣٨٧ ـ ٣٩٧ رقم ٢٠٥. كشف الظنون ١٧٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٠١، ٣٠٤، ٣١٠، ٧٣٠، ١٠٧٢، ١٠٩٧، ١١٠٨، ١٤٣٤، ١٦١٧، ١٧٧٥. إيضاح المكنون ١/ ٧٤، ٤٤٤و٢/ ٥٥٥، ٦٩٦. هدية العارفين ١/ ٧٠٩. فهرس المخطوطات المصوّرة لعبد البديع ٢/ ٣٥، ٣٦، ٢٣٣. معجم المؤلفين ٧/ ٢٦٣. مقدمة محمد أبو الفضل إبراهيم لكتابه «إنباه الرواة على أنباه النحاة» طبعة دار الكتب ١/ ٩ ـ ٢٤.

وقد طبع من كتبه: إنباه الرواة، وتأريخ الحكماء، والمحمدون من الشعراء.

ترجم المؤلف لأخيه (إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم) في الجزء الأول برقم ٣٥.

الكتاب المشهورين، والفضلاء المذكورين، جمّ الفضل، كثير النبل، عظيم القدر، واسع الصدر، يعرف كل فنّ من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والمنطق والأصول والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل. فما فاتحه أحد في فنّ من هذه الفنون على الإطلاق إلاّ وقام به أحسن قيام.

ثم إنّه عاليّ الهمة في تحصيل الكتب النفيسة وإقتنائها، مبالغٌ في أثمانها، راغب في تصحيح أصولها، ولم ير في زماننا أحد / ٢أ/ من الوزراء، حصل مثل الكتب التي حصّلها وحازها.

ولي الوزارة أوائل سنة أربع عشرة وستمائة، وبقي إلى أنْ كانت سنة ثمان وعشرين وستمائة، خرج الأمر عن طغريل الخادم شهاب الدين، واستقلّ ـ السلطان الملك العزيز ـ بالملك. وكان قد وعد ابن خطيب القلعة بالوزارة في أيام الصِّبا، فلما ولي الأمر أراد أن يقوم بوعده، فولاّه وأحسن إليه إحسانًا زائداً. وبقي مدة خمس سنين، فبدت منه أمور قبيحة وأصله من قرية . . . . . من أعمال . . . . . .

وكان معلمًا لأولاد الأمير شمس الدين لؤلؤ، فلما ظهر للملك ما ظهر عزله وحبسه؛ وعاد الحق إلى أهله، واستحضر الوزير الصاحب الكبير الإمام العالم جمال الدين أبا الحسن علي المذكور، وخلع عليه، وفوّض إليه الأمور، فظهر منه للناس ما كان معروفًا به من الإحسان والعدل ومحاققة النواب، واستخلاص الأموال من وجوهها من غير عسر ولا ظلم.

صنَّف كتبًا كثيرة منها: «كتاب الضاد والظاء» وهو ما اشتبه في اللفظ، واختلف في الخط. وكتاب «الدرّ الثمين / ٢ب/ في أخبار المُتَيَّمين» وكتاب «من ألْوَت الأيام عليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته»، وكتاب «أخبار المصنِّفين وما صنَّفوه» وكتاب «أخبار النحويين» سمّاه: «إنباه الرواة في أنباه النحاة» وكتاب «تاريخ مصر من ابتدائها إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رضي الله عنه ـ» في ستّ مجلدات. وكتاب «تاريخ المغرب ومن تولاّها من بني تومرت»، وكتاب «تاريخ اليمن منذ اختطّت إلى الآن» وكتاب «المُحَلَّى في استيعاب وجوه كلا»، وكتاب «الإصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح لأبي نصر الجوهري»، وكتاب «الكلام على الموطّأ»، لم

يتمّه، وكتاب «من تاريخ أبي القاسم محمود بن سَبُكْتكين الملقب يمين الدولة وبينه إلى حين الانفصال عنهم». وكتاب «تاريخ السلجوقية ـ منَذ ابتداء أمرهم إلى نهايته»، وكتاب «الإيناس في أخبار آل مرداس»، وكتاب «الردُّ على النصارى وذكر /٣أ/ مجامعهم»، وكتاب «مشيخة أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي»، وكتاب «نزهة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب»، وكتاب «إسعاف الصديق لما في حائيا من التحقيق».

وكانت داره مألفَ أهل الفضل وأرباب العلم. وكان مولده في أحد الربيعين سنة ثماني وستين وخمسمائة، بمدينة قفط من الصعيد الأعلى وبها قبر قبط بن بيصر بن سام بن نوح. وكان منشؤه بالقاهرة المُعزِّيَّة؛ خرج إلى مدينة حلب وصاحبها الملك غازي غياث الدين يوسف بن شاذي ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره قرأته عليه ـ أيده الله تعالى ـ بكرة يوم الاثنين الثامن والعشرين من رمضان بحلب على باب قلعتها المحروسة سنة أربع وثلاثين وستمائة[١]: [من السريع]

ضِدَّان عنْدِيْ قَصَّرَا هِمَّتِيْ ... وَجْهٌ حَيِيٌّ ولسَانٌ وَقَاحْ
إنْ رُمْتُ أَمْراً خَانَنِيْ ذُو الحَيَا ... وَمقْولِيْ يُطْمِعُنِيْ فِيْ النَّجَاحْ
فَأَنْثَنِى فِيْ حَيْرَةٍ مِنْهُمَا ... لمخْلَبٍ مَاضٍ وَمَا مِنْ جَنَاحْ
/٣ب/ شِبْهَ جَبَانٍ فَرَّ مِنْ مَعْرَكٍ ... خَوْفاً وَفِيْ يُمْنَاهُ عَضْبُ الكِفَاحْ

وقال أيضاً[٢]: [من السريع]

شَيْخٌ لَنَا يُعْزَى إلَى مُنْذِرٍ ... مُسْتَقْبَحِ الأَخْلَاقِ وَالعَيْنِ
(مِنْ عَجَبِ البَحْرِ فَجِدَّتْ بِهِ ... بِفَرْدِ عَيْنٍ وَلِسَانَيْنِ)[٣]

مضمّن لفخر الدين ابن الدهان[٤].

(١) القطعة في الوافي ٢٢/ ٣٣٩. معجم الأدباء ٥/ ٢٠٢٥.
(٢) البيتان في الوافي ٢٢/ ٣٣٩. معجم الأدباء ٥/ ٢٠٢٥.
(٣) البيت في خريدة القصر ٢/ ٣١٧. وفيات الأعيان ٥/ ١٣.
(٤) وهو محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدهّان، عالم بالحساب واللغة والتأريخ، من أهل بغداد، توفي بالحلة المزيدية سنة ٥٩٢هـ.

ووجدت للوزير الصاحبُ القاضي الأكرم جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ـ أدام [الله] ظلاله ـ قوله يمدح الملك المعظم عيسى بن العادل ـ صاحب دمشق ـ:

[من الكامل]

أَخْبَتْ بُرُوْدَتَهَا الغَدَاةَ نُفُوْسَا ... لُعُسًا مَرَاشِفُهَا تُزِيْلُ البُوسَا

هَيْفَاءُ مَا مَاسَتْ لَدَى إِنْزَالِهَا ... إِلاَّ أَرَتْكَ أَهِلَّةً وَشُمُوْسَا

يُغْنِيْكَ عَنْ بَدْرِ التَّمَامِ جَبِيْنُهَا ... وَرُضَابُهَا يَحْكِي بِفِيْكَ كُؤُوْسَا

إِنْ لاَحَظَتْ جَرَحَتْ بِفَاتِرِ لَحْظِهَا ... قَلْبًا وَإِنْ نَطَقَتْ فَجُرْحٌ يُوْسَى

مَا عَايَنَ العُشَّاقُ نَارَ خُدُودِهَا ... إِلاَّ وَأَضْحَوا بِالخُضُوْعِ مَجُوْسَا

فَفَدَى البَرِيَّةُ نَفْسَهَا بِنُفُوْسِهِمْ ... وَمُرَادُ هِنْدَ أَنْ تَضِيْعَ نُفُوْسَا

/ ١٤أ/ لَمَّا تَحَقَّقْتُ إِنْصِرَامَ وِصَالِهَا ... وَرَأَيْتُ حَظِّيَ عِنْدَهَا مَنْحُوْسَا

أَجْفَلْتُ إِجْفَالَ الظَّلِيْمِ مُسَافِرًا ... أَهْوَى الرَّحِيْلَ وَأَكْرَهُ التَّعْرِيْسَا[1]

حَتَّى أَنَخْتُ بِبَابِ سُلْطَانِ الوَرَى ... حَقًّا وَزُرْتُ جَنَابَهُ المَحْرُوْسَا

السَّيِّدِ المَلِكِ الهُمَامِ وَمَنْ غَدَا ... رَبْعُ الوُفُوْدِ بِبَذْلِهِ مَأْنُوْسَا

أَحْيَا لَنَا مَا مَاتَ مِنْ آمَالِنَا ... وَكَأَنَّ عِيْسَى فِي البَسِيْطَةِ عِيْسَى

عَرِّجْ عَلَى مُحْيِي المَوَاتِ وَخَلِّنِي ... مِنْ طِبِّ بُقْرَاطٍ وَجَالِيْنُوسَا

نَشَرَ العَطَاءَ لِقَاصِدِيْهِ وَغَيْرُهُ ... تَجِدُ العَطَاءَ بِبَابِهِ مَرْمُوْسَا

لَيْثٌ إِذَا زَأَرَتْ أُسُوْدُ عَرِيْنِهِ ... خَلَتِ المُلُوْكُ أَرَانِبًا وَنُمُوْسَا

كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ فِي الصَّرِيْخِ وَقَفْتَهَا ... فَمَلَكْتَ فِيْهَا سَائِسًا وَمَسُوْسَا

وَقَذَفْتَهُمْ بِسِهَامِ جَيْشِكَ جَاهِدًا ... قَذْفَ الكَوَاكِبِ فِي الدُّجَى المِيسا

ظِلَّ البُنُوْدِ. . . . . ضَلالَهُمْ ... وَصَلِيْلُ سَيْفِكَ أَخْرَسَ النَّاقُوْسَا

تَلْقَى الحُرُوْبَ وَصُبْحُ وَجْهِكَ مُسْفِرٌ ... إِسْفَارَ مُسْتَجْلٍ لَدَيْهِ عَرُوْسَا

أَنْتُمْ مُلُوْكُ الأَرْضِ نَجْلُ مَلِيْكِهَا ... أُعْطِيْتُمُ التَّبْجِيْلَ وَالتَّقْدِيْسَا

فَلْيَهْنِ سَيْفَ الدِّيْنِ وَمَا وَلِيَهُ ... مِنْ مُلْكٍ وَوِلاَهُ بَنِيْهِ الشُّوْسَا

بِالشَّامِ عِيْسَى مَالِكٌ وَمُحَمَّدٌ ... بِدِيَارِ مِصْرَ وَفِي خِلاَطٍ مُوْسَى

---

(١) الظليم: ذكر النعام.

/٤٤ب/ مَلِكٌ غَدَتْ فِي حَضرَمُوْتَ يَمِينُهُ ... وَيَسَارُهُ سَارَتْ إِلَى تَفْلِيْسَا
جُمِعَتْ لَكُمْ أَرْضُ البَطَالسَةِ الأُلَى ... وَبِلادُ كَنْعَانَ إِلَى بَلْقِيْسَا
هَذَا هُوَ المُلْكُ الأَثِيْلُ فَمَنْ لَهُ ... نَفْسٌ يعرض لِلنَّفِيْسِ نَفِيْسَا
يَا مَالِكَ الدُّنْيَا وَيَا نَجْلَ الَّذِيْ ... فَاتَ العُقُوْلَ. . . . . التَّقْيِيْسَا
وَثَنًا فَجَلَّ عَنِ المَدِيْحِ وَلَمْ يَجِدْ ... مِثْلاً يُقَاسُ بِهِ إِذَا هُوَ قِيْسَا
وَرَقَى إِلَى العَلْيَاءِ مُنْفَرِداً بِهَا ... فَأَحَلَّ إِكْبَارَ المُلُوكِ رَسِيْسَا
أَأَكُوْنُ عَبْدُكُمُ وَرِقٌّ وَلاَئِكُمْ ... وَأَرَى بِكَفِّ الحَادِثَاتِ فَرِيْسَا
أَسَرَ ابْنُ شُكْرٍ أُسْرَتِي وَأَبَادَ مِنْ ... خَضْرَائِهِمْ مُتَمَكِّنًا مَغْرُوْسَا
فَفَرَرْتُ لَمَّا خِفْتُ جَائِرَ حُكْمِهِ ... وَخَشِيْتُ مِنْهُ عَقْلَهُ المَعْلُوْسَا
وَبَقِيْتُ فِي أَسْرِ الخُطُوْبِ مُهَيَّمًا ... آوِي الخَرَابَ وَأَسْكُنُ النَّاوُوْسَا
وَعَدِمْتُ فِي الأَرْضِ الَّتِي اسْتَوْطَنْتُهَا ... المَأْكُوْلَ وَالمَشْرُوْبَ وَالمَلْبُوسَا
حَتَّى خَفِيْتُ عَنِ البَصِيْرِ نَحَافَةً ... وَلَقَدْ رُئِيْتُ مُجَسَّداً مَحْسُوْسَا
فَأَقِلْ عِثَارِي يَا ابْنَ مَنْ مَنَحَ الوَرَى ... مِنْ عَفْوِهِ التَّفْرِيْجَ وَالتَّنْفِيسَا
وَأْذَنْ لِعَبْدِكَ فِي الرُّجُوعِ فَإِنَّهُ ... بِجَنَابِ غَيْرِكَ يُعْدَمُ التَّأْنِيْسَا
وَاجْعَلْهُ وَقْفًا لِلدُّعَاءِ وَإِنْ تَشَأْ ... مَدْحًا جَلَى التَّطْبِيْقَ وَالتَّجْنِيْسَا
/٤٥أ/ حَتَّى تَرَاهُ عَلَى المَنَابِرِ مُنْشِداً ... وَتَرَى الحُدَاةَ بِهِ تَحُثُّ العِيْسَا
وَاسْلَمْ تَرَ الدُّنْيَا بِكَفِّكَ أَمْرُهَا ... وَتَرَ الزَّمَانَ بِرَاحَتَيْكَ حَبِيْسَا

ومن شعره ما قاله في الشيخ العالم الأديب تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي: [من المتقارب]

إِذَا عَمْرُو دَهْرِيَ أَسْدَى إِلَيَّ ... مَكَارِهَ أَفْعَالِهِ المُوْلِمَهْ
نَدَبْتُ إِلَى ضَرْبِهِ زَيْدَهُ ... إِمَامَ الأَنَامِ فَتَى المَكْرُمَهْ
أَتَانَا وَأَفْكَارُنَا سُذَّجٌ ... فَأَضْحَتْ بِعِلْمٍ لَهُ مُعْلَمَهْ
وَقَرَّبَ عَهْدَ نَبِيِّ الهُدَى ... بِعَالِي أَسَانِيْدِهِ المُحْكَمَهْ
وَأَفْصَحَ عَنْ غَامِضَاتِ العُلُوْمِ ... وَأَيْنَ البَيَانُ مِنَ الحَمْحَمَهْ
وَقَوَّى أَدِلَّةَ قَوْلِ النُّحَاةِ ... وَكَانَ أَخُو النَّحْوِ ذَا مَفْحَمَهْ
تَرَى فِي مَعَانِيْهِ فَصْلَ الخِطَابِ ... وَمِنْ غَيْرِهِ تَسْمَعُ الهَمْهَمَهْ

بألفاظه توضح المشكلات إذا الغير فرَّ إلى الهينمه
فلا حق إلا الذي قد روى ولا علم إلا الذي أحكمه
بمعلومه شدَّ..... الكلام كما شدت الكف بالبرجمه
علمت حقائق كل العلوم وغيرك من شأنه الخضرمه
/٥ب/ لك الخير إني أسير الزمان يعاهد حالي بالدمدمه
وإن لم تجر جار في حكمه وجرَّعني من حماه حُمَه
فعطفاً على مليك الزمان هزبر العرين أخا الملحمه
أبا الفتح عيسى خليل الندى معظَّم ذا العصر ما أعظمه
أبا اليمن جُد لي بأهل اليمين ولا تتركني في المشأمه
وتوصي فديتك عني الخبير ومن يعتري لفظه غمغمه
وأنت الخبير بكل الأمور لك العلم بين البرايا سمه
معش آمناً من صروف الخطوب معافى الشمائل من مهرمه

وقال يمدح الملك الظاهر غياث الدين من قصيدة مطلعها[1]: [من السريع]

لا مدح إلا لمليك الزمان من المنى في بابه والأمان
غياث دين الله في أرضه إن أخلف البرق وضنَّ العنان[2]
فالضر مصروع بساحاتها واليسر سام في ظهور الرعان[3]
وراحتاه راحة للورى على كريم الخلق مخلوقتان
فكفه اليمنى لبسط الغنى وكفه اليسرى لقبض العنان
/٦أ/ تعرب في الهيجاء أسيافه عن حركات مثل لفظ اللسان

ومنها، يقول في ولديه:

بدران بل شمسان ما يكسفان روحان للملك وريحانتان
لؤلؤتا بحر وإن شئت قل ياقوتتا نحر وعقدا لبان[4]

---

(١) القطعة في معجم الأدباء ٥/ ٢٠٢٧ عدا البيت الثالث.
(٢) العنان: السحاب.
(٣) الرعان: الجبال.
(٤) لبان: صدر.

فَـرْعَـانِ فـي دَوْحَـةِ عـزٍّ سَمَـتْ غَيْثَـانِ بَـلْ بَحْـرَانِ بَـلْ رَحْمَتَـانْ
سَيَمْلِكَـانِ الأَرْضَ حَتَّـى يُـرَى لـي منْهُمَـا حَـرَّانُ وَالـرَّقَّتَـانْ
فَـاسْلَـمْ عَلَـى الـدَّهْـرِ شَـديْـدَ القُـوَى ذَا مـرَّةٍ مَـا شَـدَّ كَـفٌّ بَنَـانْ
وَاسْتَـوْطـنِ الشَّهْبَـاءَ فـي عـزَّةٍ وَاحْسِـسْ بغَمْـدَانَ وَقَعْبَـيْ لَبَـانْ

وقال من قصيدة[1]: [من الطويل]

إذَا وَجَفَـتْ منْـكَ الخُيُـولُ لغَـارَةٍ فَـلاَ مَـانـعٌ إلاَّ الَّـذي مَنَـعَ العَهْـدُ
نَـزَلْـتَ بـأَنْطَـاكيَّـةَ غَيْـرَ حَـافـلٍ تَعلّـةَ جُنْـدٍ إذْ جَميْـعُ الـوَرَى جُنْـدُ
فَكَـمْ أَهْيَـفٍ حَـازَتْـهُ هَيْـفُ رمَـاحكُـمْ وَكَـمْ نَـاهـدٍ أَوْدَى بـه فَـرَسٌ نَهْـدُ
لَئـنْ حَـلَّ فيْهَـا ثَعْلَـبُ الغَـدْرِ لاونٌ فَسُحْقـاً لَـهُ قَـدْ جَـاءَهُ الأَسَـدُ الـوَرْدُ
وَكَـانَ قَـد اغْتَـرَّ اللعيـنُ بلينكُـمْ وَأَعْظَـمُ نَـارٍ حَيْـثُ لاَ لَهَـبٌ تَبْـدُوْ
جَنَـى النَّحْـلِ مُغْتَـراً وَفـيْ النَّحْـلِ آيَـةٌ فَطَـوْراً لَـهُ سُـمٌّ وَطَـوْراً لَـهُ شَهْـدُ
/٦ب/ تَمُـدُّكَ أَجْنَـادُ المُلُـوك تَقَـرُّبـاً وَجُنْـدُ السَّخيْـنِ العَيْـنِ جَـزْرٌ وَلاَ مَـدُّ
تَهَـنَّ بهَـا بكْـراً خَطَبْـتَ مَـلاَكَهَـا فَـأَعْطَـتْ يَـدَ المَخْطُـوْبِ وَانْتَظَـمَ العَقْـدُ
فَجَيْشُـكَ مَهْـرٌ وَالبُنُـوْدُ حَمُـوْلَـةٌ وَأَسْهُمُكُـمْ نَثْـرٌ وَسُمْـرُ القَنَـا نَقْـدُ

وكان قد شرع في كتاب سمّاه: «كشف المهم في غوامض الأمّ في شرح مذهب الشافعي»؛ ولم يتم إلى الآن، يكون ستين مجلداً. وكتاب «ما تحرر الآن من أخبار آل قليج أرسلان»، وكتاب «بلاغة الخطباء في بلاغة السفهاء»، وكتاب «أخبار اليزيدين وأشعارهم»، وكتاب «تمحيص اليزيدين بذكر المحمدين»، وكتاب «التحرير لما ورد في لبس الحرير»، وكتاب «التعبير لأخبار محمد بن جرير»، و«تتمة كتاب البلاذري» كبير يكون عشرين مجلداً، «تاريخ مصر على حروف المعجم، وذكر من دخلها»، فمن له ذكر كبير. وكتاب «الطيب في أخبار أبي الطيب».

(١) القصيدة في الوافي ٢٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠. معجم الأدباء ٥/ ٢٠٢٨.

[٤٥٥]

/٧أ/ عليُّ بنُ حمزةَ بنِ عليِّ بنِ يوسفَ، أبو الحسنِ بنِ أبي المعالي الغرّافيُّ.

من أهل الغَرّاف(١).

ورد بغداد، وتفقه بالمدرسة النظامية على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وولي قضاء بلده سنة اثنتين وعشرين وستمائة في أيام الإمام الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد أمير المؤمنين ـ رضوان الله عليه ـ، وله شعر حسن.

شاهدته عدّة مرات، ولم آخذ عنه شيئًا من أشعاره. وكان رجلاً جافي الجثة بدينًا عبلَ الجسم، ويلقبه جماعة من الفقهاء بالثور.

وهو القائل من قصيدة طويلة، مدح بها باتكين بن عبد الله الناصري. وكان يومئذ أمير البصرة: [من البسيط]

وأنْتَ خَيْرُ فَتًى تُرْجَى فَوَاضِلُهُ ... بِذِكْرِه تَحْسُنُ الأَيّامُ وَالسِّيَرُ

سَهْلُ الخَلِيْقَةِ لا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... وَلِلْمَكَارِم وَالافْضَالِ يَبْتَدِرُ

مُوَفَّقُ الرَّأْيِ مَحْمُودٌ نَقِيْبَتُهُ ... فِيْ النَّاسِ يَحْسُنُ مِنْهُ الخُبْرُ والخَبَرُ

هَذَا وَسَعْيُكَ مَشْكُورٌ وَجَدُّكَ مَنْـ ... ـصُورٌ وَنَشْرُكَ مَا بَيْنَ الوَرَى عَطِرُ

/٧ب/ وَمِنْ فَضَائِلِكَ اللاَّتِي سَمَوْتَ بِهَا ... مَحْمُودُ أنْ نَطَقَتْ فِيْ فَضْلِكَ البَقَرُ

[٤٥٦]

عليُّ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بن عَليٍّ، أبو الحسنِ الواسطيُّ الشريفُ العباسيُّ، المعروفُ بابنِ العطارِ.

من أبناء النقباء الأشراف بواسط.

سكن بغداد وتعلق بخدمة الديوان العزيز في أيام الإمام الناصر لدين الله ـ رضي

(١) الغَرّاف: نهر كبير، تحت واسط، عليه كورة، فيها قرًى كثيرة. وهو اليوم بين الكوت والشطرة. انظر: معجم البلدان/ مادة (الغراف).

الله عنه ـ وله فيه مديح كثير، إمتدح بعده الإمام الظاهر بأمر الله أبا نصر محمداً ـ رضيّ الله عنه ـ والإمام المستنصر بالله ـ رحمه الله ـ.

قصدت منزله بمدينة السلام سنة اثنتين وعشرين وستمائة، لأكتب عنه شيئًا من شعره فصادفته وقد شرب دواء، فاعتذر إلي من هذا السبب.

وأنشدني أبياتًا يسيرة من قيله، ولم يكن في الوقت سعة لأعلقها عنه، فبعد ذلك ما عدت اجتمعت به إلاّ راكبًا؛ وخبرتُ أنه توفي في بغداد سنة ثلاثين وستمائة.

أنشدني في عبد الكريم بن الزكي بن شبانة المعلم الحظيري، وقال: أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن العطار لنفسه: ـ[من الطويل]

/٨أ/ أَلَمَّتْ فَحَيَّا قَبْلَ زَوْرَتِهَا النَّشْرُ ... ثَقِيلَةَ رِدْفٍ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ الخَصْرُ
وَهَزَّتْ قَوَاماً كَالقَضِيْبِ إِذَا انْثَنَتْ ... يَمِيلُ وَمَنْ خَمْرِ الشَّبَابِ بِهَا سُكْرُ
وَعَطَّرَ مَسْرَاهَا الثَّرَى فَكَأَنَّمَا ... يَتِيْهُ لَنَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ عِطْرُ
إِذَا رُمْتُ وَصْلاً مَا نَعَتْنِي نُهُودُهَا ... أَلاَ بِأَبِي مَا ضَمَّهُ ذَلِكَ الصَّدْرُ
تَرُوْمُ عَنِ الوَاشِيْنَ اسْتِتَاراً وَمَا الَّذِي ... يَرُوْمُ عَنِ الوَاشِيْنَ وَجْهًا هُوَ البَدْرُ
تَجَمَّعَ فِي فِيْهَا سُلاَفٌ وَلُؤْلُؤٌ ... فَمِنْ ثَغْرِهَا دُرٌّ وَمِنْ رِيْقِهَا خَمْرُ
وَمِنْ شَعْرِهَا لَيْلٌ وَمِنْ وَجْهِهَا ضُحَى ... وَمِنْ قَدِّهَا غُصْنٌ وَمِنْ لَحْظِهَا سِحْرُ

وقال أيضًا في غرض له: [من الطويل]

وَفَتَّانَةِ العَيْنَيْنِ مَعْسُولَةِ اللَّمَا ... يُبِيْحُ لَنَا وَصْلاً وَمعنى إِسْمِهَا ضِدُّ
يَطِيْبُ التُّقَى إِلاَّ لَيَالِيَ وَصْلِهَا ... وَيَحْسُنُ إِلاَّ فِي مَحَبَّتِهَا الزُّهْدُ
لَهَا رِيْقَةٌ كَالرَّاحِ طَابَ مَذَاقُهَا ... وَثَغْرٌ كَمَا فِي سِلْكِهِ نُظِمَ العِقْدُ
وَقَدٌّ كَخُوطِ البَانِ مَيَّلَهُ الصِّبَا ... يَمِيلُ عَلَى أَرْدَافِهَا فَاحِمٌ جَعْدُ
إِذَا سَفَرَتْ أَهْدَتْ إِلَى اللَّحْظِ نَرْجِسًا ... وَخَداً إِذَا قَبَّلْتَهُ خَجِلَ الوَرْدُ
حَكَى خَصْرُهَا جِسْمِي نُحُولاً فَلَوْ بَغَتْ ... نُهُوضًا لَكَادَ الخَصْرُ بِالرِّدْفِ يَنْقَدُّ
تُغَازِلُنِي، وَالنَّجْمُ كَالنَّجْمِ بَهْجَةً ... وَدُرُّ المَعَانِي الغُرِّ مِنْ لَفْظِهِ يَبْدُو
/٨ب/ يُصَافِحُ رَاحَ الرُّوحِ لُطْفًا وَيَنْجَلِي ... مُحَيّاً بِرُؤْيَا وَجْهِهِ المُقَلُ الرُّمْدُ
لَئِنْ عَادَ رَبْعُ العَيْشِ بِالقُرْبِ آهِلاً ... وَكَانَ لأَيَّامِي الَّتِي سَلَفَتْ رَدُّ

غَفَـرْتُ إسَـاءَاتِ الـزَّمَـانِ وَأذْهبـتْ ... أيَـادِيْ التَّـدَانـي سُـوْءَ مَـافَعَـلَ البُعْـدُ
وَإنْ كُنْتُـمُ عَنِّـي لِغَيْـرِيَ جَعلْتُـمُ ... بَـدِيْـلاً فَمَـالِـيْ عَنْكُـمُ أبـداً بُـدُّ

[٤٥٧]

عليُّ بنُ مُحمَّدٍ، أبو الحسنِ الخيّاطُ الحلبيُّ.

من أهل حلب.

عامي له ذوق صحيح في استنباط المعاني اللطيفة. له أبيات أجاد نظمها وأحسن سبكها؛ أنشدنيها محمد بن يوسف الشاعر التلعفري، قال: أنشدني أبو الحسن الخيّاط لنفسه: [من المنسرح]

حُسْنُـكَ يَـا مَـنْ بِـهِ إحْتِيَـالُ ... مَـالِـي عَلَـى مِثْلِـهِ احْتِيَـالُ
قِسْمَـةُ أفْعَـالِـهِ لَحَيْنِـيْ ... ثَـلاَثَـةُ مَـالَهَـا مِثَـالُ(١)
وَعْـدُكَ مُسْتَقْبَـلٌ وَصَبْـرِيْ ... مَـاضٍ وَشَـوْقِـيْ إلَيْـكَ حَـالُ

[٤٥٨]

عليُّ بنُ أبي الفضلِ /٩أ/ بنِ يوسفَ بنِ محفوظٍ الحلبيُّ، أبو الحسنِ(٢).

من شعراءِ حلبَ الخاملين.

ذكروا له شعراً كثيراً نحو اثني عشر ألف بيت، ولم يمدح أحداً لرفده. وكان عفيف الفرج، طاهر اللسان، حسن السيرة، وقيل: إنه غسل هجوه عند موته، وعاش سبعين سنة، ولم تعرف له صبوة. وكان يحضر مجالس الأنس. وحُدّثت عنه أنه قال: لا رزقني الله شفاعة محمد ـ صلى الله عليه ـ إنْ كنت حضرت مجلسًا فيه شيء مما يفسد ديني وعقلي، أو رآني الله على معصيَة.

وكانت وفاته في سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ودفن بالجبيل، شمالي قلعة

---

(١) الحين: الهلاك.

(٢) يعرف بالسمان الشاعر.

ترجمته في: مجمع الآداب ٣/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩. الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٨٦.

حلب ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره ما أنشدني أبو الفداء إسماعيل بن نصر بن محمد بن عبد الواحد الحموي المعروف بابن المعلم، قال أنشدني أبو الحسن علي بن أبي الفضل لنفسه:

[من مجزوء الرمل]

زَارَنِي يَخْطُرُ فِي حِنْدِسِ الظَّلْمَاءِ بَدْرُ
أَهْيَفُ القَامَةِ يَخْتَالُ بِعِطْفَيْهِ سُكْرُ
بَابِلِيُّ اللَّحْظِ مِنْهُ بَلْبَلَ العُشَّاقَ سِحْرُ
لَوْ تَرَانِي وَتَرَاهُ قَامَ لِي عِنْدَكَ عُذْرُ
/٩ب/ خَدُّهُ مَاءٌ وَلَكِنْ يَتَلَظَّى فِيهِ جَمْرُ
جَمَعَ الأَضْدَادَ فِيهِ مَنْ لَهُ نَهْيٌ وَأَمْرُ

وقال أيضاً[(١)]: [من الكامل]

قَدْ طَابَ فِيكَ تَهَتُّكِي وَجُنُونِي وَسَمَحْتُ فِيكَ بِعَبْرَتِي وَجُفُونِي
وَكَفَفْتُ إِلاَّ فِي جَفَاكَ مَدَامِعِي وَسَتَرْتُ إِلاَّ فِي هَوَاكَ شُجُونِي
وَلَبِسْتُ فِيكَ السُّقْمَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ يَهْدِي إِلَيَّ الطَّيْفَ غَيْرُ أَنِينِي
فَهَوَاكَ أَوَّلُ مَا عَرَفْتُ مِنَ الهَوَى وَبِهِ لَبِسْتُ مَلاَبِسَ المَحْزُونِ
هَبْنِي بَقِيَّةَ مُهْجَةٍ أَفْنَيْتَهَا أَسَفاً يُقَطِّعُهَا عَلَيْكَ حَنِينِي
وَلَقَدْ صَبَرْتُ عَلَى جَفَاكَ وَإِنَّمَا فَاضَتْ عَلَى صَبْرِي بِحَارُ شُؤُونِي
قُلْ لِلْعَوَاذِلِ: كَمْ عَلَيَّ تَأَلَّبُوا وَعَلَى غَرَامِيَ فِيكُمُ عَذَلُونِي
وَيْحَ الخُطُوبِ المُولَعَاتِ بِنَا لَقَدْ صَيَّرْنَ يَوْمَ البَيْنِ يَوْمَ مَنُونِ
وَتَرَكْنَ أَيَّامَ الشَّبِيبَةِ وَالصِّبَا فِي نَاظِرِيَّ كَمَا اللَّيَالِي الجُونَ
وَسَلَبْنَنِي طِيبَ الكَرَى حَتَّى لَوِ ارْتُجِعَ الخَلِيطُ لَمَا سَرَى بِحُصُونِي
لَهْفِي وَهَلْ يُدْنِي التَّلَهُّفُ مِنْهُمُ بِالغَيْبِ بَيْنَ صَفَائِحٍ وَحُزُونِ
متبَاينينَ . . . . . . سَكَنُوا فَلاَ يَلْقَوْنَ غَيْرَ سُكُونَ
/١٠أ/ وَعَلَى وُجُوهٍ كُنَّ مِثْلَ أَهِلَّةٍ وَعَلَى قُدُودٍ كُنَّ مِثْلَ غُصُونَ

(١) الأبيات الستة الأولى في الوافي ٢١/ ٣٨٦.

وَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّمَا أَجْدَاثُهُمْ فِي البِيْدِ صَرْعَى دِرْهِ الزَّرَجُوْنْ[1]
لَوْ زُحْزِحَتْ عَنْهُمْ رَأَيْتَ مَهَالِكًا تُبْدِي لِقَلْبِكَ لَوْعَةَ المَحْزُوْنْ
تِلْكَ الجُسُوْمُ كَأَنَّهُنَّ كَنَائِرٌ رَثَّتْ وَكُنَّ كَلُؤْلُؤٍ مَكْنُوْنْ
رَحَلُوا عَنِ الأَوْطَانِ فَهْيَ لِفَقْدِهِمْ كَوُجُوْهِ أَقْوَامٍ بِغَيْرِ عُيُوْنْ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرمل]

أَيُّ بَدْرٍ أَخَذَتْهُ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ مِنِّيْ
كُنْتُ لاَ أَصْبِرُ عَنْهُ وَهُوَ لاَ يَصْبِرُ عَنِّيْ
كَانَ ظَنِّي فِيْهِ يَبْقَى خَيَّبَ المَقْدُوْرُ ظَنِّيْ
أَيُّهَا العَاذِلُ فِيْهِ بِالَّذِيْ عَافَاكَ عَنِّيْ
أَوْ فَقُلْ لِيْ غَيْرَ لاَه: كَيْفَ أَسْلُوْهُ وَمُرْنِيْ
إِنْ أَرُمْ عَنْهُ بَدِيْلاً يَا لَهَا صَفْقَةَ غَبْنِ
إِنْ جَفَانِيْ نُوْرُ عَيْنِيْ أَيُّ شَيءٍ عَنْهُ يُغْنِيْ
رُبَّ لَيْلٍ أَرَّقَتْنِيْ بِنْتُ طَوْقٍ ذَاتُ غُصْنِ
أَنْتَ مَا شَوَّقَكَ شَوْقِيْ لاَ وَلاَ حُزْنُكَ حُزْنِيْ
لَكَ إِلْفٌ عَنْكَ مَا بَا نَ وَإِلْفِيْ بَانَ عَنِّيْ

[٤٥٩]

عليُّ بنُ نصرِ بنِ هارونَ، أبو الحسنِ الحليُّ الأديبُ[2].

سمع الحديث على أبي المظفر بن التُّريكي الخطيب العباسي، وأخذ علم الأدب عن أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري. وكان يصلي بطاشتكين؛ أمير الحاج

---

(١) الزرجون: صبغ أحمر، الخمرة.

(٢) ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٤٤٥ رقم ١٦٢٩، وفيه: «مولده تقريبًا سنة ٥٣٣هـ». أمل الآمل ٢/ ٢٨٠. معجم أعلام الشيعة للطباطبائي ١/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ رقم ٤٤٦، ٤٤٧. طبقات أعلام الشيعة للطهراني ق٦/ ٢٠٨. الكامل لابن الأثير ١٢/ ١٤٦. تاريخ ابن الدبيثي ١٦٩ ـ ١٧٠ (كمبردج). تاريخ ابن النجار/ الورقة ٥٩ (باريس). المختصر من أخبار البشر ٣/ ١٢٧. عقد الجمان ١٧/ الورقة ٣٩٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠). المختصر المحتاج إليه/ الورقة ١٠١. التكملة لابن الصابوني ١١٨ ـ ١١٩. طبقات النحاة/ الورقة ٢٢٦.

الصلوات الخمس . وكان إمامًا فاضلاً قارئًا .

وتوفي ليلة الإثنين الحادية عشرة من شوال سنة خمس عشرة وستمائة، وحمل من الغد إلى الكوفة، فدفن بها، وجمع من كلام شيخه أبي البركات الأنباري الذي ينطق في مجالسه كتابًا لطيفًا سمّاه: «سلك الدر».

وجدتُ له هذين البيتين معزوين إليه وهما: [من البسيط]

يَا عَاذِلِيْ فِيْ غَرَامِيْ بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ ... كُفَّ العِتَابَ وَخَلِّ اللَّوْمَ وَالعَذَلَا

أَمَا تَرَى الشَّمْعَ يَجْرِيْ فَيْضُ أَدْمُعِهِ ... بَعْدَ القَطِيْعَةِ لمَّا فَارَقَ العَسَلَا

[٤٦٠]

عليُّ بنُ مُحمَّد بن عبد الصمد / ١١أ/ بن عبدِ الأحدِ بنِ عبدِ الغالبِ الهَمْدانيُّ، أبو الحسنِ السخاويُّ[(١)].

الشيخُ الفاضلُ الأديبُ النحويُّ المغربيُّ.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٦٤ ـ ٦٦ رقم ١٧، وفيه: «توفي بدمشق ليلة الأحد، ثاني عشر جمادى الآخرة ـ سنة ثلاث وأربعين وستمائة». معجم الأدباء ٥/ ١٩٦٣. معجم البلدان ٣/ ١٩٦. إنباه الرواة ٢/ ٣١١ ـ ٣١٢ رقم ٤٩٤. مرآة الزمان ٨/ ٧٥٨. ذيل الروضتين ١٧٧. وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ رقم ٤٥٦. مجمع الآداب ١/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠ رقم ٨٨٠. البدر السافر ٢٤ب. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٩٢ ـ ١٩٦ رقم ٢٢١. تذكرة الحفاظ ١٤٣٢. العبر ٥/ ١٧٨. معرفة القراء الكبار ٦٣١ ـ ٦٣٥ رقم ٥٩٦. تأريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٦. مرآة الجنان ٤/ ١١٠ ـ ١١١. طبقات السبكي ٨/ ٢٩٧. طبقات الأسنوي ٢/ ٦٨. البداية والنهاية ١٣/ ١٧٠. البلغة ص١٦٦ ـ ١٦٧. غاية النهاية ١/ ٥٦٨ ـ ٥٧١ رقم ٢٣١٨. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ص١٨٨. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٤. بغية الوعاة ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٤ رقم ١٧٦٨. حسن المحاضرة ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣. طبقات المفسرين للسيوطي ص٢٥. طبقات المفسرين للداودي ١/ ٤٢٥. القلائد الجوهرية ٢٣٨. خزانة الأدب ٢/ ٥٢٩. شذرات الذهب ٥/ ٢٢٢. نهاية الإرب ٢٩/ ٣١٩. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٢ ـ ١٢٤ رقم ٩٤. المختصر في أخبار البشر ٤/ ١٧٤. المعين في طبقات المحدثين ٢٠٢ رقم ٢١٣٨. دول الإسلام ٢/ ١٤٩. ذيل التقييد للفاسي ٢/ ٢١٣ رقم ١٤١٦. تاريخ الخميس ٢/ ٤١٥. طبقات الشافعية ٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ رقم ٤١٦. ديوان الإسلام ٣/ ٩٦ ـ ٩٧ رقم ١١٧٧. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٢٢٢. تاريخ الخلفاء ٤٧٦. خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٥٢٩. مفتاح السعادة ١/ ٣٩٠. الإعلام بوفيات الأعلام ٣٦٧. روضات الجنات ٤٩٢ ـ ٤٩٣. معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٢٥٩ رقم ٣٧٠. كشف الظنون ١٣٢. إيضاح المكنون ١/ ٢٥٥. هدية العارفين ١/ ٧٠٨. معجم المؤلفين ٧/ ٢٠٩. الأعلام ٤/ ٣٣٢. القلائد الجوهرية ٢٣٨.

مولده ببلدة سخَا[1] من ديار مصر في حدود سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. وقرأ في بلده على أبي إسحق إبراهيم بن جبارة السخاوي، وسمع بالإسكندرية على أبي طاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري، وعلى الحافظ [أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي][2].

وكان مالكي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وقرأ القرآن العزيز على أبي القاسم بن قرة بن أبي القاسم الرعيني الشاطبي للسبعة.

وقدم دمشق ولزم أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي؛ فقرأ عليه القرآن للسبعة، وسمع منه كتاب سيبويه والإيضاح واللُّمع وغيرها من الكتب. وسمع عليه ديوان المتنبي وشرحه. وغير ذلك من الكتب الأدبيات، وقرأ عليه أكثر مسموعاته عن مشايخه.

وحجَّ سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وعاد إلى دمشق، فتصدّر فيها للإقراء بالجامع ـ عمره الله تعالى ـ وأقبل الناس إليه، وقرأوا عليه القرآن والحديث وعلم العربية، وغير ذلك. وصنَّف كتبًا منها: «كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد»، / ١١ب/ وهي قصيدة أبي القاسم الشاطبي في القراءات السبعة. وكتاب «الوسيلة إلى كشف العقيلة» شرح القصيدة التي نظمها الشاطبيُّ أيضًا في رسم مصحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ وهي مائتان وثمانية وتسعون بيتًا على قافية الراء، سمّاها الشاطبيّ: «عقيلة أتراب القصائد». وكتاب «المفصَّل في شرح المفصَّل» شرح به الزمخشري، ونظم أشعاراً كثيرة أودعها مدح النبي ـ صلى الله عليه ـ وله كتاب سمّاهُ: «جمال القراء وكمال الإقراء» يتضمن علوم القرآن العزيز من التجويد والناسخ والمنسوخ والإعجاز وتجزئة القرآن وعدة آياته وكل ما يتعلق به. وكتاب «تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي» يتضمن شرح أحاجي الزمخشري، ومعارضة كل واحدة بمثلها نظمًا مسائل نحوية. وكتاب «تحفة الناسك في معرفة المناسك».

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (سخا).
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وسمع أبا القاسم هبة الله بن مسعود البوصيري، وأبا الثناء حماد بن الفضل الحرّاني بالديار المصرية.

وله كتاب «سفر / ١٢أ/ السعادة وسفير الإرادة» وكتاب «ذات الحُلل ومَهاة الكلل» فيما اتفق لفظه واختلف معناه، وهو قصيدة نظمها في ذلك. أجازني جميع ما رواه ووصفه، وما أنشأه وألفه.

وأنشدني لنفسه: ـ [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ مِنْكُمْ عَلَى بَالٍ فأَيْنَ مَضَى ... عَنِّي تَرَفُّقُكُمْ بِي يَا مَوَالِيْنَا

حَاشَاكُمُ وَجَمِيْلُ الصَّفْحِ عَادَتُكُمْ ... أَنْ تَنْقُضُوا بِالجَفَا عَادَاتِكُمْ فِيْنَا

وحين دخلتُ دمشق المحروسة قافلاً من مدينة السلام في شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة. سألت عن الشيخ أبي الحسن هذا، فقيل لي، إنه حيّ يرزق يفيد الناس، ويغشى مجلسه المستفيدون وأهل الفضل والأدب، وأوقاته مستغرقة بالمشتغلين والطلبة، ويزدحمون عليه، ولم يتفرغ البتة إلاّ في داره، فقصدت منزله وهو بسفح جبل قاسيون ومعي قصيدة من عمله في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومقطوعة أخرى من إنشائه، فدخلتُ إليه في مسجده بعد عشاء المغرب، وهو قائم يصلي، فلما فرغ من الصلاة نهضت فسلمت عليه وقبلت يده، فوجدته شيخًا كبير السن قد نيّف على الثمانين مطيلسًا قصيراً/ ١٢ب/ على زيّ أهل تلك البلاد المصرية، فلم يكن في الوقت سعة للاجتماع به، فألفيته في الطريق راكب حمار، قاصد المسجد الجامع، فسلمت عليه ودعوت الله فردّ عليَّ وبين يديه تلميذان له يقرآن عليه شيئًا من القرآن الكريم، فحين أنهى ذلك التلميذ قراءته أشار عليّ بالقراءة، وابتدأت فقرأت تلك القصيدة المقطوعة في جادة الطريق.

ووجدته ذا فهم ثاقب، وذهن حاضر، وحس جيد وقت القراءة عليه، لم يسأم ولا يأخذه ضجر في ذلك، والقصيدة التي له في مدح المصطفى سمّاها: «ذات السعا» وهي: [من الكامل]

قِفْ بِالمَدِيْنَةِ زَائِراً وَمُسَلِّمًا ... واشْكُرْ صَنِيْعَ الدَّمْعِ فِيْهَا إن هَمَى

فَهْيَ المَنَازِلُ لَمْ تَزَلْ تَشْتَاقُهَا ... أَبَداً وكُنْتَ بِهَا المُعَنَّى المُغْرَمَا

أَلْصِقْ بِتُرْبَتِهَا الفُؤَادَ فَكَمْ شَفَتْ ... دَاءً دَفِيْنًا قَدْ أَذَابَ المُسْقَمَا

عَجَبًا لِصَبٍّ عَايَنَتْهَا عَيْنُهُ ... فَوَعَى الجَوَابَ أَوِ اسْتَطَاعَ تَعَلُّمَا

هَذَا هُوَ الحَرَمُ الشَّرِيْفُ فَقِفْ بِهِ ... وَاقْرَ السَّلَامَ عَلَى الرَّسُولِ مُتَمِّمَا

وَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَنْقَذَ الضُّـ ... ـلَالَ مِنْ ظُلَمِ الجَهَالَةِ وَالعَمَى

يَا سَيِّدَ الهَادِيْنَ يَا خَيْرَ الوَرَى ... حَسَبًا وَأَوْسَعَهُمْ نَدًى وَتَكَرُّمَا

/ ١٣أ/ يَا خَاتَمَ الرُّسْلِ الكِرَامِ وَمَنْ لَهُ ... الآيَاتُ تَحْكِي فِيْ السَّمَاءِ الأَنْجُمَا

وَلَهُ انْشِقَاقُ البَدْرِ وَالجِذْعُ الَّذِيْ ... أَبْدَا حَنِيْنًا وَالجَمَادُ تَكَلَّمَا

وَالمَاءُ يَنْبُعُ فِيْ الإِنَاءِ وَمَنْ دَعَا ... زُمَرًا إِلَى النَّزْرِ اليَسِيْرِ فَأُطْعِمَا

وَدَعَا بِأَشْجَارِ الفَلَاةِ فَأَقْبَلَتْ ... وَغَدَا عَلَى الحَجَرِ الأَصَمِّ فَسَلَّمَا

وَعَلَا عَلَى مَتْنِ البُرَاقِ مُشَرَّفًا ... وَسَرَى إِلَى أَعْلَى السَّمَاءِ مُعَظَّمَا

يَا صَاحِبَ الوَجْهِ البَهِيِّ كَأَنَّمَا القَمَرُ المُنِيْرُ إِلَيْهِ فِيْ النُّوْرِ انْتَمَى

يَا صَاحِبَ الخُلُقِ الرَّضِيِّ فَمَا يُرَى ... إِلَّا رَحِيْمًا مُغْضِيًا أَوْ مُنْعِمَا

يَا صَاحِبَ القَدِّ الرَّشِيْقِ فَإِنْ مَشَى ... بَيْنَ الطِّوَالِ عَلَا عَلَى مَنْ قَدْ سَمَا

يَا مُطْلِعَ الإِيْمَانِ نُوْرًا مُشْرِقًا ... يَمْحُو مِنَ الكُفْرَانِ لَيْلًا مُظْلِمَا

صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا انْهَلَّ الحَيَا ... فَكَسَا الرِّيَاضَ مُفَوَّفًا وَمُنَمْنَمَا

وَعَلَيْكَ مِنْ رَبِّي السَّلَامُ مُضَاعَفًا ... مَا رَدَّدَتْ وُرْقُ الحَمَامِ تَرَنُّمَا

وَأَتَتْ إِلَيْكَ اليَعْمَلَاتُ مَشُوْقَةً ... تَطْوِيْ المَهَامِهَ وَالقِفَارَ عَلَى الظَّمَا

وَعَلَى أَبِيْ بَكْرٍ خَلِفَتِكَ الَّذِيْ ... لِلْحَقِّ قَامَ مُثَقِّفًا وَمُقَوِّمَا

وَغَدَا بِأَعْبَاءِ الخِلَافَةِ نَاهِضًا ... لَا عَاجِزًا فِيْهَا وَلَا مُتَلَوِّمَا

وَعَلَى سَبِيْلِ اللهِ أَنْفَقَ مَالَهُ ... حَتَّى تَجَلَّلَ بِالعَبَاءَةِ مُعْدِمَا

/ ١٣ب/ سَمَّاهُ بِالصِّدِّيْقِ صِدْقُ يَقِيْنِهِ ... سَبَقَ الرِّجَالَ إِلَى النَّجَاةِ فَأَسْلَمَا

وَغَدَا بِذَيْلِ المُصْطَفَى مُتَمَسِّكًا ... وَعَلَى أَوَامِرِهِ يَشُدُّ مُصَمِّمَا

وَأَنِيْسَهُ فِيْ الغَارِ حَيْثُ يَقُوْلُ: لَا ... تَحْزَنْ فَإِنَّ اللهَ أَمْنَعُ مَنْ حَمَى

وَضَجِيْعَهُ فِيْ قَبْرِهِ وَرَفِيْقَهُ ... يَوْمَ القِيَامَةِ فِيْ الجِنَانِ مُنَعَّمَا

وَعَلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ مُنَكِّسِ الأَصْنَامِ حِيْنَ غَدَا عَلَيْهَا مُسلمًا

عُمَرَ الَّذِيْ لِلدِّيْنِ كَانَ مُؤَيِّدًا ... وَلِمَنْ يُعَانِدُهُ مُذِلًّا مُرْغِمَا

فِـيْ الحَـقِّ فَـظٌّ لَيِّـنٌ مُتَعَـاظِـمٌ ... يَجْفُـو الشَّـرِيْـفَ لَـهُ وَيَـدْنُـو الأَيِّمَـا
سَلِسُ القِيَادِ لِمَـا يَـرَى فِيْـهِ رِضَـا الـرَّ ... حْمَـانِ صَعْـبٌ حِيْـنَ يَخْشَـى المَـأْثَمَـا
فَتَـحَ الفُتُـوْحَ وَشَـادَ لِلْـدِّيْـنِ العُـلاَ ... وَغَـدَا بِـهِ رَبْـعُ الضَّـلاَلِ مُهَـدَّمَـا
وَعَلَـى ابْـنِ عَفَّـانَ الَّـذِي اسْتَحْيَـتْ لأَجْـلِ وَقَـارِهِ مِنْـهُ مَـلاَئِكَـةُ السَّمَـا
القَـانِـتِ العَقِـبِ الصَّبُـوْرِ أَحَـاطَـتِ البَلْـوَى فَـأَذْعَـنَ لِلْقَضَـاءِ مُسَلِّمَـا
عُثْمَـانَ ذِيْ النُّـوْرَيْـنِ صِهْـرِ المُصطَفَـى ... زَوْجِ ابْنَتَيْـهِ غَـدَا بِـذَلِـكَ مُكْـرَمَـا
الجَـامِـعِ القُـرْآنَ وَالحَبْـرِ الَّـذِيْ ... فِـيْ كَفِّـهِ نَطَـقَ الجَمَـادُ فَـأَفْهَمَـا
جَعَـلَ النَّبِـيُّ المُصْطَفَـى يَـدَهُ لَـهُ ... عَـنْ كَفِّـهِ بَـدَلاً إِلَـى أَنْ يَقْـدُمَـا
وَعَلَـى أَبِـيْ الحَسَـنِ الإِمَـامِ المُـرْتَضَـى ... ذِيْ الفَخْـرِ وَالنَّسَـبِ الكَـرِيْـمِ المُنْتَمَـى
/ ١٤أ/ زَوْجِ البَتُـوْلِ أَخِيْ الرَّسُوْلِ فَتَى الوَغَى ... مَـا مَـرَّ قَـطُّ وَلاَ تَـأَخَّـرَ مُحْجِمَـا
وَبِخُـمَّ قَـالَ المُصْطَفَـى: مَـنْ كُنْـتُ مَـوْلاَهُ، فَمَـوْلاَهُ عَلِـيٌّ مُعْلِمَـا
يَـا رَبِّ وَالِ وَلِيَّـهُ وَنَصِيْـرَهُ ... أَبَـداً وَعَـادِ عَـدُوَّهُ أَنَّـى ارْتَمَـى
مَـنْ كَـانَ فِـيْ الأَحْكَـامِ أَقْضَـاهُـمْ وَبِالْـ ... ـعِلْـمِ المَصُـوْنِ عَـنِ البَـرِيَّـةِ أَعْلَمَـا
وَبَنُـوْهُ وَالصَّحْـبُ الكِـرَامُ جَمِيْعُهُـمْ ... وَالتَّـابِعُـوْنَ لِمَـنْ خَـلاَ وَتَقَـدَّمَـا
وَعَلَـى ابْنَـةِ الصِّـدِّيْـقِ عَـائِشَـةَ الَّتِـي ... فِـيْ شَـأْنِهَـا نَـزَلَ الكِتَـابُ مُعَظِّمَـا
وَجَمِيْـعِ أَصْحَـابِ النَّبِـيِّ وَآلِـهِ ... صَلَّـى عَلَيْهِـمْ رَبُّنَـا وَتَـرَحَّمَـا
يَـا سَيِّـدَ الأَبْـرَارِ جِئْتُـكَ أَشْتَكِـيْ ... أَلَمـاً أَلَـمَّ وَحَـادِثـاً قَـدْ أَظْلَمَـا
رَانَـتْ عَلَـى قَلْبِـيْ الـذُّنُـوْبُ فَلَـمْ يَـعِ الـذِّكْـرَى وَقَـدْ بَلَـغَ الـزُّبَـى سَيْـلُ طَمَـا
وَبِـذَا الجَنَـابِ أَعُـوْذُ يَـا خَيْـرَ الـوَرَى ... إِذْ زُرْتُـهُ مِـنْ أَنْ أَزُوْرَ جَهَنَّمَـا
وَلَقَـدْ وَقَفْـتُ بِسَاحَـةِ المَـوْلَـى الَّـذِيْ ... وَسِـعَ الأَنَـامَ يَـداً وَجَـادَ فَعَمَّمَـا
يَـا سَيِّـدِيْ وَالـوَفْـدُ مُنْقَلِـبٌ غَـداً ... بِـمَ يَـرْجِـعُ المِسْكِيْـنُ مُنْقَلِبـاً بِمَـا
إِنِّـي أَتَيْتُـكَ زَائِـراً مُتَنَصِّـلاً ... مُسْتَغْفِـراً مِـنْ زَلَّتِـي مُتَنَـدِّمَـا
يَـا ذَا الجَـلاَلِ ارْحَـمْ بِحَـقِّ المُصْطَفَـى الْـ ... ـعَبْـدَ الفَقِيْـرَ المُسْتَجِيْـرَ المُجْـرِمَـا
وَامْنُـنْ عَلَيْـهِ بِتَـوْبَـةٍ تَمْحُـو بِهَـا ... مَـا كَـانَ مِنْـهُ وَمَـا جَنَـاهُ وَقَـدَّمَـا
/ ١٤ب/ وَاغْفِـرْ لِمُنْشِدِهَـا عَلِـيٍّ ذَنْبَـهُ ... وَاغْفِـرْ لِمُنْشِيْهَـا عَلِـيٍّ وَارْحَمَـا
فَبِمَـدْحِ أَحْمَـدَ يَـرْجُـوَانِ شَفَـاعَـةً ... ذَا مُنْشِـداً فَـرِحـاً وَذَاكَ مُنَظِّمَـا

وَاغْفِرْ لِمُسْتَمِعٍ دَعَا لَهُمَا فَمَا ... أَجْدَى دُعَاءَ المُسْلِمِينَ وَأَكْرَمَا

وقرأت عليه ـ أيده الله ـ بطريق سفح جبل قاسيون، ظاهر دمشق ـ حرسها الله ـ بكرة يوم الإثنين السادس عشر من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة، ما قاله وقد طلبت منه الإجازة لأمير المؤمنين المستنصر بالله :ـ[من الطويل]

سَلاَمٌ عَلَى مَغْنَى الخِلاَفَةِ وَالهُدَى ... وَحَيْثُ أَقَامَ الدِّيْنُ وَالفَضْلُ وَالعِلْمُ

عَلَى سَادَةِ الإِسْلاَمِ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... قَضَاءً مِنَ اللهِ الَّذِيْ حُكْمُهُ الحُكْمُ

قَضَى لِبَنِيْ العَبَّاسِ أَنْ يَعْلُوَ الوَرَى ... فَطَاعَتُهُ فَرْضٌ عَلَى خَلْقِهِ حَتْمُ

بَنِيْ عَمِّ خَيْرِ العَالَمِيْنَ وَمَنْ بِهِ ... مَنَاقِبُهُمْ تَعْلُوْ وَجَدُّهُمُ يَسْمُوْ

دَعَا فَسَقَى اللهُ الوَرَى وَأَجَابَهُ ... لِيَعْلَمَ مَا أَعْطَاهُ مِنْ عِنْدِهِ فَهْمُ

وَلاَ يُرْزَقَ الإِيْمَانَ مَنْ لاَ يُحِبُّهُ ... كَذَا جَاءَنَا وَالمُصْطَفَى قَوْلُهُ جَزْمُ

وَقَالَ: قَدْ آذَانِيْ مَنْ آذَاهُ، إِنَّمَا ... أَبُو المَرْءِ فِيْ القُرْبَى يُمَاثِلُهُ العَمُّ

/١٥أ/ وَأُعْطِيَ فِيْ النَّسْلِ الشَّرِيْفِ خِلاَفَةَ النُّبُوَّةِ إِنْ قَرْمٌ مَضَى حَازَهَا قَرْمُ

فَهُمْ كَنُجُومِ الأُفْقِ إِنْ مَالَ غَارِبٌ ... لِمُدَّتِهِ أَكْلِيلِهَا طَلَعَ النَّجْمُ

أَنَارَ بِهَا السَّفَّاحُ كُلَّ دُجُنَّةٍ ... وَقَامَ بِهَا المَنْصُورُ فَابْيَضَّتِ الدُّهْمُ

فَمَهْدِيُّهَا فَالهَادِي ثُمَّ الرَّشِيْدُ فَالأَمِيْنُ فَمَأْمُونٌ لَهُ العَفْوُ وَالحِلْمُ

وَمُعْتَصِمٌ مَعْ وَاثِقٍ مُتَوَكِّلُ ... وَمُنْتَصِرٌ وَالمُسْتَعِيْنُ الذُّرَى الشُّهْمُ

وَمُعْتَزُّهُمْ وَالمُهْتَدِيْ ثُمَّ بَعْدَهُ ... لِمُعْتَضِدٍ تَسْطُوْ وَمُعْتَمِدٍ تَسْمُوْ

وَبِالمُكْتَفِيْ يَتْلُوهُ مُقْتَدِرٌ كَمَا ... إِلَى القَاهِرِ الرَّاضِيْ كَذَا العَدُّ يَنْضَمُّ

كَذَلِكَ مُسْتَكْفٍ أَتَى بَعْدَ مُتَّقٍ ... وَبَعْدَ مُطِيْعٍ طَائِعٍ لِلْعِدَا الرَّغْمُ

وَقَادِرُهَا مَعْ ثُمَّ مُقْتَدِرٍ وَمُسْتَظْهِرٍ يَتْلُوْهُ مُسْتَرْشِدٌ شَهْمُ

وَرَاشِدُهُمْ وَالمُقْتَفِيْ ثُم أَنْجَدَتْ ... لِمُسْتَنْجِدٍ وَالمُسْتَضِيءِ وَقَدْ تَمُّوا

بِنَاصِرِهِمْ وَالظَّاهِرِ العَفِّ وَابْنِهِ ... فَعَمَّ البَرَايَا عَدْلُهُ وَانْتَفَى الظُّلْمُ

إِمَامِ الوَرَى المُسْتَنْصِرِ الأَيِّدِ الَّذِي ... بِنُصْرَةِ دِيْنِ اللهِ يُعْنَى وَيَهْتَمُّ

فَمِنْ أَيْدِهِ نَارٌ تَجِيْشُ لَدَى الوَرَى ... وَأَيْدِيْهِ جَنَّاتٌ يَجِيءُ بِهَا السِّلْمُ

وَمِنْهُ لأَدْوَاءِ العُفَاةِ دَوَاؤُهَا ... وَمِنْهُ لِمُرَّادِ العُتَاةِ الرَّدَى السُّمُّ

وَكَمْ فَضَّ مِنْ خَتْمٍ عَنِ المَالِ بَاذِلاً ... وَكَمْ فِيْ الدَّيَاجِيْ حِيْنَ يَتْلُو لَهُ خَتْمُ

/ ١٥ب/ أَجَزْتُ لَهُ دَامَتْ قَوَاعِدُ مَجْدِه مُشَيَّدَةً لا نَقْضَ يُخْشَى وَلاَ هَدْمُ
جَمِيعَ الَّذِي أَلَّفْتُهُ وَنَقَلْتُهُ وَمَا قُلْتُهُ مِمَّا تَضَمَّنَهُ نَظْمُ
وَلِلسَّيِّدَيْنِ المَاجِدَيْنِ تَعَالِيَا وَلاَزَالَ فِي كَسْبِ العُلاَ لَهُمَا الغُنْمُ
لَهُمْ ذَاكَ إِنْ شَاؤُهُ وَالرَّأْيُ رَأْيُهُمْ وَلِي شَرَفٌ فِيهِ إِذَا مَا هُمُ هَمُّوا

وقرأت عليه ـ أيده [الله] ـ يوم الخميس ثامن عشر ذي الحجة بدمشق المحروسة بمسجدها الجامع، عند رأس يحيى بن زكريا ـ عليه السلام ـ لنفسه: [من الوافر]

عَجِبْتُ لِقَائِلٍ هَلْ أَنْتَ مِمَّنْ يُحِبُّ بَنِي الرَّسُولِ الغُرَّأَمْ لاَ
فَقُلْتُ: أَبْتَغِي الإِسْلاَمَ دِيْنًا وَتُبْغِضُ سَادَةَ الإِسْلاَمِ جَهْلاَ
وَتَجْعَلُ جَدَّهُمْ ذُخْراً شَفِيْعاً وَتُبْغِضُ أَهْلَهُ وَتَجُوْرُ كُلاَّ
عَقَدْتُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ ضَمِيْرِي فَمَا أَحَدٌ يُطِيْقُ لِذَاكَ حَلاَّ
أُحِبُّ مُحَمَّداً حَسَناً عَلِيّاً أَبَاهُ مُحَمَّداً قَدْ حَازَ نُبْلاَ
وَأَحْبَبْتُ الرِّضَا أَعْنِي عَلِيّاً وَمُوْسَى قَبْلَهُ الحُبَّ الأَجَلاَّ
وَجَعْفَراً المُقَدَّمَ ثُمَّ حُبِّي أَبَاهُ مُحَمَّداً مَا لَيْسَ يَبْلَى
وَوَالِدَهُ عَلِيّاً وَالحُسَيْنُ الشَّهِيْدُ بِكَرْبُلاَ وَالحَقُّ أَعْلَى
/ ١٦أ/ كَمَا أَحْبَبْتُ وَالِدَهُمْ عَلِيّاً أَجَلَّ العَالَمِيْنَ نُهىً وَفَضْلاَ
وَحُبُّ السَّيِّدِ الحَسَنِ اعْتِقَادِيْ فَبُعْداً لامْرِيءٍ عَنْهُمْ تَوَلَّى

وأنشدنا لنفسه يمدح شيخه أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي ـ رحمه الله تعالى ـ:

[من الخفيف]

أَيُّهَا الدَّائِبُ المُعَنَّى المُعَانِي مَضَضَ الكَدِّ فِي مَعَالِيْ المَعَانِيْ
لُذْ بِبَابِ الكِنْدِيِّ زَيْدٍ أَبِي اليُمْنِ إِمَامِ الأَنَامِ فَرْدِ الزَّمَانِ
فَعُقُوْلُ الوَرَى إِلَى الفَهْمِ عَنْهُ ذَاتُ فَقْرٍ لِلْفَضْلِ وَالعِرْفَانِ
هُوَ بَحْرٌ فِيْهِ نَفِيْسُ لآلٍ وَسِوَاهُ كَالآلِ عِنْدَ العِيَانِ
غَيْرُ بِدْعٍ أَنْ قَرَّ فِي البَحْرِ دُرٌّ وَهُوَ تَاجٌ وَالدُّرُّ لِلتِّيْجَانِ
صُوْرَةٌ صُوِّرَتْ مِنَ السُّؤْدَدِ المَحْضِ وَطِيْبِ الأَنْفَاسِ وَالإِحْسَانِ
مُحْكَمٌ سِيْبَوَيْهِ مُنْفَرِدٌ فِيهِ بِإِسْنَادِهِ وَبِالإِتْقَانِ
وَكَذَا شَرْحُ سِيْبَوَيْهِ وَمَا حَلَّ بِأَقْطَارِهَا لَهُ فِيهِ ثَانِي

وكِتَابُ الإيْضَاحِ قَدْ فَاقَ فِيْهِ بِجَلِيٍّ الإيْضَاحِ وَالتِّبْيَانِ
وَكَذَا كَامِلُ المُبَرِّدِ مَعْ مُقْتَضَبْ . . . . الفُصُولِ الحِسَانِ
/ ١٦ب/ وَأُصُولُ السَّرَّاجِ واللُّمَعُ الفَرْدُ وَشَرْحَاهُ حَبَّذَا الشَّرْحَانِ
وَالَّذِيْ حَرَّرَ ابْنُ بُرْهَانَ فِيْ النَّحْوِ وَمَا قَالَ قَبْلَهُ الرُّمَّانِيْ
وَالتَّفَاسِيْرُ وَالقِرَاءَاتُ وَالتَّجْوِيْدُ فِيْهَا وَمُشْكِلُ القُرْآنِ
وَحَدِيْثُ النَّبِيِّ وَالقَوْلُ فِيْهِ قَوْلُهُ فِيْ غَرِيْبِهِ وَالبَيَانِ
وَالتَّوَارِيْخُ وَالقَوَافِيْ مِنَ الشِّعْرِ وَعِلْمُ العَرُوْضِ وَالأَوْزَانِ
وَلَهُ فِيْ القَرِيْضِ مَا لَمْ تَجِدْهُ لِمُجِيدِ القَرِيْضِ فِيْ دِيْوَانِ
بينَ جَزْلٍ غَدَا حَبِيْبَ حَبِيْبٍ وَحِسَانٍ كَانَتْ هَوَى حَسَّانِ
يَقِظٌ وَاسِعُ المَجَالِ رَحِيْبُ البَاعِ فِيْمَا نَبَا عَنِ الأَذْهَانِ
يُرْشِدُ الغَافِلَ الذَّكِيَّ مِنَ السَّهْوِ بِقَلْبٍ ذِيْ فِطْنَةٍ يَقْظَانِ
وَجَنَانٍ لَهُ وَقَدْ نَاهَزَ التِّسْعِيْنَ حَوْلاً مِعَانَةَ العُنْفُوَانِ
وَيَدٍ تَرْقُمُ الطُّرُوْسَ كَمَا فُصِّلَ عِقْيَانُ نَاظِمٍ بِالجُمَانِ
فَانْظُرِ الخَطَّ وَاسْمَعِ اللَّفْظَ تَنْعَمْ مِنْهُ فِيْ رَوْضَتَيْ يَدٍ وَلِسَانِ
وَفَّرَ اللهُ بَعْدَ طُوْلِ بَقَاءٍ فِيْ نَعِيْمٍ نَعِيْمَهُ فِيْ الجِنَانِ

وأخبرنا الشيخ علم الدين فِيْ التاريخ «المذكور، قال: أخبرنا الشاطبي، قال: كان / ١٧أ/ ابن السمال كثيراً ما ينشد: [من المنسرح]

إِذَا خَلاَ فِيْ القُبُورِ ذُوْ خَطَرٍ فَزُرْهُ يَوْماً وَانْظُرْ إِلَى خَطَرِهْ
أَبْرَزَهُ المَوْتُ مِنْ مَسَاكِنِهِ وَمِنْ مَقَاصِيْرِهِ وَمِنْ حُجَرِهْ

قال الشيخ الشاطبي؛ فحملني إستحسانهما على الزيادة فيهما، فقلت:

[من المنسرح]

إِلَى دِيَارِ البِلَى فَحَلَّ بِهَا يَا لَيْتَ شِعْرِيْ مَا كَانَ مِنْ خَبَرِهْ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَالٌ وَلاَ وَلَدٌ وَلاَ حَمِيْمٌ يُعَدُّ مِنْ نَفَرِهْ
وَلَمْ يَجِدْ فِيْ ظَلاَمِ قُعْرَتِهِ نُوْراً سِوَى مَا أَنَارَ فِيْ عُمُرِهْ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالقُبُورِ مُتَّعِظاً أَخْفَقَ فِيْ وِرْدِهِ وَفِيْ صَدَرِهْ

قال الشيخ: وسُئلت الزيادة فيها، فأنشأت هذه الأبيات: [من المنسرح]

مَـرَّ بهَـا نَـاسِيـاً لـوَحْشَتِهَـا ... وَهْـوَ إلَيْهَـا يَجُـدُّ فـي سَفَـرِهْ
وَلَـمْ يَـرُعْـهُ فَظِيـعُ مَنْظَـرِهَـا ... كَـأنَّـهُ قَـدْ أُصِيـبَ فـي بَصَـرِهْ
عَجِبْـتُ مِـنْ شَـامِـتٍ بمُخْتَـرَمٍ ... وَأنَّـهُ ذَاهِـبٌ عَلَـى أثَـرِهْ
وَمِـنْ كَبِيْـرٍ دَنَـتْ مَنِيَّتُـهُ ... وَلاَ يَخَـافُ الـرَّدَى عَلَـى كِبَـرِهْ
/١٧ب/ الحَمْـدُ للَّـهِ مَـا قَضَـاهُ جَـرَى ... وَلاَ يَفِـرُّ العِبَـادُ مِـنْ قَـدَرِهْ

ومن شعره ما كتبه إلى الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن محمد بن أيوب ـ رحمه الله ـ: [من الكامل]

يَـا مَـنْ تُقَـابِـلُ وَجْهَـهُ شَمْسُ الضُّحَـى ... فَيَفُـوقُهَـا فـي النُّـوْرِ وَالإشْـرَاقِ
مَـالـي كَخَـابِـطِ ظُلْمَـةٍ مُتَحَيِّـرٍ ... لاَ يَهْتَـدِي أُفُقـاً مِـنَ الآفَـاقِ
يَـا مَـنْ يُجَلِّـي الهَـمَّ عَـنْ قُصَّـادِهِ ... فـي كُـلِّ ضَـائِقَـةٍ وَضِيْـقِ خَنَـاقِ
أنْـتَ المُـرَجَّـى فـي الـوَرَى لمُلِمَّـةٍ ... تَعْـرُو وَعَـارِفَـةٍ وَحَـلِّ وَثَـاقِ
فَكَـذَا غَـدَتْ أبْـوَابُهُـمْ مَهْجُـورَةً ... وَكَـأنَّ بَـابَـكَ مَجْمَـعُ الأسْـوَاقِ
تَلْقَـاهُـمُ مُتَكَفِّـلاً بمُنَـاهُـمُ ... وَمُـؤَمِّنـاً بهِـمُ مِـنَ الإخْفَـاقِ
ثِقَـةً بسُلْطَـانٍ لَـهُ هِمَـمٌ غَـدَتْ ... مَشْغُـوْفَـةً بمَكَـارِمِ الأخْـلاَقِ
العَـالِـمِ المَلِـكِ المُعَظَّـمِ طَـابَـقَ اللَّقَـبُ الحَقِيْقَـةَ فِيْـهِ أيَّ طِبَـاقِ
عِيْسَـى كَعِيْسَـى ذَاكَ يَنْشُـرُ أعْظُمـاً ... بَلِيَـتْ وَهَـذَا نَـاشِـرُ الأرْزَاقِ
وَكَبَعْـثِ ذَاكَ المَيْـتِ مِـنْ أكْفَـانِـهِ ... إحْيَـاءُ هَـذَا مَيِّـتَ الإمْـلاَقِ
لاَ تَعْجَبَـنَّ لمَـا أقُـوْلُ فَـإنَّمَـا ... فـي ذَا وَذَاكَ الفِعْـلُ للْخَـلاَّقِ
وَكَـأنَّـهُ فـي الـرَّوْعِ مُـوْسَـى وَالعَصَـا ... كَعَصَـاهُ إذْ لَقَفَـتْ قَنَـا الفُسَّـاقِ
/١٨أ/ تَهْتَـزُ مِثْـلَ الأيْـمِ تَنْفُـثُ نَـابُهَـا ... سُمّـاً وَمَـا لسَلِيْمِهَـا مِـنْ رَاقِـي[1]
نَـلْ بـالسَّعَـادَةِ مَـا تُـرِيْـدُ تَمَـامَـهُ ... لَـكَ خَـاضِـعٌ مُتَطَـامِـنُ الإطْـرَاقِ

وأنشدنا أيضاً لنفسه، موانع الصرف: [من الطويل]

(١) الأيم: الحيّة.

سَأُذْكُرُ مَا لَمْ يَصْرِفُوهُ مُمَثِّلاً بِأَمْثِلَةٍ كَيْ تَفْهَمُوهُ وَتَهْتَدُوا
فَقُلْ: زَيْنَبٌ إِسْحَاقُ عُثْمَانَ طَلْحَةٌ وَمَعْ عُمَرٍ، قُلْ: حَضْرَمَوتُ وَأَحْمَدُ
فَذِي سَبْعَةٌ مَصْرُوفَةٌ إِنْ تَنَكَّرَتْ وَإِنْ لَمْ تُنَكَّرْ قَطُّ فَالصَّرْفُ يُفْقَدُ
وَأَحْمَرُ مَعْ حَمْرَاءَ مَثْنَى مَسَاجِدٌ وَسَكْرَانُ عَنْهَا الصَّرْفُ يَنْأَى وَيَبْعُدُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهْيَ فِي العَدِّ خَمْسَةٌ فَخُذْهَا بِحَدٍّ وَالإِلَهُ المُسَدِّدُ

وأنشدني لنفسه، فِيْ حصر أقسام التنوين: [من الهزج]

لتَعْوِيْضٍ وَإِطْلاَقٍ وَتَنْكِيْرٍ وَتَمْكِيْنِ
وَغَالٍ مَعْ مُقَابَلَةٍ وَجَدْنَا كُلَّ تَنْوِيْنِ

[٤٦١]

عليُّ بنُ يحيى بن مُحمَّد بنِ الحسنِ بنِ يوسفَ بنِ عبيدِ الله، أبو الحسنِ الشلمانيُّ(1).

ينسب إلى شلمى وهي قرية من بلد فَنَك من أعمال الحزيرة العُمرية(2) / ١٨ب/ كان من أهل القرآن والفقه، له شعر، وتوفي بالجزيرة سنة خمسين وستمائة.

أنشد فِيْ ولده محمد، قال: أنشدني لنفسه: [من الوافر]

هِيَ الدُّنْيَا وَمَرْتَعُهَا وَخِيْمُ وَمَا أَحَدٌ بِهَا مِنْهَا سَلِيمُ
إِذَا وَهَبَتْ تَعُوْدُ فَتَقْتَضِيْهِ كَمَا يَعْتَادُ ذَا الدَّيْنِ الغَرِيْمُ
وَإِنِّي رَاحِلٌ عَنْهَا وَفَانٍ وَأَنْتَ كَأَنَّكَ البَاقِي المُقِيْمُ
فَلاَ تَحْزَنْ وَلاَ تَفْرَحْ بِشَيْءٍ فَلاَ بُؤْسٌ يَدُوْمُ وَلاَ نَعِيْمُ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني والدي ما كتبه إلى معبد النجمي الشاعر، وكان منقطعًا إلى بيت الكدكي، وله فيهم مدائح كثيرة، وهي ثابتة فِيْ ديوان شعره:

[من الطويل]

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْكَدِّكِيِّيْنَ مِيْزَةٌ عَلَى النَّاسِ طُرّاً وَالعُلاَ بِهِمُ أَحْرَى

---

(1) ترجم المؤلف لولده (محمد بن علي بن يحيى) في الجزء السابع برقم ٧٦٥.
(2) انظر: معجم البلدان/ مادة (فنك).

لَمَا شَيَّدَ النَّجْمِيُّ بُنْيَانَ مَجْدِهِمْ ... فَأَصْبَحَ فَوْقَ النَّسْرِ مُشْتَمِلاً عِطْرَا

فأجابه معبد، أن أثبتها فِيْ ديوان شعره: [من البسيط]

سِوَى عَلِيِّ بنِ يَحْيَى لَيْسَ فِيْ البَلَدِ ... عَلَى الوَدَائِعِ بِالمَأْمُوْنِ مِنْ أَحَدِ
فَتًى تَرَى عِنْدَهُ الأَمْوَالَ مُوْدَعَةً ... بِغَيْرِ كَيْلٍ وَلاَ وَزْنٍ وَلاَ عَدَدِ

[٤٦٢]

/ ١٩أ/ عليُّ بنُ أبي بكر بن عليٍّ، أبو الحسنِ، الهرويُّ أباً وأصلاً، الموصليُّ مولداً ومنشأً[١].

وكان والده من أهل هرات[٢] خراطًا، ويعرف بابن الخراط السائح، الَّذِيْ كان يكتب على الحيطان. حدَّث بما ذكره عن نفسه فِيْ كتابه. وكان يكتب خطّه فِيْ المَساجد فِيْ كل موضع. كان رجلاً قد سلك القفار، وطاف الديار، وركب البحار، ورأى الآثار، وسافر البلاد، وعاشر العُبَّاد الأشراف؛ وأخلق جديد العمر فِيْ التجوال والتطواف، وزار الأولياء الصالحين، وسمع الحديث على المشايخ والعلماء، وشاهد العجائب، وعاين الأبنية والعمارات، ونظر الأصنام والآثار والطلسمات. وأدرك ما لم يدركه أحد من السائحين والزهاد، ولا يصل إليه أكثر المسافرين والعباد، وجال الأرض بقدمه، وأثبت ما ذكره بقلبه وقلمه. وصنّف فِيْ ذلك كتبًا يتعذر وجودها منها: كتاب «منازل الأرض ذات الطول والعرض». / ١٩ب/ وكتاب «العجائب والآثار»، وكتاب «الإشارات فِيْ معرفة الزيارات»[٣].

---

(١) ترجمته في: تاريخ إربل ١/ ١٥١ ـ ١٥٤. وفيات الأعيان ٣/ ٣١. التكملة للمنذري ٢/ ٣١٥ رقم ١٣٦٨. تكملة ابن الصابوني ٢٠٥ ـ ٢٠٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠). المشتبه ص٢٤٩. مرآة الجنان لليافعي ٤/ ٢٢. شذرات الذهب ٥/ ٤٩. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٦ رقم ٤٠. المختصر من أخبار البشر ٣/ ١٠٥، ١٢٢. عقد الجمان ١٧/ الورقة ٣٥٠. شذرات الذهب ٥/ ٤٩. نهر الذهب ٢/ ٢٩٣.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (هراة).

(٣) ورد في كشف الظنون ص٩٦، وبروكلمان ١/ ٤٧٨ وملحق ١/ ٨٧٩ بإسم «الإشارات إلى معرفة الزيارات» توجد نسخة مخطوطة منه في كمبردج برقم (Qg ٩٢) وهي مؤرخة في ٦٩٢هـ، والكتاب مطبوع بدمشق سنة ١٩٥٣، مع ترجمة فرنسية بتحقيق J. SOURDEL-THOMINE.

وسمع الحديث الكثير، ورأيت له خطبًا من إنشائه، وكلامًا منثوراً وشعراً. إستوطن حلب وأقام بها إلى أن توفي فيها فِيْ شهر رمضان سنة إحدى عشرة وستمائة فِيْ العشر الوسطى.

وكانت ولادته سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

وقبره ظاهر المدينة قبليها على الجادة الآخذ إلى دمشق بئراً نسبت إلى إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ. وكان صُوفيًا له معرفة بالسيمياء والتخييلات.

وكانت له بحلب وجاهة ومنزلة عند صاحبها الملك الظاهر غياث الدين.

أنشدني القاضي الإمام أبو القاسم بن أبي الحسن الحنفي ـ أيده الله تعالى ـ قال أنشدني علي بن أبي بكر الهروي لنفسه، وهو ما ضمنه كتاب الإشارات الَّذِيْ تقدّم آنفًا: [من الكامل]

طُفْتُ البِلاَدَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا ... وَلَكَمْ صَحِبْتُ لِسَائِحٍ وَحَبِيْسِ
وَرَأَيْتُ كُلَّ غَرِيْبَةٍ وَعَجِيْبَةٍ ... وَلَقِيْتُ هَوْلاً فِيْ رَخَايَ وَبُوْسِي
أَصْبَحْتُ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى فِيْ وَحْدَةٍ ... أَرْجُو إِلَهِيَ أَنْ يَكُوْنَ أَنِيْسِي

/ ٢٠أ/ وأنشدني القاضي الإمام أبو القاسم ـ أيده الله تعالى ـ بمنزلة المحروس بحلب، فِيْ سنة أربع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني الشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي لنفسه، يرثي الشيخ أبا البركات بن قرناص: [من الخفيف]

دَعْ مَلاَمِي فَإِنَّهُ لاَ يُفِيْدُ ... لاَ تَلُمْنِي فَإِنَّ قَلْبِي عَمِيْدُ
كُفَّ عَنِّي فَالصَّبْرُ مِنِّي ضَعِيْفٌ ... وَمُصَابِي صَعْبٌ وَخَطْبِي شَدِيْدُ
هَذِهِ نَكْبَةٌ لَهَا أَصْبَحَتْ الأَرْضُ بِمَا فَوْقَ مَنْكِبَيْهَا تَمِيْدُ
مَاتَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ شَرْقًا وَغَرْبًا ... وَإِمَامُ الهُدَى الوَلِيُّ الفَرِيْدُ
سَيِّدُ الأَوْلِيَاءِ وَالزَّاهِدُ العَابِدُ وَالفَاضِلُ الإِمَامُ الوَحِيْدُ
هِبَةَ اللهِ مُذْ فَقَدْنَاكَ مَاتَ الخَيْرُ وَالزُّهْدُ وَالنَّدَى وَالجُوْدُ
هِبَةَ اللهِ لاَ صَفَا لِيَ عَيْشٌ ... كَيْفَ يَصْفُو وَقَدْ عَلاَكَ الصَّعِيْدُ
فَالقُبُورُ الَّتِي حَلَلْتَ بِهَا بِيْضٌ وَهَذِي القُصُورُ بَعْدَكَ سُوْدُ
أَتَلَذُّ الحَيَاةَ نَفْسِي وَشَيْخِي ... هِبَةُ اللهِ فِيْ الثَّرَى مَلْحُوْدُ

صَاحِبُ الزُّهْدِ وَالتِّلاَوَةِ وَالوِرْدِ الَّذِي لِلْوَرَى عَلَيْهِ وُرُوْدُ
/ ٢٠ب/ نَدَبَتْكَ الآيَاتُ يَا هِبَةَ اللهِ وَتَبْكِيكَ المُرْسَلاَتُ وَهُودُ
نَدَبَتْكَ الدِّيَارُ وَالمَسْجِدُ المَعْمُوْرُ يَبْكِيكَ وَالكِتَابُ المَجِيْدُ
فَعَلَيْكَ السَّلاَمُ مِنَّا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِيْ إِنَّ المَزَارَ بَعِيْدُ

وأنشدني، قال: قال أبو الحسن قبل موته بأيام، هذه الأبيات وكتبها على حائط تربته: [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَنْ يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَقَدْ طَالَ عَنَاهُ
هَذِهِ تُرْبَةُ مَنْ شَيَّدَ هَذَا وَبَنَاهُ
طَالَمَا أَتْعَبَهُ الحِرْصُ وَقَدْ هَدَّ قُوَاهُ
طَلَبَ الرَّاحَةَ فِيْ الدُّنْيَا فَمَا نَالَ مُنَاهُ

وأنشدني، قال: نقلت من خطه ـ وأجاز لي الرواية عنه ـ طلب بعض أمراء الشام قميصًا يتبرّك به من ثيابه، فأنفذ له قميصًا ومعه هذه الأبيات: [من السريع]

/ ٢١أ/ قَمِيْصُ عَبْدٍ مُذْنِبٍ غَافِلٍ زَمَانُهُ فِيْ صَفْقَةٍ خَاسِرَهْ
فَابْكِ عَلَى مَنْ ضَلَّ فِيْ غَفْلَةٍ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا مَعَ الآخِرَهْ

وأنشدني، قال: نقلت من خطة لنفسه هذه الأبيات قالها وأشتد به ألمُ ظهره، وعجز عن القيام بغير عصا، واظنني سمعتها منه ـ والله أعلم ـ: [من الخفيف]

لَوْ تَرَانِي كَسَعْفَةِ يَوْمَ رِيْحٍ عَاصِفٍ إِذْ مَشَيْتُ بِالعُكَّازِ
خَائِفًا زَاحِفًا أَسِيْرُ عَلَى الأَرْضِ هُوَيْنَى فِيْ رِعْدَةٍ وَاهْتِزَازِ
شِبْهَ قَوْسِ النَّدَافِ يُزْعِجُهَا الضَّرْبُ فَيَهْوِي بِهَا كَرِيْشِ البَازِ

[٤٦٣]

عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ تيمٍ، أبو القاسمِ الموصليُّ.

كان ذا طبع سهل فِيْ محاولة ما يرومه من المنظوم والمنثور، صالح البديهة فِيْ إنشائها، جيد الفكر. وكان من المتفردين فِيْ زمانه بصناعة الكتاب والإنشاد، وبمذهب الكتاب إلاَّ أنه كان/ ٢١ب/ تحت الحظّ الناقص، خامل الذكر، لم يشهر نفسه بذلك.

أنشدني أبو النجاة سالم بن عمر بن سالم الخطيب الموصلي، قال: أنشدني أبو القاسم لنفسه فِيْ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رضي الله عنه ـ وقد أصابت الكرة فمه: [من الخفيف]

قَبَّلَتْ ثَغْرَكَ المُمَنَّعَ عَنْ كُلِّ فَتَاةٍ مِنَ الكَوَاعِبِ خَوْدِ
كُرَةٌ . . . . . إِلَى زَهْرَةِ الشَّمْسِ بَنَانٌ مِنَ النُّهَى وَالسَّعْدِ
حَسَدَتْهَا الأَفْلَاكُ حَيْثُ تَرَقَّتْ رُتْبَةً أبْهَرَتْ عُيُونَ الأُسْدِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

يَا غَزَالاً يَشْكُو سَقَامًا بِعَيْنَيْهِ فُؤَادٌ يُصْفِيْهِ وُدّاً صَحِيحَا
مَرِضَتْ وَاعْتَدَتْ بِهِ فَعَدَاهَا فَشَكَتْ وَاشْتَكَتْ بِهَا التَّبْرِيْحَا
مَا رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ لَحْظِكَ سَيْفًا مُرْهَفًا حَدُّهُ يَكُونُ جَرِيْحَا

وأنشدني أيضًا، قال: سألتُ أبا القاسم أن يجيز هذا البيت: [من الخفيف]

رَجُلٌ عَلَّقَ الطَّلَاقَ بِشَهْرٍ قَبْلَ مَا بَعْدَ قَبْلِهِ رَمَضَانُ

فأجازه فِيْ الحال من غير توقف: [من الخفيف]

/ ٢٢أ/ أَيُّهَا العَالِمُ الَّذِيْ فَاقَ فَضْلاً فَهْوَ فِيْ كُلِّ مَذْهَبٍ بُرْهَانُ
أَفْتِنِي فِيْ الَّذِيْ أَقُوْلُ فَمَا مِثْلُكَ مَنْ عَزَّهُ جَوَابٌ مُصَانُ
رَجُلٌ عَلَّقَ الطَّلَاقَ بِشَهْرٍ قَبْلَ مَا بَعْدَ قَبْلِهِ رَمَضَانُ

[٤٦٤]

عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ مبادرٍ، أبو الحسنِ الأسديُّ.

هو من السندية، قرية بسواد العراق من قرايا نهر عيسى[١]. كان شيخها ومُقدمها ورئيسها، ذا ثروة وافرة، ونعمة غزيرة، ومروءة مشهورة، ونفس واسعة. يقصده كل من يرد ذلك المكان. وكان كريمًا سخيًا شائعَ الذكر، نبيهَ القدر، مشهوراً بالقرى مقصوداً في قريته. وكان له عبيد، وإماء برسم ما يصنع للضيوف من الخبز والطعام ومواضع معدّة لذلك.

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (السندية).

وحكى عنه بعض الفضلاء، قال: ـ لمَّا كنا ببغداد، قصدت ابن مبادر فيْ يوم عيد الأضحى، فحضر خوانه خمسة وعشرون شاعراً، أنشدوه المدح بعد أن رُفِع الطعام، فأجازهم كلّهم؛ ففيهم من أجازه بالجبّة والعمامة، ومن أجازه بالذهب، قال: وبلغني /٢٢ب/ أنّه نزلت به سرية من العرب ليلة، فعلق على خيولهم ألفًا وأربعمائة عليقة، وأضافهم تلك الليلة. وكان مع ذلك فيه ميز وفضل وأدب وذكاء، ويقول الشعر الحسن، فرضي الله عنه ورضي عني كل من كان فيه مروءة وسخاء.

أنشدني عبد العليم بن عبد الله بن عبد الرحمن الأنباري، قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه ما كتبه من السندية إلى والدي، وهو مُقيم بالبصرة: [من الطويل]

خَلَعْتَ عَلَى أَرْضِ البُصَيْرَةِ رَوْنَقًا ... وَجَمَّلْتَهَا لَمَّا اتَّخَذْتَ بِهَا مَغْنَى
وَأَصْبَحَتِ الدَّارَ الَّتِي قَدْ هَجَرْتَهَا ... كَعَيْنٍ بِلَا نَوْمٍ وَلَفْظٍ بِلَا مَعْنَى
وَغَادَرْتَ فِي سِنْدِيَّةِ البَيْتِ وَحْشَةً ... فَلَوْ أَنَّهَا تُنْبِي لَقَالَتْ كَمَا قُلْنَا

وقال فيه أيضًا: [من الكامل]

يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَنَابِرَ وَاعِظًا ... وَأَجَلَّهَا عِنْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا
شَرُفَتْ بِكَ الأَعْوَادُ ثُمَّ تَبَاشَرَتْ ... لَمَّا عَلَتْ قَدَمَاكَ مِنْهَا مَوْضِعَا
حَسَدُوكَ أَقْوَامٌ مَلَأْتَ قُلُوبَهُمْ ... غَيْظًا كَمَا حَسَدُوا البَطِينَ الأَنْزَعَا
مَا كَانَ مِثْلُ أَبِي تُرَابٍ فِيهُمُ ... بِالرُّغْمِ أَنَافَ الأَعَادِي جَدَّعَا
/٢٣أ/ مَا دُمْتُ مُلْتَزِمًا بِحَبْلِ وَلَائِهِ ... فَإِلَيْكَ نَسْعَى طَائِعِينَ وَخُضَّعَا
مَا أَبْتَغِي بِالمَدْحِ فِيكَ إِجَازَةً ... إِلَّا الدُّعَاءَ وَحَسْبُ مَنْ طَلَبَ الدُّعَا

[٤٦٥]

عليُّ بنُ أحمدَ بن عليِّ بن محمّد، أبو الحسن بنِ أبي العباسِ، المعروفُ بابنِ دوّاسِ القنا العنبريُّ الواسطيُّ(١).

---

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الرابع برقم ٤٠٣.
ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٣٣٢ رقم ١٣٩٧. تأريخ الحكماء للقفطي ٢٤. تأريخ ابن الدبيثي/ الورقة ٢١٦ (باريس ٥٩٢٢).

من بيت أدب وشعر، مشهور الذكر. وأبو الحسن كان شاعراً أديبًا له يد في علم التنجيم، وكِتْبَةِ التقاوم، وكان نائب صاحب التركات.

أنشدني أبو محمد الحسن بن علي بن أبي البركات الضرير الواسطي، قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه من قصيدة، وهي من مشهور شعره: [من مجزوء الكامل]

يَا زَاجِرَ الحُمْرِ النِّيَاق ... عَرِّجْ بِزَوْرَاء العِرَاق
وَاقْرَ السَّلاَمَ عَلَى الَّذِيْ ... مِنْ بَعْدِهِ طَالَ اشْتِيَاقِيْ

ومنها:

أبداً شهودي أَرْبَعٌ ... مُتَنَزِّهُوْنَ عَنِ النِّفَاق
ذُلِّي وَفَيْضُ مَدَامِعِيْ ... وَنُحُولِ جِسْمِيْ واحْتِرَاقِيْ

/ ٢٣ب/ ومنها قوله:

وَالشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا ... تَحْمَرُّ مِنْ فَرَحِ التَّلاَقِيْ
وَكَذَاكَ عِنْدَ غُرُوبِهَا ... تَصْفَرُّ مِنْ أَلَمِ الفِرَاقِ

[٤٦٦]

عليُّ بنُ أبي منصورِ بنِ أبي عبدِ الله، أبو الحسنِ الموصليُّ الضريرُ الفريضيُّ.

كان شاعراً ذكيًا، ثاقب الحسِّ، دقيق الفطنة، إذا أورد الشعر يقيّد أسماع الحاضرين بصوته. وكان فيْ أول عمره يضرب بالعود. وكان في حلقه بحّة مستعذبة.

وأخبرني الشيخ أبو عبد الله أحمد بن الحسين النحوي، قال: خبرت عن أبي الحسن أنه كان يأخذ الشعرة من لحيته، ويقطعها بالطول أربع قطع ويعقدها لِزُكرِه[1].

وكان آخذاً من علوم شتى بأطراف، وسمعته يتكلم فيْ النجوم وفي الطب، ورأيته يأخذ النبض، وعاشر الشيخ صدر الدين بن قيداس الفرضي الحاسب زمانًا طويلاً. وكان من أخصائه، / ٢٤أ/ فلما توفى، ولاّه زعامة الأضراء، فلم يصفُ له

(١) الزكر: جمع زكرة وهي الوعاء.

الأمر لأنّه كان ذا إقتار، وممن أفسد عليه صهره، محمد بن أحمد الضرير الواسطي. وتوفى في الحمام فجأة وذلك أنّه اغتسل، فخرج ولبس ثيابه، وأسند ظهره إلى الحائط، فحرّك فإذا به وقد توفي، وذلك ما بين سنة ست وسبع وستمائة بالموصل ـ رحمه الله تعالى ـ.

أنشدني أبو عبد الله النحوي الأديب، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن أبي منصور لنفسه، يمدح عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن آق سنقر، من قصيدة أوّلها: [من الطويل]

لِعَيْنَيْ سُلَيْمَى مُهْجَتِي وَخُضُوعُهَا ... وَإِنْ كَانَ لاَ يَنْفَكُّ عَنْهَا وُلُوعُهَا
وَلَسْتُ أُفَدِّيْهَا بِغَيْرِ حُشَاشَةٍ ... إِلَيْهَا وَإِنْ شَطَّ المَزَارُ رُجُوعُهَا
يَقُوْلُ خَلِيْلِيْ: خَلِّ عَنْهَا وَفِي الحَشَا ... مِنَ الشَّوْقِ نَارٌ لاَ يَكِلُّ وُقُوعُهَا
وَكَيْفَ أُسَلِّي القَلْبَ عَنْهَا وَلَمْ يَزَلْ ... يُخَالِفُ أَمْرِيْ فِي الهَوَى وَيُطِيْعُهَا

ومنها:

وَقُلْتُ لِعَيْنِي اسْكُبَا الدَّمْعَ إِنَّهَا ... مَنَازِلُ أَحْبَابِيْ وَهَذِي رُبُوعُهَا

/ ٢٤ب/ ومخلصها في المديح:

سَحَائِبُ لاَ تَنْفَكُّ أَوْ تَذَرُ الثَّرَى ... رَوِيّاً وَحَتَّى كُلُّ شَيءٍ نَقِيْعُهَا
كَجُودِ عِمَادِ الدِّيْنِ زَنْكِيِّ ذِي النَّدَى ... إِذَا الْسُّنُ الشَّهْبَاءِ أَقْوَتْ مُرُوْعُهَا

وله قصيدة طويلة يمدح بها أتابك أبا الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي، صاحب الموصل ـ رحمه الله ـ أولها: [من الطويل]

خَلِيْلَيَّ عُوْجَا بِي عَلَى بَانَةِ الحِمَى ... عَسَى عَائِدٌ مِنْ عَيْشِنَا مَا تَصَرَّمَا
وَمُرَّا عَلَى الوَادِيْ فَبِيْ لِظِبَائِهِ ... جَوىً كُلَّمَا شَطَّ النَّوَى بِيْ تَضَرَّمَا
فَيَا حَبَّذَا بَانُ الحِمَى وَعَرَارُهُ ... وَسُكَّانُ وَادِيْهِ وَغِزْلاَنُهُ الدُّمَى
فَلاَ بَانَ إِلاَّ بَانُهُ قَطُّ مَا سَرَتْ ... لَهُ نَفْحَةٌ إِلاَّ أَثَارَتْ مُتَيَّمَا
كَأَنَّ النَّسِيْمَ المُسْتَقِلَّ بِرَيِّهِ ... غَدَاةَ سَرَى عَنْ طِيْبِ سُعْدَى تَنَسَّمَا
سَرَى نَاشِراً مِنْ طَيْفِهَا مَا انْطَوَى بِهِ ... رِدَاهَا فَأَبْدَى مِنْهُ سِرّاً مُكَتَّمَا

يميسُ إذَا مَا سَافَهُ ذُوْ صَبَابَةٍ شَفَاهُ فَلاَ يَلْقَى لِوَجْدٍ تَألُّمَا[١]

وَحَيثُ اسْتَقَلَّتْ بَيْنَ سِرْبِ نِسَائهَا وَهَزَّتْ قَوَاماً كَالقَضِيْبِ مُقَوَّمَا

/ ٢٥أ/ تُرِيْكَ شَبِيْهَ البَدْرِ تَحْتَ مُرَجَّلٍ أَثِيْثٍ يُرِيْكَ اللَّيْلَ أَسْوَدَ أَفْحَمَا

فَمَا الدُّرُّ أَعْطَاهُ الصَّفَاءُ مَلاَحَةً تُزَانُ بِهَا فِي كُلِّ جِيْدٍ مُنَظَّمَا

بِأَحْسَنَ مِنْهَا حِيْنَ أَبْدَتْ تَبَسُّمَا بِذِي أَشَرٍ كَالدُّرِّ لَمَّا تَبَسَّمَا[٢]

ومنها:

أَيَا سَائقاً يَطْوِي التَّنَائِفَ مُعْرِقَاً وَطَوْراً يَحُثُّ الرَّكْبَ فِي البِيْدِ مُتْيِمَا

يُحَاوِلُ وِرْداً يُسْتَقَادُ بِرِيِّهِ إِذَا مَا اشْتَكَى الظَّمْآنُ ضَنَّ نَيْلُهُ الظَّمَا

تَوَخَّ بِهَا الحَدَّاءَ نَحْوَ مَلِيكِهَا المُطَاعِ تَجِدْ بَحْراً مِنَ الجُوْدِ مُفْعَمَا

مَلِيْكٌ إِذَا مَا بَخَّلَ المَالُ أَهْلَهُ عَنِ البَذْلِ أَلْفَى البَذْلَ لِلْمَالِ مَغْنَمَا

رَأَى العَدْلَ وَالإحْسَانَ فِيْ النَّاسِ خَيْرَ مَا تَحَلَّى بِهِ رَبُّ العُلاَ وَتَوَسَّمَا

فَأَحْيَاهُمَا بَعْدَ الدُّثُوْرِ فَأَصْبَحَا وَقَدْ جَمَعَا فِيْهِ الثَّنَاءَ المُقَسَّمَا

وَأَلْفَى عَفَافَ المَرْءِ خَيْرَ اعْتِقَادِهِ فَعَفَّ وَلَمْ يَرْكَبْ مَدَى الدَّهْرِ مَأْثَمَا

وَحَيْثُ تَأَمَّلْتَ المُلُوْكَ وَمَجْدَهُ وَجَدْتَ لَهُ فَضْلاً عَلَيْهِمْ مُعَظَّمَا

يُقَدِّمُهُمْ أَصْلاً وَفَرْعَاً وَهَكَذَا تُفِيْدُ الأُصُوْلُ الزَّاكِيَاتُ التَّقَدُّمَا

فَطَوْراً تَرَاهُ . . . . أَنَّى تَبَسَّمَا وَطَوْراً تَرَاهُ اللَّيْثَ أَنَّى تَجَهَّمَا

يَجُوْلُ عَلَى الشُّجْعَانِ فِيْ حَوْمَةِ الوَغَى فَيَسْقِيْهِمُ كَأْسَاً مِنَ المَوْتِ عَلْقَمَا

/ ٢٥ب/ وَإِلاَّ فَسَلْ عَنْهُ الصَّوَارِمَ وَالقَنَا لِيُخْبِرَ عَنْهُ وَالجَوَادَ المُطَهَّمَا

هُوَ الفَارِسُ المَذْكُوْرُ لاَهُوَ فِيْ الوَغَى إِذَا مَا انْقَضَى لِلْحَرْبِ عَضْبَاً وَلَهْذَمَا

وَقَدْ أَلْقَتِ الحَرْبُ العَوَانُ جِرَانَهَا وَأَلْبَسَتِ الأَبْطَالَ بِالدَّمِ عَنْدَمَا

[٤٦٧]

عليُّ بنُ عبدِ المحسنِ، أبو الحسنِ الواعظُ اليمنيُّ الزَّبيديُّ.

أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الإسكندري، قال: أنشدني

(١) ساف: شمّ.

(٢) الأشر: تحزز الأسنان وبياضها.

أبو الحسن لنفسه:

لَيَـالِـي المُنْحَنَـى عُـودي ... فَـإنِّـي قَـدْ ذَوَى عُـودِي
كَمَـا أَمْـرَضْتنـي عُـودِي ... فَمِـنْ جَـوفِـي فَقَـدْ عُـودِي
سَقَـى اللـهُ الحمَـى مُـزْنـاً ... وَإنْ أَوْرَثَنِـي حُـزْنـا
فكَـمْ قـدْمـاً بـه فُـزْنَـا ... بعَيْـشٍ غَيْـرِ مَنْكُـودِ
/١٢٦أ/ أُجَيْـرانَ الغَضَـا رِقُّـوا ... فَـإنِّـي لَكُـمُ رِقُّ
وَفِـي أَيْـدِيكُـمُ رَقُّ ... شُهُـودِي فِيـهِ مَشْهُـودِي
أَرَدْتُـمْ كُنْـهَ تَجْـرِيبِـي ... وَسُفْـنُ الحُـبِّ تَجْـرِي بِـي
فَحُـوزُوا الآنَ أَجْـرِي بِـي ... وَلَـوْ مِنكُـمْ بِمَـوْعُـودِ

[٤٦٨]

عليُّ بنُ قليجَ بنِ عبدِ الله، أبو الحسنِ الطاهريُّ الحلبيُّ[(١)].

وأبو الحسن أمير فاضل ذو نباهة وذكاء، وله شعر ومنه قوله يرثي ولده:

[من الطويل]

فَقَدْتُ فَتًى لَوْ عِشْتُ مَا عِشْتُ لَمْ تَزَلْ ... شَمَائِلُهُ فِي خَاطِرِي وَعِيَانِي
أَيَطْمَحُ مِنِّي أَنْ أَعِيشَ وَأَنَّنِي ... أَنَامُ فَلاَ أُبْكِيهِ طُولَ زَمَانِي

---

(١) في هامش الأصل: «هو الأمير الكبير سيف الدين علي بن الأمير غرس الدين قليج، وقليج عتيق الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، وكان هو وأبوه من أكابر أمراء الدولة النورية والصلاحية والظاهرية...... خبر سيف الدين..... فارساً..... لما انتقل إلى الملك سنة اثنتين وثلثين وستمائة..... فارس ولما توفي الملك الكامل أعاد الملك الناصر داود قلعة حلب والغور وما زال..... إلى سنة ثلاث وأربعين وستمائة إلى دمشق وتوفي فيها في شعبان وكان مولده بحلب سنة ثمان وستين وخمسمائة وعمل هذه..... يرثي ولده لما مات في سنة تسع وعشرين وستمائة..... ونقل إلى حلب ودفن بتربة جده، ولقبه ناصر الدين».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٩٤. الدارس للنعيمي ١/ ٥٦٩ رقم ١٢٦. البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١٧١. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٦. ذيل الروضتين ١٧٧. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٦٥ رقم ١٧٤، وفيه: «الأمير الكبير، صاحب القليجية، توفي في شعبان بدمشق، ودفن بتربته التي في مدرسته بدمشق، وقد عمل نيابة دمشق، وكان أبوه من الأمراء الظاهرية الحلبية... كتب عنه القوصي شعراً، وذكره في معجمه وقال: كانت مدرسته دار خالد بن الوليد». مفرّج الكروب ٥/ ١٦٥، ١٧١، ١٧٤، ٢٣٩، ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٦٣. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٦.

تَجَمَّلَ سُكَّانُ القُبُورِ بطَلْعَةٍ عَهِدْتُ إِلَيْهَا يُنْسَبُ القَمَرَانِ
أُحِسُّ فُؤَادِيْ لِلْهَيْبِ مُسَكِّناً فَلَمْ اسْتَطِعْ مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ
فَلَوْ أَنَّ خَصْمِي فِيْكَ خَصْمٌ مُجَسَّدٌ لَمَكَّنْتُ مِنْهُ صَارِمِي وَسِنَانِي
وَلَكِنَّهُ الدَّهْرُ الَّذِي رَامَ تُبَّعاً وَيَتْبَعُهُ مِنْ بَعْدِهِ الهَرَمَانِ
فَوَا حَسْرَتَا مُذْ فَارَقَتْنِي شَمَائِلُ تَوَلَّى عَلَيْهَا طَارِقُ الحَدَثَانِ
فَلِيْ حَسْرَةٌ مَا تَنْقَضِي وَنَدَامَةٌ عَضَضْتُ عَلَيْهَا رَاحَتِي وَبَنَانِي
وَأَصْبَحْتَ لا تَدْرِيْ بِمَنْ جَاءَ زَائِراً عَدَاكَ إِلَى كَمْ رَقْدَةٍ . . .

[٤٦٩]

عليُّ بنُ محمودِ بنِ محمد /٢٦ب/ بن أحمدَ، أبو الحسنِ بنِ أبي الشكرِ البغدَاديُّ، المعَروفُ والدُهُ بالسَرخسيِّ.

كان والدُه أحد الكتاب بالديوان العزيز ـ مجده الله تعالى ـ بمدينة السلام. وكان ولده هذا أبو الحسن فاضلاً له معرفة بالأدب.

قرأ على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي، نزل مدينة حلب وتصدر بها فِيْ أوائل سنة ثلاثين وستمائة[1]. وقد شرح شعر أبي الطيب المتنبي فغسله قبل موته.

أنشدني القاضي الصدر الكبير بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن يحيى بن محمد بن الخشاب الحلبي ـ أدام الله رفعته ـ بمنزله المعمور في سنة أربع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو الحسن عليّ بن السرخسي لنفسه بحلب، يرثي شيخه أبا اليمن زيد بن الحسن لنفسه :ـ [من الطويل]

لَقَدْ كَانَ فِيْ زَيْدٍ أَبِي اليُمْنِ مِنْحَةٌ مِنَ اللهِ زَانَتْ فَضْلَهُ فِيْ حَيَاتِهِ
وَكَانَ مِثَالُ النَّحْوِ يُضْرَبُ بِاسْمِهِ فَلاَ عَجَباً إِنْ مَاتَ بَعْدَ مَمَاتِهِ

وأنشدني أحمد بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن خَلّكان الإربلي، قال:

(١) في هامش الأصل: «هذا غلط فانني قد وصلت إلى حلب في مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة وهو متصدر للإفتاء بالجامع قبل ذلك بسنتين، وغالب ظني أنه توفي قبل سنة ثلاثين وستمائة».

أنشدني ابن السرخسي لنفسه، /٢٧أ/ في إنسان يعرف بابن عمرون، وقد تصدّر لاقراء العربية والنحو بحلب، وصار له حلقة بمسجدها الجامع: [من مخلّع البسيط]

قَالُوا: ابنُ عَمْرُونَ قَدْ تَصَدَّى ... لِلنَّحْوِ وَالرُّتْبَةِ الثَّمِينَهْ
وَصَارَ مَعْ أَنَّهُ حِمَارٌ ... يُدَرِّسُ النَّحْوَ فِي المَدِينَهْ
فَقُلْتُ: هَذَا الزَّمَانُ بَحْرٌ ... فِي مِثْلِهِ تَغْرَقُ السَّفِينَهْ

ونقلتُ من خطّه قوله ما كتبه إلى كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الفقيه الحنفي المدرس ـ أيده الله تعالى ـ: [من المنسرح]

يَا كَمَالَ الدِّيْنِ الَّذِي جُلِيَتْ ... بِهِ المَعَالِي فِي أَفْخَرِ الشِّيَمِ(١)
فُقْتَ الوَرَى بَعْدَ كُلِّ مُفْتَخِرِ ... حَوَيْتَهُ بِاللِّسَانِ وَالقَلَمِ
أَنْتَ لَعَمْرِي عِنْدِي كَقَوْلِ الَّذِي ... بَرَّزَ فِي قَوْلِهِ عَلَى الأُمَمِ
قَامَ بِأَمْرِي لَمَّا قَعَدْتُ بِهِ ... وَنِمْتُ عَنْ حَاجَتِي وَلَمْ يَنَمِ

[٤٧٠]

عليُّ بنُ تركانشاه /٢٧ب/ بنِ شاه مرزوانَ، أبو الحسنِ الرازيُّ.

كان فقيهًا شافعي المذهب، نزل الموصل وسكن المدرسة العزّية، وتولّى إعادة درس الشيخ أبي حامد محمد بن يونس بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه الشافعي المدرّس.

ومن شعر أبي الحسن، يرثي الشيخ أبا حامد المذكور، وكانت وفاته في سلخ جمادى الآخرة سنة ثماني وستمائه ـ رحمه الله تعالى ـ بالموصل: [من الخفيف]

إنْ رَقَا لِي وَقَدْ فَقَدْتُكَ دَمْعُ ... أَوْ صَفَا لِي إِلَى المُفَنِّدِ سَمْعُ
أَوْ خَلَا مِنْ لَوَاعِجِ الحُزْنِ قَلْبِي ... أَوْ حَلَا مَحْفَلٌ لَدَيَّ وَجَمْعُ
أَوْ تَرَاءَى مِنْ جَانِبِ الغَوْرِ غَوْرِ اللَّهْوِ بَرْقٌ فَشَاقَنِي مِنْهُ لَمْعُ
فَأَنَا الخَائِنُ الَّذِي ضَيَّعَ العَهْدَ وَأَلْوَى بِهِ مِنَ الغَدْرِ طَبْعُ

(١) هذا الشطر من الخفيف.

يَا مُقِيْمَ الصَّغَى إذَا ذَاعَ فِي القَوْلِ وَأَزْرَى بِسُنَّةِ الدِّيْنِ بِدْعُ[١]
وَزَعِيْمَ الجِدَالِ والأَفْوَهَ المِنْطِيْقَ مَنْ غَيِّهِ إلَى السِّلْمِ يَدْعُو
وَفَرِيْداً فِي عَصْرِهِ وَوَحِيْداً شَفَعَ الشَّافِعِي فَالوِتْرُ شَفْعُ
وَفَقِيداً بَكَى لَهُ العَالَمُ العُلْوِيُّ شَجْواً وَمَادَ دِيْنٌ وَشَرْعُ
جُهِلَتْ بَعْدَكَ العُلُومُ وَأَضْحَى طَالِبُ العِلْمِ مَا لَهُ مِنْهُ نَفْعُ
/ ٢٨أ/ وَاسْتَقَلَّتْ أقْوَالُ مَذْهَبِكَ الحَقِّ وَعَادَتْ وُجُوهُهُ هِيَ شَفْعُ
وَتَمَادَى بِالدَّرْسِ وَالفِقْهِ وَالبَحْثِ شَتَاتٌ مَا بَعْدَهُ الدَّهْرَ جَمْعُ
فَإلَى مَنْ يَصِيْرُ طَالِبُ فُتْيَا ضَاقَ مِنْهَا بِالعَالِمِ الحَبْرِ ذَرْعُ
وَفَقِيْهٌ طَرَا عَلَيْهِ مِنَ الإشْكَالِ مَا لاَ فِي وُسْعِهِ عَنْهُ دَفْعُ
وَنَحَارِيْرُ مَنْطِقٍ أَرْتِجَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ لِلْقَوْلِ رَجْعُ
وَبِرُغْمِي افْتِئَاتُ غَيْرِكَ بِالدَّرْسِ وَإنَّ يَدَهُ لِنَعْلِكَ شِسْعُ
وَإذَا مَا خَلاَ العَرِيْنُ مِنَ اللَّيْثِ فَلاَ غَرْوَ أنْ يُدَانِيَهُ ضَبْعُ
بِأَبِي رُوْحُكَ الَّتِي لَمْ تَزُلْ قَطُّ وَلاَ رَابَهَا مِنَ المَوْتِ نَزْعُ
وَتَصَانِيفُكَ الَّتِي شَيَّدَ المَذْهَبَ مِنْهَا أَصْلٌ صَحِيْحٌ وَفَرْعُ
وَمَقَامَاتُكَ العَلِيَّةُ وَالخَطْبُ جَلِيْلٌ وَالأَمْرُ خَفْضٌ وَرَفْعُ
فَكَأَنَّ النَّهَارَ سَاعَةَ وَارَوْهُ عَلَيْهِ مِنْ دَامِسِ اللَّيْلِ قِطْعُ[٢]

[٤٧١]

عليُّ بنُ موسى، أبو الحسنِ الضريرُ الباجسريُّ.

كان رجلاً ضريراً فيه فضل وأدب، وينظم الجيّد من الأشعار.

حدثني الصاحبُ /٢٨ب/ شرف الدين أبو البركات المستوفى بإربل - رضي الله عنه - قال: أخبرني أبو العباس أحمد بن محمد القريحي، قال: كان بيني وبين أبي الحسن الباجسري صداقة، فورد على بعض الجهات التي كان لي بها مُغل، فقال: تساهمني فيما حصل لك، فساهمته في ذلك وبقي البصل والهرطمان، قلت: خُذ

---

(١) الصَّغَى: الميل.
(٢) قطع: طائفة من الليل.

حصتك منها، فقال: أنفذهما أنت إلي، فلم أنفذهما فكتب إلي وأنشدنيه:

[من الكامل]

يَا قَارِحِيُّ وَعَدْتَنَا ... وَخِضَابُ وَعْدِكَ مَا نَصَلْ
بِكِرَازِكَ مَمْلُوءَةً ... مِنْ هُرْطُمَانِكَ وَالبَصَلْ
وَقَضَيْتَ أَنَّ الوَعْدَ تُنْجِزُهُ إِذَا ... اليَوْمُ انْفَصَلْ
وَإِلَى أُخَيِّكَ وَدَارِهِ ... مِنْ ذَاكَ شَيْءٌ مَا وَصَلْ
وَعَلَى نَجَازِكَ وَالمِطَالُ ... وُدَادُنَا لَكَ قَدْ حَصَلْ
لَا زِلْتَ تَصْدُقُ لِلصَّدِيْقِ ... وَدَامَ شُكْرُكَ وَاتَّصَلْ
وَتَفِيَّ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ ... وَمَا شَكَا وَبَكَى طَلَلْ

قال القريحي: وقال لي: إنما خرجت منها عن التزام الصاد، / ٢٩أ/ لأنَّه لم يبق شيء سوى ما ذكرته، هذا معنى لفظه.

قال الصاحب أبو البركات: ولو استقرأ إنسان ذلك لوجد شيئًا غير ما ذكره[١].

[٤٧٢]

عليُّ بنُ يحيى بن أحمدَ بنِ يوسفَ بن عبد العزيز بنِ علّون بنِ بسّامٍ، أبو الحسنِ المعروفُ بابنِ السَّدارِ الكاتبُ[٢].

وكانت ولادته في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة[٣].

---

(١) في هامش الأصل: «كان يمكنه أن يقول: ما كل سيف أو قَصَل، وأن يقول: ما دامَ ماءٌ أو مَصَل.

(٢) في هامش الأصل: «وجدت..... عبد العظيم علي بن يحيى..... بن أحمد بن عبد العزيز بن علون بن بسام، وهو الصحيح».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٢٠ رقم ٢٢٨، وفيه: «علي بن يحيى بن أحمد بن عبد العزيز، الرئيس زين الدين، أبو الحسن السدّار، الأنصاري المصري، الكاتب المنشيء، ولد بالقاهرة في الدول العبيدية سنة خمس وخمسين وخمسمائة.... وكتب في ديوان الإنشاء في الدولة الناصرية والعادلية والكاملية، وهو أخو الوجيه محمد، وكتب الإنشاء للصاحب صفي الدين بن شُكْر». التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٦٢٦ رقم ٣١٢٩. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٨٨ رقم ٣٧.

(٣) في هامش الأصل: «وقيل: ولد سنة خمس وخمسين. وكانت وفاته في يوم السبت الرابع من شوال سنة =

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي بحلب، قال: أنشدني ابو الحسن علي بن يحيى بن السَّدار لنفسه بدمشق في إنسان كان حريصًا على تحصيل الأملاك، ومعاملة الناس: [من الكامل]

هَبْ قَدْ جَمَعْتَ جَمِيعَ أَمْلَاكِ الوَرَى ... وَأَخَذْتَهَا بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ
فَظَلَمْتَ فِيهَا وَاعْتَدَيْتَ تَجَبُّراً ... أَفَمَا خَشِيتَ عُقُوبَةَ الرَّحْمَانِ

كان كاتبًا بين يدي القاضي الفاضل وكان صاحب طبع في الإنشاء، وبلاغة في صناعتي النظم والنثر، يحوي / ٢٩ب/ أدبًا وفضلاً، وهو من بيت مشهور.

[٤٧٣]

عليُّ بنُ الحسينِ بن كرمِ بن عثمانَ بن محمد الحسن بن عليٍّ، أبو الحسنِ الحلِّيُّ المعروفُ بابنِ الطباخِ.

أنشد له الصاحبُ أبو البركات هذه الأبيات في تاريخ إربل من تأليفه:

[من الطويل]

أَلَا فَاسْلَمُوا رَاقِينَ أَسْنِمَةَ العُلَا ... عَلَى غَايَةٍ مِنْ دُونِهَا المُتَطَاوِلُ
يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ تَنَالُوا مَرَاتِبًا ... لَكُمْ عِنْدَهَا ظِلُّ الخِلَافَةِ شَامِلُ
وَإِمَّا اطَّرَحْتُمْ مَنْ يَوَدُّ مَلَالَةً ... فَقَدْ خست مِنْكُمْ عُهُودٌ أَوَائِلُ

[٤٧٤]

عليُّ بنُ عليِّ بنِ أمسينا الواسطيُّ، أبو الحسنِ بنُ الميامن[١].

من أبناءِ المتصرفينَ والرؤساءِ وذوي الولاياتِ بواسط.

رأيته بإربل في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، يتولّى إشراف العرض بها في الأيام المستنصرية؛ وهو شاب جميل مليح الصورة، خفيف العارضين.

= إحدى وأربعين وستمائة».

(١) أسرة (أمسينا) من أُسر واسط المعروفة في أواخر العصر العباسي.

وحدثني ابن / ١٣٠أ/ الدبندار الشاعر، قال: ضمَّني وإيّاه بعض المجالس، فأنشدت: [من مجزوء الكامل]

أقْسَمْتُ يَا ابْنَ الدَّبَنْدَارِ بِأَنَّ شِعْرَكَ خَيْرُ شِعْرِ

شعراً لنفسي، فأنشد مخاطبًا لي، لنفسه: ـ [من الكامل]

مَنْ جَنْبُ فَضْلِكَ مَنْ أبُو تَمَّامُ مَنْ كَانَ المَعَرِّيْ؟

[٤٧٥]

عليُّ بنُ محمود بن أبي الحسين بن نبهانَ بن سند بن بشر، أبو الحسن بنُ أبيَ الثناء اليشكريُّ، البغداديُّ والداً وأصلاً، المصريُّ مَولداً، الدمشقيُّ منشأً[١].

شاعر ابن شاعر.

أنشدني علي بن محمود لنفسه بحلب في أعرج: [من السريع]

يَا بِأبِي مَنْ وَجْهُهُ جَنَّةٌ صَدَرْتُ عَنْهَا وَأنَا المُخْلَصُ
لَمْ يَثْنِنِي العُذَّالُ فِي حُبِّهِ أغْلَوْا عَلَيْهِ اللَّوْمَ أمْ أرْخَصُوا
قَالُوا: اعْتَرَاهُ عَرَجٌ شَانَهُ وَذَاكَ مِنْ وَجْدِيَ لاَ يَنْقُصُ
وَافَى إلَى وَصْلِيَ مُسْتَوْفِزاً كَأنَّهُ مِنْ عَرَجٍ يَرْقُصُ

/ ٣٠ب/ وقال أيضًا[٢]: [من الطويل]

وَلَمَّا أتَانِيْ العَاذِلُوْنَ عَدِمْتُهُمْ فَمَا مِنْهُمُ إلاَّ لَلَحْمِيَ قَارِضُ
وَقَدْ بُهِتُوا لَمَّا رَأوْنِيَ شَاحِبًا وَقَالُوا: بِهِ عَيْنٌ، فَقُلْتُ: وَعَارِضُ

---

(١) المنجم الأديب.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٧٠ ـ ١٧٣ وفيه: «علي بن محمود بن حسن بن نبهان. . .، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة ثمانين وستمائة». شذرات الذهب ٥/ ٣٦٧. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٠. العبر ٥/ ٣٢٩. المنهل الصافي ٨/ ٢٠٤ رقم ١٦٧٨. الدليل الشافي ١/ ٤٨٢ رقم ١٦٧١. تذكرة النبيه ١/ ٦٧ ، ٦٨. درة الأسلاك ٦٨. تالي كتاب وفيات الأعيان ١١٢ رقم ١٦٨. السلوك ١/ ٧٠٥. ذيل مرآة الزمان ٤/ ١١٣.
(٢) البيتان في الفوات ٢/ ١٧٢. المنهل الصافي ٨/ ٢٠٤. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٠.

وله من جملة قصيدة(١) : [من الكامل]

إنِّي أغَارُ مِنَ النَّسِيمِ إذَا سَرَى ... بأريجِ عَرْفِكَ خِيفَةً مِنْ نَاشِقِ
وَأَوَدُّ لَوْ سُهِّدْتُ لَا مِنْ عِلَّةٍ ... حَذَراً عَلَيْكَ مِنَ الخَيَالِ الطَّارِقِ

وقال في التشبيه : [من البسيط]

وَقَدْ تَبَدَّى هِلَالُ الأفْقِ مُزْدَهِياً ... تَحُفُّهُ فِي السَّمَاءِ الأنْجُمُ الزُّهُرُ
كَزَوْرَقٍ مِنْ لُجَيْنٍ وَقْرُهُ سَبَجٌ ... يَمُرُّ فِي لُجَّةٍ حَصْبَاؤُهَا دُرَرُ

وقال من قصيدة : [من الطويل]

رَعَى اللهُ مَنْ لَمْ يَرْعَ عَهْداً رَعَيْتُهُ ... وَعَقْدَ وُدَادٍ مُبْرَمٍ غَيْرِ مُنْحَلِّ
فَنَازَعَنِي الشَّوْقُ اللَّجُوجُ إلَيْهِمُ ... فَأُخْدَعُ قَلْبِي بالمَوَاعِيدِ والمَطْلِ
وَحَمَّلَنِي العُذَّالُ مِنَّةَ ذِكْرِهِمْ ... وَحَسْبُكَ أنِّي حَامِلٌ مِنَّةَ العَذْلِ

وأنشدني لنفسه في ضارب كرة : [من البسيط]

يَا حَبَّذَا وَبِرُوحِي ضَارِبٌ كُرَةً ... كَالغُصْنِ يَعْطِفُهُ الإدْلَالُ وَالمَرَحُ
/٣١أ/ شُكْراً لَهَا إذْ أرَتْنِي مِنْ مَحَاسِنِهَا ... أجَلَّ مَا كُنْتُ أرْجُوهُ وَأقْتَرِحُ
تَدْنُو إلَيْهِ وَيُقْصِيهَا لِعَاشِقَةٍ ... وَلَيْتَهُ مِثْلُهَا يَدْنُو وَيَنْتَزِحُ

وأنشد لنفسه من قصيدة في الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب :

[من الطويل]

سَلِي البَارِقَ العُلْوِيَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... أأمْسَكَ دَمْعُ العَيْنِ بَعْدَكِ أمْ هَمَى
وَلَا تُنْكِرِي فَيْضَ الدُّمُوعِ صَبَابَةً ... فَإنْ لَمْ تَجُودِي بالرِّضَا هَطَلَتْ دَمَا
مَلَكْتِ عِنَانَ القَلْبِ فَانْقَادَ طَائِعاً ... كَئِيبَ الهَوَى أنَّى حَلَلْتِ وَأيْنَمَا
فَلَا يَخْتَشِي إلَّا مَلَالَكِ وَالقِلَى ... وَمَا يَرْتَجِي إلَّا المَلِيكَ المُعَظَّمَا

ومنها :

فَمَا أجْدَلٌ وَافَى عَلَى رَأسِ مَرْقَبٍ ... أغَبَّ فَلَمْ يَطْعَمْ مِنَ الصَّيْدِ مَطْعَمَا
رَأى فِي فَضَاءٍ بِالعَرَاءِ طَرِيدَةً ... فَبَادَرَهَا يَفْرِي الإهَابَ تَجَشُّمَا

---

(١) البيتان في الفوات ٢/ ١٧١ . النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

بِـأَسْـرَعَ مِنْـهُ لِلْصَّـرِيْـخِ إِجَـابَـةً إِذَا أَصْبَـحَ النُّـوْرُ الشَّمَـالِـيُّ مُقْتِمَـا

وأنشدني لنفسه فِيْ سنقر الحكيم وقد رمى بالسهام، فأصاب حلقة الغرض خمس مرَّات متوالية: [من الطويل]

/٣١ب/ وَعَـوْجَـاءَ مِـنْ بَـانٍ إِذَا هِـيَ أُرْسِلَـتْ إِلَـى الجَمْـعِ فَـرْداً مِـنْ بَنِيْهَـا تَفَـرَّقَـا
أَصَبْـتَ بِهَـا خَمْسَـاً تُـؤَامَـاً تَـوَالِيَـاً بِحَلْقَـةِ قَـدٍّ دَقَّ عَـنْ أَنْ يُحَقَّقَـا
وَوَصَّلْتَهَـا لَـوْ شِئْـتَ إِعْجَـازَ صَنْعَـةٍ فَلَـمْ تُـدْرِكِ الأَبْصَـارُ مِنْهُـنَّ أَفْـوَقَـا
فَحَسْبُـكَ مِنْهَـا مُعْجِـزاً لِلسَّعَـادَةِ بِـرُغْـمِ العِـدَا دَامَـتْ وَدَامَ لَـكَ البَقَـا
وَأَيُّ مَـرَامٍ لَـمْ تُـرِحْ فِيْـهِ أَوَّلاً وَتَـاجِ فَخَـارٍ لَـمْ تَكُـنْ فِيْـهِ مَفْـرِقَـا
وَلَمَّـا دَعَـوْتُ الشِّعْـرَ بِـاسْمِـكَ أَقْبَلَـتْ قَـوَافِيْـهِ فِـيْ مِضْمَـارِ مَـدْحِـكَ سُبَّقَـا
فَحَبَّـرْتُ مِنْـهُ فِـيْ عُـلاَكَ مَـدَائِحَـاً تَجُـرُّ جَـرِيْـراً خَلْفَهَـا وَالفَـرَزْدَقَـا

[٤٧٦]

عليُّ بنُ عمرَ بنِ حسنِ بنِ رسن، أبو الحسنِ الشيبانيُّ العبدليُّ.

من أهل باجِسْرَى، قرية كبيرة من أشهر قُرى بغداد(١).

حدثني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ بإربل، قال: ورد العبدلي إربل قديمًا، وكان شابًا أسمر، أقام بالشام مدّة، وذكر أنّه قرأ على أبي اليمن الكندي شيئًا من أشعار العرب، وأنّه سمع الحديث، وأنَّ عنده نحواً وغيره، وليس كما ذكر في إحكام شيء من النحو/ ٣٢أ/ ولا غيره، وإنْ شُمّ منها بعضها.

أنشدني لنفسه في شهر جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وستمائة ـ شعره في غاية السقوط جداً ـ: [من الطويل]

أَشَـاقَـكَ مِـنْ شَـاطِـيْ دِيَـالَـى حَـدَائِقُـهْ فَـأَذْرَيْـتَ بِـرَقَـا الـدمـعِ وَانْهَـلَّ نَـاعِقُـهْ
تَئِـطُّ إِلَـى نَصْـرٍ بِـهِ الـذَّبُّ كُلَّمَـا تَغَطْغَـطَ جَـوْنٌ أَوْ تَـدَاعَـتْ فَـوَارِقُـهْ

قال الصاحب شرف الدين أبو البركات ـ رضي الله عنه ـ وهي تسعة عشر بيتًا على

---

(١) انظر معجم البلدان/ مادة (باجسرى).

هذا الأسلوب، لافائدة في إيرادها جمعًا، لأنها رديئة الألفاظ، وقال أبو البركات ـ رضي الله عنه ـ سألته عن موضع «برقا» فقال: النصب بحذف من!. قال: هي العين.

[٤٧٧]

عليُّ بنُ محمودِ بن عيسى بن خليل بن عليٍّ، أبو الحسنِ التنوخيُّ الحمصيُّ، المعروفُ بابَنِ الحكَمِ(١).

رأيت ديوان أشعاره بحلب، وهو مجلد كبير الحجم، مرتب على حروف الهجاء، يشتمل على فنون من القريض.

/ ٣٢ب/ وافتتحه بخطبة مسجعة من إنشائه، يخاطب بها بعض أصدقائه، وقد سأله أن يتحفه بشيء من نظمه، فأجابه إلى ذلك بعد أن سأله الإقالة، يقول منها: «وكنت آليت أن لا أقصد ملكًا ولا سوقةً، ولا أنشد شجاعًا ولا فَرُوْقَةً، حتى سلبني الدهر ثوب الوفر، وألبسني رداء الفقر، وبدّلني اليُسر بالعُسر، والجبر بالكسر. فالجأتني كثرة العيال، وقلة التموال، إلى أن أريق ماء المحيا، وأنشر لبرقع صونه طيّا. فكان أوّل من تمسكت بولائه، وآخر من طوَّقت بحلي قريضي جيدَ عليائه؛ السلطان الملك الأمجد مجد الدنيا والدين بهرام شاه بن الملك المظفر أبي الفتح فرخشاه بن شهنشاه بن أيوب عضد أمير المؤمنين، فأنقذني من قبضة الطوى، وانتشاني من براثن أسد التوى(٢). وأعاد عود العيش لدي ناضراً، بعدما روى، وطرف السعد إلي ناظراً بعدما أروَى. فَلأَمُدَّنَّهُ بصالح الدعاء، ولأُشَنِّفَنَّ أذن عليائه عقود الثناء. ولأسألنَّ الله أن / ٣٣أ/ يوزعني شكر أياديه، وان يحرس دولته بكَبْت أعاديه.

وما برحت إبان الشباب والعيش اللباب، مستهتراً بمعاشرة الأدباء، مُغرًى بمكاثَرة البعداء منهم والقرباء، فلم أسمع بأديب إلاَّ قصدته، ولا أريب إلاَّ استنقذت منه ما أفدته حتى استخلصت لنفسي صحبًا كالنجوم، قد أحكموا صناعتي المنثور والمنظوم، فكُنّا نتبارى في البيان مباراة البنان للبنان، ونتمارى في الأوزان، مماراة ذوي الإحسان بالإحسان، فما استنَّ لنا صعب لفظ إلاَّ ذللناه فركبناه، ولا اعترض بكر معنًى إلاَّ ألَنَّاه وركبناه، فلم نغادر جدّاً

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٨٢ ـ ١٨٤.

(٢) التوى: الهلاك.

من القول، ولا هزلاً ولا رقيقًا منه، ولا جزلاً ولا نكراً ولا طرفًا ولا ظرفًا ولا سخفًا إلاّ وأعملنا فيه بُزْلَ الأفكار، واستخرجنا أبكار، قرائح أزرت على الأبكار.

كُلّ ذلك رغبة بالمنظوم والمنثور، لا طلبة للفسوق والفجور، فليعذر من وقف على سخفه، واستجلى قمر مجونه من سجفه، موفقًا إن شاء الله».

وبلغني أنّه كان معلم الصبيان مدّة، ثم صار بعد ذلك بمعرة النعمان في ديوان الزكاة /٣٣ب/ مشرفًا، وتنقل في البلاد الشامية، طلبًا للارتزاق والاسترفاد. وكان شيعيًا مائلاً إلى مذهب الإماميّة، كثير الشعر، وديوان أشعاره كبير جدّاً يشتمل على مدائح ومراثٍ وغزل ومجون وأوصاف وأغراض مختلفة النعوت.

ومن شعره في غلام اسمه عبد الكريم: [من السريع]

مَوْلايَ يَا عَبْدَ الكَرِيْمِ اسْتَمِعْ ... مِنْ عَبْدِكَ الأَصْغَرِ شَكْوَاهُ
حَتَّى مَتَى تَقْتُلُنِيْ عَامِداً ... بِالهَجْرِ لا وَاَخَذَكَ اللهُ
كُنْ مِثْلَ مَنْ أَعْتَقَ عَبْداً لَهُ ... مَا أَقْبَحَ البُخْلَ وَأَزْرَاهُ
فَقَالَ لِيْ وَازْوَرَّ تِيهًا وَذُوْ الحُسْنِ عَلَى ذِي الحُزْنِ تَيَّاهُ:
عَبْدُ الكَرِيْمِ اسْمِيْ وَلَمَّا يَكُنْ ... ذَا العَبْدُ مِنْ طِيْنَةِ مَوْلاهُ
وَشَادِنٍ تَسْحَرُ أَلْفَاظُهُ ... بِنَا كَمَا تَسْحَرُ عَيْنَاهُ
أَضْحَى نَعِيمِي وَشَقَائِيْ فَمَا ... أَبعَدَهُ مِنِّي وَأَدْنَاهُ
أَمُوْتُ إِنْ أَعْرَضَ عَنِّيْ كَمَا ... أَحْيَا إِذَا لاحَ مُحَيَّاهُ

وقال أيضًا في صباه، مجيبًا لصديق له عن أبيات/ ٣٤أ/ جاءته في صدر كتاب:

[من الكامل]

وافى كتابُ أبي عليّ يقول الأدباء عين الشعر والشعراء
فَفَضَضْتُهُ فَرَأَيْتُ طِرْسًا مُعْرِبًا ... عَنْ سُؤْدَدٍ وَبَلاغَةٍ وَعَلاءِ
مُتَضَمِّنًا مِنْ نَظْمِهِ دُرراً حَكَتْ ... حُسْنًا عُقُوْدَ الغَادَةِ الحَسْنَاءِ
أَمُهَذَّبَ الدِّيْنِ الَّذِيْ أَخْلاَقُهُ ... كَالسَّلْسَبِيْلِ مَشُوْبَةٌ بِالمَاءِ
قَسَمًا لَقَدْ شَرَّفْتَنِيْ وَبَنَيْتَ لِيْ ... مَجْداً قَوَاعِدُهُ عَلَى الجَوْزَاءِ
وَكَسَوْتَ عِرْضِيْ مِنْ ثَنَائِيَ حُلَّةً ... أَزْرَتْ بِمَا صَنَعَتْ يَدا صَنْعَاءِ

وَلأنْتَ أحْرَى بِالثَّنَاءِ مِنَ الوَرَى ... طُرّاً لأنَّكَ زَيْنُ كُلِّ ثَنَاءِ

وقال في غلام يعوم في نهر، محلول الشعر، وقد سُئل ذلك: [من المنسرح]

أرسُب في لُجَّة الغَرَام كَمَا ... يَرْسُبُ مَاءُ الأجْسَام فِي المَاءِ
وَابِأبِي مَنْ بِهِ كَلِفْتُ وَمَنْ ... أضْحَى دَوَائِي مِنْ كُلِّ أدْوَائِي
حُسَيْنُ ذُو الحُسْنِ وَالجَمَالِ وَمَنْ ... حَشَا بِنَارِ الغَرَامِ أحْشَائِي
أرْسَلَ مِسْكَ الأصْدَاغِ مِنْهُ عَلَى الكَافُورِ حَتَّى كفرت آرائي
فَخِلْتُ أنَّ الصَّبَاحَ أقْبَلَ فَوْقَ الأرْضِ يَسْعَى فِي ثَوْبِ ظَلْمَاءِ

/ ٣٤ب/ وقال أيضًا: [من الخفيف]

أيُّ عَيْشٍ غَضٍّ وَأيُّ نَعِيمِ ... لَمْ أرُحْ مِنْهُ آخِذاً بِنَصِيبِ
قَدْ تَمَتَّعْتُ بِالمَلاذِ فَمَا أبْقَيْتُ مِنْ مَأكَلٍ وَمِنْ مَشْرُوبِ
وَلَبِسْتُ العَصْبَ المُطَيَّرَ مَا اطَّيَّرْتُ مِنْ فَاقَةٍ بِيَوْمٍ عَصِيبِ(١)
وَأرَانِي أعِفُّ خُلْقاً وَلَوْ ألْصَقْتُ صَبْراً إلَى التُّرَابِ تَرِيبِي

وقال أيضًا: واجتاز بغلام جميل الوجه، حسن الصورة، مليح الشمائل، متعلم صنعة الأساكفة عند أستاذ يعرف بابن العقاب، والغلام اسمه بلال: [من الوافر]

ألا للهِ اسْكَافٌ مَرَرْنَا ... بِهِ بَيْنَ العقيبةِ وَالقِبَابِ
غَدَا مَعْ كَوْنِهِ ظَبْيًا غَرِيراً ... غَرِيْبَ الشَّكْلِ مُقْتَبَلَ الشَّبَابِ
ألِيْفَ ابْنِ العُقَابِ وَمَنْ رَأى قبْلَهُ ابْنَ الظَّبْيِ إلْفَ ابْنِ العُقَابِ
وَلَيْسَ سِوَى الحُشَاشَةِ مِنْ مَرَاعٍ ... لَهُ وَسِوَى المَدَامِعِ مِنْ شَرَابِ
فَيَعْطُو حِيْنَ يَعْطُو رِيْمَ رَمْلٍ ... وَيَسْطُو حِيْنَ يَسْطُو لَيْثَ غَابِ
/ ٣٥أ/ بلال من رضاب يشفي ليشفى ... ظَمَايَ إلَى ثَنَايَاهُ العِذَابِ
بَدَا نَعْلاً لَهُ دُكْنَاءَ حَتَّى ... حَسِبْتُ البَدْرَ أشْرَقَ مِنْ سَحَابِ
وَجَالَ بِإبْرَةٍ فَرَأيْتُ مِنْهُ ... وَمِنْهَا البَدْرَ يَعْبَثُ فِي شِهَابِ
وَصَالَ بِذَابِلِ الأشْفَاهِ حَتَّى ... لَقَدْ أشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى العَذَابِ

---

(١) العَصْب: ضرب من البرود وكذا المطيّر.

وَلَيْسَ أهاب . . . . ظَلَّ يَفْرِيْ بِشَفْرتِهِ وَيَنْصَحُ بَلْ أحَابِيْ

وقال في صباه من سنة تسعين وخمسمائة : [من المجتث]

يَا عتب دَعْ عَنْكَ عَتْبِيْ حَسْبُ الصَّبَابَةِ حَسْبِيْ
أنَّى وَقَدْ سَارَ عَنِّيْ فَضْلُ بِقَلْبِيْ وَلُبِّيْ
نَأى فَتَذْكَارُهُ وَالدُّمُوْعُ أُكلِيْ وَشُرْبِيْ
فَبَيْنَ جَفْنِيْ وَنَوْمِي لِيهْنِهِ أيُّ حَرْب
فَلَيْتَ لَمَّا قَضَى بَيْنَنَا قَضَى اللهُ نَحْبِيْ
رِيْحَ الصَّبَا بَلِّغِيْهِ عَنِّي سَلامَ مُحِبِّ
أَذْكَى وَأطْيَبَ نَشْراً مِنْ رَوْضَةِ غِبَّ سُحْبِ
يَا قِبْلَتِيْ وَإلَيْهَا أَدْعُو وَفِيْهَا ألَبِّيْ
/ ٣٥ب/ يَا بَدْرَ تَمٍّ تَبَدَّى مِنْ فَرْعِ أمْلَدَ رَطْبِ
أسْهرْتَ عَيْنِيْ وَأقْلَقْتَنِيْ وَأتْعَبْتَ قَلْبِيْ
تُرَى بِأيَّةِ جُرْمٍ تُرَى بِأيَّةِ ذَنْبِ

وقال أيضًا : [من السريع]

رَأيْتُ فِيْ المَكْتَبِ أُعْجُوبَةً مَنْ يَرَهَا فِيْ مَكْتَبٍ يَعْجَبْ
ظَبْيَ نَقًا يَرْتَعُ فِيْهِ وَهَلْ رَأيْتَ ظَبْيًا قَطُّ فِيْ مَكْتَبْ
أقْبَلَ إذْ عَايَنَنِيْ ضَاحِكًا أكْرِمْ بِهِ مِنْ مُقْبِلٍ وَاجِبْ
وَزَرْفَنَ الصُّدْغَ فَعَوَّذْتُهُ بِخَالِقِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبْ
وَقُلْتُ : مَنْ يَضْمَنُ لِيْ أنَّنِيْ أنْجُو وَهَذَا البَدْرُ فِيْ العَقْرَبْ

وقال أيضًا، وقد اجتمع عند جماعة من أهل الأدب، وعندهم مغن يسمى «البليبل» فلما غنّى تفرقوا، فقالوا : ما هذا بلبل، هذا غراب! : [من الوافر]

تَجَمَّعَ شَمْلُنَا يَوْمًا بِقَوْمٍ لَهُمْ فِيْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ نِصَابُ
فَفَرَّقَنَا البُلَيْبُلُ إذْ تَغَنَّى فَقُلْتُ : أبُلْبُلٌ ذَا أمْ غُرَابُ؟
/ ٣٦أ/ وَقَالَ مُحِبُّهُ عَذْبٌ تَغَنَّى فَقُلْنَا : دُوْنَ ذَا العَذْبِ العَذَابُ

وقال أيضًا فِيْ غلام حمل شمعة : [من المتقارب]

أتَـانَـا وَفـي يَـدِه شَمْعَـةٌ   كَقَلْبِـيَ فـي حُبِّـه تَلْهَـبُ
فُخُيِّـلَ لـي أنَّ بَـدْرَ الدُّجَـى   تَـألَّـقَ فـي يَـدِه كَـوْكَـبُ

وقال أيضًا في غلام اسُمه عفان: [من البسيط]

إسْـمُ الَّـذي هَـامَ قَلْبِـي فـي مَحَبَّتِـه   لِثَـالِـث الخُلَفَـاء الـرَّاشِـدِيْـنَ أبُّ
وَانَّـهُ اسْـمٌ لِشَيْـخٍ فـيَ القِـرَاءَةِ لاَ   يُخِـلُّ حَـرفًـا وَآمَـنُ حيـنَ يَنْقَلِـبُ

وقال في غلام يسقي جلابا: [من السريع]

يَـا سَـاقِـيَ الجُـلاَّب يَـا شَـادنًـا   بِلَحْظِـه لِـلأُسْـد خَـلاَّبَـا
عَنِّـي بِجُـلاَّبِـكَ لاَ نَشْتَهِـي   مِنْـكَ سِـوَى الـرِّيْقَـةَ جُـلاَّبَـا

وقال أيضًا فيْ ولد إسمه حسين يرثيه، وتوفي بحلب: [من الكامل]

إنْ مَـاتَ فـي حَلَـبَ حُسَيْـنُ غَـرِيْبًـا   وَأَذَا[بَ] أكْبَـاداً لَنَـا وَقُلُـوْبَـا
/ ٣٦ب/ فَلَقَـدْ قَضَـى فيْ كَـرْبَـلاَءَ سَمِيُّـهُ   قَتْـلاً سَلِيْبًـا مِـنْ ذَوِيْـه غَـرِيْبَـا
لَـوْلاَ التَّـأسِّـي عَنْـهُ بِـالمَقْتُـولِ وَالمَسْمُـومِ لاَسْتَعَـرَتْ حَشَـايَ لَهِيْبَـا

وقال هذه الأبيات، وكتبها على ظهر كتاب نهج البلاغة، وكان قد نسخه:

[من مخلّع البسيط]

كَتَبْـتُ هَـذَا الكتَـابَ لمَّـا   غَـرِقْـتُ فـي لُجَّـة الـذُّنُـوب
أرْجُـو مِـنَ اللـه كَشْـفَ ضُـرِّيْ   وَسَتْـرَ مَـا بـي مِـنَ العُيُـوْبَ
فَمَـنْ لَـهُ فـي الـوَرَى نَصِيْـبٌ   فَحُـبُّ أهْـلِ الـوَرَى نَصِيْبِـيْ

وقال فيْ غلام اسمه ياقوت: [من الخفيف]

قُـلْ لِيَـاقُـوْتَ أنْـتَ قَـدْ رُحْـتَ لِلْعَيْـنِ جَـلاَءً وَلِلْحُشَـاشَـة قُـوْتَـا
يَـا مُعَيْـرَ القَضِيْـبِ عِطْفًـا وَلِيْنًـا   وَمُغَيْـرَ الـرَّبِيْـبِ طَـرْفًـا وَلِيْتَـا
قَـدْ وَلِيْـتَ القُلُـوبَ مُـذْ صَـاغَـكَ الـرَّحْمَـانُ بِـدْعًـا فَـاعْـدِلْ بِمَـا وُلِّيْتَـا

وقوله أيضًا: [من المنسرح]

يَـا لاَئِـمَ الصَّـبِّ لاَ تَلُمْـهُ فَمَـا   نَفْـعُ أخِـيْ الشَّـوْق فـي مَـلاَمَتِـه
أنْـتَ بِـه شَـامِـتٌ وَلاَ يَسْتَمِيْـلُ المُغْـرَمَ الصَّـبَّ قَـوْلُ شَـامِتِـه
وَبِـي هِـلاَلٌ مِـنْ لَيْـلِ طُـرَّتِـه   لاَحَ لِحَيْنِـيْ فـي غُصْـنِ قَـامَتِـه

/ ٣٧أ/ نَرْجِسُ ٱلْحَاظِهِ وَتُفَّاحِ خَدَّيْهِ بَلاَئِيْ وَمِسْكُ شَامَتِهِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

رَأَى كَلَفِيْ وَقَدْ ظَعَنُوا بلَيْلَى ... خَلِّيٌّ لاَ يَبِيْتُ كَمَا أَبِيْتُ
فَقَالَ: يَفُوْتُ عَمْرُكَ بِالتَّمَنِّيْ ... فَقُلْتُ لَهُ: وَمَنْ لِي لَوْ يَفُوْتُ
أَمِنْ جِنٍّ دُهِيْتَ، فَقُلْتُ: كَلاَّ ... وَلَكِنْ مِنْ ذَوِي إِنْسٍ دُهِيْتُ
إِذَا أَنَا لَمْ أَمُتْ أَسَفًا وَوَجْداً ... بِلَيْلَى العَامِرِيَّةِ مَنْ يَمُوْتُ!

وله أيضًا: [من البسيط]

إِنْ غُيِّرَتْ بَعْدَ بُعْدِ الحَيِّ حَالاَتُ ... فَسَوْفَ تَصْرِفُ عَنَّا الهَمَّ حَانَاتُ
وَشَمْسُ رَاحٍ لَهَا مَنْ رَاحَ بَدْرِ دُجًى ... شَرْقٌ وَمَغْرِبُهَا منَّا الحُشَاشَاتُ
تَبْدُو فَوَاقِعُهَا فِيْ كَأْسِ قَاطِبِهَا ... كَأَنْجُمِ القُطْبِ يَجْلُوْهَا الزُّجَاجَاتُ
أَوْ مِثْلَ مَا نَثَرَ الدُّرَّ الثَّمِيْنَ عَلَى ... أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ المَسْبُوكِ قَيْنَاتُ
لَهَا إِذَا شَجَّهَا السَّاقِيْ وَمَيْضُ سَنًى ... يُعْشِيْ العُيُونَ لَهُ فِيْ الكَأْسِ لَمَحَاتُ
وَلِلنَّدَامَى إِلَيْهَا إِذْ تُشَعْشِعُهَا السُّقَاةُ تَحْتَ الدَّيَاجِيْ أَرْيَحِيَّاتُ
فَافْضُضْ بِفَضِّكَ طِيْنَ الدَّنِّ جَيْشَ أَسًى ... لَهُ عَلَى القَلْبِ كَرَّاتٌ وَفَرَّاتُ
لاَ يُغْرِقُ الهَمَّ إِلاَّ صِرْفُ دَسْكَرَةٍ ... مَا إِنْ لِمِيْقَاتِهَا فِيْ العُدْمِ مِيْقَاتُ
/ ٣٧ب/ مَا زَالَ يَكْلأُ صَرْفُ الدَّهْرِ جَوْهَرَهَا ... وَيَمْتَرِي ذَامَهَا طَوْراً وَتَقْتَاتُ
حَتَّى غَدَتْ وَهْيَ لاَ الأَوْهَامُ تُدْرِكُهَا ... منَّا وَلاَ الخَطَرَاتُ الأَلْمَعِيَّاتُ
تَرَى بَنَانَ النَّدَامَى مِنْ تَلأْلُئِهَا ... كَأَنَّهُنَّ بِفِرْصَادٍ خَضِيْبَاتُ
وَجْدِيْ بِكَأْسِ طِلاً وَجْدِيْ بِحُبِّ طَلاً ... يُذِيْبُ أَكْبَادَنَا مِنْهُ .....
مُبَلْبَلُ الصُّدْغِ كَمْ قَدْ بَلْبَلَتْ كَمَداً ... أَلْحَاظُهُ السَّاحِرَاتُ البَابِلِيَّاتُ
كَمْ أَمْرَضَتْ مِنْ صَحِيْحٍ يَوْمَ كَاظِمَةٍ ... تِلْكَ الجُفُوْنُ المَرِيْضَاتُ الصَّحِيْحَاتُ
لِلَّهِ عَيْشٌ بِنَعْمَانَ نَعِمْتُ بِهِ ... دَهْراً وَلِلدَّهْرِ عَنَّا فِيْهِ غَفَلاَتُ
أَيَّامَ ظِلُّ الهَوَى دَانٍ وَمَرْبَعُهُ ... غَانٍ وَرَوْضَاتُهُ صَحَّ أَرِيْضَاتُ
فَمَنْ تَذَكَّرَ بَانَ الجَزْعِ جزع كما ... لَدَيَّ لِذِكْرِ ....
إِيَّاكَ نَجْداً وَآرَاماً تَرُوْمُ بِهَا ... نَيْلَ المُنَى فَأَمَانِيْهَا مَنِيَّاتُ
تَسُلُّ فِيْنَا سُيُوْفَ الهِنْدِ أَعْيُنُهَا ... كَمَا تَهُزُّ رِمَاحَ الخَطِّ قَامَاتُ

سَقَى الحمَى مُرْجَحنَّاتُ السَّحَاب وَإنْ أبتْ فَسُحْبُ الدُّمُوعِ المُرْجَحنَّاتُ
وَجيرَةٌ أتْمَنَّاهُمْ فَمَا حُفظَتْ مَعَ الأَمَانَات هَاتيْكَ الأَمَانَاتُ
مَا مِثْلُ سَاعَاتِ أيَّامِ الغُوَيْرِ مَضَتْ وَلاَ كَأَوْقَاتهَا فِيْ الطِّيبِ أَوْقَاتُ

وقال أيضًا: /٣٨أ/ في مغن متقن: [من الكامل]

لله شَادٍ لَوْ بنَغْمَته دَعَا المَوْتَى أجَابَتْهُ مِنَ الأَجْدَاث
أوْ لَوْ تَسَمَّعَهُ الشُّيُوخُ لأَصْبَحُوا وَهُمْ مِنَ السَّرَّاءِ كَالأَحْدَاث
وَكَأنَّهُ بَدْرٌ تَكَنَّفَ أنْجُمًا إذْ بَانَ بَيْنَ مَخَانِقٍ ورِعَاث
غَنَّى فَأنْسَانَا الغَرِيْضَ فكَانَ فِيْ عُقَدِ العُقُولِ تُخَالُ كَالنَّفَّاث
فَطَرِبْتُ حَتَّى خِلْتُ أنِّي فِيْ الوَرَى كِسْرَى وَأنَّ المَشْرِقَيْنِ تُرَاثِي

وقوله أيضًا: [من السريع]

لله مَا أصْبَرَ قَلْبِيْ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَأحْدَاثِهِ[1]
وَأصْعَبُ الأَشْيَاءِ مَا نلْتُ مِنْ شُيُوخِهِ النَّوْكَى وَأحْدَاثِهِ

وقوله في غلام جاء يبتغي سراجًا: [من الوافر]

أتَانَا يَبْتَغِيْ منَّا سرَاجًا مراجًا أشْرَقَتْ منْهُ الدَّيَاجِيْ
فَقُلْتُ وَقَدْ تَزَايَدَ منْهُ عُجْبِيْ وَتَمَّ بهِ سُرُوْرِيْ وَابْتهَاجِيْ
فَدَيْتُكَ يَا غَرِيْبَ الحُسْنِ قُلْ لِي: أيَحْتَاجُ السِّرَاجُ إلَى سِرَاجِ

وقال أيضًا فيْ مثله: [من الخفيف]

قَالَ لِيْ مَنْ أُحبُّ لَيْلاً: ألا قُمْ فَأتنَا بالسِّرَاجِ فَاللَّيْلُ دَاجِيْ
/٣٨ب/ قلتُ: بيت حظي تلألأ أنوارك لا حاجة له وسراج

وقال أيضًا: [من الوافر]

إذَا مسْكُ الذَّوَائبِ حَلَّ يَوْمًا عَلَى كَافُوْرِ جِسْمٍ عَلَّ رَاحَا
تَوَهَّمْنَاهُ لَيْلَ الهَجْرِ غَطَّى صَبَاحَ الوَصْلِ حَتَّى لاَ صَبَاحَا

وقال أيضًا: [من الطويل]

---

(١) النوكى: الحمقى.

وكُنْتُ إذا هَبَّتْ نَسِيمُ بِلَادُكُمْ ... وَغَنَّى عَلَى الأَيْكِ الحَمَامُ وَنَاحَا
رَكِبْتُ إِلَيْكُم مَرْكَبَ الشَّوْقِ إِذْ غَدَتْ ... دُمُوعِي بِحَاراً وَالزَّفِيْرُ رِيَاحَا

وقوله : [من السريع]

مَجْلسُنَا اللَّيْلَةَ خَالٍ مِنَ الأَضْدَادِ حَالٍ بِالوُجُوْهِ الصِّبَاحْ
فَأَطْلِقْ بِمَيْدَانِ الهَوَى وَالصِّبَا ... عَنَانَ طَرْفِ اللَّهْوِ حَتَّى الصَّبَاحْ
لَا تَحْفَلَنَّ فِيْمَا يَقُوْلُ العِدَا ... فَمَا عَلَى ذِي صَبْوَةٍ مِنْ جُنَاحْ

وقوله في غلام أسود راكب على فرس أشهب : [من الوافر]

وَطِرْفٍ أَشْهَبٍ يَخْتَالُ تِيْهاً ... بِرِيْمٍ أَسْوَدٍ حُلْوِ المُزَاحِ
فَقُلْتُ لِصَاحِبَيَّ : أَلَا أَخْبِرَانِي ... مَتَى رَكِبَ الظَّلَامُ مَطَا الصَّبَاحِ[1]

/ ١١٧أ/ وقوله : [من الخفيف]

هَتَفَتْ بِالصَّبُوْحِ قَبْلَ الصَّبَاحِ بِنَوَاحِي العَبَّارِ ذَاتُ نُوَاحِ
فَاسْقِنيْهَا حَمْرَاءَ بِكْراً تُعِيْدُ اللَّيْلَ صُبْحاً مِنْ كَفِّ بِكْرٍ رَدَاحِ

وقال لأبي الحسن علي بن يوسف العطار ـ رحمه الله ـ وكان صديقه :

[من الطويل]

أَبَا الحَسَنِ بنَ الأَكْرَمِيْنَ وَمَنْ غَدَا ... هَوَاهُ بِأَثْنَاءِ الجَوَانِحِ رَاسِخَا
وَمَنْ خُصَّ طَبْعًا بِالبَلَاغَةِ فَانْبَرَى ... بِجَامِعِ دِيْوَانِ التِّلَاوَةِ نَاسِخَا
كَذَا أَبَداً لَازَالَ جَاهُكَ شَامِلاً ... وَظِلُّكَ مَمْدُوْداً وَمَجْدُكَ شَامِخَا
فَإِنِّي مَتَى أَنْزِلْ بِبَابِكَ أَعْتَصِمْ ... وَاحْتَلَّ طَوْداً بَاسِقَ الفَرْعِ بَاذِخَا

واقتضى عليه الملك الأمجد أن ينظم فِيْ الروض والسواقي ، فقال بديهًا :

[من الرجز]

أُنْظُرْ إِلَى تِلْكَ السَّوَاقِيْ إِذْ غَدَتْ ... تَجْرِيْ خِلَالَ رَوْضٍ نَادِيْهَا النَّدِيْ
كَأَنَّهَا صَوَارِمٌ مِنْ فِضَّةٍ ... قَدْ جُرِّدَتْ مِنْ قُرُبِ الزَّبَرْجَدِ
وَجَنَّةٌ قَدْ فُرِشَتْ أَرْجَاؤُهَا ... بِسُنْدُسٍ مُقَضَّبٍ مُعَمَّدِ

---

(١) المطا : الظهر .

قَدْ رَقَمَتْ كَفُّ النَّسِيمِ بُرْدَهَا ... بِعَنْدَمٍ وَفِضَّةٍ وَعَسْجَدِ
/ ١١٧ب/ كَأَنَّمَا قَدْ سَرَقَتْ خَلاَئِقًا ... مِنْ بَعْضِ أَخْلاَقِ الْمَلِيكِ الأَمْجَدِ

وله في مُغنٍ: [من الطويل]

أَلاَ بِأَبِي شَادٍ إِذَا جَسَّ عُودَهُ ... وَغَنَّى تَنَاسَيْنَا الغَرِيضَ وَمَعْبَدَا
وَتَحْسَبُ فِي فِيْهِ هَزَاراً مُغَرِّداً ... إِذَا رَجَّعَ التَّغْرِيدَ فِينَا وَرَدَّدَا

وقال: [من الكامل]

دَعْ ذَا النَّمِيمَةِ لاَ تُصَاحِبْهُ وَكُنْ ... مِنْ كَيْدِه مُتَخَوِّفًا مُتَعَوِّذَا
فَمَتَى تُسَالِمْهُ تُسَالِمْ عَقْرَبًا ... وَمَتَى تُحَارِبْهُ تُحَارِبْ قُنْفُذَا

وله أيضًا: [من الكامل]

يَا حِمْصُ جَادَكَ مِنْ دُمُوعِي وَابِلٌ ... إِنْ لَمْ يَجُدْكَ مِنَ السَّحَابِ رَذَاذُ
فَلأَنْتِ مَغْنًى لِلْخَلاَعَةِ وَالْهَوَى ... رَحْبٌ وَلِلصَّبِّ المَشُوقِ مَلاَذُ

وقوله: [من الكامل]

لِلَّهِ مَنْ يُنْسِيكَ لُؤْلُؤَ لَفْظِهِ ... وَجُمَانُ مَبْسِمِهِ قَلاَئِدَ نَحْرِهِ
قَمَرٌ خَشِيْتُ عَلَيْهِ نَقْصًا إِنْ بَدَا ... تَمًّا فَلَمَّا تَمَّ كَانَ بِخَصْرِهِ

وقال أيضًا: [من المجتث]

يَا مَنْ تُذَلُّ بِهِ لِلْوَرَى نُفُوسٌ عِزَازُ
/ ١١٨أ/ وَمَنْ تَحَرَّزْتُ مِنْهُ لَوْ يَنْفَعُ الإِحْتِرَازُ
أَجْزِ القَطِيعَةَ بِالوَصْلِ فَالحَيَاةُ مَجَازُ
مِسْكُ العِذَارِ لِكَافُورِ وَجْنَتَيْكَ طِرَازُ

وقوله: [من الخفيف]

لِي حَبِيْبٌ بِهِ غُنِيتُ عَنِ الرَّوْضِ نَضِيْراً وَعَنْ تَنَاوُلِ كَاسِ
لَحْظُهُ نَرْجِسِي وَخَدَّاهُ وَرْدِي ... وَلُمَاهُ رَاحِي وَصُدْغَاهُ آسِي

وله في غلام إسمه حَيْش: [من السريع]

مَنْ مُبْلِغٌ حَيْشًا بِأَنِّي امْرُؤٌ ... لَمْ يَصْفُ لِي فِي حُبِّهِ عَيْشُ

وَمَا لِقَوْمِي إِنْ أُمُتْ حَسْرَةٌ ... فَقَاتِلِي دُوْنَ الوَرَى حَيْشُ

وقال فيْ حجر الرجل: [من البسيط]

لمَّا عَجَزْتُ وَمِثْلِيْ اليَوْمَ يَعْجِزُ عَنْ ... تَقْبِيْلِ رَاحَةِ مُغْلِيْ الحَمْدِ مُرْخِصِهِ
أَرْسَلْتَ إِذْ لَمْ تَكُنْ لِيْ حِيْلَةٌ حَجَراً ... يَنُوْبُ عَنِّيَ فِيْ تَقْبِيْلِ أَخْمَصِهِ

وقال: [من البسيط]

أَصَارَ قَلْبِيْ لِسَهْمَيْ لَحْظِهِ غَرَضَا ... حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِيْ قِتْلَتِيْ غَرَضَا
قَاسٍ إِذَا قَعَدَتْ جِنُّ الغَرَامِ بِهِ ... عَنْ قَتْلِ مَنْ رَامَ مِنْهُ لَيْتَهُ نَهَضَا
/ ١١٨ب/ يَظَلُّ يَسْخَطُ مِنْ قَوْلِ المُحِبِّ لَهُ ... مِنْكَ الصُّدُوْدُ وَمِنِّيْ بِالصُّدُوْدِ رِضَا

وقوله في صباه: [من الكامل]

قَالَ الطَّبِيْبُ غَدَاةَ مِنِّيْ قُطِّعَتْ ... لِلْعَائِدِيْنَ عَلَائِقٌ وَنِيَاطُ
كَيْفَ العَلِيْلُ وَمَا عَرَاهُ وَمَا بِهِ ... قَالُوْا لَهُ: الإِعْلَالُ وَالأَخْلَاطُ
فَأَشَارَ نَحْوِيْ بِالفِصَادِ وَقَالَ: مِنْ ... شَرْطِ الجَوَى المِبْضَاعُ وَالمِشْرَاطُ
وَاسْتَأْنَفَ التَّسْآلَ عَنْ يَدِ الجَوَى ... فَأَجَبْتُهُ: الأَصْدَاغُ وَالأَقْرَاطُ
فَثَنَى أَعِنَّتَهُ وَوَلَّى قَائِلاً: ... لاَ يَسْتَطِيْعُ شِفَاءَهُ بُقْرَاطُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

إِذَا اقْتَسَمَ الخَلَائِقُ كُلَّ حَظٍّ ... جَعَلْتُ الحُزْنَ لِيْ قِسْماً وَحَظَّا
وَلَوْ وَعَظُوا بِمَنْ أَهْوَاهُ حَتَّى القِيَامَةِ لَسْتُ أَسْمَعُ فِيْهِ وَعْظَا
حَبِيْبٌ مُقْلَتَاهُ تَنَامُ عَمَّنْ ... يَبِيْتُ. . . . فِيْ الحُبِّ يَقْظَى
حَكَى بَدْرَ الدُّجَى وَجْهاً وَغُصْنَ النَّقَا قَدًّا وَرِيْمَ الرَّمْلِ لَحْظَا
وَنَاضِرُ وَرْدِهِ بِشْراً وَنَشْراً ... وَلُؤْلُؤُ عِقْدِهِ ثَغْراً وَلَفْظَا

وله أيضًا، وقد سأله غلام جميل أن / ١١٩أ/ ينظم له بيتين يكتبهما عَلَى بيضة مصوغة حمراء: [من الكامل]

لَمَّا حَكَتْ بِنَقَائِهَا لَكَ مَبْسِماً ... يَا ذَا المَرَاشِفِ وَاللُّمَى المَمْنُوْعِ
قَبَّلْتُهَا وَبَكَيْتُ إِذْ قَبَّلْتُهَا ... مِنْ لَوْعَةٍ فَخَضَبْتُهَا بِدُمُوْعِي

وقال: [من الخفيف]

بِأَبِي ثُمَّ بِي وَبِالمَالِ مَنْ أَصْبَحَ شُغْلِي دُوْنَ الوَرَى وَفَرَاغِي
مَنْ إِذَا رُمْتُ قَطْفَ تُفَّاحِ خَدَّيْهِ حَمَتْهُ عَقَارِبُ الأَصْدَاغِ

وقال: [من الكامل]

يَا صَاحِبَيَّ اسْتَعْطِفَاهُ وَقَبِّلاَ ... يَدَهُ وَأَخْمَصَهُ..... عِطَافِه
وَتَلَطَّفَا وَسَلاَهُ عَلَّ مِنَ الجَوَى تَنْتَاشُ أَنْفُسَنَا يَدَا أَلْطَافِهِ
قُوْلاَ: مُحِبُّكَ مُذْ تَمَلَّكَهُ الهَوَى ... صَافَاكَ مَحْفُوظَ الوُدَادِ فَصَافِهِ
أَوْرَدْتَهُ بِجَوَاكَ مَوْرِدَ حَتْفِهِ ... فَتَلاَفَهُ بِالوَصْلِ قَبْلَ تَلاَفِهِ

وله في غلام إسمه مُصبّح: [من الكامل]

أَزْرَى بِكَ اسْمُكَ يَا مُصَبِّحُ مِثْلَ مَا ... أَزْرَى بِذَاتِ الحُسْنِ ثَوْبًا أَخْلَقَا
لَوْ وَافَقَ إِسْمُكَ حُسْنَ وَجْهِكَ لَمْ تَجِدْ ... فِي الخَلْقِ إِلاَّ مُغْرَمًا بِكَ مُقْلَقَا

وقال / ١١٩ب/ وقد رأى غلامًا جميلاً لابسًا ثوبًا أحمر، فقال بديهًا:

[من الرمل]

لَبِسَ المَحْبُوبُ ثَوْبًا أَحْمَراً ... فَأَرَانَا قَمَراً فِي شَفَقِ
قُلْتُ: مَاذَا؟، قَالَ لِي وَافْتَرَّ عَنْ ... مَبْسِمٍ مِثْلِ اللآلِي النَّسَقِ:
نُفِضَتْ صِبْغَةُ خَدِّيْ فَوْقَهُ ... قُلْتُ لاَ بَلْ أَدْمُعُ الصَّبِّ الشَّقِي

وقوله: [من المجتث]

عَجِبْتُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِكْ ... وَمِنْ قَسَاوَةِ قَلْبِكْ
وَمِنْ جَمِيْلِ اعْتِقَادِي ... بِالصَّفْحِ عَنْ عُظْمِ ذَنْبِكْ
عَاقَبْتَ ظُلْمًا وَمَا خِفْتَ مِنْ عُقُوْبَةِ دَمِّكْ
كَمْ قَدْ عَتَبْتَ وَكَمْ قَدْ ... أَعْتَبْتُ خِيفَةَ عَتْبِكْ

وقال في غلام جميل فوّق إليه سهمًا: [من الكامل]

يَا مَنْ بِأَسْهُمِهِ يُحَاوِلُ قِتْلَتِي ... مَهْلاً فَمِثْلُكَ مَنْ لِمِثْلِي يُمْهِلُ
اقْتُلْ بِسَهْمِ اللَّحْظِ مِنَّا مَنْ تُرِدْ ... فَسِهَامُ لَحْظِكَ مِنْ سِهَامِكَ أَقْتَلُ

وقال في غلام رَمِدَ: [من الكامل]

/ ١٢٠أ/ لَمَّا سَلَلْتَ سُيُوْفَ لَحْظِكَ فِي الوَرَى ... عَمْداً لِقِتْلَةِ كُلِّ صَبٍّ مُغْرَمِ

وَجَحَدْتَ فِعْلَتَهَا الَّتِي فَعَلَتْ بِنَا ... ظُلْمًا وَمَنْ يُعْطَ اقْتِدَاراً يَظْلِمِ
ظَهَرَ احْمِرَاراً فِي جُفُونِكَ شَاهِداً ... مِنْ بَعْدِ مَا قَتَلَتْ وَأَوَّلُهَا دَمِي

وله في غلام جميل إعتمّ بعمامة: [من المتقارب]

أَتَانِي بِعِمَّتِهِ مَنْ أُحِبُّ ... فَأَضْحَى رَشَادِيْ لَدَيْهِ ضَلَالَهْ
وَخُيِّلَ لِي أَنَّ بَدْرَ السُّعُودْ ... قَدْ أَلْبَسَتْهُ يَدُ الحُسْنِ هَالَهْ

وقال أيضًا في غلام جميل سلّ عليه خنجراً بطريق المجانة: [من الكامل]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا سَلَّ فِيْنَا خَنْجَراً ... وَمَدَامِعِي فِي وَجْنَتَيَّ سُجُومُ
لَا تَشْهَرَنَّ عَلَى المُتَيَّمِ خَنْجَراً ... فَكَفَاهُ خَنْجَرُ لَحْظِكَ المَسْمُومُ
أَبَنِي تَنُوخٍ إِنْ قُتِلْتُ فَقَاتِلِي ... بِصُدُودِهِ دُونَ الوَرَى أَبْرَاهِيمُ

وقوله أيضًا: [من الخفيف]

عَاذِلَيَّ انْظُرَا إِلَى وَجْنَتَيْهِ ... وَاعْذِرَانِي فِي الحُبِّ أَوْ فَاعْذُلَانِي
وَجَنَاتٌ... بِاللُّطْفِ وَالرِّقَّةِ بَيْنَ الأَمْوَاهِ وَالنِّيرَانِ

/ ١٢٠ب/ وقال: [من الخفيف]

رُكْنُ صَبْرِي... وَاهِي ... يَا قَلِيلَ الأَنْدَادِ وَالأَشْبَاهِ
يَا نَفُوراً قَدْ أَلِّفَ الحُسْنُ فِي خَدَّيْهِ بَيْنَ النِّيرَانِ وَالأَمْوَاهِ
صِلْ مُحِبًّا لَمْ يَثْنِهِ لَحْيُ لَاحٍ ... عَنْ هَوَانِ الهَوَى وَلَا نَهْيُ نَاحِي
مُغْرَمًا مَا لَهَا بِغَيْرِكَ يَا ذَا الحُسْنِ يَوْمًا وَأَنْتَ عَنْهُ لَاهِي
كُنْتُ حُرًّا قَبْلَ الهَوَى غَيْرَ أَنِّي اليَوْمَ عَبْدٌ لِعَبْدِ عَبْدِ اللَّهِ

وقال أيضًا: [من السريع]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ... وَاخْشَوا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى
وَاجْتَنِبُوا الفَحْشَاءَ فَهِيَ الَّتِي ... تُحِلُّكُمْ فِي البَعْثِ دَارَ التَّوَى
لَا تَقْرَبُوا المُرْدَانَ دُونَ النِّسَا ... فَإِنَّهَا فَاحِشَةٌ تُجْتَوَى
وَاغْتَنِمُوا مَوْعِظَتِي فِيْكُمُ ... فَهِيَ لِأَدْوَاءِ المَعَاصِي دَوَا

وقال: [من المجتث]

لَا عَيْشَ لِلْمَرْءِ إِلَّا ... بِشُرْبِ كَأْسِ الحُمَيَّا

فَـاشْـرَبْ وَحَيِّ بِهَا صَاحِباً بِهَا لَكَ حَيَّا
صَفْرَاءَ كَالتِّبْرِ لَوْناً أَوْ كَالْيَلَنْجُوجِ رَيَّا
/ ١٢١أ/ تُنْبِيكَ رِيقَةَ سُعْدَى طَعْماً وَنَكْهَةَ رَيَّا
مِنْ كَفِّ أَغْيَدَ حُلْوُ الأَعْطَافِ حَالِي المُحَيَّا
بَدْرٌ. . . . بِالشمس. . . . . بِالثُّرَيَّا
أَقْسَمْتُ لاَ حُلْتُ عَنْهَا وَعَنْهُ مَا دُمْتُ حَيَّا
وَاعْذِرْ أَخَاكَ فَقَلَّمَا تُجْدِي المَلاَمَةُ شَيَّا
فَقَدْ أَرَى الغَيَّ رُشْداً بِالرَّاحِ وَالرُّشْدَ غَيَّا

[٤٧٨]

عليُّ بنُ سنان أبو الحسنِ الحلبيُّ، المنعوتُ باللطيفِ السَّرَاجِ.

كان رجلاً عاميًا لم يعرف الأدب، ويُحبّ معاشرة أهل العلم والفضل، وربّما جاد خاطره بشيء من الشعر لابأس به؛ وقع إليّ كتاب من تصنيفه سمّاه: «سلوة الإنسان عن محبّة الأخوان» وضمّنه قطعًا من شعره.

وتوفى في حدود ست وستمائة. سمع الأستاذ حمّاد البزاعي، ومحمد بن الدرزار الحريري، وابا فراس محمد بن أبي الفرج النحوي الحلبي، وسعيد بن عبد الله الحريري وغيرهم. ومن شعره: [من الكامل]

سَفَهاً لِدَهْرٍ لَيْسَ يَصْفُو أَمْرُهُ إِلاَّ وَكَدَّرَ صَفْوَ ذَاكَ المَنْهَلِ
/ ١٢١ب/ وَلأَهْلِهِ فَلَقَدْ بَلَوْتُ عَجَائِباً مِنْ غَدْرِ كُلِّ مُمَاذِق مُتَمَحِّلِ
بَيْنَا تَرَاهُمْ فِيَ الرَّخَاءِ مَعَاشِراً جُلِيَتْ مَوَدَّتُهُمْ لِعَيْنَ المُجْتَلِي
حَتَّى يَعُودَ وُدَادُهُمْ [ذَمّاً] إِذَا مَا عَايَنُوا بُؤْساً أَنَاخَ بِكَلْكَلِ

وله: [من البسيط]

بُؤْسَاكَ يَا دَهْرُ وَالنَّعْمَاءُ وَاحِدَةٌ وَالنَّفْعُ وَالضُّرُّ عِنْدِيْ فِيكَ سِيَّانِ
عَادَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي كُلَّ ذِيْ ثِقَةٍ فَمَا تُخَالُ إِلاَّ كُلَّ خَوَّانَ

كَـمْ قَـدْ تَـأَمَّلْـتُ أَقْـوَامـًا فَخلْتُهُـمُ ... سَـادَاتِ قَـوْمٍ وَمَـا هُـمْ غَيْـرُ سِيْـدَانِ[١]
بِـاللّـهِ أُقْسِـمُ لَـمْ تَظْفَـرْ يَـدَايَ وَلاَ ... إِنْسَـانُ عَيْنِـيَ فِـيْ الـدُّنْيَـا بِـإِنْسَـانِ

وله : [من الوافر]

نَعَـمْ لاَ نُكْـرَ لِلْمَعْـرُوْفِ عِنْـدِيْ ... تَسَـاوَى النَّـاسُ كُلُّهُـمُ لَـدَيَّـا
تَبَـاغَـضَ لِـيْ حَبِيْبُهُـمُ عِنَـاداً ... وَسَـاءَ فَعَـالُ مُحْسِنِهِـمْ إِلَيَّـا
إِذَا مَـا قُلْـتُ هَـذَا الْمُـرْتَضَـى لِـيْ ... ثَنَـاهُ الحَـظُّ مَسْخُـوْطـًا عَلَيَّـا
وَإِنْ حَـاوَلْـتُ مِـنْ وَلَـدِيْ انْتِصَـافـًا ... مَضَـى [و] الجَـوْرُ يَتْبَـعُ وَالِـدَيَّـا
فَمَـا ذَنْبِـيْ لَـدَيْهِـمْ لَيْـتَ شِعْـرِيْ ... وَمَـا أَحْتَـالُ فِيْهِـمْ يَـا أُخَيَّـا
إِلَـى اللّـهِ الشِّكَـايَـةُ مِـنْ زَمَـانٍ ... أَرَى لاَ شَـيءَ فِيْـهِ صَـارَ شَيَّـا

وله من أبيات : [من الوافر]

/ ١٢٢أ/ أُعَـايِـنُ مَـا أُعَـايِـنُ مِـنْ أُنَـاسٍ ... بَلَـوْتُهُـمُ امْتِحَـانـًا وَاخْتِبَـارَا
إِذَا مَـا اخْتَـرْتُ مِـنْ أَبْنَـاءِ دَهْـرِيْ ... أَخَـا أُنْـسٍ لَعَنْـتُ الإِخْتِيَـارَا
يُـلاَزِمُنِـيْ وَيَصْحَبُنِـيْ كَـأَنِّـي ... أُصَـاحِبُـهُ اخْتِيَـاراً لاَ اضْطِـرَارَا
أَفَخْـرَ الـدِّيْـنِ كَـمْ تُغْضِـيْ حَيَـاءً ... عَلَـى مَـنْ مَـا أَرَى فِيْـهِ وَقَـارَا

وله : [من الطويل]

وَقَـدْ رَابَنِـيْ وَجْـهُ الصَّـدِيْـقِ وَقَـوْلُـهُ ... فَـلاَ وَجْهُـهُ طَلْـقٌ وَلاَ قَـوْلُـهُ صِـدْقُ
يَئِسْـتُ بِـهِ مِـنْ كُـلِّ خَيْـرٍ رَجَـوْتُـهُ ... لِعِلْمِـيَ أَنَّ الـوُدَّ مِـنْ مِثْلِـهِ مَـذْقُ

وله : [من الطويل]

وَزَهَّـدَنِـيْ فِـيْ كُـلِّ خِـلٍّ صَحِبْتُـهُ ... تَجَارِيْبُ تَدْعُوْنِيْ إِلَى الزُّهْدِ فِيْ النَّاسِ

وله : [من مجزوء الرجز]

مَـا أَكْثَـرَ الأَخْـوَانَ لِـلإِنْسَـانِ فِـيْ الفَـوَائِـدِ
نَعَـمْ وَمَـا أَقَلَّهُـمْ لِلمَـرْءِ فِـيْ الشَّـدَائِـدِ
كَـمْ صَـاحِـبٍ شَـرِقْـتُ مِنْـهُ بِـالـزُّلاَلِ البَـارِدِ

---

(١) سيدان : ذئاب .

كَانَ قَرِيْباً فَغَدَا مِنْ جُمْلَةِ الأَبَاعِدِ
وَكَمْ أَخٍ لِيْ قَدْ رَمَى قَلْبِي بِسَهْمٍ صَارِدِ(١)
/ ١٢٢ب/ أَقْصَدَنِي لِمَّا نَوَى لِي عَن...... قَاصِدِ
وَاحَرَبَا مِنْ مَعْشَرٍ عَلَيَّ بِالمَرَاصِدِ
يُبْدُوْنَ قَوْلاً صَالِحاً وَرَاءَ فِعْلٍ فَاسِدِ
فَيَالَهَا مَكِيْدَةً مِنْ أَعْظَمِ المَكَائِدِ

وكتب إلى بعض أصدقائه. وكان له سماع مطرب وغيرة مُفرطة: [من المنسرح]

إِنْ شِئْتَ فَاستُرْ عَلَى سَمَاعِكَ أَوْ إِنْ شِئْتَ يَوْماً فَعَطِّلِ السِّترا
فَإِنَّ عِنْدِيْ مِنَ العَفَافَةِ مَا تَحْمَدُهُ مَنْظَراً وَمُخْتَبَرَا
أُمَكِّنُ أُذْنِيْ مِنَ السَّمَاعِ وَلاَ أُمَكِّنُ ٱلْحَاظَ عَيْنِيْ المَنْظَرَا

[٤٧٩]

عليُّ بنُ عبد الجبار بن محمد بن عليٍّ بن عبد الرحمنِ، أبو الحسنِ القَيْرَوانيُّ، الكَاتبُ المَعْرُوفُ بابن الزَّيات(٢).

ولد بسُوسَة ـ مدينة بالغرب منها يسير القاصد إلى السُّوس الأقصى(٣) ـ ونشأ بتونس، وتأدب بها؛ ثم خرج عنها إلى الديار المصرية وبلاد الشام، ثم ألقى..... /١٢٣أ/ بالموصل، ونزل المدرسة البدرية المطلّة على دجلة، واستقرّ بها مقامه إلى أنْ توفي بها آخر نهار يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ودفن يوم الأربعاء داخل المدينة بمقبرة الجامع العتيق قبليَّه ـ تغمده الله برحمته ـ.

وكان رجلاً قصيراً أسمر اللون خالطه المشيب عفيفًا مصونًا؛ له عناية بإنشاء الرسائل، وقرض الشعر. ويحفظ من الأشعار جملة وافرة، ومن أقاويل الأندلسيين؛ وله فصول من إنشائه ومكاتبات مليحة، ونظم حسن وبلاغة. وسمع كثيراً من الحديث

---

(١) سهم صارد: نافذ.
(٢) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣٨٦ رواها عن ابن الشعار مؤلف القلائد. الوافي بالوفيات ٢١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٣) انظر: معجم البلدان/ مادة (سوسة).

النبوي.

وكان في أخلاقه زعارة، حادّ المزاج، يتعصب لأهل الغرب تعصبًا مُفرطًا، صحبته بالموصل مُدّة، وكتبت عنه شيئًا من شعره وشعر غيره.

أنشدني لنفسه ما كتبه إلى بعض الوزراء ـ واسمه يوسف ـ ويصف قلمه ويهنئه بعيد النحر في أثناء رسالة(١): [من الكامل]

أبِطَرْفِهِ أمْ ثَغْرِهِ أمْ رِيْقِهِ ... شَبَّ الهَوَى فِيْ القَلْبِ نَارَ حَرِيْقِهِ
أَمْ لَيْلِهِ الغَاشِيْ صَبَاحَ جَبِيْنِهِ ... أَمْ خَدِّهِ أوْرَى شُعَاعَ رَحِيْقِهِ
/ ١٢٣ب/ نَشْوَانُ أُوْلِعَ رِدْفُهُ بِقَوَامِهِ ... وَلِعَ الفُؤَادِ إذَا بَدَا بِخُفُوْقِهِ
يَا نَاظِراً بِعُقُوْقِهِ هَبْ نَاظِرَيْ ... سِنَةَ الكَرَى لَمَّا سَخَا بِعَقِيْقِهِ
إنْسَانُ عَيْنِيَ قَدْ قَضَى مِنْ دَمْعِهَا ... فِيْ بَحْرِهِ وَارْحَمْتَا لِغَرِيْقِهِ

ومنها يصف القلم:

وَبِمُهْجَتِيْ الألْمَى الَّذِيْ فِيْ كَفِّهِ ... لا اثْمِ مُعْتَدِلِ القَوَامِ رَشِيْقِهِ
إذْ غَيْثُنَا مِنْ سُحْبِهِ وَمَقِيْلُنَا ... فِيْ ظِلِّهِ وَحَيَاتُنَا مِنْ رِيْقِهِ

ومنها في وصفه أيضًا:

عَلَمٌ لَدَى كُلِّ المَكَارِمِ فِيْ يَدٍ ... تَعْلُو فَيَعْلُو القَصْدُ عِنْدَ خُفُوْقِهِ
بَلْ صَيِّبٌ يَهْمِيْ المَنَايَا وَالمُنَى ... بَأْساً وَجُوْداً فِيْ خِلالِ بُرُوْقِهِ
يَا مَالِكاً أوْلَى فَأظْهَرَ صُنْعُهُ ... فَرَجاً عَلَى ضَنْكِ الزَّمَانِ وَضِيْقِهِ
هُنِّيْتَ بِالعِيْدِ المُبَارَكِ بَالِغاً ... أمَلاً رَجَوْتُ اللهَ فِيْ تَحْقِيْقِهِ
مَا بَيْنَ نَحْرٍ عَداً وَعُرْفٍ . . . . مِن ترك الشكور عَرْفَ خَلُوْقِهِ
أبَداً لِشَتَّى المَكْرُمَاتِ مُجَمِّعاً ... مَا تَعْجِزُ الأيَّامُ عَنْ تَفْرِيْقِهِ
مَا زَادَ مِنْ صِدْقِ الثَّنَاءِ لِيُوْسُفٍ ... فِيْ الحَمْدِ بَلْ أثْنَى عَلَى صِدِّيْقِهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه / ١٢٤أ/ يمدح نجم الدين أبا الفتح يوسف بن الحسين بن المجاور الدمشقي بمصر ـ وزير الملك العزيز عماد الدين عثمان بن يوسف بن أيوب

---

(١) نقل بعض أبياتها ابن المستوفي في تأريخ إربل ١/ ٣٨٦.

صاحب الديار المصرية[(١)] ـ: [من الكامل]

مَنَعَتْ رَقِيْبَ الحَيِّ أَنْ يَتَرَقَّبَا ... وَبَدَتْ وَحَشْوُ نِقَابِهَا لَنْ يُحْجَبَا
طَلَعَتْ فَقُلْنَا: الشَّمْسُ لاحَتْ مَشْرِقًا ... وَثَنَتْ فَقُلْنَا: البَدْرُ أَمَّ المَغْرِبَا
مَاسَتْ فَكَانَ الغُصْنُ طَيَّ وِشَاحِهَا ... وَرَنَتْ فَخِلْنَاهَا تُحَاكِي الرَّبْرَبَا
سَحَبَتْ عَلَى حِيْنِ الوَفَا أَذْيَالَهَا ... جَرَّ الرِّيَاحِ ذُيُوْلَهُنَّ عَلَى الرُّبَى
وَنَظَرْتُ مِنْ خَلَلِ البُرُوْدِ مُفَضَّضًا ... لِبَنَانِهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ مُذْهَبَا
وَرَأَتْ بَيَاضَ الفَجْرِ لاحَ فَأَعْرَضَتْ ... فَرَقًا وَطَلْق . . . . مُقَطِّبَا
أَفَرَقْتِ أَنْ نَمَّ الصَّبَاحُ بِمَفْرِقِي ... وَزَجَرْتِ لِلتَّفْرِيْقِ كَافُوْرَ الصِّبَا
لا تَعْتِبِي شَيْئًا أَلَمَّ بِلِمَّتِي ... إِنَّ المَشِيْبَ غُبَارُ مُعْتَرَكِ الصِّبَا
أَصْحَبْتِ وَصْلَ الهَمِّ ثُمَّ صَدَقْتِنِي ... فَرَدَدْتِهِ هَمًّا بِهِ إِذْ أَصْحَبَا
عَذَبَاتُ فَرْعِكِ يَا سُعَادُ لِعَاشِقٍ ... لَوْ لُحْنَ أَنْوَارًا لَخَالَ الغَيْهَبَا
/١٢٤ب/ كَمْ قَدْ بَذَلْتِ عَذَابَهُ فِي هَجْرِهِ ... وَمَنَعْتِهِ عَذْبًا بَرُوْدًا أَشْنَبَا
وَلَّتْ وَقَدْ ضَحَّتْ فُضُوْلَ أَزَارِهَا ... تِيْهًا يَزِيْدُ المُغْرَمِيْنَ تَعَجُّبَا
عَطَفَتْ عَلَى بَابِ الوَزِيْرِ . . . . غَادَرْنَ قَلْبِي بِالسَّقَامِ مُقَلَّبَا
تَشْكُو بَنُو الأَيَّامِ لابْنِ مُجَاوِرٍ ... كَيْمَا يُؤَنِّبَ مِنْهُمُ مَنْ أَذْنَبَا
أَعْنِي أَبَا الفَتْحِ الَّذِي دَانَتْ لَهُ ... رُتَبُ الوِزَارَةِ . . . فَاغْرِبَا
العَالِمَ الفَطِنَ الجَوَادَ المُرْتَضَى ... أَكْرِمْ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ مَا أَخْطَبَا
لِلَّهِ يُوْسُفُ فِي صِفَاتٍ سَمِيَّةٍ ... لَمَّا أَرَانَا مِنْهُ خَلْفًا مُذْهَبَا
صَدَّقْتَ يَا خِدْنَ العَزِيْزِ مَحَاسِنًا ... تَبْدُو مَخَايِلُهَا لِعَيْنِكَ خُلَّبَا
وَدُعِيْتَ نَجْمَ الدِّيْنِ لَمَّا كُنْتَهُ ... وَطَلَعْتَ فِي أُفُقِ المَعَالِي كَوْكَبَا
فَأَذَعْتَ دِيْنَ الجُوْدِ عِنْدَ خُمُوْلِهِ ... وَنَسَخْتَ شَرْعَ البُخْلِ لَمَّا أَرْهَبَا
بِضَئِيْلِ أَقْلامٍ جَعَلْتَ مِدَادَهُ ... حَدًّا يُقَلِّمُ فِي الخُطُوْبِ المِقْضَبَا
وَجَرَرْتَهُ كَيْمَا يُقَالَ مُثَقَّفًا ... وَهَزَزْتَهُ كَيْمَا يُقَالُ مُشَطَّبَا

ومن نثره من كتاب كتبه جوابًا عن كتاب وصل من أخيه من المغرب. وكان بلغه

(١) الأبيات الأربعة الأولى في الوافي ٢١/ ٢٢٢.

أنَّ صاحب أفريقية أحضره / ١٢٥أ/ مجلسه فكتب إليه جواب كتابه، فكان منه:

«وكلما إطمأنت النفس بعافيته، . . . . . إلى الإقامة ناداها النزوع إليه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارجعي﴾[1]، وكلما أفاضت الذكرى العبرة، قال كتابه الكريم لسحاب الجنوب: ﴿يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾[2]، وكلّما عاودت الملاحظة بحظه السعيد. . . الخاطر السمع يا أذن شوقي. . . . . وردت أخباره الكريمة على ألسن الواردين، ألطف من نسيم الأسحار، وأسفرت وجوه وجاهته فلا كرامة للنهار المنهار، فهيّجت ذكرى، وأوجبت حمداً وشكراً.

وقال بها الشوق للقلب:

﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبراً﴾[3]، وجددت شكر النعمة المتحدّث بها على ما وهب الله مولايَ. . . . من العلومِ التي كل وجوهها حسنة، وأهلَّه بها لحضور المجالس التي هي صدور لا حرجة ولا خشنة، وخصّه بالفوز منها بمعاني الفضل التي كلها عيون لا يأخذها نوم ولا سنَة؛ لا بَرِح مجدُها دافعًا في صدور المواكب، وعَرْفُها مخجلاً ما هَتَنَ من السواكب، وترابَ مواكبها طارفًا طرف النوائب، / ١٢٥ب/ والحديث عن جودها مع كثرته معدود من العجائب».

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

شَفَقُ الحَيَاءِ بِوَجْنَتَيْهِ طُلُوعُهُ ... ظَبْيٌ بجَفْنِي فِي الهَجِيرِ رَبِيعُهُ
قَدْ حَلَّ مِنْهُ مَوادَه وَلِشَوْقِه ... لا تُسْتَقَلُّ مَعَ الزَّمَانِ دُمُوعُهُ
فَبِحُسْنِهِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ مُهْجَتِي ... فَالعَيْنُ تُبْصِرُ وَالفُؤَادُ يُطِيعُهُ
يَكْرَى مُعَافَى القَلْبِ مِنْ بُرَحَائِهِ ... خلْواً وَقَلْبُ جَرِيحِهِ مَلْسُوعُهُ[4]
دَرَسَ الخِلافَ فَمَا يَقُولُ مُسْلَمٌ ... مِنِّي وَقَوْلِي كُلُّهُ مَمْنُوعُهُ
أَفَسَادُ وَضْعٍ فِي سُؤَالِ مُحِبِّهِ ... أَمْ أَصْلُهُ قَدْ خَالَفَتْهُ فُرُوعُهُ

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٨.
(٢) سورة هود: الآية ٤٤.
(٣) سورة الكهف: الآيات ٦٧، ٧٢، ٧٥.
(٤) بكرى: ينعس.

تَقْرِيرُ فَتْوَى الحُبِّ منْهُ مُعَارَضٌ ... وبنَقْضه نَظَر الهوى مَقْطُوعُهُ
أُرهقْتُ بَيْنَ دَلِيْلِهِ وَدَلَالِهِ ... لَمَّا تَرَجَّحَ فِيْ الدَّلِيْلِ شُرُوْعُهُ
الاقصاص . . . . فِيْ رَأْيِهِ ... يَالَيْتَ شِعْرِيْ مَا يَكُوْنُ صَنِيْعُهُ

وأنشدني أيضًا قوله: [من البسيط]

وَأَغْيَدَ مِنْ . . . . الشَّامِ ذِيْ دَعَجٍ . . . . يوسف من أذى صواحبه
أذاب قلبي . . . . وَمَالَ لِلْتُرْبِ جِسْمِيْ مِنْ تَرَائِبِهِ
ما شام عن مُهجتي . . . . إلَّا رَمَانَا بِنَبْلِ قَوْسُ حَاجِبِهِ

[٤٨٠]

/ ١٢٦أ/ عليُّ بنُ المُقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبّار بن عبد الله ابن عليٍّ بن محمد بن إبراهيم بن محمّدٍ، أبو عبد الله الربعيُّ البحرانيُّ العيونيُّ[(١)] .

هكذا أملى عليّ نسبه من حفظه ـ وهو من موضع بالبحرين يقال له العيون ـ.

أخبرني أنّه ولد به في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. وتوفي به أواخر المحرم

---

(١) من أمراء البحرين ينتهي نسبه إلى الأمير عبد الله بن علي الذي أزال دولة القرامطة من تلك الديار. أصابته نكبة من بني عمه فسجن على أثرها، ولما أُطلق سراحه هاجر إلى العراق وأقام بالموصل.
قال ياقوت الحموي: «لقيته بالموصل سنة ٦١٧هـ». له ديوان شعر، كانت طبعته الثانية عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الشام. وله ديوان شعر مخطوط بدار الآثار ببغداد برقم ١٩٠٤، وشرح ديوان شعره مخطوط بدار الآثار أيضًا برقم ١٤١٥٧.
ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٢٠٨، ٥/ ٦٣٨. تأريخ ابن النجار ق٤٤. التكملة للمنذري ٣/ ٣٢٥ رقم ٢٤٣٤. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٣٦٢ رقم ٥٣٣ وفيه: «توفي في رجب». الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٢٢. تذكرة المتبحرين للحر العاملي ٦٢١. مطلع البدور ومجمع البحور ـ خ ـ. معجم البلدان ٤/ ١٨١. أنوار البدرين ٣٩٤ ـ ٣٩٥. أمل الآمل ٢/ ٢٠٤. أعيان الشيعة ٤١/ ٣٢٧. ٤٢/ ١٦٤ ـ ١٦٦، ٣/ ٥٥. أدب الطف ٤/ ٣١ ـ ٤٣. الذريعة ٩/ ٣٠. الطليعة ٢/ ٦٠ ـ ٦٣. أنوار الربيع ٦/ ١٣٠. المشتبه ص٣٨٨. تبصير المنتبه ١٢٩ و١٠٦١. توضيح المشتبه ٦/ ٤٣٨. هدية العارفين ١/ ٧٠٦. معجم المؤلفين ٢٤. تأريخ الأدب العربي ١/ ٣٠٢ وفيه: «علي بن عبد الله بن المقرب. . .» وهو غلط. ديوان الإسلام ٤/ ٢٨٤ رقم ٢٠٤٩. الأعلام ٥/ ٢٤.
وفي مقدمة ديوانه المطبوع ترجمة مفصلة عن حياته.

سنة ثلاثين وستمائة.

وكان شاعراً مجوداً منتجعًا كثير المدح، قليل الهجاء، جيد القول متينه، قوي اللفظ رصينه. وهو أحد الشعراء الموصوفين المشاهير في عصرنا، المعروفين، أقرّ له بالحذق آية العراق من ذوي الأدب والعلم، ومذهبه في الشعر مذهب الشعراء المتقدمين في جزالة الألفاظ، وإبداع المعاني.

رحل إلى الملوك وامتدحهم فأحسن، ومدح الخلفاء الراشدين ـ صلوات الله عليهم ـ؛ الناصر لدين الله، والظاهر، والمستنصر بالله ـ رحمه الله ـ.

شاهدته بمدينة السلام سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وأنشدني الكثير من قوله؛ ومعظم شعره يحفظه ويورده، ولم يتوقف في إيراده، ولا يجد /١٢٦ب/ بذلك سآمة ولا ضجراً.

ومن شعره يقول من قصيدة يمدح بها مولانا الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين تاج الملوك والسلاطين ملك أمراء الشرق والغرب؛ أبا الفضائل غرس أمير المؤمنين ـ كبت الله أعاديه وقصم ضدّه ومناويه ـ: [من البسيط]

حُطُّوا الرِّحَالَ فَقَدْ أَوْدَتْ بِهَا الرَّحَلُ ... مَا كُلِّفَتْ سَيْرَهَا خَيْلٌ وَلاَ إِبِلُ[١]

هَذَا هُوَ المَلْكُ بَدْرُ الدِّيْنِ خَيْرُ فَتَى ... بِهِ تَعَلَّقَ لِلرَّاجِيْ الغِنَى أَمَلُ

هَذَا الَّذِيْ لَوْ يُبَارِيْ فَيْضَ رَاحَتِهِ ... فَيْضُ البِحَارِ لَمَا أَضْحَى بِهَا بَلَلُ

هَذَا الَّذِيْ بِالنَّدَى وَالبَأْسِ يَعْرِفُهُ ... وَبِالتُّقَى كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

وهي قصيدة طويلة، ولم أجدمنها سوى ما ذكرته فان عثرتُ بباقيها ألحقتُه في مكانه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأنشدني لنفسه في التاريخ المقدم ذكره: [من البسيط]

إِلَى مَ أُوْرِدُ عَتْبًا غَيْرَ مُسْتَمِعِ ... وَأُنْفِقُ العُمْرَ بَيْنَ اليَأْسِ وَالطَّمَعِ

---

(١) في مجمع الآداب بعده:

«بلغتم الغاية القصوى فحسبكم ... هذا الذي بعلاه يضرب المثل»

وَكَمْ أُحِيلُ عَلَى الأَيَّامِ مُغْتَرِبَاً ... مَا يُحْدِثُ البُدُعُ النَّوكَى مِنَ البِدَعِ(1)

آلَيْتُ أَنْفَكُّ مِنْ حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ ... وَأَنْ تَقُولَ لِيَ الآمَالُ: خُذْ وَدَعِ

/١٢٧أ/ لاَ صَاحَبَتْنِيَ نَفْسٌ لاَ تُبَلِّغُنِي ... مَرَاتِبَ العِزِّ لَوْ فِي نَاظِرِ السَّبُعِ

سَيَصْحَبُ الدَّهْرَ مِنِّي مَاجِدٌ نَجِدٌ ... لَوْ دَاسَ عِرْنِيْنَ أَنْفِ المَوْتِ لَمْ يُرَعِ

أَأَقْبَلُ النَّقْصَ وَالآبَاءُ مُنْجِبَةٌ ... وَالبَيْتُ فِي المَجْدِ ذُوْ مَرْأَىً وَمُسْتَمَعِ

لأَرْكَبَنَّ مِنَ الأَهْوَالِ أَعْظَمَهَا ... هَوْلاً وَمَا يَحْفَظِ الرَّحْمَانُ لَمْ يَضِعِ

وَلاَ أَكُونُ كَمَنْ يَسْعَى وَغَايَتُهُ ... وَمُنْتَهَى سَعْيِهِ لِلْرِّيِّ وَالشِّبَعِ

أَيَذْهَبُ العُمْرُ لاَ يَخْشَى مُعَانَدَتِي ... خَصْمِي وَجَارِي بِقُرْبِي غَيْرُ مُنْتَفِعِ

وَبَيْنَ جَنْبَيَّ عَزْمٌ يَقْتَضِي هِمَمَاً ... لَوْ ضَمَّهَا صَدْرُ هَذَا الدَّهْرِ لَمْ يَسَعِ

فَلاَ رَعَى اللَّهُ أَرْضَاً لاَ أَكُونُ بِهَا ... سُمَّاً لِمُسْتَوْكِفٍ غَيْثَاً لِمُنْتَجِعِ(2)

كَمْ عَايَنَ الدَّهْرُ مِنِّي صَبْرَ مُكْتَهِلٍ ... إِذْ لَيْسَ يُوجَدُ صَبْرُ العَوْدِ فِي الجَزَعِ

وَكَمْ سَقَانِيَ مِنْ كَأْسٍ عَلَى ظَمَأٍ ... أَمَرَّ فِي الطَّعْمِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ سَلَعِ(3)

وَمَا رَمَتْنِيَ بِكْرٌ مِنْ نَوَائِبِهِ ... إِلاَّ قُتِلْتُ وَصَبْرِي هَامِدُ الجَزَعِ

سَلاهُ خَلاَ عَنِّي هَلْ صَحِبْتُهُمُ ... يَوْمَاً مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ وَالوَفَاءُ مَعِي

أَلْقَى مُسِيئَهُمُ بِالبِشْرِ مُبْتَسِمَاً ... حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَخُنْ عَهْداً وَلَمْ يُضِعِ

وَسَلْهُمُ هَلْ وَفَى لِيْ مِنْ ثِقَاتِهِمُ ... حُرٌّ وَلَمْ يَشْرِيْ فِي نَقْصِي وَلَمْ يَبِعِ

ثُكِلْتُهُمْ ثُكْلَ عَيْنٍ مَا تَبَطَّنَهَا ... مِنَ القَذَى أَوْ لِثُكْلِ العُضْوِ لِلْوَجَعِ

/١٢٧ب/ لَقَدْ تَفَكَّرْتُ فِي شَأْنِي وَشَأْنِهِمُ ... فَبَانَ لِي أَنَّ ذَنْبِي عِنْدَهُمْ وَرَعِي

فَآهِ مِنْ زَفَرَاتٍ كُلَّمَا صَعِدَتْ ... فِي الصَّدْرِ كَادَتْ تُوَرِّي النَّارَ مِنْ ضِلَعِي

يَسُوقُهَا أَسَفٌ قَدْ ثَارَ مِنْ نَدَمٍ ... يُرْبِي عَلَى نَدَمِ المَغْبُونِ مِنْ كُسَعِ

وَلَيْسَ ذَاكَ عَلَى مَالٍ نَعِمْتُ بِهِ ... حِيْنَاً وَأَفْنَاهُ صَرْفُ الأَزْلَمِ الجَذَعِ

وَلاَ عَلَى زَلَّةٍ أَخْشَى عَوَاقِبَهَا ... وَالنَّاسُ حِزْبَانِ ذُوْ أَمْنٍ وَذُوْ فَزَعِ

لَكِنْ عَلَى دُرَرٍ تَزْهُو جَوَاهِرُهَا ... فِي عِقْدِ كُلِّ نِظَامٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

---

(١) النوكى: الحمقى. البُدُع: جمع بديع وهو السمين. ولعله المقصود هنا.

(٢) المستوكف: مستقطر الماء.

(٣) السلع: نوع من الصَّبِر.

تَـوَّجْتُهَـا مَعْشَـراً لاَ أَبْتَغِـيْ عِـوَضـاً ... فِيْهَـا وَإِنِّـيَ فِـيْ قَـوْمِـيْ لَـذُوْ قَنَـعِ[1]
وَكُنْـتُ أَوْلَـى بِهَـا مِنْهُـمْ وَكَـمْ مِنَـنٍ ... ضَـاعَـتْ وَمَـا فَـائِـتٌ يَمْضِـيْ بِمُـرْتَجَـعِ
وَغَـرَّنِـيْ مِنْهُـمُ لَفْـظٌ خُـدِعْـتُ بِـهِ ... وَالنَّـاسُ مَـا بَيْـنَ مَخْـدُوْعٍ وَمُخْتَـدِعِ
فَلَـوْ يَكُـوْنُ إِلَـى الأَصْـدَافِ نِسْبَتُهَـا ... لَكَـانَ . . . يُلْهِـى عَـنِ الهَلَـعِ
لَكِنَّهَـا الجَـوْهَـرُ الطَّبْعِـيُّ قَـدْ أَمِنَـتْ ... مِـنَ التَّشَظِّـيْ مَـدَى الأَيَّـامِ وَالطَّبَـعِ
لِيُبْعِـدَنِّـيَ عَنْهُـمْ شَـكُّ نَـاجِيَـةٍ ... وَجْنَـاءَ عَقْـلٍ مِـنَ التَّـوْقِيْـعِ وَالـرَقَـعِ
أَوْ ذَاتُ قَلْـعٍ مِـنَ العَيْنَـاءِ مَـا عَـرَفَـتْ ... فِـيْ زَجْـرِهَـا . . . يَـوْمـاً وَلاَ هَـدَعِ
وَلاَ رَعَـتْ عِنْـدَ حَمْـلِ الثِّقَـلِ مِـنْ ضَجَـرٍ ... وَلاَ إِلَـى هُبَـعٍ جُنَّـتْ وَلاَ رُبَـعِ
تَجْـرِيْ مَـعَ الـرِّيْـحِ إِنْ هَـوْنـاً وَإِنْ مَـرَحـاً ... فَنِعْـمَ مَطْلَعُـهُ مِـنْ هَـوْلِ مُطَّلَـعِ
/١٢٨أ/ فَتِلْكَ أَوْ هَذِه أَجْلُو الهُمُوْمَ بِهَا ... إِذَا تَطَـاوَلَ لَيْـلُ العَـاجِـزِ الضَّـرِعِ
يَـأْبَـى لِـيَ المَجْـدُ أَنْ أَرْضَـى بِغَيْـرِ رِضَـاً ... وَرَأْيِ مَـاضٍ وَعَـزْمٍ غَيْـرِ مُفْتَـرَعِ
مَـا أَقْبَـحَ الـذُّلَّ بِـالحُـرِّ الكَـرِيْـمِ وَمَـا ... أَسْـوَا وَأَقْبَـحَ مِنْـهُ . . .
مَـالِـيْ أُجَمْجِـمُ فِـيْ صَـدْرِي بَـلاَبِلَـهُ ... وَمَنْكِـبُ الأَرْضِ ذُوْ مَنْـأًى وَمُتَّسَـعِ
وَكُـلُّ أَرْضٍ إِذَا يَمَّمْتُهَـا وَطَنِـيْ ... وَكُـلُّ قَـوْمٍ إِذَا صَـاحَبْتُهُـمْ شِيَعِـيْ
وَلِـيْ مِـنَ الفَضْـلِ أَسْنَـاهُ وَأَشْـرَفُـهُ ... وَهِمَّـةٌ جَـاوَزَتْ بِـيْ كُـلَّ مُـرْتَفَـعِ
المَجْـدُ أَعْتَـقُ وَالآدَابُ بَـارِعَـةٌ ... وَذُرْوَةُ الحَمْـدِ مُصْطَـافِـيْ وَمُـرْتَبَعِـيْ
لِـيَ النَّبَـاهَـةُ طَبْـعٌ قَـدْ عُـرِفْـتُ بِـهِ ... وَكُـلُّ مَعْنًـى مِـنَ الأَلْفَـاظِ مُخْتَـرَعِ
فَيَـأْسُكُـمْ مِـنْ رُجُـوْعِـيْ بَعْـدَ مُنْصَـرَفِـيْ ... نِطَـافُ دِجْلَـةَ تُغْنِيْنِـيْ عَـنِ الجُـرَعِ
سَيَعْـرِفُ الخَـاسِـرُ المَغْبُـوْنُ صَفْقَتَـهُ ... مِنَّـا وَمَـنْ ضَيَّـعَ البَـازِيَ بِـالـوَضَعِ
لاَ خَيْـرَ فِـيْ مَنْـزِلٍ يَشْقَـى الكِـرَامُ بِـهِ ... وَيَلْحَـقُ السَّيِّـدُ المَتْبُـوْعَ بِـالتَّبَـعِ
كَـمْ . . . قَـوْمِـيَ لاَ بَـلْ كَـمْ أَمَـرْتُهُـمُ ... بِحَسْـمِ دَاءِ العِـدَا فِيْـهِ فَلَـمْ أُطَـعِ
فَلَـمْ أَجِـدْ بَعْـدَ يَـأْسِـيْ غَيْـرَ مُـرْتَحَلِـيْ ... عَنْهُـمْ لَهُـمْ أُسَلِّيْـهِ وَمُتَّـدَعِ
فَـإِنْ يُـرِيْعُـوا أَرَعْ وَالعَقْـلُ مُكْتَئِـبٌ ... وَالـرَّبْـعُ خَيْـرٌ وَمَـنْ لِلْعُمْـيِ بِـا . . . .

وأنشدني أيضًا لنفسه : [من الطويل]

---

(١) قنع : سلاح، ولعله المراد هنا.

/١٢٨ب/ وَقَائِلَة وَالعِيْسُ تُجْدَحُ لِلْنَوَى ... وَدَمْعُ الجَوَى فِي الخَدِّ قَدْ جَالَ جَائِلُهْ
عَلَيْكَ بِصَبْرٍ وَاحْتِسَابٍ فَإِنَّمَا ... يَفُوْتُ الثَّنَا مَنْ رَاحَ وَالصَّبْرُ خَاذِلُهْ
وَلَا تَرْمِ بِالأَهْوَالِ نَفْساً عَزِيْزَةً ... فَذَا الدَّهْرُ قَدْ أَوْدَى وَقَامَتْ زَلَازِلُهُ
فَكَمْ كُرْبَةٍ فِي غُرْبَةٍ وَمَنِيَّةٍ ... بِأُمْنِيَّةٍ وَالرِّزْقُ ذُوْ العَرْشِ كَافِلُهْ
فَقُلْتُ لَهَا وَالعَيْنُ شَكْرَى بِزَفْرَةٍ ... أُرَدِّدُهَا وَالصَّدْرُ جُمٌّ بَلَابِلُهْ(١)
أَبِالمَوْتِ مِثْلِي تُرْهِبِيْنَ وَبِالنَّوَى ... وَعَاجِلُهُ عِنْدِيْ سَوَاءٌ وَآجِلُهْ
فَلَلْمُوتُ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ بِبَلْدَةٍ ... يَرَى الحُرُّ فِيْهَا... مَنْ لا يُشَاكِلُهْ

[٤٨١]

عليُّ بنُ يوسفَ بن محمد بن عبد اللّه بن شيبانَ بن الحسن بن عامر بن عبيد اللّهَ، وهو مَنْ بني كَنّازَ بنَ خُليد بنَ عبد اللّه بنَ نُميْر بنَ عامرَ بنَ صعصعةَ بن بكر بَن هوازنَ بنَ منصورَ بنِ عكرمَةَ بنَ خَصَفةَ بنِ قيسَ عيلَانَ، أبو الحسَنِ النميَريُّ الماردينيُّ، المعروفُ بابنِ الصفَّارِ(٢).

أخبرني أنه ولد بماردين سنة خمس وسبعين وخمسمائة ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، ونظر في علم العربية، وكتب الإنشاء للملك المنصور /١٣٩أ/ ناصر الدين أرتق بن ألبي بن أيلغازي بن ألبي بن أرتق ـ صاحب ديار بكر ـ ثم عزل عن الكتابة، وتولّى الإشراف بديوان دنيسر ثماني عشرة سنة.

وهو شاعر في فنه بارع، نجمه في سماء الشعر طالع، له المعاني الغريبة،

---

(١) عين شكرى: ملأى من الدمع.

(٢) في هامش الأصل: «جلال الدين، قُتل شهيداً عند استلام التتار على ربض ماردين يوم هجمها سنة ثمان وخمسين وستمائة».

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٧. الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٤٧ ـ ٣٥١ رقم ٢٤٤، وفيهما: «علي بن يوسف بن شعبان، مات مقتولاً، قتله التتار لما دخلوا ماردين سنة ٦٥٨هـ». النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٢. مجمع الآداب ٤/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠. تاريخ دنيسر ص١٧٢. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص٣٥١ رقم ٤٤٩. عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠. عقود الجمان للزركشي ٢٣٥ب. المنهل الصافي ٨/ ٢٤٤ رقم ١٧٠٦. الدليل الشافي ١/ ٤٨٩ رقم ١٦٩٩. السلوك ١/ ق٢/ ٤٤٢.

والألفاظ العجيبة، يذهب في شعره مذهب أهل الصناعة، ويترامى إلى نوع البديع كثيراً، قل ما خلاله بيت شعر من ذلك.

صار إلى مدينة إربل في أواخر شهر ذي الحجة سنة سبع وعشرين وستمائة مرتزقًا، فصادفته بها، بمجلس الصاحب الوزير أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ فأنشدني لنفسه فيه، يمدحه من أبيات: [من الكامل]

وَعِصَابَةٍ قَصَرُوا عَلَيْكَ ثَنَاءَهُمْ ... حَتَّى فَلَوْا بِمَدِيحِكَ الفَلَوَاتِ
قَالُوا: أَمَامَكَ مُحْسِنٌ أَبْوَابُهُ ... مَأْوَى النَّدَى وَمَظَنَّةُ الحَسَنَاتِ
فَانْزِلْ بِإِرْبِلَ تَلْقَهُ بِفِنَائِهَا ... شَرَفًا مَنِيعًا عَالِيَ الدَّرَجَاتِ
وَإِذَا السَّرَارُ رَمَى بُدُوْرَكَ فِي الغِنَى ... بِالمَحْقِ فَاسْرِ إِلَى أَبِي البَرَكَاتِ
تَجِدِ امْرَأً مَا غَيَّرَتْ أَخْلاَقَهُ ... غِيَرُ الزَّمَانِ وَشِدَّةُ الأَزَمَاتِ
فَأَتَيْتُ نَحْوَكَ لائِذَ الأَوْطَانِ ... . وَلاَ يَثْنِي الهَوَى عَزَمَاتِي

/ ٣٩ب/ وأنشدني لنفسه يمدح الملك المنصور ـ صاحب ماردين ـ منْ قصيدة:

[من البسيط]

مَا ضَرَّ طَيْفَكَ أَنْ لَوْ زَارَ إِلْمَامَا ... وَأَيْنَ مِنِّي كَرَىً أَقْضِيهِ أَحْلاَمَا
لاَ مَضْجَعِي قَرَّ مِنْ بَعْدِ البِعَادِ وَلاَ ... طَرْفِيَ الَّذِي كُنْتُ أَشْكُو نَوْمَهُ نَامَا
مَا بِتُّ إِلاَّ وَهَاجَ السُّقْمُ عِنْدِي أَوْجَاعًا وَزَادَ عَلَيَّ البَيْنُ آلاَمَا
وَسَاحِرِ الطَّرْفِ مَا لِي فِيهِ مِنْ سَحَرٍ ... كَالرِّيمِ نَالَ مِنَ العُشَّاقِ مَا رَامَا
أَجَبْتُهُ وَهْوَ لاَ يَدْرِيْ فَدَامَ لَنَا ... طِيبُ الحَيَاةِ وَصَفْوُ العَيْشِ مَا دَامَا
كُنَّا نَبِيتُ نَشَاوَى مِنْ مُدَامِ هَوَى ... عَذْرَاءَ لَمْ تَفْتَرِعْ كَأْسًا وَلاَ جَامَا
وَنَجْتَنِي الوَرْدَ حَتَّى لاَنَ مَسْمَعُهُ ... لِلنَّاسِ فَازْدَدْتُ مِنْ وَاشِيهِ نَمَّامَا
قُمْ نَنْتَهِزْ فُرَصَ الدُّنْيَا وَلَذَّتَهَا ... حِينًا وَنُرْغِمُ صَرْفَ الدَّهْرِ إِرْغَامَا
أَمَا تَرَى الرَّوْضَ نَسَّاجًا مُلاَءَتَهُ ... عَلَى الثَّرَى وَغَمَامَ المُزْنِ رَقَّامَا
إِذَا تَنَاثَرَ سِلْكُ الطَّلِّ كَانَ لَهُ ... فِي مِثْلِهِ مِنْ أُصُولِ الدَّوْحِ نَظَّامَا
خَمْراً أَلَمَّتْ بِخَمْرِي البَنَفْسَجِ فِي ... آسِيهِ يَدْسَارُ هَبَّ نَسَّامَا
فَفَتَّقَتْهُ جُيُوبًا حِينَ صَارَ لَهُ ... وَصْفُ اللَّطَائِمِ لَمَّا انْشَقَّ أَكْمَامَا
وَأَصْبَحَ النَّرْجِسُ البَرِّيُّ يَعْجَبُ مِنْ ... نَيْلُوفَرٍ شَقَّ بَحْرَ المَاءِ عَوَّامَا

/ ٤٠أ/ كأنَّما غَلَطُ الأيَّامِ خَوَّلَهُ ... نُعْمَى أو المَلِكُ المَنْصُورُ إنْعَامَا

وأنشدني أيضًا منْ شعره: [من البسيط]

أَلَمَّ بي طَيْفُكُمْ وَهْنًا فَحَيَّاني ... وَظَنَّ أنَّ الكَرَى منْ بَعْض سُلْوَاني

وَلَمْ أَنَمْ غَيْرَ أنّي نمْتُ منْ كَلَفي ... بكُمْ فَلَمَّا أَلَمَّ الطَّيْفُ أحْيَاني

بنْتُمْ فَجَابَ ثَمُودِيُّ الحُدَاةِ بكُمْ ... منْ قَلْبيَ الصَّخْرَ بالوَادي فَأبْكَاني

لَكنْ عَجبْتُ وَرَاءَ الرَّكْبِ كَيْفَ نَجَا ... منْ عَارِض مُمْطرٍ فيهَا لأَجْفَاني

إذَا عَدمْتُ إصْطبَاري عَنْكَ أوّلَ يَوْمِ غبْتَ فيه فَكَيْفَ الحَالُ في الثَّاني

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ منْ نَارٍ تَشُبُّ به ... وَآه منْ طَرْفيَ الجَاني بَل الجَاني

وأنشدني أيضًا لنفسه[1]: [من الطويل]

تَعَلَّقْتُهُ أُمِّيَّ حُسْنٍ فَمَالَهُ ... أتَى بكتَابٍ ضمْنُهُ سُورَةُ النَّمْل

وَمَاليْ أنَا المَجْنُونُ فيه وَشَعْرُهُ ... إذَا مَرَّ بالكُتَّابِ خَطَّ عَلَى الرَّمْل

وأنشدني قوله[2]: [من السريع]

أمنْ هلاَلٍ أنْتَ يَا وَجْهَهُ البَادي بهَذَا المَنْظَر المُقْمر

وَجْهُهُ مِنْ الرُّوم وَلكنْ لَهُ ... في الخَدِّ خَالٌ منْ بَني العَنْبَر

بعْنِي بأعْلَى ثَمَنٍ نَظْرَةً ... أحْيَا بهَا يَا طَلْعَةَ المُشْتَري

/ ٤٠ب/ وأنشدني له من قصيدة: [من البسيط]

كَأنَّما مُقْلَتي لَمَّا بَكَيْتُ دَمًا ... جرَاحَةٌ فيَّ منْهَا الجسْمُ مَجْهُودُ

أسَوْتُهَا بابْتسَام الثَّغْر فَامْتَلأَتْ ... ملْحًا مُمِضًّا به للْوَجْد تَجْديدُ

كَحَلْتُ بالحُسْنِ أجْفَاني فَمَا اغْتَمَضَتْ ... وَمَرَّدَ الحُسْنَ في الأجْفَان تَسْهيدُ

يَا جَائرًا قَبْلَهُ لَمْ آلَف منْ غُصُنٍ ... مُهَفْهَفٍ لُبُّهُ المَنْحُوتُ جَلْمُودُ

شَكْوَايَ منْ جَفْنكَ الصَّاحيَ الذُّبُول وَإنْ ... تُنْكرْ فَنَاظرُكَ السَّكْرَانُ عرْبيدُ

ومنها قوله:

---

(١) البيتان في الوافي ٢٢/ ٣٤٩. فوات الوفيات ٢٢/ ١٩٦.

(٢) الأبيات في مجمع الآداب ٤/ ٣٧٠. الوافي ٢٢/ ٣٤٩.

وَلاَئِمٍ فِي هَوَاكُمْ رُبَّمَا شَهِدَ البَلْوى وَكَمْ لِي يَوْمٌ فِيهِ مَشْهُودُ
لِسَائِلِ الدَّمْعِ نَهْرٌ مِنْهُ مُطَّرِدٌ مِنْ أَجْلِهِ النَّوْمُ عَنْ جَفْنَيَّ مَطْرُودُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة يصف فيها الخمر: [من الكامل]

حَمْرَاءُ لاَ تَدْرِي مِنَ العِنَبِ الَّذِي عُرِفَتْ بِهِ عُصِرَتْ أَمِ العُنَّابِ
شُجَّتْ فَسَالَ لَهَا دَمٌ خُضِبَتْ بِهِ الأَيْدِي فَنَابَتْ عَنْ ذَبِيحِ أَنَابِ
حَتَّى إِذَا بَزَلَ الكُؤُوسَ خَلِيطُهَا طَرِبَتْ لَهُ زَبَدَاتُهَا بِقِبَابِ

وأنشدني لنفسه منْ قصيدة: [من البسيط]

/٤١أ/ حَتَّى إِذَا اخْضَرَّ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ عِذَارُهُ كَمَا احْمَرَّ خَدَّاهُ مِنَ الخَجَلِ
خَافَتْ زُمُرُّدَ خَطَّيْهِ ذُؤَابَتُهُ فَاسْتَخْبَأَتْ خَلْفَهُ فَهْيَ......

وأنشدني لنفسه أيضاً[1]: [من الكامل]

رَدَّتْ يَدَاهُ إِلَى ذُؤَابَتِهِ صُدْغَيْهِ لَمَّا أَمْكَنَ الرَّدُّ
فَإِذَا أَسَاوِرُهُ ثَلاَثَتُهَا فَرْدٌ وَكُلُّ ثَلاَثَةٍ فَرْدُ

وأنشدني لنفسه في قصر النهار، وهو بديع لم يسمع بمثله[2]: [من المتقارب]

وَيَوْمٍ حَوَاشِيهِ مَلْمُومَةٌ عَلَيْنَا تُحَاذِرُ أَنْ تُفْرَجَا
قَنَصْتُ غَزَالَتَهُ وَالْتَفَتُّ أُرِيدُ اخْتَهَا فَاحْتَمَتْ بِالدُّجَى[3]

وأنشدني له من قصيدة: [من الكامل]

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى السُّوَيْقَةِ حَيْثُ طُلَّ دَمِي وَحَيْثُ أُصِيبَ مِنِّي المَقْتَلُ
فَخُذِ الأَمَانَ مِنَ الحِسَانِ فَسَهْمُهُنَّ مُنَصَّلٌ وَوَشِيجُهُنَّ مُؤَلَّلُ
وَإِذَا رَأَيْتَ هُنَاكَ أَسْمَرَ مُشْرَعاً سَلْهُ مَتَى ابْتُدِعَ السِّنَانُ الأَكْحَلُ

ومنها:

كَالبَدْرِ إِلاَّ أَنَّهُ بِقَوَامِهِ وَبِنَاظِرَيْهِ وَحَاجِبَيْهِ مُكَمَّلُ

(١) البيتان في الوافي ٢٢/ ٣٤٩، والأول فقط في مجمع الآداب ٤/ ٣٧٠.
(٢) البيتان في الوافي ٢٢/ ٣٥٠.
(٣) أخت الغزالة: يريد بها الشمس.

/٤١ب/ وَالغُصْنِ إلاَّ أنَّهُ نَضَّارَةٌ ... مِنْ أجْلِهَا ذَبَلَ الرِّمَاحُ الذُّبَّلُ

ومنها في المديح:

لاَ تَخْشَ مِنْ عَيْنِ الكَمَالِ فَمَا انْتَهَتْ ... بِكَ آيَةٌ إلاَّ وَنَفْسُكَ أفْضَلُ

وَإذَا بَلَغْتَ وَلاَ تَزَالُ زِيَادَةٌ ... لَكَ فِي العُلاَ فَمَتَى تَتِمُّ وَتَكْمُلُ

وأنشدني من قصيدة: [من الكامل]

نَازَعْتُهَا خَصْرَ.... كميته ... حَالِ بِسمْطَيْ ثَغْرِهَا مَقْلُوْدُ(١)

وَهَمَمْتُ فَاسْتَعْصَى وَفِيْهِ رِقَّةٌ ... عِتْقٌ وَمِنْهُ النَّارُ وَهْوَ بَرُودُ

وأنشدني أيضًا من أخرى: [من الكامل]

قَلْبٌ يَذُوْبُ جَوًى فَيَقْطُرُ ذَوْبُهُ ... مِنْ مُقْلَتَيْ العَبْرَى نَجِيعًا مُحْرِقَا

وَخَيَالُ جِسْمٍ فِيْهِ نَفْسٌ بَعُوْضَةٍ ... كَادَتْ تَطِيْرُ بِهِ إلَيْكَ تَشَوُّقَا

ومنها:

وَعَجِبْتُ لَمَّا انْآدَ غُصْنُ قَوَامِهِ ... فَرَأَيْتُ أعْدَلَ مَا رَأَيْتُ وَأرْشَقَا

كَيْفَ انْثَنَى تَحْتَ النَّسِيْمِ وَمَا انْثَنَى ... عَنْ عَزْمِهِ فِي شَمْلِنَا فَتَفَرَّقَا

وأنشدني لنفسه(٢): [من الكامل]

وَغَرِيْرَةٍ سَكْرَى اللَّوَاحِظِ كُلَّمَا ... فَتَرَتْ تُنَشِّطُ لَوْعَتِي أجْفَانُهَا

/٤٢أ/ وَإذَا دَنَتْ فَأصَابَ قَلْبِي طَرْفُهَا ... غَضَّتْ فَأخْطَأ مُهْجَتِي سُلْوَانُهَا

وأنشدني لنفسه، يصف الفهد: [من الطويل]

وَمُتَّصِفٍ بِالفَتْكِ عِنْدَ اكْتِسَابِهِ ... عَلَى ظُفْرِهِ أثَرُ الدِّمَاءِ وَنَابِهِ

كَأنَّ مَهَاةَ الفلكِ لَمَّا انْتَهَى بِهِ ... مَدَاهُ إلَى سِرْبِ المَهَا وَانْتَهَى بِهِ

رَمَتْهُ بِشُهْبِ الجَوِّ خَوْفَ انْتِقَامِهِ ... فَأطْفَأهَا فِي عَسْجَدٍ مِنْ إهَابِهِ

وأنشدني لنفسه مبدأ قصيدة: [من المنسرح]

أمَا وَجَفْنَيْكَ إنَّهُ قَسَمُ ... مَا دَارَ لِي بِالسُّلُوِّ عَنْكَ فَمُ

---

(١) مقلود: مفتول.

(٢) البيتان من قصيدة في تأريخ دنيسر ص١٧٣ قوامها ١٥ بيتًا.

وَلاَ طَوانِي البِعادُ إلاَّ عَلَى ... نارِ أسًى في الفُؤادِ تَضْطَرِمُ
سرُّ المُحِبِّين لا يكادُ إذَا ... امتحنته الصُّدُوْد يَنْكَتِمُ
يَجفُونَهُ والضَّنى يَنُمُّ بِهِ ... والحُبُّ ممّا يُذيعُهُ السَّقَمُ
فَهلْ لِمَنْ ظلَّ في هَواكَ إلى ... وَصْلِكَ نَهْجٌ يَبِينُ أوْ لَقَمُ[1]
أمْ هَلْ لنَا عَوْدَةٌ بشعْبِ الثَّنِيَّاتِ وَشعْبِ السعاةِ مُلْتَئِمُ
وَعقْدُ شَمْلِي الشَّتِيتَ ..... شَتِيتَ الثَّغْرِ فَوْقَ العَقِيقِ مُنْتَظِمُ
مَا أنَا بالبِدْعِ في الغَرامِ وَلاَ ... أوَّلُ خَلْقٍ أضَلَّهُ صَنَمُ

وأنشدني أيضًا لنفسه[2]: [من الوافر]

/ ٤٢ب/ إذَا هَبَّ النَّسِيمُ بطِيبِ نَشْرٍ ... طَرِبْتُ وَقُلْتُ: إيْهِ يَا رَسُولُ
سِوَى أنِّي أغَارُ لأنَّ فِيهِ ... شَذَاكَ وَأنَّهُ مِثْلِي عَلِيلُ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من البسيط]

يَا أيُّهَا الرَّشَأُ المَكْحُولُ نَاظِرُهُ ... عَيْنِي..... مِنْ نَارٍ بِأحْشَائِي
فَرْطُ انْغِمَاسِكَ في التَّيَّارِ حَقَّقَ أنَّ الشَّمْسَ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ مِنَ المَاءِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الطويل]

يَدُ ابْنِ خَمِيسٍ في الحَرامِ طَوِيلَةٌ ... فَلاَ سَلِمَتْ طُولاً وَلاَ وَصَلَتْ قَصْرَا
يَدٌ مِثْلُ حَرْفِ الشَّرْطِ خَفَّتْ فَلَمْ تَجُزْ ... عَلَى جُمْلَةٍ إلاَّ اقْتَضَتْ جُمْلَةً أُخْرَى

[٤٨٢]

/ ٤٢ب/ عليُّ بنُ يوسفَ بن مُحمَّد بن يوسفَ بن أحمدَ بن الحسن، أبو الحسنِ بنُ أبي الحجّاجِ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ العطّار.

أصله من مدينة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو من أولاد محمد بن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) اللقم: وسط الطريق وواضحه.
(٢) البيتان في الوافي ٢٢/ ٣٥٠. المنهل الصافي ٨/ ٢٤٤.

سألته عن ولادته، فقال: ولدتُ في أوائل المحرم سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالموصل ـ أطال الله له البقاء ـ سمع شيئًا /٤٣أ/ من الحديث على القاضي أبي إسحق إبراهيم بن نصر بن عسكر قاضي السلامية، وأبي عبد الله الحسين بن عمر بن باز الموصلي، وأبي إسحق إبراهيم بن المظفر البرني الواعظ. ولآه المولى الملك الرحيم بدر الدين أبو الفضائل ـ ثبت الله دولته ـ على الزكاة. . . وحفظ بيت المال، لما رآه من عقلاء الرجال، عفيفًا عن الأموال.

وهو من رؤساء الموصل المعتبرين، وكبرائها المشهورين، عديم المثل، غزير العقل، من ذوي الأحوال، مشهور بمحاسن الفعال. أحسن الناس خَلْقًا، وأكرمهم خُلُقًا، محبوب إلى أهل مصره، أحمع الناس على مدحه وشكره، يجمع كيسًا ولطفًا وبشاشة وظرفًا، ذو معروف وسخاء، وطلاوة وحياء، وديانة ظاهرة، ومروءة وافرة، لم يتعرض بسوء لأحد في حال ولايته. وذلك لكمال عقله ونزاهته، يحبّ أهل الخير والصلاح، وذوي الفضل. وله شعر حسن النمط، خالٍ من السقط، كثير العيون، مصقول المتون.

أنشدني لنفسه، يمدح المولى المالك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين ملك أمراء الشرق /٤٣ب/ والغرب، شرف الملوك تاج السلاطين، بهلوان جهان مرزبان العراق طغرلتكين بُلكا أتابك أبا الفضائل غرس أمير المؤمنين ـ أدام الله دولته وبلّغه أمنيته ـ: [من الخفيف]

كَمْ أُنَاوِى فِيْ حُبِّكُمْ وَأُعَادَى ... وَضَلاَلِيْ فِيْكُمْ أَرَاهُ رَشَادَا

سَادَتِيْ كَارِهًا تَخَلَّفْتُ عَنْكُمْ ... لاَ لأَنِّيْ أَخْلَفْتُكُمْ مِيْعَادَا

مَا صَفَا لِيْ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمُ العَيْـ ... ـشُ فَمَنْ لِيْ يَرُدُّ مَا لَنْ يُعَادَا

بَرَّحَ الشَّوْقُ بِيْ إِلَيْكُمْ وَصَبْرِي ... قَلَّ عَنْكُمْ لَكِنْ غَرَامِيَ زَادَا

أَتُرَى العَاشِقُوْنَ قَبْلِيَ لاَقَوا ... فِيْ الهَوَى مَا لَقِيْتُ إِلاَّ كُبَادَا[1]

أَمْ تَفَرَّدْتُ دُوْنَهُمْ بِزَفِيْرٍ ... دَبَّ فِيْ أَضْلُعِيْ وَشَبَّ اتِّقَادَا

---

(١) الكباد: وجع الكبد.

يَـا حَبِيبـاً جَفَـا فَـأَوْرَثَ قَلْبِـي نَـارَ وَجْـد وَجَفْـنَ عَيْنِـي سُهَـادَا
أَنْـتَ مِنِّـي حَلَلْـتَ فِـي أَسْـوَدِ القَلْـبِ وَمِـنْ مُقْلَتِـي عَـدَلْـتَ السَّـوَادَا
مَـا بِحَظِّـي إِلَـى الحَضِيـضِ أَرَاهُ مِنْـكَ يَهْـوِي لِتُشْمِـتَ الحُسَّـادَا
مَـا . . . . مَـنْ يُصْفِيـكَ وُدّاً وَحُبّـاً وَيُفَـدِّيـكَ أَنْ يُثَـابَ بِعَـادَا
لاَ تَكُـنْ جَـائِـراً عَلَيْـهِ مِـنَ الـدَّهْـرِ الَّـذِي لَـمْ يَنَـلْ كَـرِيمـاً مُـرَادَا
يَضَـعُ الفَـاضِلِيـنَ ظُلْمـاً وَلُـؤْمـاً دَائِمـاً ثُـمَّ يَـرْفَـعُ الأَوْغَـادَا
/ ٤٤أ/ رُمْتُ مَـنْ صَرْفِـهِ السَّلاَمَـةَ لَمَّـا لَـمْ أَجِـدْ مَغْنَمـاً فَـزَادَ عِنَـادَا
فَطَلَبْـتُ الفِـرَارَ مِنْـهُ إِلَـى ظِـلِّ مَلِيـكٍ فَـاقَ المُلُـوكَ وَسَـادَا
فَـوَجَـدْتُ البَـرَّ الـرَّؤُوفَ الـرَّحِيـمَ العَـالِـمَ العَـامِـلَ الحَلِيـمَ الجَـوَادَا
مَلْجَـأُ القَـاصِـدِيـنَ كَهْـفُ المَسَـاكِيـنِ وَمَـنْ عَفْـوُهُ النُّفُـوسَ أَفَـادَا
وَالَّـذِي المَـوْتُ وَالحَيَـاةُ لَـدَيْـهِ فَهْـوَ أَحْيَـا سِلْمـاً وَحَـرْبـاً أَبَـادَا
جَـلَّ عَـنْ أَنْ . . . مَـا لاَ يَـدَاهُ مَلِـكٌ كُلَّمَـا تَلَفَّـظَ جَـادَا
لاَ يَـرَى بَـذْلَـهُ الـدَّنَـانِيـرَ جُـوداً إِذْ سِـوَاهُ يَمِيحُهَـا القُصَّـادَا
فَـإِذَا جَـادَتِ المُلُـوكُ بِتِبْـرٍ شَـرُفَـتْ نَفْسُـهُ وَأَعْطَـى بِـلاَدَا
نَـادِهِ يَـا أَبَـا الفَضَـائِـلِ عِنْـدَ الكَـرْبِ وَالهَـمِّ تُلْـفِ خَيْـرَ مُنَـادَى
يُغْنِـي الفَقْـرَ يَكْشِـفُ الضُّـرَّ يَحْمِـي الجَـارَ بِـالسَّيْـفِ يُهْلِـكُ الأَنْـدَادَا
جُـودُهُ وَابِـلٌ أَصَـابَ جَمِيـعَ الخَلْـقِ وَالعَـدْلُ مِنْـهُ عَـمَّ العِبَـادَا
يَـا مَلِيكـاً يَسُـرُّ كُـلَّ وَدُودٍ فِعْلُـهُ حِيـنَ يُـرْغِـمُ الأَضْـدَادَا
أَنْـتَ رُوحٌ حَلَلْـتَ فِـي كُـلِّ ذَا العَـالَـمِ إِذْ أَصْبَحُـوا لَـكَ الأَجْسَـادَا
قَـدْ كَفَـانِـي إِنْشَـادُ مَـدْحِـكَ فَخْـراً لِـي يَـا مَـنْ أُسَّ المَمَـالِـكِ شَـادَا
وَخَطِيـبٌ أَثْنَـى عَلَيْـكَ كَفَـاهُ شَـرَفـاً ذَاكَ إِذْ رَقَـى الأَعْـوَادَا
/ ٤٤ب/ بِـكَ مَـوْلاَيَ حِيـنَ هَنَّـوكَ بِـالعِيـدِ أُهَنِّـي الـزَّمَـانَ وَالأَعْيَـادَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الخفيف]

لاَ أَرَى البِـرَّ فِـي البَـرِيَّـةِ إِلاَّ مَـنْ لَهُـمْ بِـرٌّ بِـالعَطَـا وَالصِّـلاَتِ
لاَ الَّـذِي صَـامَ فِـي الهَجِيـرِ وَأَمْسَـى قَـائِمـاً لَيْلَـهُ مُقِيـمَ الصَّـلاَةِ

وأنشدني لنفسه أيضًا من قصيدة أولها: [من الخفيف]

يَـا خَلِيلَـيَّ بِـالفَـلاَ خَلِّيَـاهَـا ... تَقْطَـعُ البِيْـدَ فِـي الـدُّجَـى بِخُطَـاهَـا
شَمِّـرَاهَـا فَـإِنَّهَـا قَـدْ بَـرَاهَـا ... بِـالفَيَـافِـيْ الجَـوَى وَجَـذْبُ بُـرَاهَـا(١)
وَاسْتَقِـلاَّ عَلَـى ظُهُـوْرِ مَطِـيٍّ ... قَـدْ حَنَـاهَـا حَنِيْنُهَـا وَوَجَـاهَـا
لاَتَنِـيْ فِـي مَسِيْـرِهَـا وَهْـيَ أَهْـدَى ... فِـيْ الظَّـلاَمِ البَهِيْـمِ مِمَّـنْ حَـدَاهَـا
غَنِّيَـاهَـا بِـذِكْـرِ مَـنْ صَـرَعَ العِشْـقُ وَأَوْدَى الهَـوَى وَلاَ تَـزْجُـرَاهَـا
فَلَهَـا حُـرْمَـةٌ عَلَـى كُـلِّ صَـبٍّ ... رَوَّحَتْـهُ بِـيْ رَاحَـةٌ بِعَنَـاهَـا

[٤٨٣]

عليُّ بنُ المُعَافَى بن إسماعيلَ بن الحسين بن الحسنِ بن أبي الفتحِ بن أبي السنانِ، أبو الحسنِ بَنُ أبي محمدَ الموصليُّ(٢).

أخبرني أنّه ولد ليلة الخميس الرابع والعشرين / ١٤٥أ/ من شوال سنة خمس وتسعين وخمسمائة. حفظ القرآن العزيز، وسمع الحديث على جدِّه لأمّه أبي محمد عبد الله بن الحسن. وتفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وأتقنه فهمًا. وصار بالمدرسة القاهرية مُعيد درس القاضي أبي الفضل عبد الكريم بن محمد بن مُهاجر الموصلي. وتولّى تدريس بعض المدارس بالموصل.

وهو مفتي البلد في وقته، وإليه يُرجع في الفتاوي، وبقوله يأخذ الناس؛ وهو فقيه عالم مناظر فاضل له معرفة بالتفسير.

أنشدني لنفسه يرثي والده: [من الرمل]

خَـلِّ ذِكْـرَاكَ لِمَـنْ لِلْعَهْـدِ وَافَـى ... وَاذْكُـرِ الحَبْـرَ المُسَمَّـى بِـالمُعَـافَـى
وَانْـدُبِ العِلْـمَ وَأَهْلِيْـهِ بِـهِ ... وكَـذَا الـزُّهْـدَ وَمَـنْ لِلّـهِ صَـافَـى
بَشَـرٌ يَجْمَـعُ مِـنْ هَيْبَتِـهِ ... كُـلَّ شَيْطَـانٍ وَلَـوْ أَلْقَـى مَسَـافَـا
لَـمْ يَـزَلْ يَشْكُـرُ مَـوْلاَهُ عَلَـى ... كُـلِّ حَـالٍ مِنْـهُ حَتَّـى المَـوْتُ وَافَـى

(١) بُرها: جمع بُرة وهي الحلقة.
(٢) آل أبي السنان من أُسر الموصل المعروفة.

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الكامل]

يَا لَيْلَةً سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا فَأَعْقَبَنِي نَدَامَهْ
مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ أَوَاخِرُهَا سَلاَمَهْ

/ ٤٥ب/ وأنشدني أيضًا قوله: [من المتقارب]

حَسَدْتُ البَنَفْسَجَ إِذْ حَلَّ فِي أَنَامِلِ كَفِّ إِمَامِ الوَرَى
وَقَرَّبَ مِنْهُ خَيَاشِيمَهُ وَأَوْمَا إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرِّضَا

[٤٨٤]

عليُّ بنُ محمّد بن صدقةَ بن سبتي بن هارونَ بن سليطِ بنِ رافعٍ، أبو الحسنِ بنَ أبي الحسنِ الخفاجيُّ البغداديُّ.

كان والده من شعراء الديوان الناصري، وولده هذا أبو الحسن شاعر متأدب، حافظ للقرآن العزيز، فصيح المنطق، عذب الإنشاد والقراءة، حسن الصوت، فقيه حنفي، عارف بالخلاف. تولّى الإعادة بالمدرسة المستنصرية لدروس أقضى القضاة عبد الرحمن ابن إسماعيل بن عبد الرحمن اللامغاني، مدح الناصر والظاهر والمستنصر بالله أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليهم ـ.

أنشدني لنفسه ببغداد من قصيدة طويلة، يمدح بها الظاهر بأمر الله أبا نصر محمد ـ رضوان الله عليه ـ حين تقلّد الخلافة، وبايعة الناس: [من الطويل]

/ ٤٦أ/ جَزِعْتُ فَهَلْ يَوْمَ النَّوَى أَنْتَ جَازِعُ وَفَاضَتْ .... الدُّمُوعِ الهَوَامِعُ
أُحَاوِلُ أَنْ أَسْتَمْسِكَ الدَّمْعَ بَعْدَمَا عَفَا الجَزْعُ مِنْ وَادِي النَّقَا فَالأَجَارِعُ
مَرَابِعُ إِلْفِ الحَيِّ لاَ زَالَ يَغْتَدِي عَلَيْهِنَّ مِنْ نَوْءِ السِّمَاكِ مَرَابِعُ
أَرَاجِعَةٌ تِلْكَ اللَّيَالِي حَمِيدَةً عَلَيَّ وَهَلْ مَاضٍ مِنَ العَيْشِ رَاجِعُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْجِعُ اليَوْمَ أَمْسَهُ فَقَدْ مَنَعَتْ مِنْ رَدِّ أَمْسِ مَوَانِعُ
وَمَنْ كَفَتًى أَمْسَى غَرِيبًا بِبَلْدَةٍ تُعَاوِدُهُ أَحْزَانُهُ وَتُفَاجِعُ
وَحِيدًا تَحَامَتْهُ الأَقَارِبُ جَفْوَةً وَضَاقَتْ عَلَيْهِ فِي البِلاَدِ المَطَالِعُ
إِذَا هَجَعَتْ عَيْنُ الخَلِيِّ تَرَادَفَتْ عَلَيْهِ الهُمُومُ فَهْوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
يُرَاقِبُ نَجْمَ الصُّبْحِ وَاللَّيْلُ جَانِحٌ وَيَرْقُبُ نَجْمَ اللَّيْلِ وَالصُّبْحُ طَالِعُ

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقٍ وَلَا مِنْ صَبَابَةٍ بَلَى رَاعَنِي مِنْ فَقْدِ أَهْلِي رَائِعُ

ومنها:

مَضَى فِيْ طِلَابِ العِزِّ شَرْخُ شَبِيْبَتِي وَلَا عُذْرَ لِلْعَلْيَاءِ وَالشَّيْبُ وَازِعُ
فَكَمْ مِنْ حَرِيْصٍ مُقْتِرٍ وَهْوَ نَاصِبٌ وَمِنْ عَاجِزٍ نَالَ الغِنَى وَهْوَ وَادِعُ
وَقَدْ يَحْمِلُ الضَّيْمَ الفَتَى وَهْوَ قَادِرٌ عَلَى كَسْبِ مَالٍ وَهْوَ بِالدُّوْنِ قَانِعُ
أَيَعْجَبُ مِنْ نَظْمِ القَرِيْضِ مُعَانِدٌ وَيَعْلَمُ حَقًّا أَنَّنِي فِيْهِ ضَائِعُ
/ ٤٦ب/ وَيَسْعَدُ بِالأَشْعَارِ مُنْتَحِلٌ لَهَا وَيَشْقَى بِهَا مَنْ قَالَهَا وَهْوَ بَارِعُ

ومن مديحها:

إِمَامٌ هُوَ الحَقُّ الَّذِيْ يُهْتَدَى بِهِ وَطَائِعُهُ فِيْ الأَمْرِ لِلّهِ طَائِعُ
إِمَامٌ حَكَى العَبَّاسَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ وَفِيْ وَجْهِهِ نُوْرُ النُّبُوَّةِ سَاطِعُ
بِهِ انْصَرَفَتْ عَنَّا صُرُوْفُ زَمَانِنَا وَجَانَبَنَا أَحْدَاثُهُ وَالوَقَائِعُ
أَمِنَّا بِهِ الدَّهْرَ الخَؤُوْنَ فَلَمْ تَعُدْ تُفَاجِعُنَا فِيْهِ الخُطُوبُ الفَوَاجِعُ
تَحَلَّتْ بِهِ دَارُ السَّلَامِ وَفُتِّحَتْ مَدَارِسُهَا وَرُبْطُهَا وَالجَوَامِعُ
وَرُدَّتْ لِأَرْبَابِ الوُقُوْفِ وُقُوفُهُمْ فَأُلْبِسَ عُرْيَانٌ وَأُشْبِعَ جَائِعُ
وَلَوْلَا أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ لَهُدِّمَتْ مَسَاجِدُ ذِكْرٍ لِلْهُدَى وَجَوَامِعُ
ظَهَرْتَ إِلَيْنَا وَالعُيُوْنُ نَوَاظِرٌ إِلَيْكَ وَقَدْ أَوْمَتْ إِلَيْكَ الأَصَابِعُ
ذَكَرْنَا بِرُؤْيَاكَ النَّبِيَّ فَأَصْبَحَتْ مَسَائِلُنَا مَبْرُوْرَةً وَالذَّرَائِعُ

وأنشدني لنفسه من أخرى: [من الكامل]

أَمُعَنِّفِي ذَاكَ الغَزَالُ الأَحْوَرَا قَدْ سَاءَ فِعْلًا حِيْنَ أَحْسَنَ مَنْظَرَا
أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَشْتَكِي رُقَبَاؤُهُ ظُلْمًا لِيَهْجُرَ عَاشِقًا لَنْ يَهْجُرَا
يَا رَاقِدًا لَيْلَ التَّفَرُّقِ لَا تَنَمْ وَغَرَامُ قَلْبِكَ مُؤْذِنٌ أَنْ تَسْهَرَا
/ ٤٧أ/ فَانْهَضْ لِصَفْوِ العَيْشِ فِيْ زَمَنِ الصِّبَا قَبْلَ المَشِيْبِ وَقَبْلَ أَنْ تَتَكَدَّرَا
وَاشْرَبْ عَلَى وَرْدِ الغُصُوْنِ مُقَبِّلًا بِإِزَائِهِ وَرْدَ الخُدُوْدِ الأَحْمَرَا
مِنْ كَفِّ مَخْضُوْبِ البَنَانِ تَظُنُّهُ أُنْثَى وَقَدْ شَقَّ القُلُوْبَ مُذَكَّرَا
فَتَرَوَّ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ فَإِنَّهُ زَمَنٌ غَدَا بِالعَدْلِ أَزْهَى أَزْهَرَا

بعُلاَ أميرِ المُؤمنينَ مُحَمَّدٍ ... قَامَتْ حُدُودُ اللّهِ وَانْتَصَفَ الوَرَى

وقال أيضًا وأنشدنيه : [من الخفيف]

يَا خَليلَيَّ بِالوَفَاءِ دَعَانِي ... لأُجِيبَ الغَرَامَ حِينَ دَعَانِي
رَحَلُوا بُكْرَةً فَأَصْبَحْتُ أبْكِيهِمْ بِعَيْنٍ كَثِيرَةِ الهَمَلاَنِ
وَاسْتَقَلُّوا بِظَعْنِهِمْ فَاسْتَقَلَّ القَلْبُ فِي إثْرِهِمْ مَعَ الأَظْعَانِ
وَغَزَالٍ ثَنَى القُلُوبَ تَثَنِّيهِ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ مِنْ ثَانِي
قَدْ أَلِفْتُ الهَوَانَ فِيهِ وَلَوْلاَ ... فَرْطُ حُبِّيهِ مَا هَوِيتُ هَوَانِي
لاَحَ فِي رَبْرَبٍ فَمَهَّدَ عُذْرِي ... كُلُّ مَنْ كَانَ فِي هَوَاهُ لَحَانِي
فَعَسَى اللّهُ أَنْ يُتِيحَ بِوَصْلٍ ... وَلَعَلَّ الإِلْفَيْنِ يَجْتَمِعَانِ

[٤٨٥]

/ ٤٧ب/ عليُّ بنُ سالم بن اسماعيل بن المبارك بن غدير بن المُجلّى، أبو الحسنِ الكاتبُ النحويُّ الفَاضلُ الأديبُ الموصَلّيُّ[(١)].

أخبرني أنه ولد في شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة. أصله من تليعفر، من محلّة من محالها تسمى «بني عوف». ثم قال: وسمعت مشايخ فيهم يرفعون في نسبتهم إلى الآباء المشهورين، فرأيتهم يرجعون إلى ربيعة الفرس، وهو المنشىء يومنا هذا بالديوان السلطاني.

قرأ أولاً الكتاب العزيز حتى حفظه حفظًا جيداً، ودرس صدوراً متوفراً من فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ولازم الشيخ أبا حفص عمر بن أحمد النحوي،

(١) في هامش الأصل: «توفي المذكور بالموصل في سنة ثلاثة وسبعين وستمائة، وكان قد عطل ولزم بيته في سنة اثنتين وخمسين وستمائة، وكان سبب ذلك أن بدر الدين لما عزم على تسيير ولده الملك الصالح... إسماعيل بن بدر الدين إلى التتار عيّن شرف الدين والد المذكور ليمضي به، فسأل زين الدين ان .... فغضب عليه .... وتقدم إليه بأن لزم بيته إلى أن توفي بدر الدين في .... سنة سبع وخمسين وستمائة، واستمر ملازمًا لبيته إلى أن استولوا التتار على الموصل في سنة ستين وستمائة عجز عن أن يقيم.... نفسه ففتح دكان معلم مكتب، وأقام برهة من الزمان.... ثم تعطل من التعليم لكبر سنّه وفقره، فخدم كاتبًا .... وما زال كذلك إلى أن مات في التأريخ المذكور».

واختلف عليه مدّة متطاولة، يقرأ عليه نحواً ولغة وأشعاراً عربية وغير ذلك من الفنون الأدبية، وتمهَّر على أبناء زمانه، وناظر وبحث مع العلماء، واستجاد كلامه الفضلاء.

وكان يكتب الإنشاء لبعض الأمراء بالموصل، ثم ترقت به الحال إلى أن جذبه بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله إلى ديوان المكاتبات. وكان رأس الكتّاب به، وتنبّه له الجَدّ الراقد؛ فلما كملت آدابه . . . نجم فضله وشهابه، جذبه المولى الملك / ١٤٨/ الرحيم إلى خدمته، وأفاض عليه من جلابيب نعمته، وألقى شعاع سعادته عليه، وصار أقرب العالم إليه، وأوفرهم حظًّا لديه، وجعله منشيء دولته القاهرة، وجليس حضرته الزاهرة. وأُنفذ رسولاً إلى عدّة جهات، وصار ذا نعمة واسعة، وثروة وافرة.

أنشدني لنفسه يمدح المولى المالك الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، شرف الملوك والسلاطين أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ خلد الله دولته ـ: [من الطويل]

لَـكَ اللـهُ فَـأْمُـرْ وَانْـهَ فيمَـا تُـرِيْـدُهُ ... فَصَـرْفُ اللَّيَـالـيْ عَـنْ جَنَـابِـكَ مَصْـرُوْفُ

مَحَلُّـكَ مصْـرٌ أنْـتَ فيْنَـا خَصِيْبُـهُ ... وَدِجْلَـةُ نِيـلٌ وَالحِمَـى دُوْنَـهُ الـرِّيْـفُ

لَقَـدْ لمحـت . . . بِـالنَّـدَى ... كَأَنَّكَ بالإحْسَان فِيْ النَّاس مَشْعُوْفُ[1]

فَكُـلُّ مُلُـوْكِ الأَرْضِ عنْـدَكَ سُـوْقَـةٌ ... وَكُـلُّ شَـرِيْـفٍ عنْـدَ فَضْلِـكَ مَشْـرُوْفُ

وَلِـيْ كُـلَّ يَـوْمٍ منْـكَ نُعْمَـى جَـدِيْـدَةٌ ... وَلِـيْ كُـلَّ عَـامٍ مِـنْ نَـوَالِـكَ تَشْـرِيْـفُ

وأنشدني أيضًا من قيله: [من الطويل]

أَرَى كُـلَّ مُشْتَـاقٍ إذَا أَدْرَكَ المُنَـى ... وَشَـاهَـدَ مَـنْ يَهْـوَاهُ قَـلَّ بِـه الـوَجْـدُ

فَسَلَّمْـتُ مِـنْ بُعْـدٍ عَلَيْـكَ صَبَـابَـةً ... وَفَـرْطُ الجَـوَى بَـادٍ وَمَـاضَـرَّنَـا البُعْـدُ

/ ٤٨ب/ وَإِنِّـيْ لأَسْتَحْيِـيْ العُـلاَ أَنْ تَقُـوْلَ لِـيْ: ... أَمَـالَـكَ مِـنْ رَبِّ العُـلاَ وَالنَّـدَى عَهْـدُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

مَـا إنْ ذَكَـرْتُـكَ وَالـذِّكْـرَى مُـوَلِّهَـةٌ ... أَسْتَغْفِـرُ اللـهَ إلاَّ قُلْـتُ وَا أَسَفَـا

وَمَـا تَمَثَّلْـتَ فِـيْ قَلْبِـيْ وَفِـيْ بَصَـرِيْ ... إلاَّ هَفَـا ذَاكَ مِـنْ شَـوْقٍ وَذَا وَكَفَـا

(١) مشعوف: مشغوف.

لِلّـــهِ أيَّـــامُنَـــا وَالـــدَّارُ جَـــامعَـــةٌ ... حَسْبِـي التَّـذَكُّـرُ مِـنْ وَجْـدٍ بِـهِ وَكَفَـى

وأنشدني أيضًا لنفسه : [من الطويل]

إذَا نَحْــنُ خَلَّفْنَـا الجِبَـالَ وَرَاءَنَـا ... وَأَفْضَى بِنَا السَّيْرُ الحَثِيثُ إلَى الفَضَا
فَـلاَ تَحْبِسَا عَـزْمَ الجِيَـادِ عَـنِ السُّرَى ... فَـإنِّي إلَى الحَـدْبَاءِ أَمْضَـى مِـنَ. . . .
إذَا ذُكِـرَتْ تَهْفُـو بِقَلْبِـيَ صَبَـابَـةٌ ... إلَيْهَـا فَمَـا نَجْـدٌ وَمَـا سَـاكِـنُ الغَضَا
وَمَـا هِـيَ إلاَّ حجَّـةٌ كُتِبَـتْ لَنَـا ... مَضَى حُكْمُهَـا فِينَـا وَشُكْـرُكَ مَا مَضَى
وَزَالَ الـرَّجَـا لَمَّـا رَأَيْتُـكَ سَـالِمًـا ... وَكُـلُّ الَّـذِي يُـرْضِيـكَ مِنَّـا هُـوَ الـرِّضَـا

وأنشدني أيضًا لنفسه : [من البسيط]

يَـا مَـنْ تَشَـرَّفَـت الـدُّنْيَـا بِـدَوْلَتِـهِ ... وَحَـدَّثَـتْ عَـنْ نَـدَاهُ العُجْـمُ وَالعَـرَبُ
هَـبْ لِـي مِنَ العَيْـشِ مَـا أَرْجُـو اللِّقَـاءَ بِـهِ ... فَلَيْـسَ يَحْلُـو بِقَلْبِـي غَيْـرُ مَـا تَهَـبُ
أَفْـدِي الأَحِبَّـةَ يَـوْمَ البَيْـنِ إذْ حَسِبُـوا ... أَيَّـامَ بُعْـدِي فَجَـاءَتْ ضِعْـفَ مَـا حَسِبُـوا
/١٤٩أ/ لاَ تَحْسَبُوا أَنَّنِي أَهْوَى الحَيَاةَ إذَا ... مَـا غِبْـتَ عَنَّـا وَلاَ فِـي العَيْـشِ لِـي أَرَبُ
وَإنْ تَجَمَّلْـتُ حَتَّـى قِيْـلَ. . . . . فَفِـي ضَمِيْـرِي نَـارُ الشَّـوْقِ تَلْتَهِـبُ
أَرْجُـو النَّجَـاحَ لآمَـالٍ وَطَلْعَتُهَـا ... كَالشَّمْـسِ فِـي الغَيْـمِ تَبْـدُو ثُـمَّ تَحْتَجِـبُ
عَسَـى الَّـذِي قَـدَّرَ الأَسْبَـابَ يُعْقِبُهَـا ... أَسْبَـابَ قُـرْبٍ لَـدَيْكُـمْ لَيْـسَ تَنْقَضِـبُ
حَسْبِـي رِضَـاكُـمْ فَـلاَ أَبْغِـي بِـهِ بَـدَلاً ... وَمَـا أُبَـالِـي بِـأَهْـلِ الأَرْضِ إنْ غَضِبُـوا

[٤٨٦]

عليُّ بنُ إسماعيلَ بن يحيى بنِ أحمدَ بنِ مُكابرِ بنِ الحسينِ، أبو الحسنِ بنُ أبي محمد العَنزيِّ النيليُّ.

شاعر ابن شاعر، وقد تقدَّم شعرُ والده(١).

أخبرني أنّه ولد بالنيل يوم الأربعاء بين صلاتي الظهر والعصر، وهو اليوم الخامس عشر من ربيع الآخر سنة ثماني وثمانين وخمسمائة.

سافر إلى بلاد الشام سنة سبع وستمائة، وأقام بها سنتين. ثم رجع سنة إحدى

(١) مرّت ترجمة والده (إسماعيل بن يحيى) في الجزء الأول برقم ١٥٥.

وعشرين وستمائة إلى وطنه، وعادت سفرته إلى الشام تترى، فسار إليها غير مرّة، واتصل بخدمة أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر، فرفع من قدره ما كان خاملاً، ونفق جوهره /٤٩ب/ بأعراض برّه وفضله، وله فيه مدَحَاتٌ كثيرة، وهو صاحب لسانٍ ومعرفة، وفضلٍ حسن.

أنشدني قوله في أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر الموصلي من قصيدة أوّلها:

[من الكامل]

أَسَقِيْمَـةَ الأَجْفَـانِ عَـنْ سَقَمِـيْ سَلِـيْ ... فَعَسَـى يُعَـاوِدُ قَلْبَـك الإِيْنَـاس لِـيْ
وَتَجَمَّلِـي فِـيْ أَمْـرِ صَـبٍّ مُـذْنَـفٍ ... لاَ خَيْـرَ إِلاَّ فِـيْ الحَبِيْـبِ المُجْمِـلِ
مَـا بَـالُ طَيْفِـكَ كُلَّمَـا لاَ يَنْتُـهُ ... أَبْـدَى إِلَـيَّ قَسَـاوَةَ المُتَـدلِّـلِ
ذُلِّـيْ لِـذَلِـكَ يَـا أُمَيْمَـةُ ظَـاهِـرٌ ... فَمَتَـى يَـرِقُّ مُـدَلَّـلٌ لِمُـذَلَّـلِ
يَـا ضُـرَّةَ القَمَـرَيْـنِ رِفْقَـاً بِـالَّـذِيْ ... يَهْـوَاكِ وَالبَيْـنُ المُبَـرِّحُ قَـدْ بَلِـيْ
لَـمْ يَكْفِـهِ بُعْـدُ الـدِّيَـارِ وَفُـرْقَـةٌ ... تَـرَكَتْـهُ حِلْـفَ تَقَلْقُـلٍ وَتَمَلْمُـلِ
حَتَّـى اغْتَـدَى مَـا بَيْـنَ أَقْـوَامٍ إِذَا ... أَبْـدَى سَـلاَمَ تَـوَدُّدٍ لَـمْ يُقْبَـلِ
حَيْـرَانَ مِـنْ أَلَـمِ الصُّـدُوْدِ فَسَمْعُـهُ ... لِسِـوَى نِـدَاءِ صَبَـابَـةٍ لَـمْ يَعْقِـلِ

ومن مديحها يقول:

لِلَّـهِ سِـرٌّ فِيْـكَ لاَ هُـوْتِيُّـهُ ... كَـالشَّمْـسِ لاَ تَخْفَـى عَلَـى المُتَـأَمِّـلِ
عِلْـمٌ كَمُنْـدَفِـعِ الأَتِـيِّ وَمِقْـوَلٌ ... يُنْسِـيْ فَصَـاحَتُـهُ بَـلاَغَـةَ جَـرْوَلِ[1]
فَـاسْلَـمْ نَكُـنْ بِـكَ مُـدْرِكِيْـنَ مَـآرِبـاً ... لِسِـوَى عُفَـاتِـكَ وَفْـرُهَـا لَـمْ يَحْفِـلِ

[٤٨٧]

/٥٠أ/ عليُّ بنُ الحسن بن عليِّ بن سليمانَ بن محمّد بن عثمانَ، أبو الحسنِ، المَوصِليُّ المولدَ والمنشأ، الأَوانيُّ أباً وأَصلاً.

كان قد لقي جماعة بالموصل من أهل العلم والأدب، ويحفظ شيئًا من الأشعار والحكايات، ونظم شعراً مدح به الناس.

---

(١) الأتي: الموج.

صحبته مدّة بالموصل إلى أن مات بها ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الجمعة لخمس مضين من جمادى الأولى سنة إثنتين وعشرين وستمائة.

أنشدني لنفسه من قصيدة طويلة يمدح بها السلطان الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي، حين أخذ الفرنج دمياط ـ خذلهم الله تعالى ـ: [من البسيط]

سَلْ عَنْهُ وَقْعَةَ دمْيَاطَ الَّتِي بَهَرَتْ ... وَصْفَ العِبَادِ فَيَا للّهِ للعَجَبِ!
وَالشِّرْكُ قَدْ مَلأَ الأَقْطَارَ لَيْسَ لَهُمْ ... هَمٌّ سِوَى مَحْوِ هَذَا الدِّيْنِ مِنْ أَرَبِ
كَانُوا كَشيْعَةِ فِرْعَوْنَ الَّذِيْنَ طَغَوا ... بِالسِّحْرِ وَاتَّبَعُوا مَا خُطَّ فِي الكُتُبِ
بَاتُوا يَقُولُونَ نَحْنُ الغَالِبُوْنَ وَمَا ... دَرَوْا بِأَنَّ لَهُمْ مُوْسَى عَلَى الطَّلَبِ
/ ٥٠ب/ أَلْقَيْتَ فِيهِمْ عَصَا نَصْرٍ فَمَا بَرِحَتْ ... بِهِمْ تَلَقَّفُ مَا كَادُوا مِنَ الكَذِبِ
فَاسْتَصْرَخُوا بِكَ مِنْ خَوفِ البَوَارِ وَقَدْ ... دَعَتْ حُمَاتُهُمُ بِالوَيْلِ وَالحَرَبِ
لَوْلاكَ شَطَّتْ عُرَى الإِسْلاَمِ وَانْقَطَعَتْ ... سُبْلُ الهُدَى وارجَحَنَّ الكُفْرُ بِاللَّعِبِ
نَصَرْتَ دِيْنَ نَبِيٍّ لَوْ تُعَاصِرُهُ ... لَقِيْلَ: إِنَّكَ يَا مَوْلَى الأَنَامِ نَبِي

وأنشدني لنفسه يضمن بيت الباخرزي: [من البسيط]

يَا فَالِقَ الصُّبْحِ مِنْ لأْلاءِ غُرَّتِهِ ... .
يَا صَاحِبَي اسْعِدَانِي فِي هَوَى رَشَأٍ ... لَمَّا عُنِيتُ بِهِ أَهْدَى إِلَيَّ عَنَا
رِيْمٍ مِنَ الرُّوْمِ لَوْلاَ نَبْتُ عَارِضِهِ المِسْكِيِّ مَا عَارَضَ المُشْتَاقَ فِيْهِ ضَنَى
بَرَى لَهُ اللّهُ لَحْظاً حِيْنَ... ... إِلَيْهِ يَنْفُثُ سِحْراً يُوْرِثُ الفِتَنَا
وَلاَ جَنَيْتُ بِلَحْظِ العَيْنِ مِنْ كَلَفٍ ... وَرْداً بِوَجْنَتِهِ إِلاَّ عَلَيَّ جَنَى
كَمْ قُلْتُ لَمَّا انْثَنَى كَالبَدْرِ مُبْتَدِراً ... أَمْرِي وَعَزْمَ سُلُوِّيْ عَنْ هَوَاهُ ثَنَى
يَا فَالِقَ الصُّبْحِ مِنْ لأْلاءِ غُرَّتِهِ ... وَجَاعِلَ اللَّيْلِ مِنْ أَصْدَاغِهِ سَكَنَا
أَنْتَ العَلِيْمُ بِحَالِي فِي مَحَبَّتِهِ ... مَا كَانَ ذَاكَ لِفَحْشَاءٍ وَلاَ لَخَنَا

وأنشدني لنفسه يمدح الملك الأشرف: [من المتقارب]

إِذَا قِيْلَ مَنْ فِي رِقَابِ العِبَادِ ... ... اطراق أطْواقِهَا
/ ٥١أ/ وَمَنْ يَقْنِصُ الصَّيْدَ فِي مَأْزِقٍ ... إِذَا أَبْدَتِ الحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا

وَمَـــنْ يَنْحَـــرُ الكُـــومَ أَنَّـــى تَخُـــبُّ لَيَـــالِـــيْ الشِّتَـــاءِ بِطُـــرَّاقِهَـــا

وَإِنْ فَخَـــرَتْ عُصْبَـــةٌ بِـــالسَّمَـــاحِ ... إِلَيْـــكَ نَمَّـــتْ بِـــأَعْـــرَاقِهَـــا[1]

أَشَـــارَتْ إِلَيْـــكَ عُيُـــونُ الـــوَرَى ... كَـــأَنَّـــكَ نُـــورٌ لأَحْـــدَاقِهَـــا

وَأَضْحَـــى صَنِيْعُـــكَ فِـــيْ العَـــالَمِيْـــنَ ... كَشَمْـــسِ الضُّحَـــى عِنْـــدَ إِشْـــرَاقِهَـــا

إِلَـــى المَلْـــكِ الأَشْـــرَفِ المُـــرْتَجَـــى ... تَخُـــبُّ الـــرِّكَـــابُ بِسُـــوَّاقِهَـــا

كَـــأَنَّ ابْـــنَ أَيُّـــوبَ بَيْـــنَ العِبَـــادِ ... إِلَيْـــهِ مَقَـــالِيْـــدُ أَرْزَاقِهَـــا

[٤٨٨]

عليُّ بنُ الحسن بنِ موهوب بنِ موسى بنِ محمّدٍ، أبو الهيجاء بنُ أبي عليٍّ الإربليُّ النَحويُّ.

أخبرني أنّه ولد بقلعة إربل في صفر سنة خمس وثمانين وخمسمائة. وحفظ القرآن المجيد وعمره اثنتا عشرة سنة على أبي الثناء محمود بن الحسن بن الأرملة النحوي. وأخذ علم النحو عن أبي محمد القاسم بن أحمد بن الموفق المريّ الأمويّ النحوي، وأبي الحسن يحيى بن معطي بن عبد النور الروادي، وأبي بكر المالقيّ، وأبي البقاء يعيش بن عليّ / ٥١ب/ بن يعيش الحلبيّ، وأبي عبد الله محمد بن أبي الوفاء بن القبيصي[2]، وأبي حفص عمر بن أحمد بن أبي بكر العسفى الموصلي النحوي، ومحمود بن الحسن بن الأرملة النحوي.

وقرأ على الصاحب أبي البركات كتبًا أدبية مثل؛ الخطب النباتية، والمقامات الحريرية، وشرح أبيات المفصل من تصنيفه، وشرح الدريدية لأبي البركات النحوي الأنباري، وغيرهم من الفضلاء النحاة. وهو جيد المعرفة في علم الإعراب ومسائله.

أنشدني لنفسه يمدح الوزير الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ: [من مجزوء الكامل]

وَقَـــوَامُـــكَ اللَّـــدْنُ الـــرَّشِيْـــقُ ... وَرُضَـــابُـــكَ العَـــذْبُ الـــرَّحِيْـــقُ

وَفُتُـــورُ عَيْنَيْـــكَ المِـــرَاضِ ... وَخَـــدُّكَ الـــوَرْدُ الشَّقِيْقِـــيُّ

(١) «نمّت» كذا بالأصل، ولعلها نَمَمْتَ وبها يستقيم الوزن.

(٢) أحمد بن أبي طاهر النحوي العدوي الموصلي، المعروف بابن القبيصي، ترجم له المؤلف في الجزء السادس برقم ٧٠٩.

وَكَثِيْبِ رِدْفِكَ يَا قَضِيْبَ البَانِ وَالخَصْرِ الدَّقِيْقِ
قَسَمًا لَقَدْ مُزِجَ الهَوَى بِدَمِي فَأُجْرِي فِي عُرُوْقِي
وَتَوَقَّدَتْ نِيْرَانُهُ وَشَكَا الفُؤَادُ مِنَ الحَرِيْقِ
إنْ تُنْكِرُوا سُقْمِي وَفَيْضَ مَدَامِعِ الدَّنِفِ المَشُوْقِ
فَتَبَيَّنُوا حَالِي يَقِيْنًا مِنْ زَفِيْرِي أَوْ شَهِيْقِي
/ ٥٢أ/ أَوْ فَاسْأَلُوا عَمَّا أُلاَقِي مِنْ جَنَابِكُمُ الطُّرُوقِ

ومنها يقول:

يَا حَادِيَ الأَظْعَانِ عَرِّجْ بِي عَلَى وَادِي العَقِيْقِ
أَبْكِي زَمَانًا كَانَ لِي فِيْهِ بِدَمْعٍ كَالعَقِيْقِ
لَهْفِي عَلَى زَمَنٍ مَضَى فِي رَوْضِهِ الأَرِجِ الأَنِيْقِ
وَثُغُوْرُ غِزْلاَنِ الصَّرِيْمِ بِهَا صَبُوْحِي مَعْ غَبُوقِي
كَالمِسْكِ شِيْبَ بِعَنْبَرٍ وَرْدٍ وَسَلْسَالِ رَحِيْقِ

ومن مديحها:

مَالِي مُجِيْرٌ مِنْ صُرُوْفِ الدَّهْرِ وَالزَّمَنِ العَقِيْقِ
إلاَّ المُبَارَكُ مَاجِدٌ صَدْرٌ وَذُوْ نَسَبٍ عَرِيْقِ
الوَاهِبُ المِفْضَالُ طَبْعًا لِلْعَدُوِّ وَلِلْصَّدِيْقِ
يُعْطِي فَتَحْسَبُهُ أَبًا أَوْ كَالأَخِ البَرِّ الشَّقِيْقِ
مَا أُمَّةٌ رَاجٍ فَخَابَ فَدَتْهُ نَفْسِي مِنْ شَفِيْقِ

وأنشدني أيضًا لنفسه فيه يمدحه: [من الكامل]

هَلْ آخِذٌ بِيَدِي فَقَدْ بَلَغَ الزُّبَى سَيْلُ الهَوَى وَتَنَهَّدَ المَكْرُوْبُ
/ ٥٢ب/ هَيْهَاتَ إلاَّ إنْ زَجَرْتُ مَطِيَّتِي نَحْوَ المُبَارَكِ صَارِخًا فَيُجِيْبُ
هُوَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِيْنَ وَرَبْعُهُ حَرَمُ الغَنِيِّ وَبَأْسُهُ المَرْهُوْبُ
إنْ رُمْتَ رِفْدًا فَاقْصِدَ الشَّرَفَ الَّذِي فِي مَالِهِ لِلطَّالِبِيْنَ نَصِيْبُ
يَعْطِيْكَ مُعْتَذِرًا إلَيْكَ كَأَنَّمَا هُوَ طَالِبٌ أَوْ رِفْدُكَ المَطْلُوْبُ
مُتَبَشِّرًا بِعُفَاتِهِ مُتَهَلِّلاً كَالبَدْرِ طَلْعَتُهُ وَلَيْسَ يَغِيْبُ

لاَزَالَ رَبْعُكَ يَا ابنَ أَحْمَدَ عَامِراً ... مَا أَنَّ مُشْتَاقٌ وَحَنَّ غَرِيبُ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الوافر]

تَأَلَّقَ بَرْقُ كَاظِمَةٍ فَحنَّا ... وَهَبَّ نَسِيمُهَا فَبَكَى وَأَنَّا

غَرِيْبٌ بَيْنَ أَضْلُعِهِ لَهِيبٌ ... مَشُوقٌ لَمْ يَزَلْ صَبّاً مُعَنَّى

تَذَكَّرَ بِالحمَى عَيْشاً تَقَضَّى ... فَأَجْرَى دَمْعَهُ أَسَفاً وَحُزْنَا

وَعَادَ الوَجْدُ أَوَّلُهُ جُدِيْداً ... وَهَاجَ غَرَامُهُ المَاضِيْ فَجُنَّا

تَرَجَّى أَنْ يَعُوْدَ لَهُ زَمَانٌ ... بِجَرْعَاءِ الحمَى وَوِصَالِ لُبْنَى

ولمَّا لَمْ يَنَلْهُ ذَابَ شَوْقاً ... تَرَنَّمَ قَابِلاً وَجْداً وَعَنَّا

تَمَنَّى أَنْ يَرَى مِنْكُمْ خَيَالاً ... فَنَالَ وَلَمْ يَنَلْ مَا قَدْ تَمَنَّى

وأنشدني لنفسه وقد طلب / ١٥٣أ/ منه بعض أصدقائه شيئًا من شعره، فكتب إليه بهذه الأبيات اعتذاراً: [من الخفيف]

يَا فَرِيْدَ الزَّمَّان يَا أَوْحَدَ العَصْرِ ... وَخَيْرَ الأَنَامِ جَمْعاً أَقِلْنِيْ

وَاحْظَ مِنِّيْ بِالشُّكْرِ مَا دُمْتُ حَيّاً ... وَأَرِحْ خَاطِرِيْ وَلاَ تُلْزِمَنِّيْ

فَالرَّدِيُّ السَّخِيْفُ لَمْ أَرْضَهُ شِعْراً ... وَغَيْرُ الرَّدِيِّ قَدْ عَزَّ مِنِّيْ

فَارْضَ مِنِّيْ بِمَا تَيَسَّرَ فِيْ الوَقْتِ ... فَقَلْبِيْ مُشَرَّدٌ وَاعْفُ عَنِّيْ

وأنشدني لنفسه، وقد ورد عليه كتاب من بعض أصدقائه: [من الطويل]

وَلَمَّا تَرَاءَى لِيْ كِتَابُكَ مُقْبِلاً ... عَلَيَّ تَرَاءَتْ عَزَّة لِكُثَيِّرِ

وَخُيِّلَ لِيْ أَنَا بِأَكْنَافِ إِرْبِلِ ... وُقُوفٌ وَصَفْوُ العَيْشِ لَمْ يَتَكَدَّرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من السريع]

مَنْ رَامَ فِيْ نَيْلِ العُلاَ رُتْبَةً ... يَسْمُو عَلَى الدَّهْرِ بِهَا مِنْ مَنَالْ

يُصَرِّمُ السَّاعَاتِ مِنْ عُمْرِهِ ... فِيْ خِدْمَةِ المَوْلَى الوَزِيْرِ الجَلاَلْ

[٤٨٩]

عليُّ بنُ عبد الله بن الحسن / ٥٣ب/ بن الحسين بن أبي الفتحِ بنِ الحسَنِ بنِ أبيَ السّنانِ، أبو البركاتِ بنُ أبي محمدٍ[١] .

وقد مرَّ ذكر والده في موضعه وشعره[٢] .

وابنه هذا أبو البركات سمع الحديث كثيراً بالموصل وبغداد ودمشق وغيرها . وينظم الشعر، وله يد قوية في كتب النسب والحكميات والشروط؛ وعنده دعاو في نفسه كثيرة، ويتعاطى صنعة المنثور دون المنظوم، ويتبجح به، ويَعُد الشعر ليس بشيًء . ويزعم أنَّ له تصنيفًا قد حوى فيه جميع فنون العلوم .

وسمع الحديث وطلبه وقرأه على جماعة من المشايخ، وألّف أربعين حديثًا . وكان إذا طلبتُ شيئًا من شعره أجابني، يقول : الشعر أدنى مراتب السنى، وأسنى مراتب الدنى لمن وفى .

أخبرني أنه ولد سنة ثمانين وخمسمائة بالموصل . وتوفي في ربيع الأول ثامن عشر سنة سبع وثلاثين وستمائة فجأة، بعد أن صلّى صلاة الصبح .

وأنشدني لنفسه، وقد توجه إلى دار السلام وفَتّاهُ الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين، وشرفه بخلعة . ثم انه تزهد بعد ذلك، وصار جليس بيته، فعوتب على انفراده / ٥٤أ/ عن الناس، فقال : [من السريع]

---

(١) ترجمته في : تأريخ إربل ١/ ٤٠٤ وفيه : «علي بن الحَدَوْس : هو أبو البركات علي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الفتح بن أبي السِّنان الموصلي النخعي.
أنشدني له المبارك بن أبي بكر الموصلي، ومنها : [من الرجز]

بيـــــن ضُلـــــوعـــــي	نـــــارُ جـــــوَىً تضطَـــــرِمُ
أحبـــــابُنـــــا لـــــو علمـــــوا	بمـــــا نُـــــلاقـــــي منهُـــــم
تـــــوهَّمـــــوا أنّـــــي سلـــــو	تُ بئـــــسَ مـــــا تـــــوهَّمـــــوا
فمـــــا عليهـــــمْ سَهَـــــري	ولا رُقـــــادي لَهُـــــمُ»

وآل أبي السنان من أُسر الموصل المعروفة .

(٢) مرت ترجمته (عبد الله بن الحسن بن الحسين) في الجزء الثالث برقم ٢٤٧ .

قَـدْ عَلِـمَ الشَّـارِدُ وَالـوَارِدُ وَالمُسْتَقِيـمُ الحَـالِ وَالمَـايِـدُ
أَنِّـي امْـرُؤٌ نِلْـتُ مِـنَ النَّاصِـرِ الإِمَـامِ حَظًّـا جَـدُّهُ صَـاعِـدُ
مَـا نَـالَ مِـنْ هَـارُونَ مَعْشَـارَهُ فِـي عَصْـرِهِ يَحْيَـى وَلاَ خَـالِـدُ
أَصْبَحْـتُ وَالعَـادِلُ فِـي مُلْكِـهِ مُـرْتَعُنَـا فِـي بِـرِّهِ وَاحِـدُ

أراد بالعادل سيف الدين أبا بكر محمد بن أيوب بن شاذي ـ رضي الله عنه ـ وكان قد. . . من الناصر لدين الله فتوه وشرَّفه.

شُـرِّفَ تَشْـرِيفِـي وَلكِنَّـهُ لَـمْ تَـأْتِـهِ الطَّـرْحَـةُ وَالكَـاغَـدُ
كَـلاَّ وَلاَ لَمَّـا تَفَتَّـى بَـدَا لِعَيْنِـهِ كَـفٌّ وَلاَ سَـاعِـدُ
وَكُنْـتُ مِنْـهُ إِذْ جَـرَى مَـا جَـرَى كَقَـابِ قَـوْسَيْـنِ وَلِـي شَـاهِـدُ
وَقَـدْ تَـرَكْـتُ الكُـلَّ عَـنْ قُـدْرَةٍ وَالبَعْـضُ لاَ يَتْـرُكُـهُ وَاحِـدُ
عِلْمـاً بِـأَنَّ اللـهَ بَـاقٍ وَمَـا سِـوَاهُ فَـانٍ زَائِـلٌ نَـافِـدُ
فَكُـلُّ مَـنْ أَصْبَـحَ لِـي لاَئِمـاً فَـذَاكَ عِنْـدِي المُبْغِـضُ الحَـاسِـدُ

وقال في فخر الدين /٥٤ب/ أحمد بن محمد، وزير بغداد وقد بلغه على لسان قاضي القضاة ابن مقبل أنه ذكره في خدمة والده الوزير، وحرّضه على قضاء مهمه وإيصال رسمه إليه: [من البسيط]

ذُخْـرَ الـوَزَارَةِ فَخْـرَ الـدِّيْـنِ يَـا مَلِكـاً سَحَـابُ رَاحَتِـهِ قَـدْ أَخْجَـلَ السُّحُبَـا
يَـا منعمـاً. . . . الأَنْـوَاءِ نَـائِلُـهُ وَظَـلَّ عَـنْ قَـاصِـدِيْـهِ الفَخْـرُ مُحْتَجِبَـا
يَـا مَـنْ بَـدَا لِثِمَـارِ الحَمْـدِ مُجْتَنِيـاً وَمَـنْ غَـدَا لِصِفَـاتِ الـذَّمِّ مُجْتَنِبَـا
لَـوْ كُـلُّ جَـارِحَـةٍ مِنِّـي لَهَـا لُغَـةٌ تُثْنِـي عَلَيْـكَ لَمَـا أَدَّيْـتُ مَـا وَجَبَـا
وَكُنْـتَ أَعْجَـزَ عَـنْ إِدْرَاكِ الكَبِيـرَةِ مَـعْ أَنَّنِـي سَيِّـدُ المُنْشِيْـنَ وَالخُطَبَـا
وَكَيْـفَ يُحْصِـي خَطِيْـبٌ مِصْقَـعٌ لَسِـنٌ بِنَـاءَ مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ بِـالجُـوْدِ مُكْتَسِبَـا
مَـوْلاَيَ يَـا كَعْبَـةَ الجُـوْدِ الحَـلاَلِ وَمَـنْ لَـهُ سَمَـاءُ عَطَـاءٍ تُمْطِـرُ الـذَّهَبَـا
أَنْهَـى إِلَـيَّ عِمَـادُ الـدِّيْـنِ غَـرْسُكُـمُ قَـاضِـي القُضَـاةِ حَـدِيْثـاً هَـزَّنِـي طَـرَبَـا
مَعْنَـاهُ أَنَّـكَ حَـرَّضْـتَ الـوَزِيْـرَ عَلَـى إِنْجَـازِ وَعْـدٍ لَـهُ أَمْسَيْـتُ مُـرْتَقِبَـا
وَقُلْـتَ فِـيْ. . . كُـلَّ صَـالِحَـةٍ بِهَـا افْتِخَـارِيْ إِذَا أَصْبَحْـتُ مُنْتَسِبَـا

لاَ أَسْتَزِيدُكَ بَعْدَ اليَوْمِ عَارِفَةً حَسْبِي بِبَعْضِ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي حَسَبَا

وأنشدني لنفسه من قصيدة، / ١٥٥أ/ يمدحه أيضًا: [من الكامل]

مَوْلاَيَ فَخْرَ الدِّيْنِ يَا مَوْلَى عَلاَ هَامَ العُلاَ بِمَآثِرٍ وَمَفَاخِرِ
يَا مَنْ تَهُزُّ الأَرْيَحِيَّةُ عِطْفَهُ مَا بَيْنَ نَاظِمِ مَدْحِهِ وَالنَّاثِرِ
لاَ تَسْمَعَنْ شِعْرِي فَتَحْسَبَ أَنَّنِي أَرْضَى لِنَفْسِيَ أَنْ أُعَدَّ بِشَاعِرِ
عِنْدِي عُلُومٌ لَوْ كَشَفْتُ قِنَاعَهَا نَشَرَ الرَّبِيْعُ رِيَاضَهُ بِسَتَائِرِ
مَا الشِّعْرُ لَوْلاَ أَنَّهُ مَدَحُوا بِهِ المُسْتَنْصِرَ بْنَ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ
مَوْلَى بَشَائِرُ نَشْرِهِ وَضَّاحَةٌ عِنْدَ النَّوَالِ كَبَارِقٍ فِي مَاطِرِ

وأنشدني لنفسه، وقد سمع كلام أرسطاطاليس الحكيم، حين سئل عن الصديق، فقال: حيوان يوصف ولا يوجد، فنظم المعنى: [من الكامل]

وَمُحَاوِلٍ مِنِّي صَدِيْقًا صَادِقًا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ يُجِيْرُ وَيُسْعِدُ
قُلْتُ: اتَّئِدْ فَصِفَاتُ مَا قَدْ رُمْتَهُ مَوْجُوْدَةٌ لَكِنَّهُ لاَ يُوْجَدُ

وأنشدني له في أبي الفضل أحمد بن الوزير القمي أيضًا: [من الخفيف]

مَالِكَ الرِّقِّ وَالرِّقَابِ أَبَا الفَضْلِ مُغِيْثَ العُفَاةِ إِنْ قَصَدُوْهُ
/ ٥٥ب/ يَا مَلاَذَ القَرِيْبِ إِنْ جَارَ خَطْبٌ وَمَعَاذَ الغَرِيْبِ إِنْ قَصَدُوْهُ
عَجَبًا كَيْفَ لاَ تُرَاعِي حُقُوقَ الفَضْلِ فِي بَلْدَةٍ وَأَنْتَ أَبُوْهُ

[٤٩٠]

عليُّ بنُ نصر بن منصور بن نصر بن منصور بن الحسينِ، أبو الحسنِ بنُ أبي الفتحِ بنِ العطّارِ، الحَرانيُّ الأَصلِ(١).

هكذا ذكر لي وزعم: أنَّ جدّه ظهير الدين منصور بن نصر بن العطار، الذي كان يتولّى صدريّة المخزن في أيام المستضيء بأمر الله، وأخباره في أيام ولايته مشهورة

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ١٢٥ رقم ٩٩٧ وفيه: «علي بن نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق ابن العطار، الحراني الأصل، البغدادي المولد، التاجر. توفي ببغداد ليلة الثالث عشر من المحرم سنة أربع وستمائة، ودفن من الغد بباب حرب عند والده وأخوته». تأريخ ابن الدبيثي/ الورقة ١٦٩ (كمبردج). تاريخ ابن النجار/ الورقة ٥٨ (باريس).

بمدينة السلام؛ ولمّا جرى عليه ما جرى إنتقل ولده نصر الله إلى دمشق، وتأهل فأولد أبا الحسن هذا بدمشق.

وكانت ولادته يوم الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة. وسمع الحديث بها كثيراً من داود بن ملاعب، وأبي اليمن زيد بن الحسن الكندي وغيرهما. وعانى فن التصرّف والصناعة الحسابيّة، فبلغ في ذلك الغاية، وسافر إلى محروسة آمد، فتولّى النظر في ديوانها للملك المسعود مودود بن محمود بن أرتق بن سُكمان.

/ ٥٦أ/ أنشدني لنفسه بحلب، يمدح الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه بن محمد ـ صاحب حمص ـ في كسرته الثانية للخوارزميّة: [من الرمل]

قَدْ صَفَا الجَوُّ وَقَدْ رَقَّ النَّسِيْمُ ... وَتَبَدى لِلْرُّبَى وَجْهُ وَسِيْمُ

وَكَسَا هَامِيْ الحَيَا عَارِي الثَّرَى ... حُلَلاً خُضْراً لَهَا الزَّهْرُ رُقُوْمْ

وَبِهَا ثَغْرُ الأَقَاحِيْ بَاسِمٌ ... جَذَلاً لمَّا انْبَرَتْ تَبْكِيْ الغُيُوْمْ

وَعُيُونُ النَّرْجِسِ الغَضِّ إِذَا ... مَا رَنَتْ يُغْضِيْ لَهَا الطَّرْفُ السَّقِيْمُ

وَخُدُوْدُ الوَرْدِ قَدْ أَخجَلَهَا ... عِنْدَمَا قَبَّلَهَا الطَّلُّ السَّجُومُ

وَغِنَاءُ الطَّيْرِ فِيْ أَفْنَانِهَا ... وَارْتِقَاصُ الغُصْنِ إِنْ هَبَّ النَّسِيْمُ

فَانْتَبِهْ مُنْتَهِباً مَا قَدْ صَفَا ... لَكَ مِنْ عَيْشٍ فَمَا صَفْوٌ يَدُوْمْ

وَاجْتَلِيْهَا خَمْرَةً مَا خَامَرَتْ ... سِرَّ صَاحٍ فَسَرَتْ فِيْهِ الهُمُوْمْ

مِنْ يَدَيْ ظَبْيٍ ظُبَا أَلْحَاظِهِ ... أَيُّ قَلْبٍ مَا لَهَا فِيْهِ كُلُوْمْ

هُوَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ فَاعْجَبُوا ... كَيْفَ حَلَّ القَلْبَ وَالقَلْبُ جَحِيْمُ

بَدْرُ تَمٍّ قَدْ جَلاَ شَمْسَ ضُحًى ... مِنْ بَنَاتِ الكَرْمِ يَهْوَاهَا الكَرِيْمُ

قَهْوَةً رَاقَتْ وَرَقَّتْ وَصَفَتْ ... فَهْيَ كَالرُّوْحِ بِهَا تَحْيَا الجُسُوْمْ

/ ٥٦ب/ يَا لَهَا لَمَّا عَلاَهَا حَبَبٌ ... مِنْ عَرُوْسٍ تَاجُهَا دُرٌّ نَظِيْمُ

فَإِذَا طَافَ بِهَا تَبْدُو لَنَا ... فِيْ الدُّجَى شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَنُجُومُ

يَدْرَأُ الهَمَّ إِذَا دَارَ بِهَا ... إِنَّ خَطْبَ الهَمِّ فِيْ الجِسْمِ جَسِيْمُ

يَا خَلِيْلِي خَلِّ قَلْبِيْ وَالأَسَى ... إِنَّ دَائِيْ فِيْ الهَوَى دَاءٌ قَدِيْمُ

وَتَبَارِيْحُ الجَوَى لِيْ مَأْلَفٌ ... طَالَمَا أَسْهَرَنِيْ طَرْفٌ نَؤُوْمْ

كُــلُّ أَحْــوَال الهَــوَى مُــوْهِيَــةٌ   جلَــدٌ يَــرْحَــلُ أَوْ وَجْــدٌ يُقِيْــمُ
فَــأَجُــرْنِــيْ مِــنْ تَعَــدِّيْ جَــائِــرٍ   ظلْــتُ أَهْــوَاهُ وَقَــدْ يُهْــوَى الظَّلُــومُ
كَــمْ هِــزَبْــرٍ قَتَلَــتْ مُقْلَتُــهُ   عَجَبــاً يَفْتــكُ بــالآسَــاد رِيْــمُ
عَــدِّ عَنِّــي كَــأْسَــكَ المَــلاَ فَفِــيْ   قُــرْبِــهِ رَاحٌ وَرَوْحٌ وَنَعِيْــمُ
رِيْقُــهُ خَمْــرِيْ وَفُــوْهُ قَــدَحِــيْ   وَهْــوَ لِــيْ سَــاقٍ وَشَــادٍ وَنَــدِيْــمُ
مَــا لِقَلْبِــيْ فِــيْ سِــوَاهُ أَرَبٌ   إِنَّ فِــيْ مِثْــلِ هَــوَاهُ اللَّــوْمُ لُــوْمُ
مِثْــلَ مَــا لاَمَ الــوَرَى أَبْــرَاهِيْــمَ فِــيْ   بَــذْلِ مَعْــرُوفٍ بِــهِ يُثْــرِي العَــدِيْــمُ
نَــاصِــرُ الإِسْــلاَمِ وَالــدِّيْــنِ الَّــذِيْ   كُــلُّ قَلْــبٍ بِمَعَــالِيْــهِ يَهِيْــمُ
مَلِــكٌ عَــمَّ البَــرَايَــا عَــدْلُــهُ   وَبَــدَا لِلْــدِّيْــنِ نَهْــجٌ مُسْتَقِيْــمُ
نَصَــرَ اللــهُ بِــهِ الإِسْــلاَمَ مَــا   طَلَعَــتْ شَمْــسٌ وَمَــا هَــبَّ نَسِيْــمُ
/ ٥٧أ/ وَأَرَانَــا بِــأَعَــادِيْــهِ الَّــذِيْ   أَمَّلُــوا فِيْــهِ وَمَــا نَحْــنُ نَــرُوْمُ

[٤٩١]

عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ عليِّ بنِ أبي بكرٍ، أبو الحسنِ الموصليُّ.

شاب شدا طرفًا من الأدب على أبي العباس أحمد بن الحسين بن الخبّاز النحوي، وكتب بيده كتبًا أدبية، وتميّز وقال شعراً.

أنشدني لنفسه، وكتب لي بخطه، بمدينة الموصل: [من البسيط]

وَشَــادِنٍ صَــدَّ عَــنْ وَصْلِــيْ بِــلاَ سَبَــبٍ   وَلَــمْ يَــدَعْ هَجْــرُهُ صَبْــراً وَلاَ جَلَــدَا
تَجَمَّعَــتْ فِيْــهِ أَوْصَــافُ الجَمَــالِ فَقَــدْ   أَضْحَــى فَــرِيْــداً كَمَــا حُزْنِــيْ بِــهِ انْفَــرَدَا
أَمَــاجَ حِقْفَــاً ثَنَــى غُصْنــاً بَــدَا قَمَــراً   وَفَــاحَ مِسْكَــاً رَنَــا ظَبْيــاً سَطَــا أَسَــدَا
حَــازَ الجَمَــالَ كَمَــا حَــازَ الكَمَــالَ جَمَــالُ الــدِّيْــنِ خَيْــرُ الــوَرَى مَــنْ أَمَّــهُ سَعِــدَا
قُــسُّ الفَصَــاحَــةِ قَيْــسُ الــرَّأْيِ . . . علــيٌّ وَأَحْنَــفُ الحِلْــمِ عَمْــرُو البَــأْسِ مَعْــنُ نَــدَى
يَــا أَيُّهَــا الصَّــاحِــبُ الصَّــدْرُ الــوَزِيْــرُ وَمَــنْ   عَــدُّ المَنَــاقِــبِ مِنْــهُ يُغْنِــي العَــدَدَا
كُــنْ لِــيْ شَفِيْعَــاً إِلَــى مُــوْسَــى لأَنَّــكَ يَــا   خَيْــرَ البَــرِيَّــةِ خِضْــرُ الجُــوْدِ دُمْ أَبَــدَا
يَــا مَــنْ إِلَيْــهِ انْتَهَــى قَصْــدُ العُــلاَ وَسَمَــا   عَلَــى البَــرِيَّــةِ بِــالإِحْسَــانِ مُــذْ وُلِــدَا
/ ٥٧ب/ أَنْظُــرْ إِلَــيَّ بِعَيْــنِ مَــا نَظَــرْتَ بِهَــا   شَخْصــاً فَبَــاتَ يُعَــانِــيْ بَعْــدَهَــا كَمَــدَا

وَخُذْ بِضَبْعِي بِكَفٍّ مَا قَبَضْتَ بِهَا إِلاَّ اليَرَاعَ لِكَيْ أَلْقَى بِهَا الرَّشَدَا
فَالدَّهْرُ أَنْتَ فَمَنْ أَسْعَدْتَهُ سَعِدَا حَقّاً وَأَيُّ أَمْرِيءٍ أَضْهَدْتَهُ اضْطُهِدَا
فَاسْلَمْ وَدُمْ [يا] شَفِيعِي عِنْدَ مُرْتَحَلِي إِلَيْكَ حَتَّى أُلاَقِي عِيشَةً رَغَدَا

وقال: [من الطويل]

تَقُولُ وَقَدْ أَلْقَيْتُ فِي يَدِهَا يَدِي وَقَدْ أَشْهَدَتْ رَبَّ السَّمَاءِ عَلَى قَوْلِي
حَبِيبِي قَدْ بَانَ الَّذِي كَانَ خَافِيًا فَلاَ صَرَمَ الرَّحْمَانُ حَبْلَكَ مِنْ حَبْلِي

وقال: [من الطويل]

إِذَا مَا زَمَانُ السُّوْءِ مَالَ بِرُكْنِهِ عَلَيْنَا عَدَلْنَاهُ بِإِحْسَانِ إِسْحَاقِ
كَرِيْمُ المُحَيَّا لاَ يَضَنُّ بِمَالِهِ وَإِنْ تَرْجُ مِنْهُ البِرَّ جَادَ بِإِطْلاَقِ

وكتب هذه الأبيات إلى شيخه شمس الدين أبي العباس أحمد بن الحسين بن الخبّاز، وقد سخط عليه، وهي: [من مجزوء الرمل]

أَنْتُمُ مُلاَّكُ قَلْبِي إِغْفُرُوا بِاللهِ ذَنْبِي
إِغْفِرُوا ذَنْبِي [و] إِلاَّ مُتُّ فِي الحَالِ لِكَرْبِي
/٥٨أ/ إِنْ تَجَافَيْتُمْ وَحُلْتُمْ فَكَذَا حَظُّ المُحِبِّ
كَمْ تُطِيْلُوْنَ عَذَابِي بِصُدُوْدٍ وَبِعَتْبِ
وَأَنَا لاَ بُدَّ لِي مِنْكَ وَإِنْ سَاءَكَ قُرْبِي

وقال: [من البسيط]

لِلّهِ طِيْبُ زَمَانٍ قَدْ فَقَدْنَاهُ بِدَيْرِ قَسْرَى كَأَنَّا مَا عَرَفْنَاهُ
وَالكَأْسُ دَائِرَةٌ مِنْ كَفِّ ذِي هَيَفٍ مَمْلُوْءَةٌ بِفُنُوْنِ السِّحْرِ عَيْنَاهُ
يَخُصُّنِي بِمُدَامٍ شِبْهِ رِيقَتِهِ طَعْمًا وَيُشْبِهُهَا فِي اللَّوْنِ خَدَّاهُ

وقال: [من البسيط]

إِنِّي إِلَى وَصْلِ مَنْ أَهْوَاهُ مُشْتَاقُ وَنَارُ وَجْدِي لَهَا وَقْدٌ وَإِحْرَاقُ
بَدْرٌ لَهُ فِي فُؤَادِ الصَّبِّ مَنْزِلَةٌ وَمِنْ سَنَى وَجْهِهِ نُوْرٌ وَإِشْرَاقُ

وقال: [من الطويل]

وَلَمْ أَنْسَهَا إِذْ أَقْبَلَتْ حِيْنَ وَدَّعَتْ تَعَضُّ عَلَى المُشْتَاقِ مِنْ حَنَقٍ يَدَا

بَكَتْ فَتَلاَقَى ثَغْرُهَا وَدُمُوعُهَا فَلاَ . . . . مُنظماً وَمُبَدَّدَا

[٤٩٢]

عليُّ بنُ عبد السلام /٥٨ب/ بنِ يوسفَ بنِ موهوبِ بنِ القاسمِ، أبو الَحسنِ الَحسنيُّ(١).

هو من الحسنيّة قرية كبيرة مشهورة فوق الموصل من أعمالها(٢)، بها ولد ونشأ، وتفقه بمدينة السلام والموصل على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقرأ علم الأصولين والفرائض والحساب، ونظر في المسائل الخلافية، وقرأ شيئًا من علم الحكمة. وله شعر لم يكن على قدر معرفته وفضله. سافر إلى بلاد الشام ونزل دمشق فأقام بها قليلاً ـ وتوفي بها وذلك قبل الثلاثين وستمائة.

أنشدني لنفسه: [من البسيط]

سِرِّي بعشْقكَ يَا مَوْلاَيَ مُشْتَغِلُ فَلاَ عُرَاقٌ يُسَلِّينِي وَلاَ رَمَلُ(٣)
رفقًا [فـ] في بَعْض هَذَا الهَجْر يا سَكَنِيْ قَتْلٌ إذَا كُفَّ عَنْهُ الفعْلُ يَنْفَعِلُ
قَدْ كُنْتُ مُنْعكِفاً بالعلْم مُلْتَهِياً فَمُذْ هَجَرْتَ فَلاَ علْمٌ وَلاَ عَمَلُ
مَا كُنْتُ أحْسَبُ هَذَا الهَجْرَ مُتَّصِلاً وَاضَيْعَةَ العُمْرِ خَابَ السَّعْيُ وَالأمَلُ
إعْطِفْ عَلَى دَنِفٍ بالحُزْنِ مُنْفَرِدٍ ضَاقَتْ بِهِ الأرْضُ حَتَّى السَّهْلُ وَالجَبَلُ
غَرِيبُ دَارٍ نَحِيلُ الجِسْمِ ذُوْ سَقَمٍ نَائِي المَزَارِ غَزِيرُ الدَّمْعِ مُنْهَمِلُ
يَا عَاذِلِيْ فِيْ هَوَى مَنْ لاَ أفُوْهُ بِهِ مَهْلاً رُوَيْداً فَقَدْ ضَاقَتْ بِيَ الحِيَلُ
/٥٩أ/ بَدْرٌ أذَاقَتْ دَمِي عَمْداً لَوَاحِظُهُ وَقَدْ تَضَمَّنَ قَتْلِيْ الأعْيُنُ النُّجُلُ

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٧٥ نقلها عن القلائد: «ذكره ابن الشعار في كتاب عقود الجمان، وقال: كان فقيهًا شاعراً، وأنشد له:

تَرددادنا للولاة نخدمهم أشدّ من وطئنا على الحسَك
لا أحدٌ ترتجي عواطفه من سوقة في الأنام أو مَلك
ونحن في نظرة الزمان عسى تلحظنا دورةٌ من الفلَك»

وفيه وفاته بدمشق سنة ست وعشرين وستمائة.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (الحسنية).

(٣) العُرَاق: المطر الغزير. الرمل: المطر القليل، ولعلهما المرادان.

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

يَا شَاتمِي وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى أَمَلِي ... وَطَارِدِي وَلَهُ رُوحِي وَجُثْمَانِي

بَلَغْتُ فِيكَ نِهَايَاتِ الهَوَى وَصَفَتْ ... لَكَ الضَّمَائِرُ فِي سِرِّي وَإِعْلاَنِي

فَمَا يَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ تُوَاصِلَنِي ... وَلاَ يَحُطُّكَ تَعْذِيبِي وَهِجْرَانِي

وَقَدْ وَهَبْتُ لَكُمْ عِرْضِي بِأَجْمَعِهِ ... فَمَا أُبَالِي بِإِعْزَازِي وَاهْوَانِي

[٤٩٣]

عليُّ بنُ عدلانَ بنِ حمّادِ بنِ عليٍّ، أبو الحسنِ النحويُّ الموصليُّ(١).

أخذ علم النحو والعربية عن جماعة من أدباء الموصل؛ ثم رحل إلى مدينة السلام، فصحب الشيخ أبا البقاء عبد الله بن الحسين النحوي العكبري، ولازمه واشتغل عليه مُدّة إلى حين وفاته، وتميّز في هذا الفن على أبناء جنسه.

وهو فاضل حسن الكلام في المسائل النحوية، جيد المناظرة محقق له أشعار لا توازي معرفته، ويحفظ جملة من ملح أشعار أهل زمانه ونوادرهم.

أخبرني أنَّه ولد /٥٩ب/ بالموصل في الخامس والعشرين من جمادى الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

أنشدني كثيراً من شعره ومما أنشدني لنفسه من قصيدة يعتذر فيها إلى مجد الدين الحارث البهسني، عاتبه فيها، وعن قصور لفظها، وأول غزلها: [من الطويل]

لِسَانُ زَفِيرِي بِالصَّبَابَةِ مُعْرِبُ ... فَمَاذَا الَّذِي يُخْفِي الفُؤَادُ المُعَذَّبُ

---

(١) في هامش الأصل: «توفي بالقاهرة في تاسع شهر شوال سنة ست وستين وستمائة».

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٠٨ ـ ٣١٤ رقم ٢٠٤ وفيه: «توفي سنة ست وستين وستمائة». ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٩٢. فوات الوفيات ٢/ ١٢١ ـ ١٢٤ رقم ٣٤٣. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٦. بغية الوعاة ٢/ ١٧٩ رقم ١٧٣٧. عقود الجمان للزركشي ٢١٥. إيضاح المكنون ٢/ ١١٢. فهرس المخطوطات المصورة ١/ ٣٧٩ وهو فيها: «علي بن حماد بن عدلان، خلافًا لسائر المصادر». معجم المؤلفين ٧/ ١٤٩. السلوك ١/ ق٢/ ٥٧٢ وفيات سنة ٦٦٦هـ. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٦١ ـ ٦٧٠) ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ رقم ٢١٢. عيون التواريخ ٢٠/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤. عقد الجُمان ٣٧. تاريخ الخلفاء ٤٨٣. بدائع الزهور ج١/ ق١/ ٣٣٠. معجم المؤلفين ٧/ ١٤٩. إيضاح المكنون ٢/ ١١٢. الأعلام ٤/ ٣١٢.

ويقول في مديحها:

فتًى نَهْتَدِيْ عِنْدَ الظَّلَامِ بِذِكْرِهِ ... كَأَنَّ اسْمَهُ فِيْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ كَوْكَبُ
فَإِنْ يَكُ فِيْ حَرَّانَ قَصَّرَ خَاطِرِيْ ... قَدِيْمًا فَقَدْ يَنْبُو الحُسَامُ المُجَرَّبُ

ومنها:

فَخُذْ هَذِهِ العَذْرَاءَ عُذْرًا وَطَالَمَا ... تَنَصَّلَ مِنْ قُبْحِ الجَرِيْرَةِ مُذْنِبُ
عَقِيْلَةُ فِكْرٍ عُمْرُهَا بَعْضُ لَيْلَةٍ ... إِلَى رَبِّهَا يُعْزَى البَيَانُ وَيُنْسَبُ
فَقَدْ هَاجَهَا مِنْ حُسْنِ جَاهِكَ سَالِفٌ ... قَرِيْبٌ مِنَ العَافِيْ إِلَى العَبْدِ أَقْرَبُ
وَلَيْسَ لِنَظْمِيْ فِيْهِ فَضْلٌ وَإِنَّمَا ... صِفَاتُكَ مَجْدَ الدِّيْنِ تُمْلِيْ وَأَكْتُبُ

[٤٩٤]

عليُّ بنُ عثمانَ بن المجلّي / ١٦٠أ/ بن عليٍّ، أبو الحسنِ الجزريُّ الواعظُ، الشاعرُ المعروفُ بابنِ دُنَيَنَة[١].

من أهلِ الجزيرةِ العُمريّة[٢].

أخبرني أنه ولد بها يوم الأثنين ثاني عشر المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. وختم الكتاب العزيز بها على أبي الحسن علي بن محمد بن الكرّاية.

أنفد عمره في السفر والتغرّب، وقطع البلاد جالس العلماء، وخالط الفضلاء ورأى الكبراء، واسترفد الملوك والأمراء. قرأ الوعظ على أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، وتفقه على الشيخ أبي طالب بن الخل على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وسمع الحديث على أبي الفتح محمد بن أحمد المندائي، فقال شعراً كثيراً.

شاهدته بمدينة إربل في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وستمائة، فرأيته ذا محاضرة ومفاكهة؛ من أخف الناس روحًا، وأطيبهم مزاحًا. ثم رحل إلى البلاد

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٢٩٩ وفيه: «توفي بين قارا والنَّبْك سنة تسع وعشرين وستمائة». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٣٦١ ـ ٣٦٢ رقم ٥٣٢.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (جزيرة ابن عمر).

الشامية، وخبرت أنَّه توفي ما بين القارة والنّبك من أرض دمشق سنة تسع وعشرين وستمائة.

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

صَوِّرْ لنَفْسِكَ مَا تَرَاهُ غَداً بِثَرَاهُ جِسْمُكَ عِنْدَ مَقْبَرِهِ
/٦٠ب/ فَالشَّيءُ يَعْلُو لاَ بِمَنْظَرِهِ عِنْدَ التَّفَقُّدِ لاَ بِمَخْبَرِهِ
وَالمَرْءُ مُعْتَبَرٌ بِأَصْغَرِهِ عِنْدَ الحَقَائِقِ لاَ بِأَكْبَرِهِ
مَا يَنْفَعُ الرَّاقِي بِلاَ قَلبٍ .... يَعِظُ الأَنَامَ عُلُوُّ مِنْبَرِهِ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من البسيط]

جَدَّ التَّرَحُّلُ عَنْ أَرْضِ الجَزِيْرَةِ لِي يَوْمًا وَخَلَّفَ قَلْبِيْ وَالمُنَى فِيْهَا
يَبْغِيْ هَوَى أَرْضِ مَيَّافَارِقِيْنَ وَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّ هَوَى قَلْبِيْ مُنَافِيْهَا

[٤٩٥]

عليُّ بنُ يونسَ بنِ سالمِ بنِ عليٍّ، أبو الحسنِ، المجلدُ الموصليُّ.

كانت ولادته ـ فيما أخبرني من لفظه ـ على مضي ثلاث ساعات من الليلة المسفرة عن صباح يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

كان والده يعرف بالصدر المجلد. وكان منجمًا يُشار إليه في معرفة التنجيم؛ وأبو الحسن هذا ولده حفظ القرآن الكريم، ونظم الشعر، وله طبعٌ في عمله.

وهو شاب كيِّس، خفيف الروح، طيبُ المزاج، حسن الخلق، تام المروءة، حسن /٦١أ/ العشرة؛ له مؤلفات لطيفة منها: «كتاب الجوهرة الفذّة من جوامع اللذّة».

أنشدني لنفسه يمدح المولى المالك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين تاج الملوك والسلاطين بهلوان جهان سيد الأمراء شرقًا وغربًا أبا الفاصل غرس أمير المؤمنين ـ ضاعف الله مجده وقرن التوفيق حله وعقده ـ ويصف داره

المعمورة التي أنشأها واستجدها، المطلة على دجلة ـ عمرها الله بطول بقائه بمحمد وآله ـ:

[من البسيط]

العِزُّ وَالنَّصْرُ وَالتَّأْيِيْدُ وَالظَّفَرُ ... وَالدَّهْرُ وَالمُلْكُ وَالأَمْلاَكُ وَالقَدَرُ

وَالسَّعْدُ وَالجَدُّ وَالإِقْبَالُ وَالفَلَكُ الأَعْلَى وَمَنْ تَحْتَهُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ

خُدَّامُ بَابِلِ بَدْرَ الدِّيْنِ يَا مَلِكًا ... أَبَتْ مَعَالِيْهِ أَنْ يَأْتِي بِهَا البَشَرُ

مُسَارِعِيْنَ إِلَى أَمْرٍ تَفُوْهُ بِهِ ... طَوْعًا وَكَرْهًا عَلَى إِبْرَامِهِ جُبِرُوا

أَبَا الفَضَائِلِ بَدْرَ الدِّيْنِ لاَ بَرِحَتْ ... رَايَاتُ جَيْشِكَ فِي الآفَاقِ تَنْتَصِرُ

فُقْتَ المُلُوْكَ فَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ مَلِكٍ ... إِلاَّ وَأَنْتَ لَدَيْهِ السَّمْعُ وَالبَصَرُ

كَمْ سِيْرَةٍ لَكَ بَاتَ الدَّهْرُ مُبْتَسِمًا ... مِنْهَا وَكَمْ نُسِخَتْ مِنْ أَجْلِهَا السِّيَرُ

سُسْتَ الرَّعِيَّةَ بِالعَدْلِ الَّذِيْ قَصُرَتْ ... عَنْهُ عَزَائِمُ كِسْرَى وَادَّعَى عُمَرُ[(١)]

/٦١ب/ يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَمْنُوْعُ جَانِبُهُ ... إِلاَّ لِمُسْتَرْفِدٍ أَوْ مَنْ بِهِ ضَرَرُ

أَنْتَ الَّذِيْ مَلأَ الأَقْطَارَ نَائِلُهُ ... وَبَأْسُهُ فَهْوَ فِي الحَالَيْنِ يُنْتَظَرُ

وَجُدْتَ بِالمَالِ حَتَّى لَمْ تَدَعْ أَحَداً ... بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ إِلاَّ عِنْدَهُ أَثَرُ

وَصُلْتَ حَتَّى تَرَكْتَ الأُسْدَ طَاوِيَةً ... كَأَنَّ لَيْسَ لَهَا نَابٌ وَلاَ ظُفُرُ

وَقَدْ غَدَا حَيَوانُ البَرِّ مُصْطَحِبًا ... السَّخْلُ وَالذِّئْبُ وَالغِزْلاَنُ وَالنَّمِرُ

وَقَدْ أَرَحْتَ رَسُوْلَ اللهِ مِنْ فِكَرٍ ... كَانَتْ عَلَى وُلْدِهِ فِي الصَّدْرِ تَعْتَكِرُ[(٢)]

---

(١) في هامش الأصل: «هذا الشعر من سوء الأدب . . . لزعمه أن ممدوحه الحقير الذليل قد بلغ بنفسه في العدل رتبة تقصد عنها دعوى عمر ـ رضي الله عنه ـ لأنه إن أراد به حضرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقد كذب في هذا. . . . واستحق التعزير لو كان حيًا، والشيخ. . . . زعم أن حضرة الفاروق كان مدعيًا للعدل وليس كما. . . . دعوى ثابتة، حاشى وكلا بل هو مؤسس العدل ومنشئه، ومن هذا الممدح، فقد يبلغ في العدل شسع نعله وإذا أراد به عمر بن عبد العزيز فقد أساء الأدب أيضًا على جناب ذلك التابعي الجليل الذي أجمعت الأمة على أنه خامس الخلفاء الراشدين، فقبح الله شاعراً سفيهاً أطال لسانه على الصحابة والتابعين.

اللهم إجعلنا بحرمتهم من المقولين، واجعلهم في القيامة لنا شافعين. محمد أمين الموصلي».

(٢) في هامش الأصل: «هذا الشعر أيضًا من قلة الحياء والأدب والوقاحة التي توجب الذم عند كل أديب منتخب. . . ممدوحه الذي هو مملوك تركي من أبناء العجم. قد أراح النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحقر من ذلك وأقل، بل اللائق في التعبير لو كان هذا الشاعر موفقًا. . . المقال أن يكون هكذا:

وقـد قـدمـت رسـول الله منسبـا ... لتـربـة. . . . خـل بـه الأكـوان مفتخـر

محمد الموصلي»

يَا أبْنَ الَّذِيْنَ عَنَتْ صِيْدُ المُلُوكِ لَهُمْ ... وَبَاتَ جَارُهُمْ لِلْدَهْرِ يَنْتَهِرُ
مِنْ كُلِّ مُقْتَدِرٍ بِالعِزِّ مُشْتَمِلٍ ... بِالسَّيْفِ مُنْتَقِمٍ بِالرَّأْيِ يَنْتَصِرُ
كَمَا اشْتَهَوا خُلِقُوا! ، بِيْضٌ وُجُوهُهُمُ ... حُمْرٌ سُيُوفُهُمُ، أَفْعَالُهُمْ غُرَرُ
بَنُو العَلاَءِ هُمْ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... لاَ يَسْتَفِزُّهُمُ خَمْرٌ وَلاَ خَمَرُ(١)
لاَ يَغْضَبُونَ وَلاَ يَغْتَالُهُمْ نَدَمٌ ... عَلَى العَطَاءِ وَإِنْ نَالَ امْرُؤٌ غَفَرُوا
مِثْلُ العَبِيْدِ لَدَى أَضْيَافِهِمْ كَرَمًا ... وَيَسْجُدُ المَلِكُ الجَبَّارُ إِنْ ذُكِرُوا
هُمْ غُيُوثُ الوَرَى وَالقَحْطُ مُسْتَعِرٌ ... وَهُمْ لُيُوثُ الوَغَى وَالسُّمْرُ تَشْتَجِرُ
لاَ يَعْرِفُونَ مَفَرًّا مُنْذُ خَلْقِهِمُ ... كَمَا مَعَارِفُهُمْ فِي غَيْرِهِمْ نُكُرُ
عَلَوْتَهُمْ مَلِكَ الدُّنْيَا وَلاَ عَجَبٌ ... إِنَّ العُرُوقَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ
/ ١٦٢أ/ كَمَا عَلَتْ دَارُكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... فَمَا لَنَا غَيْرُهَا حَجٌّ وَمُعْتَمَرُ
دَارٌ لَهَا جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ حَاسِدَةٌ ... وَدَمْعُ مَكَّةَ فِي الخَدَّيْنِ مُنْهَمِرُ
وَالقُدْسُ قَدْ بَاتَ مَتْبُولَ الفُؤَادِ بِهَا ... وَغَيَّرَتْ شَخْصَهُ الأَحْزَانُ وَالفِكَرُ
وَبَاتَ قَلْبُ دِمَشْقَ وَهُوَ مُنْصَدِعٌ ... وَكَادَ جَامِعُهَا بِالغَيْظِ يَنْفَطِرُ
كُلٌّ لَهَا حَاسِدٌ إِذْ أَنْتَ سَاكِنُهَا ... وَمَا عَلَى عَاشِقٍ لِلْبَدْرِ مُعْتَبَرُ
وَدُمْيَةُ القَصْرِ لَمْ تَجْمَعْ مَحَاسِنَهَا ... مَا قَدْ حَوَتْهُ الدُّمَى فِيْهَا وَلاَ الصُّوَرُ
دَارٌ تَقَاصَرُ دَارًا عَنْ عِمَارَتِهَا ... وَلَوْ رَآهَا بَنُو مَرْوَانَ مَا عَمَرُوا
تُرَابُهَا المِسْكُ وَالكَافُوْرُ جَنْدَلُهَا ... وَالمَنْدَلُ الرَّطْبُ أَبْوَابًا لَهَا ادَّخَرُوا
عَزَّ البَلاَطُ بِهَا مِنْ بَعْدِ ذِلَّتِهِ ... وَبَاتَ فِيْهَا عَلَى اليَاقُوتِ يَفْتَخِرُ
كَأَنَّهَا قُبَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ خُلِقَتْ ... وَقَدْ جَرَى التِّبْرُ فِيْهَا وَهْوَ مُعْتَذِرُ
فَرِيْدَةٌ مَا لَهَا مِثْلٌ كَصَاحِبِهَا ... فَكُلُّ قَصْرٍ وَقَيْلٍ خَدُّهُ صَعَرُ
كَعَرْشِ بَلْقِيْسَ إِلاَّ أَنَّهَا جَبَلٌ ... وَحُسْنِ يُوْسُفَ إِلاَّ أَنَّهَا حَجَرُ
فِيْهَا الرَّبِيْعُ مُقِيْمٌ لاَ يُفَارِقُهَا ... وَكُلَّ يَوْمٍ لَدَيْهَا الجُوْدُ يَنْهَمِرُ
وَكُلُّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُ اللَّبِيْبِ بِهَا ... وَمَا عَلَى مُجْتَنِي أَزْهَارِهَا حَذَرُ

---

(١) الخَمَر: جماعة الناس وزحمتهم، ولعله المراد.

فَالوَرْدُ وَالبَلْخُ وَالخَيْرِيُّ مُشْرِقَةٌ ... وَالبَانُ والطَّلْحُ وَاللَّبْلاَبُ والسَّمُرُ(١)
/ ٦٢ب/ والشاهفسرمُ والكَافُورُ وَالبَرَمُ الرُّومِيُّ وَالوَرْدُ والحَوْذَانُ والشقر
وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ وَالنَّمَّامُ قَدْ بهتَا ... إلَى البَنَفْسَج وَالنِّسْرِيْنُ مُنْبَهِرُ
وَالقَبْجُ وَالصَّعْوُ وَالدراَّجُ رَاتِعَةٌ ... وَالرزخُ وَالوَزُّ وَالطَّاوُسُ وَالنُّفَرُ
وَالكَمُّ وَالتَّمُ وَالعنّارُ طَائِرَةٌ ... وَالبَانُ والصَّقْرُ والشَّاهِيْنُ وَالنَّسْرُ
وَاللَّيْثُ وَالبَبْرُ وَالسِّرْحَانُ ضَارِبَةٌ ... وَالرُّبْدُ وَالعِيْنُ وَالآرَامُ وَالعُفُرُ
وَالرَّوْضُ وَالعُشْبُ وَالأَنْهَارُ جَارِيَةٌ ... وَالسُّفْنُ وَالدَّوْحُ وَالأَطْيَارُ وَالغُدُرُ
وَالجَنْكُ وَالدَّفُّ وَالعِيْدَانُ ضَارِبَةٌ ... وَلَيْسَ يُسْمَعُ لاَدفٌّ وَلاَ وَتَرُ
وَكَمْ قِيَان بهَا مثْلَ الشُّمُوس وَكَمْ ... حَوْرَاءَ مِنْ بَعْض أَوْصَاف لَهَا الحَوَرُ
وَكَمْ نَدِيْم بهَا وَالكَأسُ فِيْ يَده ... كَأَنَّهَا جَمْرَةٌ فِي الكَفِّ تَسْتَعِرُ
وَكَمْ بهَا مِنْ رُمَاة لَمْ يَطِشْ لَهُمُ ... سَهْمٌ وَمِنْ قَانِص لَمْ تَحْوه الحُفَرُ
مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللهُ العَظِيْمُ بهَا ... فِيْ البَرِّ وَالبَحْرِ إلاّ أنَّهَا صُوَرُ
وَبِرْكَة طَفَحَتْ عَيْنُ الحَيَاة بهَا ... لَمَّا اسْتَقَرَّ لَدَيْهَا أَنَّكَ الخَضِرُ
كَأَنَّهَا مُقْلَةٌ للْحبِّ نَاظِرَةٌ ... يَجْرِي بهَا المَاءُ مَطْوِيٌّ وَمُنْتَشِرُ
دَارٌ كَبَاعكَ مَا فِيْ طُوْلهَا قِصَرٌ ... وَعَرْضُهَا مَا به ريْعٌ وَلاَزَوَرُ
قَدْ حَلَّت الأَبْرُجُ العُلْيَا بسَاحَتهَا ... وَمَا بهَا مِنْ زُجَاح أَنْجُمٌ زُهُرُ
/ ٦٣أ/ كَأَنَّمَا اسْمُكَ فيْهَا دُرَّةٌ نُصبَتْ ... فِيْ مَفْرِق التَّاج أَوْ رَوْضٌ به زَهَرُ
فَانهَضْ وَسرْ وَامْلك الدُّنْيَا فَأَنْتَ بهَا ... أَوْلَى وَمَا كُلُّ عُوْد رِيْحُهُ عَطِرُ
فِيْ جَحْفَل لَجبٍ ضَاقَ الفَضَاءُ به ... فَمَا لآخره عنْدَ الأُلَى خَبَرُ
لَوْ ظَلَّ أَلْفٌ مِنَ البُلْق الجيَاد به ... وأنشدت ظَلّ . . . .
لَوْ حَارَبُوا الجنَّ مَا بَالَوا بكَثْرَتهمْ ... وَلَوْ رَمَتْهُمْ صُرُوْفُ الدَّهْر مَا انْزَجَرُوا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مَا فِيْ عَيْنه أَحَدٌ ... كَأَنَّهُ المَوْتُ لاَ يُبْقِيْ وَلاَ يَذَرُ
يَرَى المَنُونَ فَيَهْوِيْ نَحْوَهَا طَمَعًا ... فِيْ سَلْبهَا وَالمَنَايَا سَلْبُهَا خَطَرُ
يَهْوُونَ للْمَوْت إلاّ فَوْقَ فُرْشهمُ ... كَأَنَّ فُرْشَهُمُ عَارٌ به اتَّزَرُوا

(١) السمر: شجر من العضا.

تَـرَاهُـمْ وَالمَنَـايَـا حَـوْلَهُـمْ صُبُـر طـول الـرِّمَـاح وَفـي أَعْمَـارهـمْ قِصَـرُ
إنْ زُوحِمُـوا ازْدَحَمُـوا أَوْ قُـوتِلُـوا قَتَلُـوا أَوْ طُـوعِنُـوا طَعَنُـوا أَوْ كُـوثِـرُوا كَثُـرُوا
أَوْ بَـاهَلُـوا بهلُـوا أَو اجْتُـدُوا بَـذَلُـوا أَوْ شُـورِفُوا أشْـرَفُـوا أَوْ فُـوخِـرُوا فَخَـرُوا
مَـوْلَـى البَـرِيَّـة مِـنْ عُجْـم وَمِـنْ عَـرَب بِـذَاكَ يَشْهَـدُ فِينَـا البَـدْوُ وَالحَضَـرُ
يَـؤُمُّهُـمْ مَلِـكٌ مَـا مِثْلُـهُ مَلِـكٌ أَبُـو الفَضَـائِـلِ بَـدْرُ الـدِّيْـن يبْتَـدرُ
هُـوَ الـزَّمَـانُ فَـلاَ نَفْـعٌ وَلاَ ضَـرَرٌ إلاَّ إذَا شَـاءَ فَهْـوَ النَّفْـعُ والضَّـرَرُ
مُفَـرِّجُ الكَـرْبَـة الكُبْـرَى بعَـزْمَتـه فَـالـدَّهْـرُ مِـنْ جُنْـده وَالنَّصْـرُ وَالظَّفَـرُ
/ ٦٣ب/ مَن احْتَمَى بـاسْمـه لَمْ يُلْفـه ضَرَرٌ طُـولَ الحَيَـاة وَلَـمْ يُلْمِـمْ بِـه حَـذَرُ
القَـاتِـلُ الجَـدْبَ وَالأَنْـوَاءُ مُمْسِكَـةٌ مُحْيِـي الـوَرَى بَعْـدَمَـا بـالفَقْـرِ قَـدْ دُثِـرُوا
المُشْتَـرِيْ الحَمْـدَ بـالأَمْـوَال لاَ مَكْـسٌ فيْـه وَلاَ فـيْ نَفَـادِ المَـالِ يفْتَكِـرُ
لاَزَالَ فـيْ عِـزِّ مُلْـكٍ لاَ نَفَـادَ لَـهُ وَصَفْـوِ عَيْـشٍ نَعِيْـمٍ مَـا بِـه كَـدَرُ

وأنشدني لنفسه ما كتبه من الموصل إلى إربل يتشوق صديقًا له: [من الطويل]

سَـلاَمٌ كَنَشْـرِ المِسْـك تَفْتقُـهُ الصَّبَـا عَلَى سَاكن الغَرَّاء فيْ الجَانب الغَرْبيْ
عَلَـى جيْـرَة جَـارَ الـزَّمَـانُ بِبُعْـدهـمْ فَلَـمْ أحْـظَ إلاَّ بـالـرَّسَـائِـلِ وَالكُتْـب
أُنَـاس أَعَـارُوا الـدَّهْـرَ بَهْجَـةَ نُـوْره وَقَـامُـوا مَقَـامَ العتب فـيْ البَلَـد الجَـدْب
سَمَـوا بعَلـيٍّ ذيْ المَفَـاخـر وَالعُـلاَ جَـوَادٌ إذَا الأَنْـوَاءُ ضَنَّـتْ بهَـا السُّحْـبُ
بَـديْـعُ المَعَـالـيْ وَالمَعَـانـي وَالـوَفَـا لَـهُ عَـرْفُ ذِكْـرٍ فَـاقَ للْمَنْـدَلِ الـرَّطْـب
شَمَـائلُـهُ أَحْلَـى مِـنَ الأَمْـنِ كُلَّمَـا تَـذَكَّـرْتُهَـا لَـمْ أَخْشَ مِنْ فَادح الخَطْب
أبَـا حَسَـنٍ إنِّـيْ إلَيْـكَ لَشَـائـقٌ وَفيْ الشَّوْق مَا يُلْقيْ المُحبَّ إلَى الكَرْب
سَعَـادَةُ لَفْظـيْ دُوْنَ حَظِّـيْ بـوِرْدهَـا عَلَيْـكَ وَمُلْقَـى ذَلِـكَ الخُلُـقِ العَـذْب
سَـأَقْضـيْ وَمَـا أَقْضـيْ لَـذَاذَةَ مَنْظَـرٍ إلَـى بَلَـدٍ أَسْكَنْتَـهُ هَيْـأَةَ القُطْـب

/ ٦٤أ/ وأنشدني لنفسه وقد عاين مشهد سُرَّمن رأى ـ على ساكنيها أفضل السلام ـ: [من السريع]

مَـوْلاَيَ يَـا صَـاحِـبَ الـزَّمَـان وَمَـنْ عَلَيْـه بَعْـدَ الإلَـه مُتَّكَلـيْ
كُـنْ [لِـيْ] شَفِيْعًـا إلَـى النَّبـيِّ عَسَـى يَـوْمَ مَعَـادِيْ فِـيْ الحَشْرِ يَشْفَـعُ لِـيْ

وأنشدني قوله : [من مجزوؤ الوجز]

يَـــا بَــــدْرَ تَــــمٍّ مُشْـــرِق ۝ مِــــنْ فَــــوْق غُصْــــن نَــــاضِــــرِ
أَذْبَــــتَ رُوْحِــــي بِــــالجَفَــــا ۝ فَقَــــدْ جَــــرَتْ مِــــنْ نَــــاظِــــرِيْ
رِفْقًــــا بِصَــــبٍّ مُــــذْنَــــفٍ ۝ فِــــي الحُــــبِّ غَيْــــرِ صَــــادِرِ
وَبَــــاتَ مِــــنْ دُمُــــوْعِــــهِ ۝ فِــــي لُــــجِّ بَحْــــرٍ زَاخِــــرِ
أَمَــــا لِهَــــذَا الهَجْــــرِ يَــــا ۝ كُــــلَّ المُنَــــى مِــــنْ آخِــــرِ
كَــــمْ مِــــنْ دَمٍ سَفَكْتَــــهُ ۝ فِــــي النَّــــاسِ بِــــالمَحَــــاجِــــرِ
وَلَــــمْ تَخَــــفْ فِــــي قَتْلِهِــــمْ ۝ بَطْــــشَ قَــــوِيٍّ قَــــاهِــــرِ
مِــــنْ أَجْــــلِ ذَا سَمَّــــوْكَ مَــــا ۝ بَيْنَهُــــمُ بِــــالقَــــاهِــــرِ

[٤٩٦]

عليُّ بنُ أبي القاسم بن عليٍّ / ٦٤ب/ بن أبي القاسم بن عليِّ بن ياسين بن غنيمةَ بنَ ياسين بن عليِّ بنِ ضو، أبو الحسنِ المحرزيُّ الإربليُّ، المَعروفُ بدُخَينَةَ .

كانت ولادته باربل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وتوفي بها في تاسع عشر رمضان سنة إحدى وعشرين وستمائة .

وكان ينتمي إلى علم الأدب والعربية، وقرأ منه أنموذجًا صالحًا، ونقله نقلاً صحيحًا . وكان يعترض على النحاة في أقوالهم، ويغلطهم في المسائل النحوية، ويخطئهم فيها، ولا يثبت لأحد منهم شيئًا ولا يرى أحداً منهم فوقه في هذا العلم . وكان يقول شعراً غثًا، ونظمًا بارداً، مضطرب الأوزان غير مستقيم ؛ ومع ذلك كان يدعي أنه أعرف الناس بالعروض والقوافي، وفنون الأدب .

رأيته غير مرة في الموصل، وأنشدني جميلة من نظمه، غير أني لم أضبطه عنه، لكني حفظت له بيتين قالهما على معنى هذين البيتين ووزنهما : [من الكامل]

إِحْــذَرْ مُصَــاحَبَــةَ السَّفِيْــهِ فَــإِنَّهَــا ۝ تُعْــدِي كَمَــا يُعْــدِيْ الصَّحِيْــحَ الأَجْــرَبُ
مَــا يَنْفَــعُ الجَــرْبَــاءَ قُــرْبُ صَحِيْحَــةٍ ۝ مِنْهَــا وَلَكِــنَّ الصَحِيْحَــةَ تَجْــرَبُ

فنسج على هذا المنوال: [من الكامل]

/ ٦٥أ/ إحْذَرْ مُصَاحَبَةَ السَّفِيْهِ لأَنَّهَا ... تُرْدِي كَمَا يُرْدِي العَقُورُ الأَكْلَبُ
مَا يَنْفَعُ السُّفَهَاءَ قُرْبُ ذَوِي الحِجَى ... بَلْ مِنْهُمُ العُقَلاءُ شَرّاً تَكسِبُ

[٤٩٧]

عليُّ بنُ محمَدَ بنِ حمّاد بنِ أحمدَ بن عبد الله بن الحسينِ، أبو الحسنِ السعَديّ الموصَليّ، المعروفُ بالجَارود السقاء.

كان شيخًا طويلاً أسمر لطيفًا مقبولاً، صاحب نوادر ومضحكات، فكه المحاضرة يورد الحكايات الرائقة، ويحفظ جملة من الأشعار الفائقة، ينشدها في مجالس الأنس. وكان الناس يستحلون ألفاظه، ويميلون إليه.

ومات بالموصل يوم الإثنين لسبع بقين من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ودفن غربها بمقبرة المعافى بن عمران ـ رحمه الله ـ. وكان يكتب بالماء من فم القربة خطًا واضحًا ويشكل ما يكتبه وينقطه ما يعجز غيره أن يضارعه بخط العلم.

أنشدني لنفسه يمدح المولى المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين شرف الملوك والسلاطين محيي العدل / ٦٥ب/ في العالمين أبا الفضائل غرس أمير المؤمنين ـ أعز الله أنصاره وأعلى مناره ـ: [من الطويل]

رُبُوعٌ لِهِنْدٍ دَارِسَاتٌ رُسُومُهَا ... سَقَتْهَا عِهَادٌ لاَ تَغِبُّ غُيُومُهَا
رُبُوعٌ لِغِزْلاَنِ الصَّرِيْمِ مَلاَعِبٌ ... بِأَرْجَائِهَا أَقْفَرْنَ مُذْ بَانَ رِيْمُهَا
وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَفِي القَلْبِ لَوْعَةٌ ... عَلَى طِيْبِ أَيَّامٍ تَقَضَّى نَعِيْمُهَا
وَمَا رَحَلُوا إلاَّ وَبَيْنَ جَوَانِحِي ... لِرِحْلَتِهِمْ نَارٌ مُقِيْمٌ جَحِيْمُهَا
أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الحِمَى وَبُرُوْدِهَا ... إِذَا فَتَّحَ النُّوْرَ الأَرِيْجَ نَسِيْمُهَا
بِهَا ظَلَّ قَلْبِي ثَاوِياً وَلَطَالَمَا ... أَعَادَ أَدِيْمِي مُسْتَجَدّاً أَدِيْمُهَا
شِكَايَةَ مَحْزُونٍ أَهَلَّ دُمُوعَهُ ... عَقَارِبُ صُدْغٍ لاَ يَنَامُ سَلِيْمُهَا
كَمَا أَنَّ بَدْرَ الدِّيْنِ لَيْسَ بِنَائِمٍ ... إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ نَامَ عَظِيْمُهَا
فَتًى بَلَغَ العَلْيَاءَ مَجْداً وَسُؤْدَداً ... مِنْهَا لَمْ يَنَلْهَا بَعْدَهُ مَنْ يَرُوْمُهَا
هُوَ الكَعْبَةُ الغَرَّاءُ فِي الجُوْدِ وَالنَّدَى ... وَرَاحَتُهُ لِلإِسْلاَمِ حَطِيْمُهَا

تُلامُ عَلَى فَرْطِ السَّمَاحِ وَعَاذِرٌ … يَدٌ خُلِقَتْ لِلبَذْلِ كَيْفَ تَلُومُهَا
عَلا مَجْدُهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وَكَمْ لَهُ … مَآثِرُ لا تُحْصَى وَتُحْصَى نُجُومُهَا
تَضُوعُ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ صِفَاتُهُ … فَيَشْدُو بِهَا الحَادِي وَيَطْرَبُ كُومُهَا

وأنشدني لنفسه /٦٦أ/ يهنيء إنسانًا أبلّ من مرض: [من الخفيف]

لَسْتُ يَوْمَ النَّوَى عَلَيْهِ جَلِيدًا … فَانْقُصًا مِنْ مَلامَتِي أَوْ فَزِيدَا
فِي حَبِيبٍ مِنَ الفُؤَادِ قَرِيبٍ … وَعَنِ المُقْلَتَيْنِ أَضْحَى بَعِيدَا
قَدْ حَكَاهُ القَضِيبُ قَدًّا وَلِيْنًا … وَحَكَاهُ الغَزَالُ طَرْفًا وَجِيدَا
كُلَّ يَوْمٍ يَزْدَادُ قَلْبِيَ أَشْوَاقًا … وَيَزْدَادُ جَفْوَةً وَصُدُودَا
كَانَ لِي مُسْعِداً وَخِلاً وَدُوداً … فَبِحَظِّي قَدْ صَارَ خِلاً وَدُودَا
زَعَمُوا أَنَّنِي سَلَوْتُ وَهَلْ أَسْلُو … قَوَامًا مُهَفْهَفًا أُمْلُودَا
يَا غَزِيرَ النَّدَى إِلَيْكَ تَحُثُّ العِيسُ … إِرْقَالَهَا تَجُوبُ البِيدَا
فَتَرَانَا مِنَ النُّعَاسِ عَلَى الأَكْوَارِ … بِالسَّيْرِ رُكَّعًا وَسُجُودَا
وَإِذَا مَا وَنَتْ تُقَصِّرُ الخَطْوَ … وَعَادَتْ تَمْشِي الهُوَيْنَى الوَئِيدَا
ذَكَرَتْ رَبْعَكَ الخَصِيبَ فَتَرْتَاحُ … وَتَخْتَارُ ظِلَّكَ المَمْدُودَا
وَتَمُدَّ الأَعْنَاقَ تُسْرِعُ وَالإِعْنَاقُ … يُنْضِي لُحُومَهَا وَالجُلُودَا
وَلَعَمْرِي هِبَاتُكَ الغُرُّ مَا زَالَتْ … بِإِفْضَالِهِمْ تَعُمُّ الوُفُودَا
وَجَدِيرٌ بِكَ الثَّنَاءُ وَإِنْ كُنْتَ … لِحُسْنِ الثَّنَاءِ تَبْغِي المَزِيدَا
/٦٦ب/ فَتَرَانِي إِنْ قُلْتُ فِي غَيْرِكَ الشِّعْرَ … بَلِيداً وَفِي عُلاكَ لَبِيدَا
نَذَرَ النَّاسُ يَوْمَ بُرْئِكَ صَوْمًا … غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ ذَلِكَ عِيدَا
فَلِهَذَا أَكَلْتُ فِيهِ طَعَامًا … وَلَبِسْتُ الغَدَاةَ فِيهِ جَدِيدَا

[٤٩٨]

عليُّ بنُ إبراهيمَ بن كاملِ بنِ أحمدَ، أبو الحسنِ الأمشاطيُّ.

كان أبوه يعرف بابن التركي، أصله من قرية من عمل الموصل يقال لها الدولعية.

وأبو الحسن قرأ طرفًا من فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وربّما سمحت قريحته بشعر.

أنشدني لنفسه ما كتبه إلى معتمد الدين: [من المجتث]

يَا مَنْ عَلَيْهِ اعْتِمَادِيْ فِي كُلِّ حَادِث خَطْبِ
وَفِي عَقِيْبِ صَلاَتِي أَدْعُو لَهُ اللَّهَ رَبِّي
بِأَنْ يَعِيْشَ وَيَبْقَى مَا حَجَّ رَكْبٌ يُلَبِّي
فَأَنْتَ مُعْتَمَدُ الدِّيْنِ جَابِرُ كُلِّ قَلْبِ
فَالعَبْدُ يَهْوَاكَ صِدْقًا وَظَاهِرُ الحَالِ يُنْبِي
/ ٦٧أ/ فَانْظُرْ إِلَيْهِ عَسَاهُ يَرْتَاحُ مِنْ حَرِّ كَرْبِ
فَلِلزَّمَانِ اجْتِيَاحٌ مُغْرًى بِفَقْرٍ وَسَلْبِ
فَادْفَعْ سُطَاهُ بِجَاه عَنْ عَبْدِكُمْ لاَ بِعَضْبِ
لاَزِلْتَ مِمَّنْ يُرَجَّى لِخَادِمٍ وَمُحِبٍّ

[٤٩٩]

عليُّ بنُ أبي المكارمِ بن مسعود بن حمزةَ المقرىءُ أبو الحسنِ الأنصاريُّ، البغداديُّ المَولد، المَوصِليُّ الدار.

مقرّه بمدينة الموصل. وصحب الشيخ أبا الحرم مكي بن ريّان النحوي، وقرأ عليه القرآن الكريم بوجوه القراءات، وأخذ عنه أدبًا ونحواً.

وهو نعم الرجل دينًا وفضلاً؛ سألته عن ولادته، فقال: ولدت في عاشر رمضان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ببغداد.

أنشدني لنفسه ما كتبه إلى الخطيب عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الله الموصلي الطوسي: [من الطويل]

سَلاَمٌ مِنَ اللهِ العَظِيْمِ وَرَحْمَةٌ عَلَى خَيْرِ مَنْ أُهْدِيْ إِلَيْهِ سَلاَمِي
أَبِيْ الفَضْلِ مَجْدِ الدِّيْنِ وَاحِدِ عَصْرِهِ إِمَامٍ بِهِ يَأْتَمُّ كُلُّ إِمَامِ
/ ٦٧ب/ بِهِ يَهْتَدِيْ ذُوْ الغَيِّ بَعْدَ ضَلاَلِهِ وَيَحْظَى بِأَعْلَى رُتْبَةٍ وَمَقَامِ
وَإِنِّي لاَ أَسْتَطِيْعُ حَصْرَ صِفَاتِهِ إِذَا كَانَ حَصْرُ القَطْرِ غَيْرَ مُرَامِ
أَمَوْلاَيَ إِنَّ النَّاسَ مَنٌّ عَلَيْهِمُ بِسُقْيَا وَأَشْكُو مِنْ صَدًى وَأُوَامِ
وَإِنْ كَانَ عَجْزِيْ مُقْعِدِيْ وَمُثَبِّطِي فَإِنَّ اشْتِيَاقِي قَائِدِي بِزِمَامِ

وَإِنَّ فُؤَادِيْ يَسْتَلِذُّ بِذِكْرِكُمْ ... وَأَنْتُمْ مُنَايَ سَادَتِي . . . . .
وَذِكْرُكُمُ شُرْبِي الَّذِي أَرْتَوِيْ بِهِ ... وَزَادِي الَّذِي أُرْدِي العِدَا وَأُحَامِي
سَلاَمٌ إِلَيْكُمْ كُلَّمَا حَنَّ عَاشِقٌ ... وَمَا جَنَّ لَيْلُ غَاسِقٌ بِظَلاَمِ
وَمَا لاَحَ نَجْمٌ يُهْتَدَى بِضِيَائِهِ ... وَمَا نَاحَ مَحْزُوْنٌ بِنَوْحِ حَمَامِ

وكتب إليه أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الحنفي ـ رحمه الله ـ بهذه الأبيات:

[من مجزوء الرمل]

قُلْ لِتَاجِ الدِّيْنِ وَهْوَ المَرْءُ بِالمَعْرُوْفِ يُعْرَفْ
يَا صَفِيًّا خِلْتُهُ أَصْفَى مِنَ الرَّاحِ وَأَلْطَفْ
حَاجَةٌ لَيْسَ لَهَا إِلاَّكَ مَخْدُوْمٌ يُكَلَّفْ
مُصْحَفٌ بَدَّلَهُ النَّاسِخُ مَا شَاءَ وَصَحَّفْ
/ ٦٨أ/ فَتَغَمَّدْهُ بِإِصْلاَحٍ فَبَالإِصْلاَحِ يُوْصَفْ
وَاتَّخِذْهَا مِنَّةً مَا حَذَفَ الدَّهْرُ مُضَعَّفْ

فأجابه أبو الحسن وأنشدنيه: ـ [من مجزوء الرمل]

إِنَّ شَمْسَ الدِّيْنِ شَمْسٌ ... لاَ تَرَاهَا الشَّمْسُ تَكْسِفْ
ضَوْؤُهَا فِي الظُّهْرِ وَاللَّيْلِ سَوَاءٌ لَيْسَ يُسْدَفْ
. . . . المَوْجُوْدُ حَتَّى قِيْلَ أَسْرَفْ
وَأَرِيْجُ المِسْكِ لَوْلاَ عُرْفُهُ مَا كَانَ يُعْرَفْ
هُوَ فِي الجُمْلَةِ مِنْ حُسْنٍ وَإِحْسَانٍ يُؤَلَّفْ
نَسَمٌ رَاقَتْ وَرَقَّتْ ... فَهْيَ فِي ذَلِكَ قَرْقَفْ
جَعَلَ المَمْلُوكَ بِالحَاجِ الَّذِي عَزَّ وَشَرَّفْ

[٥٠٠]

عليُّ بنُ محمّد بن بدر بن أبي بكر بن أبي الحسن بن أبي الهيجاء بن سعيد بن سُهيلِ بن حميدَ بن قحطبةَ، أبو الحسنِ الحميديُّ الكُرديُّ، المصريُّ المَولدِ والمنشأ.

من أبناء الأمراء، له ديوان شعر ومعظمه ساقط النظم ضعيف / ٦٨ب/ وربّما مرَّ

له أبيات قريبة.

أنشدني لنفسه، وهو أصلح ما وجدت له: [من مجزوء الرمل]

يَا شِفَائِي وَسَقَامِي شَفَّنِي مِنْكَ الصُّدُوْدُ
إِرْحَمِ الصَّبَّ الَّذِيْ أَشْوَاقُهُ فِيْكَ تَزِيْدُ
مَعْشَرَ العُذَّالِ رِفْقًا فَالهَوَى صَعْبٌ شَدِيْدُ
قَسَمًا إِنِّي رَهِيْنٌ لِلْهَوَى فِيْمَنْ أُرِيْدُ

[٥٠١]

عليُّ بنُ سلمانَ بنِ أبي الفرجِ، أبو الحسنِ البغداديُّ، المعروفُ بابنِ مريمَ.

وهي أُمُّه غلبَ عليه اسمُها فَنُسِبَ إليها.

شيخ أحمر اللون، أبيض اللحية، فزع العينين.

لقيته بمدينة إربل، يتعاطى بدقيق الكلام على مذهب الصوفية وإشاراتهم في معنى الحقيقة والمعرفة من جنس ألفاظ الحلاج والشطح، ويناظر في ذلك. ويزعم أنه اشتغل بعلم ولا يعرف الخط، وهذه الألفاظ تصدر عن خاطره ما تفهم ولا فائدة فيها ولا محصول غير أنَّ له قريحة في ارتجالها وقدرة في استنباطها / ٦٩أ/ جعلها هُجَيراه ودُربتَه. أخبرني أنه ولد سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه ما مدح به الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ: [من مجزوء الرمل]

إِبْنُ زَيْنِ الدِّيْنِ مَوْلًى عَجَزَتْ عَنْهُ صِفَاتِي
هُوَ حَرْفٌ........ كَانَ قَبْلَ الكَائِنَاتِ
.... أَوْ بَدَا مِنْ حَيْثُ آتِي
هُوَ أَبُوْ الآبَاءِ فِيْنَا هُوَ أُمُّ الأُمَّهَاتِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

خَيْرُ النُّفُوْسِ العَارِفَاتُ بِذَاتِهَا ذَاتُ الذَّوَاتِ بِذَاتِ ذَاتِ ذَوَاتِهَا

طَـابَـتْ فَطَـابَ الأَصْـلُ منْهَـا أَشْـرَقَـتْ | عَـرَفَـتْ مكَـانَ هُـويٍّ مَـا هيَّـاتهَـا
. . . . وكَـانَـتْ كُـلَّ . . . . . شَـاهَـدَتْ | وَتَجَـوْهَـرَتْ فَتَجَـاوَزَتْ عَـادَاتهَـا
كَـانَـتْ وَمَـازَالَـتْ وَلكـنْ أُظْهـرَتْ | مَحْجُـوبَـةً كَـيْ لاَ تَـرَى عـلاَّتهَـا
لَـوْلاَ حجَـابُ النَّفْـسِ عَنْهَـا أَدْرَكَـتْ | منَّـابهَـا أَقْصَـى جَميْـعِ صفَـاتهَـا

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الرمل]

وَنُجُـومٍ فـي سَمَـاءٍ طُلَّـعٍ | كَسَفَـتْ مـنْ ضَـوْءِ نُـوْرِ القَمَـرِ
/٦٩ب/ فَـإِذَا شَمْـسُ نَهَـارٍ طَلَعَـتْ | هـيَ أَوْفَـى منْهُـمُ فـيْ النَّظَـرِ
فَـإِذَا صِـرْتُ أَنَـا إِيَّـاهُـمُ | صَـارَ مـنْ ذَاتـيْ كَـذَاتـيْ خَبَـرِيْ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الوافر]

أَقُـوْلُ لجَـارَتـيْ وَاللَّيْـلُ وَلَّـى | وَقَـدْ لاَحَ الصَّبَـاحُ مـنَ الخمَـارِ
دَعيْنـيْ كَـيْ أَسيْـرَ إلَـى بـلاَدٍ | بهَـا أَهْلـيْ وَمَـنْ أَهْـوَاهُ جَـارِيْ
وَكَيْـفَ تَلَـذُّ لـيْ فـيْ الأَرْضِ دَارٌ | وَقَـدْ عَـايَنْـتُ بـالمَلَكُـوْتِ دَارِيْ

[٥٠٢]

عليُّ بنُ أبي الفرجِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ الجراحيُّ، أبو الحسنِ(١).

شاب من أهل واسط، سمع الحديث كثيراً بواسط والبصرة وبغداد وإربل. ويعرف طرفًا جيداً من علم النحو وصدراً صالحًا في الحساب.

أخبرني أنّه ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة. شاهدته بالموصل سنة إحدى وثلاثين وستمائة؛ وهو حسن اللعب بالشطرنج ذو طبقة، ويلعب به غائبًا فلا يكاد يفوته من نقله شيء لقوة إدمانه فيه.

أنشدني لنفسه في صاحب الديوان ـ وهو علي بن إبراهيم الأنباري ـ:

[من الطويل]

---

(١) في هامش الأصل: «توفي المذكور بدمشق في ثالث ذو القعدة سنة خمس وستين وستمائة».

/ ٧٠أ/ أَمَوْلاَيَ تَاجَ الدِّيْنِ لاَ زِلْتَ بَانِيًا ... فَخَاراً لَهُ فَوْقَ الفَخَارِ صُعُوْدُ
إِلَى حِيْنَ. . . . . إِنَّ ذَاكَ بَعِيْدُ
فَقَدْ. . . . . خُمُوْلٌ وَإِخْمَالُ اللَّبِيْبِ شَدِيْدُ
أُمَاثِلُ هَاءَ الوَقْفِ وَالهَمْزَةَ اخْتَهَا ... وَذَاكَ سَوَاءٌ فَقْدُهَا وَوُجُوْدُ
فَصَيِّرْنِي بِالنِّدَاءِ تَكَرُّمًا ... فَفَضْلُكَ يَا ابْنَ الأَكْرَمِيْنَ مَدِيْدُ
. . . . فَهْوَ طَرِيْدُ

[٥٠٣]

عليُّ بنُ أحمدَ بن عثمانَ بن أبي الجيشِ بنِ الحسنِ بنِ عثمانَ بنِ أبي الجيشِ البوازيجيُّ، أبو الحسنِ.

كان مولده ـ فيما أخبرني من لفظه ـ سنة أربع وستمائة. له طبع في النظم، وقريحة جيدة يمدح ويهجو، وله خط حسن ينسخ بالأجر، وقد كتب بيده عدّة مجلدات أدبية وغيرها.

نزل بغداد وتديَّرها، ورأيته بها سنة تسع وثلاثين وستمائة. أنشدني لنفسه وكان الموجب لقول ذلك أنَّ أقوامًا أخذوا في سبِّه وبالغوا في ثلبه، فكتبه إليهم ذامًا مفتخراً عليهم: [من البسيط]

/ ٧٠ب/ سَلِي القَبَائِلَ عَنِّي يَا ابْنَةَ الحَكَمِ ... تُنْبِيْكِ عَنْ نِعَمِي أَيضًا وَعَنْ نِقَمِي
فَلِي أَحَادِيْثُ فِي الأَيَّامِ سَائِرَةٌ ... مَعْرُوْفَةُ العُرْبِ بَيْنَ العُرْبِ وَالعَجَمِ
أُغَضُّ مِنْ نَظَرِي عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ ... وَأَتَّقِي كَلِمَ المَحْذُوْرِ فِي كَلِمِي
وَلاَ أُطِيْعُ هَوَى نَفْسِي فَتَأْمُرُنِي ... عَلَى الفَعَالِ الَّذِي لَمْ تَرْضَهُ شِيَمِي
تَحَدَّثَ النَّاسُ عَنِّي فِي مَحَافِلِهَا ... كَالشَّمْعِ يَظْهَرُ مِنْهُ النُّوْرُ فِي الظُّلَمِ
وَمَا سَكَنْتُ إِلَى ذُلٍّ وَمَسْكَنَةٍ ... وَلَيْسَ. . . . إِلَى غَيْرِ العُلاَ هِمَمِي
وَإِنَّمَا شُغُلِي بِالمَجْدِ أَرْفَعُهُ ... أَذُبُّ عَنْهُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَالقَلَمِ
أَنَا الَّذِي تَرْهَبُ الأَيَّامُ صَوْلَتَهُ ... وَتَتَّقِي بَأْسَهُ الآسَادُ فِي الأَجَمِ
تَخْشَى الكَتَائِبُ غَارَاتِي وَتَحْذَرُنِي ... بَنُو المُلُوكِ بِذِكْرِي فِي حُصُوْنِهِمِ
مُلِئْتُ فَضْلاً وَافْضَالاً فَعَانَدَنِي ... قَوْمٌ خَلَوْنَ مِنَ الإِحْسَانِ وَالكَرَمِ

لاَ يَسْتَطِيعُونَ إرْمَاقِي مَحَاذَرَةً كَأَنَّنِي الشَّمْسُ تَبْدُو فِي عُيُونِهِمِ
أَظْهَرْتُ بَيْنَهُمُ عِلْماً فَمَا فَهِمُوا فَقَدْ عَذَرْتُهُمُ فِي سُوءِ فَهْمِهِمِ
إِذَا تَفَكَّرَ فِي فَضْلِي أَجَلُّهُمُ كُنْتُ المُبَرِّزَ مِنْهُمْ يَوْمَ سَبْقِهِمِ
يُنَبِّهُونَ عَلَى فَضْلِي بِجَهْلِهِمُ وَقَدْ تَمَكَّنَ فَضْلِي مِنْ نُفُوسِهِمِ
وَقَدْ يُشِيعُونَ قُبْحَ القَوْلِ بَيْنَهُمُ عَنِّي فَيَظْهَرُ فَضْلِي عِنْدَ نَقْصِهِمِ
/ ٧١ب/ لأَنَّنِي أَطْيَبُ الأَثْمَارِ بَيْنَهُمُ فَقَدْ رُجِمْتُ لأَثْمَارِي بِزُورِهِمِ
قَوْمٌ يَشِحُّونَ فِي الدُّنْيَا بِمَالِهِمُ وَيَسْمَحُونَ عَلَى العَافِي بِعِرْضِهِمِ
شِبْهَ الغُثَاءِ بِلاَ عِلْمٍ وَلاَ أَدَبٍ وَلاَ وَفَاءٍ وَلاَ حِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ
هُمُ الحَقِيرُونَ لاَ يُرْجَى نَوَالُهُمُ وَلاَ وُجُودٌ إِذَا فَتَّشْتَ فِي عَدَمِ
إِذَا امْرُؤٌ. . . . مِنْ أَقَارِبِهِمْ أَعْطَيْتُهُ جَانِباً مِنِّي لِبُغْضِهِمِ
. . . . مِنْ دِيَارِهِمُ طَيْفاً مَنَعْتُ جُفُونِي لَذَّةَ الحُلُمِ
مِثْلُ الصُّقُورِ إِذَا يَرْمُونَ شَرَّهُمُ وَفِي المَكَارِمِ مِثْلُ البُومِ وَالرَّخَمِ
أَيَمْنَعُونَنِي حَقَّاً لاَ أَبَا لَهُمُ وَيَأْخُذُونَ بِبُهْتٍ فَوْقَ حَقِّهِمِ
وَلَيْسَ عِنْدِيَ لَهُمْ قَدْرٌ فَأُعْتِبَهُمْ مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ لَمْ يَحْصُدْ سِوَى النَّدَمِ
كَفَانِيَ إِنَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ كَالصِّلِّ لاَ أَحَدٌ عَنْهُمْ يَسُدُّ فَمِي
يُحَاوِلُونَ صَلاَحِي بَعْدَ مَفْسَدَةٍ مِثْلَ السَّقَامِ تُدَاوَى مِنْهُ بِالسَّقَمِ
وَاللهِ مَا ارْتَعْتُ مِنْهُمْ خِيفَةً أَبَداً وَلاَ فَزِعْتُ إِلَيْهِمْ خَوْفَ جَوْرِهِمِ
مَا أَحْسَنَ الدَّهْرُ عِنْدِي بِالبِعَادِ يَداً إِلاَّ تَذَكَّرْتُ مِنْهُمْ سُوءَ فِعْلِهِمِ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

إِذَا احْتَجَبَتْ عَنِّي الَّتِي بِجَمَالِهَا بُلِيتُ رَأَيْتُ المَوْتَ دُونَ حِجَابِهَا
/ ٧١ب/ تَعَجَّبَتْ مِنِّي وَهِيَ فِي القَلْبِ كُلَّمَا عَبَرْتُ ثَنَى طَرْفِي إِلَى نَحْوِ بَابِهَا

وأنشدني لنفسه يمدح بعض الوزراء: [من البسيط]

قُلْ لِلْوَزِيرِ أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ قَوْلاً تَنَالُ بِهِ الأَقْصَى مِنَ الطَّلَبِ
نَجْلَ الكِرَامِ الَّذِي قَدْ حَازَ مَرْتَبَةً مَا حَازَهَا أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الرُّتَبِ
أَفَادَهُ العِزَّ آبَاءٌ ذَوُو شَرَفٍ حَوَتْ لِسَبْقِ الحَالِي غَايَةَ القَصَبِ
كَيْوَانُ مَنْزِلُهُ الأَدْنَى وَخَادِمُهُ بَهْرَامُ وَهْيَ مُضَاهِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

إذَا تَبَــدَّى لِمَجْــدٍ أوْ لِمَكْــرُمَــةٍ ... أزْرَى عَلَى الفَاخِرِيْنَ المَالَ وَالنَّسَبِ

وَإنْ تَسَامَى عُلُوّاً فَوْقَ مَرْتَبَةٍ ... سَمَا عَلَى المُشْرِفِيْنَ المَجْدَ وَالحَسَبِ

أمْضَى مِنَ المُرْهَفِ الهِنْدِيِّ عَزْمَتُهُ ... وَكَفُّهُ بِالنَّدَى أنْدَى مِنَ السُّحُبِ

إذَا تَضَايَقَتِ الأيَّامُ كَانَ لَهُ ... رَأْيٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الدَّهْرِ وَالنُّوَبِ

وَإنْ أضَرَّ بِنَا عُسْرٌ فَفِي يَدِهِ ... جُوْدٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَ الحَظِّ وَالأرَبِ

لأنْتَ فِي المَجْدِ رَأْسٌ وَالوَرَى ذَنَبٌ ... شَتَّانَ فِي الدَّهْرِ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَّنَبِ

وأنشدني لنفسه منْ مديح قصيدة: [من الكامل]

حَبْرٌ لَنَا مِنْ جَاهِهِ وَنَوَالِهِ ... بَحْرَانِ بَيْنَهُمَا الأنَامُ تَعُوْمُ

/ ١٧٢أ/ عَمَّتْ مَوَاهِبُهُ البِلَادَ وَأهْلَهَا ... بِالجُوْدِ حَتَّى يُوْجَدَ المَعْدُوْمُ

تَتَظَلَّمُ الأمْوَالُ مِنْ إنْعَامِهِ ... وَبِعَدْلِهِ يَسْتَنْصِفُ المَظْلُوْمُ

لَمْ يَدْرِ فِي الإحْسَانِ مَا سِنَةُ الكَرَى ... حَيٌّ يُطَيِّبُ ذِكْرَهُ قَيُّوْمُ

وأنشدني لنفسه يمدح: [من الكامل]

مَا أنْتَ إلاَّ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ ... وَالكُلُّ مِنْ عَرَضٍ وَأنْتَ الجَوْهَرُ

ضَاهَى بِكَ اللهُ الخَلَائِقَ كُلَّهَا ... مَهْمَا مَلَكْتَ فَإنَّ قَدْرَكَ أكْبَرُ

وأنشدني لنفسه منْ غزل قصيدة: [من الكامل]

بِأبِي الَّذِيْ إنْ غِبْتُ عَنْهُ يَزُوْرُنِي ... لُطْفاً وَعَهْدِيْ بِالحَبِيْبِ يُزَارُ

رَشَأٌ يَحَارُ الوَهْمُ عِنْدَ صِفَاتِهِ ... مَاءُ الحَيَاةِ بِخَدِّهِ وَالنَّارُ

حَصَرَ الكَمَالَ جَمَالُهُ فِي أرْبَعٍ ... مِنْ نَعْتِهَا تَتَحَيَّرُ الأفْكَارُ

الخَدُّ وَرْدٌ وَالعِذَارُ بَنَفْسَجٌ ... وَالشَّعْرُ لَيْلٌ وَالجَبِيْنُ نَهَارُ

[٥٠٤]

عليُّ بنُ عثمانَ بن عليِّ بنِ سليمانَ بنِ عليٍّ، أبو الحسنِ السليمانيُّ الإربليُّ(١).

(١) في هامش الأصل: «توفي في .... العشر الأوسط من جمادى الأولى سنة سبعين وستمائة، بمدينة الفيوم ودفن بها، رحمه الله تعالى، من أعمال الديار المصرية....». =

شاب منْ أهل إربل، صرف فكرته إلَى قول الشعر، فقال منْهُ وأكثر فِيْ المديح والتغزيل /٧٢ب/ أنشدني لنفسه يمدح الصاحب أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالى ـ: [من الخفيف]

بَعْدَ عَصْرِ الصِّبَا وَرَسْمِ التَّصَابِيْ ... أَتَرَجَّى وَصْلاً مِنَ الأَحْبَابِ؟!
يَا لَقَوْمِي كَيْفَ السَّبِيْلُ وَقَدْ حَلَّ بِرَأْسِي البَازِيُّ بَعْدَ الغُرَابِ
أَنْكَرَتْ إِذْ رَأَتْ بَيَاضَ عِذَارِيْ ... ثُمَّ صَدَّتْ مِنْ بَعْدِ طُوْلِ اقْتِرَابِ
دَأْبِي الغَانِيَاتُ لَوْلاَ التَجَنِّيْ ... مَا تَدَانَى شَيْبِيْ وَوَلَّى شَبَابِيْ
ضَحِكَ الشَّيْبُ فَاسْتَهَلَ لَهُ الدَّمْـ ... ـعُ أَلاَ رُبَّ ضَاحِكٍ لارْتِيَابِ
وَتَوَلَّتْ عَنِّيْ المَهَا بَعْدَ أَنْ وَاصَلْنَ دَهْراً وَأَنْكَرَتْنِيْ صِحَابِيْ
إِنْ حَمْلَ الهَوَى عَلَى قُرْبِ مَنْ تَهْوَى وَبُعْدَ المَزَارِ شَرُّ المُصَابِ
مَنْ لِعَيْنَيَّ أَنْ تُمَتَّعَ فِيْ رَوْضِ مَعَانِيْ ذَاكَ الحِمَى وَالجَنَابِ
وَلِقَلْبِيْ أَنْ يَسْتَفِيْقَ غَرَاماً ... بِوِصَالٍ مِنَ الحِسَانِ الكَعَابِ[1]
طَالَ شَوْقِيْ هَلْ مِنْ سَبِيْلٍ إِلَى القُرْبِ فَتُطْفَى بِذَاكَ نَارُ اكْتِئَابِيْ
كَانَ ظَنِّيْ أَنَّ الصُّدُوْدَ دَلاَلٌ ... فَتَبَيَّنْتُهُ صُدُوْدَ اجْتِنَابِ
أَسَفِي لَوْ يُرَدُّ عَيْشٌ تَقَضَّى ... بِالحِمَى بَيْنَ صِحَّةٍ وَاصْطِحَابِ
حَكَمْ البَيْنُ بِالذَّهَابِ فَهَلْ يَحْكُمُ يَوْماً لِشَمْلِنَا بِالإِيَابِ
/٧٣أ/ خَلَّفُوْنِيْ رَهْنَ البِلَى أَسْأَلُ الأَطْلاَلَ عَنْهُمْ فَلاَ تَرُدُّ جَوَابِيْ
وَسَرَوْا بِالفُؤَادِ مِنِّي فَلاَ مُسْعِدَ إِلاَّ تَوَجُّعِيْ وَانْتِحَابِيْ

= ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٠٠ ـ ٣٠٨. فوات الوفيات ٢/ ١١٨ ـ ١٢١. عقود الجمان الزركشي ٢١٤ وفيه: «الليماني» بدل «السليماني» وقد حدّد وفاته في العشر الأخير من جمادى الأولى سنة ٦٧٠هـ. هدية العارفين ١/ ٢١٧. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨٤، وفيه: «مولده بإربل سنة اثنتين وستمائة، وقيل في أحد الربيعين سنة ثلاث وستمائة. كان فاضلاً مقتدراً على النظم، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، وكان في أول عمره يخدم جنديًا ثم ترك الجندية وتزهد وصار أحد مشايخ الصوفية المشار إليهم». الأعلام ٤/ ٣١٠. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٦. عقد الجمان ٩٦. عيون التواريخ ٢٠/ ٤٢٥ ـ ٤٢٧. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٦١ ـ ٦٧٠) ص٣١٠ رقم ٣٥٠. السلوك ١/ ٦٠٤ وفيات ٦٧٠هـ.

(١) الكعاب: الجارية التي تكعب ثدياها، فهي مفرد وليست جمعًا، والصحيح: الكواعب.

عَـنْ جُفُـونـي حَكَـى السَّحَـابُ فَـلاَ أَسْـأَلُ سَقْـيَ الـرَّبَـابِ دَارَ الـرَّبَـابِ
مَـدْمَـعٌ لَـوْ سَفَحْتَـهُ لا الأَرْضِ كَجُـوْدِ المُبَـارَكِ الـوَهَّـابِ
مَـاجِـدٌ يَجْعَـلُ السَّمَـاحَـةَ وَالفَضْـلَ صقَـالَ الإِحْسَـانِ وَالأَنْسَـابِ
مُسْتَهَـلٌّ لقَـاصـديْـه فَـلاَ يَجْلـسُ للنَّـاس . . . حجـابَ
حَـاكـمٌ عَـادلٌ حَليْـمٌ فَـلاَ يَنْطـقُ مَهْمَـا يُـرَى بغَيْـر الصَّـوابَ
قَسَـمَ العُمْـرَ منْـهُ يَـوْمَ نَـدًى جَـمٍّ يُنَـادي لَـهُ وَيَـوْمَ عقَـابَ
يَـرْتَجـي عَفْـوَهُ المُسـيءُ وَتَخْشَـى الـ ـفَتْـكَ مـنْ بَـأسـه أُسُـوْدُ الغَـابَ
آزرَ المُلْـكَ بـالـوَزيْـر وَعَـزَّتْ بَعْـدَ ذُلٍّ مكَـانَـةُ الآدَابَ
شَـرَفَ الـدِّيْـن يَـا أَعَـزَّ حمًـى جَـار وَأَعْلَـى مَجْـد وَأَقْصَـد بَـابَ
إِنَّ دَهْـري أَعَـادَنـي بـالمُلمَّـات جَـريْحـًا مَـا بَيْـنَ ظُفْـر وَنَـابَ
وَأَرَانـي النَّعيْـمَ بُـؤْسـًا . . . الصَـوتَ منِّـي ظُلْمـًا بسَـوْط عَـذَابَ
وَإِلَيْـكَ التَجَـأتُ إِنَّـكَ لـلاَّجـيْ حمًـى مَـانـعٌ مـنْ الأَوْصَـابَ
لأَيَـاديْـكَ سَيْـبُ جُـوْد عَلَـى النَّـاس وَفَضْـلُ أَطْـوَاقُـهُ فـي الـرِّقَـابَ
/ ٧٣ب/ أيّ شكـر لغَيْـر مَجْـدكَ لَـمْ يَـدْنَـس بـذَم بَيْـنَ الأَنَـام وَعَـابَ
مَـنْ يَـرُمْ فيْكُـمُ المَـديْـحَ يَجـدْ أَسْبَـابَ وَصْـفٍ تَقُـوْمُ بـالأَسْبَـابَ
فَـابْـقَ مَـا دَامَـت اللَّيَـالـيْ وَمَـا انْهَـلَّ مـنْ المُعْصـرَات صَـوْبُ سَحَـابَ

وأنشدني لنفسه منْ غزل قصيدة: [من الطويل]

لـوَسْنَـان ذَاكَ الطَّـرْف فَـرْطُ سُهَـاده وَللْـوَجـد مَـا أَبقَـى الهَـوَى مـنْ فُـؤَاده
مُحـبٌّ بـأَكنَـاف الشَّـام يَشُـوْقُـهُ مَهَـبُّ الصَّبَـا مـنْ أَرْضكُـمْ . . . .
تَمَنَّـى وَقَـدْ عَـزَّ الـوصَـالُ خيَـالَكُـمْ فَكَيْـفَ وَلَمَّـا تَـأْذَنُـوا بـرُقَـاده
أَأَحْبَـابَنَـا كَيْـفَ اللِّقَـاءُ وَبَيْنَنَـا عـرَاضُ الفَـلاَ مـنْ هُضْبـه وَوهَـاده
وَمَـا زَالَ يَخْشَـى بُعْـدَكُـمْ فـيْ اقْتـرَابـه فَكَيْـفَ يُـرَجِّـيْ قُـرْبَكُـمْ فـي بعَـاده
لَكُـمْ مَنْـزلٌ فـيْ القَلْـب لَيْـسَ بـدَارس فَسـرُّ هَـوَاكُـم كَـامـنٌ فـيْ سَـوَاده
لَئـنْ قَصَّـرَتْ عَنْكُـم طـوَالُ رَسَـائلـيْ فَـإِنَّ اشْتيَـاقـيْ نَحْـوكُـم فـيْ ازْديَـاده
لَعَمْـرِي لَقَـدْ قَـلَّ الصَّـديْـقُ فَـلاَ تَـرَى مـنَ النَّـاس مـنْ يُـوليْـكَ صَفْـوَ وُدَاده
وَقَلَّـتْ مُـرُوْءَاتُ الـرِّجَـال فَكُـلُّ مَـنْ بَلَـوْتَ رَأَيْـتَ الغَـدْرَ نَـصَّ اعْتقَـاده

وأنشدني لنفسه منْ أخرى: [من الكامل]

/ ٧٤أ/ ألَيَاليـاً سَلَفَتْ لَنَا بـزرُوْد عُوْدِي ليُوْرقَ منْ إيَابك عُوْدِيْ
وَاسْتَرْجِعِيْ ذَاكَ الوِصَالَ فَإِنَّهُ أَشْهَى إلَى قَلْبِيْ مِنَ التَّوْحِيْد[1]
للهِ سَاعَاتُ الوَدَاعِ فَإِنَّهَا تَرَكَتْ لَظَى بحَشَايَ ذاتَ وَقُوْد
يَا صَيْحَةً بشَتَات شَمْلٍ جَامِعٍ حَلَّتْ وَثَائِقَ دَمْعِيَ المَعْقُوْدِ
إنِّي لأعْلَمُ أنَّهُمْ لَمَّا سَرَوا عَلمُوا بضَعْفِ تَصَبُّرِيْ المَنْجُوْدِ
وَتَعَمَّدَ الحَادِيْ حَثِيْثَكَ فِي السُّرَى ليُذيْبَ حَبَّةَ قَلْبِيَ المَعْمُوْدِ
. . . . إلَى الأطْلاَلِ لَيْسَ بنَافِعٍ وَبُكَايَ للنَّائِيْنَ غَيْرُ مُفِيْدِ
وَإذَا المُحِبُّ ثَنَاهُ عَنْ أحْبَابِهِ بُعْدُ المَزَار فَذَاكَ غَيْرُ بَعِيْدِ
يَا لَيْتَ مَا بَيْنَ الأحِبَّةِ منْ نَوًى مَا بَيْنَ جَفْنِ الصَّبِّ والتَّسْهِيْدِ
أوْلَيْتَهُمْ عَلمُوا بأنَّ مَدَامِعِي حَتَّى . . . . عَلَى خِلاَفِ لَبِيْدِ

ومنها يقول:

ألنار قَلْب غَيْرُ مَاء مَدَامِعٍ أوْ غَيْرُ نَجْمٍ ثَاقِب لمُرِيْدِ
رَعْياً لأيَّامِ الوِصَالِ فَإنَّنِيْ أنْفَقْتُ فِيْهَا طَارِفِيْ وَتَلِيْدِيْ
إذْ صَرْفُ دهرين صرف عين وَلَمْ يمدد إلَيَّ بِبَاعِهِ المَمْدُوْدِ

ومنها:

/ ٧٤ب/ وَمُدَامَةٍ كَدَمِ الذَّبِيْحِ جَلَوْتُهَا فِي الكَأسِ بَارِزَةً بنَغْمَةِ عُوْدِ
هِيَ جَوْهَرُ الأشْيَاءِ إلاَّ أنَّهَا أُمُّ الكَبَائِرِ وَابْنَةُ العُنْقُوْدِ
يَسْقِيْكَهَا رَشَأٌ كَأنَّ قَوَامَهُ فِي اللِّيْنِ خُوْطُ البَانَةِ الأُمْلُوْدِ
ظَبْيٌ لَوَاحِظُهُ السِّهَامُ قِسِيُّهَا مَوْتُوْرَةٌ أبَداً لِصَيْدِ الصِّيْدِ
إنْ لاَحَ أزْرَى بالبُدُوْرِ وَإنْ شَدَا صَمَتَتْ حَمَائِمُنَا عَنِ التَّغْرِيْدِ
ألَيْتُ لا أنْفَكُّ أرْعَى عَهْدَهُ كَلاَّ وَلاَ أُصْغِيْ إلَى التَّفْنِيْدِ
أوْ يَنْثَنِي عَنْ جُوْدِهِ وَنَوَالِهِ كَفُّ الأمِيْرِ مُحَمَّدِ المَحْمُوْدِ

---

(١) التوحيد: نوع من التمر، ولعله المراد.

وأنشدني لنفسه في سنة تسع وثلاثين وستمائة : [من الكامل]

عَلِّلْ بِإِدْلاَجِ الرَّكَائِبِ والسُّرَى ... دَنِفاً بَرَاهُ مِنَ التَّشَوُّقِ مَا بَرَى
ذِكْرَ الشَّآمِ وَشَامَ بَارِقَ جَوْشَنٍ ... وَقِبَابُهُ فَحَمَى عَنِ الجَفْنِ الكَرَى
إيهِ حَدِيثَكَ عَنْ قُوَيْقَ فَمَاؤُهُ ... أَشْهَى إِلَى قَلْبِي وَأَعْذَبُ كَوْثَرَا
هَلاَّ إِلَى بَانَاتِهِ مِنْ عَوْدَةٍ ... مُتَفَيِّئاً بِظِلاَلِهَا مُتَسَتِّرَا
وَعَنِ المَشَاهِدِ كَمْ شَهِدْتُ بِجَوِّهَا ... شَمْساً مُحَجَّبَةً وَبَدْراً نَيِّرَا
حَلَبُ المُنَى الأَقْصَى وَلَيْلاَتِي بِهَا ... حَكَمَتْ عَلَيَّ بِبُعْدِهَا أَنْ أَسْهَرَا
/ ٧٥أ/ مَنْ لِي بِأَنْ أُلْقِي بِحَاضِرِهَا العَصَا ... وَأُرِيحَ عِيساً شَفَّهَا جَذْبُ البُرَى
فَارَقْتُ مَسْقَطَ هَامَتِي مُتَخَيِّراً ... وَأَتَيْتُهَا فَسَأَلْتُهَا مُتَدَبِّرا
وَحُيِيتُ مِنْ نَعْمَائِهَا بِفَوَاضِلٍ ... كَالْبَحْرِ نَيْلاً وَالسَّحَابِ إِذَا سَرَى
مَالِي وَلِلأَيَّامِ تُغْرِيْ بِالنَّوَى ... وَتَخُصُّنِي بِالبُعْدِ مِنْ دُونِ الوَرَى
فَأَظَلُّ طَوْراً مُعْرِقاً أَوْ مُنْجِداً ... وَأَبِيتُ طَوْراً مُشْئِماً أَوْ مُغْوِراً
هَلْ أَنْتَ يَا بَرْقَ العِرَاقِ مُبَلِّغٌ ... مَنْ بِالشَّآمِ سَلاَمَ مُنْبَتِّ العُرَى
وَإِذَا امْرُؤٌ قَطَعَ المَفَاوِزَ خَائِفاً ... خَطْباً عَرَاهُ إِلَى العِرَاقِ فَقَدْ عَرَى
بُدِّلْتُ عَنْ أُسْدِ الشَّرَى وَأَكَارِمٍ ... تهمي لكنهم أَبْنَاءَ ضَوْطَرَا
وَلَقَدْ رَفَعْتُ عُرُوشَهُمْ بِمَذَمَّةٍ ... فَهُمُ هُمُ أَيْنَ العِقَائِرُ وَالقِرَى
وَأَتَيْتُهَا بِالخَيْلِ أَعْدُو نَحْوَهَا ... الجَمَزَى وَهَا أَنَا قَدْ رَجَعْتُ القَهْقَرَى[1]
يَا رَاكِباً يَطْوِيْ الفَلاَةَ مُحَاوِلاً ... أَرْضَ الشَّآمِ وَبَالِغاً تِلْكَ القُرَى
إِنْ أَنْتَ شَارَفْتَ المرتبَ سَالِماً ... وَرَأَيْتَ ذَاكَ المَعْقِلَ السَّامِيْ الذُّرَى
فَاسْجُدْ لِرَبِّكَ خَاضِعاً لِجَلاَلِهِ ... وَلِعِزِّهِ وَمُقَبِّلاً عَنِّي الثَّرَى
وَوَدَتُ حُرَّ أَدِيمِ وَجْهِي لَوْ ثَوَى ... فِي ذَلِكَ الحُرِّ الأَدِيمِ مُعَفَّرَا
وَمَتَى بَلَغْتَ حِمَى الوَزِيرِ وَبَابَهُ ... أَمِماً فَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرَا
/ ٧٥ب/ لَمْ يَلْقَهُ الأَقْوَامُ إِلاَّ قَائِماً ... مُتَهَجِّداً أَوْ صَائِماً مُتَهَجِّرَا
سَاسَ البِلاَدَ وَهَذَّبَتْ أَخْلاَقُهُ ... خُلُقَ الرَّعِيَّةِ فَاسْتَرَقَّ الأَكْثَرَا

(١) الجمزى : نوع من العَدْو.

وَتَحَمَّلَ الأَعْبَاءَ. . . فَاغْتَدَى عَنْ سَاقِ سَعْيٍ فِي العَلاءِ مُشَمِّرَا
قَاضٍ قَضَى بِالعَدْلِ فِي أَيَّامِهِ فَبَدَا لَنَا لَيْلُ المَظَالِمِ مُقْمِرَا
اللهُ أَوْلاهُ يَداً مِنْ فَضْلِهِ وَأَنَالَهُ فِي العِلْمِ حَظّاً أَوْفَرَا
وَأَمَدَّهُ مِنْ جُودِهِ بِمَعُونَةٍ وَأَذَلَّ عِزَّةَ حَاسِدَيْهِ وَأَصْغَرَا
يَقِظٌ. . . . . السَّحَابِ إِذَا جَرَى
فَإِذَا وَجَدْتَ وَجَدْتَ أَحْسَنَ مَخْبَراً وَإِذَا رَأَيْتَ رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَا يُرَى
وَإِذَا وَرَدْتَ وَرَدْتَ بَحْراً سَائِغاً وَإِذَا هَزَزْتَ هَزَزْتَ غُصْناً مُثْمِرَا
أَضْحَى عَلَى الشَّهْبَاءِ ثَاقِبُ رَأْيِهِ أَحْمَى مِنَ الشُّهُبِ الشِّدَادِ وَأَشْهَرَا
عَصَمَ العَوَاصِمَ بِالْعَزَائِمِ وَالنُّهَى فَكَفَى مُكَافَحَةُ الحُسَامَ الأَبْتَرَا
وَأَزَالَ جَيْشَ الشِّرْكِ مِنْهُ بِسَطْوَةٍ جَاشَتْ فَوَلَّى الشِّرْكُ مِنْهَا مُدْبِرَا
يَا أَوْحَدَ الوُزَرَاءِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَعَمَّهُمْ فَضْلاً وَأَسْمَى مَفْخَرَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ يَا ابْنَ الأَكَارِمِ جَعْفَراً . . . فَقَدْ أَجْرَى بَنَانُكَ جَعْفَرَا[١]
فَلْيَغْضُضِ الحُسَّادُ طَرْفاً عَنْ يَدٍ بَيْضَاءَ تُعْرَفُ بِالعَوَارِفِ أَوْ تُرَى
/ ١٧٦أ/ وَلْتَبْقَ بِالفِعْلِ الجَمِيلِ فَإِنَّمَا كَبْتُ المُعَانِدِ بِالمَآثِرِ وَالثَّرَى
وَتَقَبَّلَ البِكْرَ البَطِينَةَ إِنَّهَا نَذَرَتْ لَكَ المَدْحَ الجَمِيلَ مُحَرَّرَا
عَمْرِي لَقَدْ ذَهَبَ الكِرَامُ فَلا أَرَى إِلاَّ حَدِيثُكَ فِي المَكَارِمِ مُؤْثَرَا
فَاسْلَمْ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي مَا سَرَى بَرْقٌ وَمَا مَرَّ النَّسِيمُ مُعَنْبَرَا

وأنشدني لنفسه، وهو مما قاله بحلب المحروسة: [من الطويل]

أَجِرْ مُدْنَفاً أَنْتَ العَلِيمُ بِحَالِهِ وَرِقَّ لِمَنْ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَيَالِهِ
وَإِنْ لَمْ تَجُدْ فَاعْطِفْ عَلَيْهِ بِمَوْعِدٍ يُعَلِّلُ قَلْباً هَائِماً بِمُحَالِهِ
ظَمِئْتُ وَهَلْ رَشْفُ الثَّنَايَا يُعِلُّنِي وَهَلْ ظَمَأِي إِلاَّ لِبَرْدِ زُلالِهِ
وَأَنْحَلَنِي حَمْلُ الغَرَامِ وَمُمْرِضٌ بِجَفْوَتِهِ مَنْ لاَ أُمُرُّ بِبَالِهِ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ أَنَّهُ بِخَيَالِهِ يَضِنُّ وَأَنِّي طَامِعٌ فِي وِصَالِهِ
مِنَ التُّرْكِ تَرْكُ الوَصْلِ أَكْبَرُ هَمِّهِ وَجَفْوَةُ خِلٍّ مِنْ جَمِيلِ خِلالِهِ

(١) جعفر: الثانية، النهر.

إذَا مَاسَ حَارَ الغُصْنُ مِنْهُ وَإنْ بَدَا ... أَضَرَّ بِضَوْءِ البَدْرِ عِنْدَ كَمَالِهِ
أَهِيمُ بِهِ وَجْداً عَلَى القُرْبِ وَالنَّوَى ... عَلَى صِحَّةٍ مِنْ وُدِّهِ وَاعْتِلالِهِ
وَأَهْجُرُ هَجْرَ الحَائِمَاتِ لأَنَّنِي ... رَأَيْتُ وُرُوْدَ المَوْتِ دُوْنَ بِلالِهِ(١)
/ ٧٦ب/ مَحَا سِحْرُ ذَاكَ الطَّرْفِ آيَةَ سَلْوَتِي ... وَأَسْلَبَنِي عِزِّي بِذُلِّ سُؤَالِهِ
أُعَانِقُهُ حُبّاً وَأَخْشَاهُ هَيْبَةً ... لِمَا بِيَ مِنْ إجْلالِهِ وَجَمَالِهِ
لَهُ فِي الرِّضَا فَتْكٌ بِصَارِمِ لَحْظِهِ ... أُعِيذُ حَبِيْباً سِلْمُهُ كَقِتَالِهِ
خُذُوْا بِدَمِي يَالَ الهَوَى وَتَطَلَّبُوا ... دَماً سَفَكَتْهُ رَاشِقَاتُ نِبَالِهِ
وَأَنْكَرْتُمُ أَنَّ الشَّقِيْقَ بِخَدِّهِ ... أَمَا هَذِهِ فِي الخَدِّ نُقْطَةُ خَالِهِ
سَقَى الغَيْثُ مُنْهَلَّ العَزَالِي رُبَى الحِمَى ... بِحَوْذَانِ العُذَيْبِ وَضَالِهِ
وَلازَالَ مُخْضَلَّ الجَوَانِبِ مُمْرِعاً ... تَمُرُّ بِنَشْرِ المِسْكِ رِيْحُ شَمَالِهِ
فَكَمْ غَزَلٍ أَوْرَدْتُهُ فِي غَزَالِهِ ... وَكَمْ رَمَلٍ أَنْشَدْتُ بَيْنَ رِمَالِهِ
أَحِبَّتَنَا وَلَّى زَمَانِي وَحُبُّكُمْ ... مُقِيْمٌ يَزُوْلُ العُمْرُ دُوْنَ زَوَالِهِ
هَلِ الدَّهْرُ يَثْنِي عُوْدَهُ مِنْ جَمِيْعِكُمْ ... عَلَى دَنِفٍ وَاهِي التَّجَلُّدِ وَالِهِ
يُكَتِّمُ شَكْوَى الحُبِّ إذْ لَيْسَ رَاحِمٌ ... وَيَجْحَدُهُ صَوْناً لَهُ بِمَقَالِهِ
وَقَالُوا: سَلا إذْ كَفَّ شَانِي وَإنَّمَا ... أُكَفْكِفُ دَمْعَ العَيْنِ خَوْفَ انْهِمَالِهِ

وأنشدني لنفسه يرثي الأمير ناصر الدين أبا المكارم محمد بن قرطايا بن عبد الله الإربلي، وتوفى بحلب وذلك / ٧٧أ/ في سنة أربع وثلاثين وستمائة ـ رضي الله عنه ـ:

[من الطويل]

عِتَابِيْ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ يَطُوْلُ ... وَمَا الصَّبْرُ عِنْدِي مُذْ فُقِدْتَ جَمِيْلُ
وَإنِّي لَمَحْزُوْنٌ عَلَيْكَ فَقَلَّمَا ... يُبَلُّ بِفَرْطِ الحُزْنِ فِيْكَ غَلِيْلُ
أَمُحْتَجِباً بِالتُّرْبِ رَهْنَ يَدِ البِلَى ... بِدِيْمَاسِ لَحْدٍ مَا إلَيْهِ سَبِيْلُ
أَجِبْنِي فَقَدْ ضَاقَ الفَضَاءُ وَغَالَنِي ... لِفَقْدِكَ مِنْ أَيْدِي الحَوَادِثِ غُوْلُ
أَتَأْذَنُ لِي بِالشَّامِ أَمْ يَسْتَقِلُّ بِي ... إلَى وَطَنِي صِفْرَ اليَدَيْنِ رَحِيْلُ
رَجَوْتُكَ أَيَّامَ الحَيَاةِ فَكَانَ لِي ... إلَى كُلِّ فَضْلٍ مِنْ نَدَاكَ وُصُوْلُ

(١) بلاله: وصله.

وَقُلْتُ: حَدِيثُ النَّفْسِ تُرْجَى حَيَاتُهُ ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الحَالَ فِيكَ تَحُولُ

أَيَا سَالِبِيَّ سِرْبَالَ صَبْرِي وَمُلْبِسِي ... حِدَاداً عَلَيْهِ طَرْزُهُنَّ خُمُولُ

وَيَا جَبَلاً قَدْ كُنْتُ مُعْتَصِماً بِهِ ... أُكَفُّ بِهِ كَفَّ الرَّدَى وَأَصُولُ

دَعَوْتُكَ لِلأَيَّامِ دَعْوَةَ خَائِفٍ ... مَكَائِدَ دَهْرٍ كُلُّهُنَّ غُلُولُ

فَأَعْيَاكَ عَنْ رَدِّ الجَوَابِ فَهَلْ فَتًى ... يَصِحُّ لِبَثِّ الحُزْنِ حَيْثُ أَقُولُ

وَحَسْبُكَ دَمْعِي فَهُوَ نُصْرَةُ خَاذِلٍ ... لَهُ مَسْرَحٌ فِي وَجْنَتِي وَمَسِيلُ

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ.... ... مِنَ الصَّدِّ كُثْرُ الصَّبْرِ عَنْهُ قَلِيلُ

فَيَا لَيْتَهُ يَحْيَا طَرِيحاً وَلَيْتَنِي ... أَقُولُ لِوَفْدِ العَائِدِينَ عَلِيلُ

/٧٧ب/ وَتَسْمَعُ تَعْلِيلَ الأُسَاةِ وَقَوْلَهُمْ ... إِلَى البُرْءِ يُفْضِي أَمْرُهُ وَيَؤُولُ

نَعَى قَوْمَهُ بِالشَّرْقِ نَاعٍ فُجَاءَةً ... فَكَادَتْ لَهُ شُمُّ الجِبَالِ تَزُولُ

نَعَى نَاصِرَ الدِّينِ الأَمِيرَ مُحَمَّداً ... فَطَارَتْ قُلُوبٌ فَجْعَةً وَعُقُولُ

فَتًى كَانَ غَوْثاً لِلطَّرِيدِ وَظِلُّهُ ... عَلَى آمِلِيهِ وَالعُفَاةِ ظَلِيلُ

خَفِيفٌ عَلَى قَلْبِ الصَّدِيقِ وَوَطْؤُهُ ... شَدِيدٌ عَلَى نَحْرِ العَدُوِّ ثَقِيلُ

يَسُرُّكَ فِي صَدْرِ المَوَاكِبِ كَثْرَةً ... وَيُرْضِيكَ قَوْلاً مِنْهُ وَهْوَ رَسِيلُ

عَدِمْتُ صَهِيلَ الصَّافِنَاتِ وَلاَ أَرَى ... جِيَادَكَ تَجْرِي بَيْنَهَا وَتَجُولُ

سَقَى قَبْرَكَ الغُرُّ الغَوَادِي وَجَادَهُ ... سَحَابٌ إِذَا ضَنَّ السَّحَابُ هَطُولُ

وَآنَسَ مَغْنَاكَ الجَدِيدَ بِرَحْمَةٍ ... لَهَا حُجُبٌ مِنْ نُورِهَا وَحُجُولُ

أَقَمْتَ بِأَرْضٍ لاَ خَلِيلٌ مُسَاعِدٌ ... وَلاَ صَاحِبٌ فِي النَّائِبَاتِ خَلِيلُ

وَلاَ صَارِمٌ عَضْبٌ يَذُودُ بِهِ الرَّدَى ... وَلاَ نَائِلٌ تَسْخُو بِهِ وَتُنِيلُ

وَكُنْتَ أَخَا الحَرْبِ العَوَانِ وَلِلظُّبَا ... عَلَى هَامَةِ اللَّيْثِ الكَمِيِّ صَلِيلُ

فَكَيْفَ وَهَى البَأْسُ الشَّدِيدُ وَجَاءَنَا ... عَزِيزُ القِيَادِ مِنْكَ وَهْوَ ذَلِيلُ

أَخَانَتْكَ سُمْرُ الذَّابِلاَتِ أَمِ اغْتَدَى ... حُسَامُكَ يَوْمَ الرَّوْعِ وَهْوَ كَلِيلُ

فَبَعْدَكَ مَا وَجْهُ المَسَرَّاتِ أَبْيَضٌ ... لَدَيَّ وَلاَ طَرْفُ الزَّمَانِ كَحِيلُ

/١٧٨أ/ وَمَا كُنْتَ إِلاَّ البَدْرَ تَمَّ طُلُوعُهُ ... فَعَاوَدَهُ بَعْدَ الطُّلُوعِ أُفُولُ

فَلَوْ كَانَ يُفْدَى مَيِّتٌ كُنْتَ تُفْتَدَى ... وَلَكِنَّهُ مَا لاَ يَقِيهِ بَدِيلُ

وَلَوْ كُنْتَ تُحْمَى بِالصَّوَارِمِ وَالقَنَا ... حَمَاكَ أَخٌ فِي النَّائِبَاتِ حَمُولُ

وَطَـارَدَ عَنْـكَ المَـوْتَ قَسْـراً وَإِنَّـهُ ... لِعَثْـرَةِ أَبْنَـاءِ الكِـرَامِ مُقِيـلُ
حَمَـى وَحَـوَى الأَقْـوَامَ بَعْـدَكَ غَيْـرُهُ ... وَأَنَّـى لَهُـمْ بِـالحَجِّ مِنْـهُ كَفِيـلُ
إِلَـى ظِلِّـهِ مِلْنَـا وَنَحْـنُ عِصَـابَـةٌ ... لَنَـا مَسْـرَحٌ مِـنْ جُـودِهِ وَمَقِيـلُ
شِهَـابٌ بَـرَاهُ اللـهُ لِلْخَطْـبِ ثَـاقِـبٌ ... وَمِصْبَـاحُ سَـارٍ فِـيْ الظَّـلَامِ دَلِيـلُ
وَخَيْـرُ الـوَرَى مَـنْ لَاذَ قَـوْمٌ بِظِلِّـهِ ... وَمَـنْ لَيْـسَ لِلْعَـافِيـنَ عَنْـهُ عُـدُولُ

وقال، وكتب بها جوابًا إلى صاحب له بنصيبين، وهو يومئذ بحلب في سنة إحدى وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

أَتَـانِـيْ كِتَـابٌ مِنْـكَ هَيَّـجَ لَـوْعَتِـيْ ... فَكِـدْتُ بِـدَمْعِـيْ يَـا أَخَـا الـوُدِّ أَشْـرَقُ
أَتَـى مُخْبِـراً عَـنْ صَفْـوِ وِدٍّ كَـأَنَّـهُ ... وَحَقِّـكَ عَمَّـا فِـيْ ضَمِيْـرِيَ يَنْطِـقُ
وَهَيْهَـاتَ أَنْ تَحْـوِيْ اشْتِيَـاقِـيْ رَسَـائِـلٌ ... وَتَحْمِـلَ أَشْجَـانِـي جِيَـادٌ وَأَيْنُـقُ
عَلَيْـكَ سَـلَامُ اللـهِ مِـنْ ذِيْ حَفِيظَـةٍ ... لَـهُ مَـدْمَـعٌ صَـافٍ وَوِرْدٌ مُـرَنَّـقُ
/٧٨ب/ مَتَى خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفْحَةٌ ... تَكَـادُ لَهَـا رُوحِـيْ مِـنَ الشَّـوْقِ تُـزْهَـقُ
وَيُـذْكِـرُنِـيْ رَبْـعَ التَّصَـابِـيْ وَأُنْسَـهُ ... نَسِيْـمُ الصَّبَـا وَالبَـارِقُ المُتَـأَلِّـقُ
فَلِلَّـهِ صَـبٌّ فِـيْ نَصِيبِيْـنَ قَلْبُـهُ ... غَـدَا مُـوْثَقًـا وَالجِسْـمُ بِـالشَّـامِ مُطْلَـقُ
يُهَيِّـجُ وَجْـدِيْ مِـنْ قُـوَيْـقَ وَلَـوْعَتِـيْ ... لِـذِكْـرَاكَ مَـاءُ الـزَّاهِـرِ المُتَـرَقْـرِقُ
وَأَشْتَـاقُ رَوْضَـاتٍ هُنَـاكَ أَرِيضَـةً ... شَهِيَّـةَ مَـرْأَى العَيْـنِ بِـالطِّيْـبِ تَعْبَـقُ
عَلَيْهَـا كَسَقْـطِ الطَّـلِّ مَنْثُـورُ لُـؤْلُـؤٍ ... وَفِيْهَـا لِصَفْـوِ الظِّـلِّ حُسْـنٌ وَرَوْنَـقُ
وَمَـا هِـيَ إِلَّا كَـالبِـلَادِ وَإِنْ غَـدَتْ ... بِـكَ مِـنْ شَـوْقٍ تَخُـبُّ وَتُعْنِـقُ
فَسَقَّـى رُبَـاهَـا لَامِـعُ الـوَدْقِ هَـاطِـلٌ ... مِـنَ الغَيْـثِ وَسْمِـيُّ السَّحَـائِـبِ مُغْـدِقُ
يَقُـولُـوْنَ بَعْـدَ الخِلْـبِ يَخْلُـقُ وُدُّهُـمْ ... وَحَـاشَـا وِدَادِيْ أَوْ وِدَادَكَ يَخْلُـقُ
وَعُـدْتُ فَـلَا نَشْـرُ النَّسِيْـمِ مُعَنْبَـرٌ ... كَعَهْـدِيْ وَلَا غُصْـنُ الأَرَاكَـةِ مُـورِقُ
عَسَـى اللـهُ يُـدْنِـيْ الـدَّارَ بَعْـدَ تَبَـاعُـدٍ ... فَيُضْحِـي جَمِيعًـا شَمْلُنَـا المُتَفَـرِّقُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وَقَـائِلَـةٍ بَـادَ الكِـرَامُ فَـلَا تَـرَى ... مِـنَ النَّـاسِ مَـنْ تُطْـوَى إِلَيْـهِ السَّبَـاسِـبُ
فَقُلْتُ: اقْصِرِيْ وَاسْتَرْشِدِيْ سُبُلَ الهُدَى ... لَـدَيْـكِ إِذَا ضَـاقَـتْ عَلَيْـكِ المَـوَاهِـبُ
فَـإِنَّ أَحْمَـدَ المَحْمُـوْدَ فِـيْ البَأْسِ وَالنَّـدَى ... لَأَكْـرَمُ مِـنْ تُحْـدَى إِلَيْـهِ النَّجَـائِـبُ

/٧٩أ/ فَتًى فِيْ جِمَاعِ المَالِ وَالمُلْكِ زَاهِدٌ   وَفِيْ جَمْعِ أَزْكَى الحَمْدِ وَالشُّكْرِ رَاغِبُ

يُنِيلُ جَزِيلاً ثُمَّ يَغْدُو كَأَنَّهُ   لِفَرْطِ احْتِقَارِ المَالِ فِيْ البَذْلِ طَالِبُ

فَكُلُّ عَدُوٍّ حَيْثُ تَلْقَاهُ خَاضِعٌ   وَكُلُّ بَلِيغٍ حَيْثُ يَلْقَاهُ خَاطِبُ

إِذَا مَا سَطَا فِيْ حَوْمَةِ الحَرْبِ وَالوَغَى   تَدَنَّى لَهُ سُمْرُ القَنَا وَالقَوَاضِبُ

عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الأُمُورِ مُؤَيَّدٌ   تُخَبِّرُهُ عَمَّا يَكُونُ التَّجَارِبُ

إِذَا مَا سَرَى فِيْ مُبْهَمِ الخَطْبِ رَأْيُهُ   تَجَلَّتْ لَهُ عَمَّا لَدَيْهِ الغَيَاهِبُ

مَتَى جَالَ فِيْ حَرْبٍ رَأَيْتَ غَرِيضَهُ   إِذَا قَامَ مِنْهُ جَانِبٌ مَالَ جَانِبُ

أَمَوْلَايَ رُكْنَ الدِّيْنِ شُكْراً فَإِنَّهَا   مَنَائِحُ يُعْطَاهَا الفَتَى وَمَوَاهِبُ

سَمَا قِرطَايَا بِالفَخَارِ وَمَنْ تَكُنْ   .... لَا تَعْتَرِيْهِ المَعَايِبُ

أَتَاكَ أُنَاسٌ جَاهِدُوْنَ مِنَ الطَّوَى   عَصَائِبُ يَقْفُو إِثْرَهُنَّ عَصَائِبُ

فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالَّذِيْ أَنْتَ أَهْلُهُ   وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

فَعِشْ سَالِمًا مَا مَاسَ فِيْ فَنِّ دَوْحَةٍ   قَضِيبٌ أَمَالَتْهُ الصَّبَا وَالجَنَائِبُ

وَفِيْ .... التَّعْرِيضِ بِالأَمْرِ غُنْيَةٌ   إِذِ الجُوْدُ عَمَّا يَقْتَضِيْ الوَعْدُ نَائِبُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

جَوًى فِيْ الحَشَا تُطْوَى عَلَيْهِ الأَضَالِعُ   أُكَتِّمُهُ صَوْنًا لَهُ وَهْوَ شَائِعُ

/٧٩ب/ دَعُونِيْ وَفَيْضَ الدَّمْعِ أَشْفِ بِوَبْلِهِ   غَلِيلِيْ فَقَدْ بَانَ الحَبِيبُ المُضَاجِعُ

نَبَا السَّمْعُ عَنْ دَاعٍ دَعَا بِقَطِيعَةٍ   أُقِضَّتْ لَهَا بَعْدَ الفِرَاقِ المَضَاجِعُ

سَرَتْ بِسُرُورِيْ وَالهُجُوعِ رِكَابُهُمْ   فَلَا القَلْبُ مَسْرُورٌ وَلَا الطَّرْفُ هَاجِعُ

هُمُ تَرَكُونِيْ لِلْهُمُومِ دَرِيئَةً   أُنَازِعُ مِنْ هَمِّيْ بِهِمْ مَا أُنَازِعُ

مُقِيمًا بِزَوْرَاءِ العِرَاقِ وَبَيْنَنَا   مَدًى لِمَسِيرِ الأَعْوَجِيَّاتِ وَاسِعُ

أَحِنُّ لِخَفَّاقِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى   وَيُطْرِبُنِيْ بَرْقٌ مِنَ الشَّامِ لَامِعُ

وَأَذْكُرُ أَيَّامًا بِعُلْوِيِّ جَوْشَنٍ   تَوَلَّتْ وَهَلْ تَذْكَارُهَا لِيَ نَافِعُ

وَعَيْشًا صَفِيقَ الظِّلِّ أَخْضَرَ نَاضِراً   إذِ الشَّمْلُ دَانٍ وَالحَبِيبُ مُطَاوِعُ

مَوَاسِمُ لَذَّاتٍ عَلَى الفَيْضِ لَمْ تَدُمْ   مَتَى ذُكِرَتْ فَاضَتْ عَلَيْهَا المَدَامِعُ

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ فَإِنَّ لِيْ   حَنِينًا إِلَى سُكَّانِهَا يَتَتَابَعُ

تُحَدِّثُنِيْ الأَحْلَامُ بِالقُرْبِ مِنْهُمُ   فَيَا طِيبَ مَا تُوحِيْ إِلَيَّ المَسَامِعُ

أُصَدِّقُ ظَنِّي عِنْدَهُ وَهْوَ كَاذِبٌ ... وَأُوصِلُ وَاهِي حَبْلِهِ وَهْوَ قَاطِعُ
وَلَوْلاَ جَوًى بَيْنَ الجَوَانِحِ لَمْ أَكُنْ ... أُصَدِّقُ مَا قَالَ الخَيَالُ المُخَادِعُ
وَمَا تَلَفِي فِي الحُبِّ إِلاَّ مَطَامِعِي ... وَأَقْتَلُ أَدْوَاءِ الرِّجَالِ المَطَامِعُ
إِلَى مَ نَدِيمِي لِلْفِرَاقِ نَدَامَتِي ... وَكَأْسِي تُبَارِيهَا الدُّمُوعُ الهَوَامِعُ
/ ١٨٠أ/ أَعلْوَةُ لَوْ أَجْدَى المُرَقِّشَ جَدُّهُ ... لإِصْبَعِهِ جُذَّتْ عَلَيْكِ الأَصَابِعُ
فَلاَ تَحْسَبِي وُدِّي يَزُولُ مُقِيمُهُ ... وَلَوْ زَالَ رَضْوَى وَاسْتَحَالَ مُتَالِعُ[1]
فَلَوْلاَ أَيَادٍ . . . . عَمِيمَةٌ ... لَزُرْتُ وَلَوْ أَنَّ الرِّمَاحَ شَوَارِعُ
أَيَادُ مِنَ المُسْتَنْصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... يُلاَحِظُهَا طَرْفُ المُنَى وَهْوَ خَاشِعُ
سَحَائِبُ جُودٍ عَمَّتِ الأَرْضَ فَاسْتَوَتْ ... أَبَاطِحُ مِنْ شُؤْبُوبِهَا وَأَجَارِعُ
لَهُ مَنْهَجٌ فِي الحَقِّ يَدْعُو إِلَى الهُدَى ... وَيَنْسَخُ مَا نَصَّتْ عَلَيْهِ الشَّرَائِعُ
تُقَبِّلُ تِيجَانُ المُلُوكِ تُرَابَهُ ... وَأَعْنَاقُهَا صُعْرٌ لَدَيْهِ خَوَاضِعُ
إِمَامٌ عَلَيْهِ لِلْعِبَادَةِ شِيمَةٌ ... وَفِي وَجْهِهِ نُورُ النُّبُوَّةِ سَاطِعُ
حَلِيمٌ يُرِيكَ العَفْوَ فَضْلُ اقْتِدَارِهِ ... عَلَى كُلِّ جَانٍ أَسْلَمَتْهُ الضَّرَائِعُ
بَعِيدُ مَغَارِ الكَيْدِ يَمْزِجُ صَبْرَهُ ... لأَعْدَائِهِ بِالسُّمِّ وَالسُّمُّ نَاقِعُ
وَأَبْيَضَ وَضَّاحِ الجَبِينِ كَأَنَّمَا ... مُحَيَّاهُ بَدْرٌ فِي الدُّجُنَّةِ طَالِعُ
كَرِيمِ السَّجَايَا فِيهِ لِلَّهِ مُخْلَصًا ... حَيَاءٌ وَحِلْمٌ رَاجِحٌ وَتَوَاضُعُ
فَرِيدٌ لَهُ فِي الجُودِ وَجْدٌ مُحَالِفٌ ... وَبِدْعٌ لَهُ فِي المَكْرُمَاتِ بَدَائِعُ
نَبِيلٌ فَلاَ يُبْقِي نَوَالاً كَأَنَّمَا ... خَزَائِنُهُ فِي رَاحَتَيْهِ وَدَائِعُ
مَنَاقِبُ تَبْدُو فِي سَنَاءٍ وَرُتْبَةٍ ... وَعِزٍّ كَمَا تَبْدُو النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
/ ٨٠ب/ لَهُ الأَمْرُ بَعْدَ الأَمْرِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ... فَمَا مُؤْمِنٌ إِلاَّ مُطِيعٌ وَسَامِعُ
يَذُبُّ عَنِ الإِسْلاَمِ حُبًّا وَرَغْبَةً ... وَيَمْنَعُ عَنْهُ مُخْلِصًا وَيُدَافِعُ
بِكُلِّ شَدِيدِ البَأْسِ مُسْتَحْصَدِ القُوَى ... إِذَا تَمَّ لَمْ يَرْدَعْهُ فِي الأَمْرِ رَادِعُ
يَخُوضُ غِمَارَ الحُزْنِ وَالمَوْتُ أَحْمَرٌ ... يُلاَحِظُهُ وَالنَّقْعُ أَصْفَرُ فَاقِعُ

---

(١) رضوى: جبل بين مكة والمدينة، قرب ينبع. انظر: معجم البلدان/ مادة (رضوى).
متالع: جبل بنجد. انظر: معجم البلدان/ مادة (متالع).

وَيُرْدِي الكَمِيَّ القَرْمَ مِنْهُ بِطَعْنَةٍ ... لَهَا نَفَذٌ فِي مَتْنِهِ وَهْوَ دَارِعُ
جُيُوشٌ تَجِيشُ الأَرْضُ مِنْ خَوْفِ بَأْسِهَا ... وَيَدْنُو إِلَيْهَا المَطْلَبُ المُتَتَابِعُ
لَهُ الرَّايَةُ السَّوْدَاءُ لَوْنًا وَفِعْلُهَا ... إِذَا مَا التَقَى الجَمْعَانِ أَبْيَضُ نَاصِعُ
ذَوَائِبُهَا تَحْكِي فُؤَادَ عَدُوِّهِ ... بِلاَ جَزَعٍ فِي خَفْقِهَا وَهْوَ جَازِعُ
تَطِيرُ عَلَى الأَعْدَاءِ حَتَّى كَأَنَّهَا ... عُقَابٌ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّيْرِ وَاقِعُ
مُعَوَّدَةٌ بِالنَّصْرِ تَسْرِي رِيَاحُهَا ... عَلَيْنَا رُخَاءً وَهْيَ فِيهِمْ زَعَازِعُ
تَحُومُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ ... عَلَى ثِقَةٍ مِمَّا قَرَتْهَا الوَقَائِعُ
يُثَقِّفُهَا فِي الرَّوْعِ أَغْلَبُ بَاسِلٌ ... لَدَى الحَرْبِ مَشْبُوحُ الذِّرَاعَيْنِ رَائِعُ(١)
جَوَادٌ إِذَا مَا أَتْلَفَ الدَّهْرُ مُخْلِفٌ ... وَخِرْقٌ إِذَا مَا خَرَّقَ الدَّهْرُ رَاقِعُ(٢)
إِلَيْكَ حَثَثْنَا اليَعْمَلاَتِ عَلَى الوَجَى ... وَفِي الرَّكْبِ أَشْتَاتٌ ظَلِيعٌ وَظَالِعُ
دَعَوْنَا بِهَا عُرْضَ الفَلاَةِ وَعِنْدَنَا ... وَسَائِلُ نَبْغِي رَدَّهَا وَذَرَائِعُ
/١٨١أ/ نَؤُمُّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِهِ ... يُقَدُّ مِنَ الخَطْبِ الجَسِيمِ الأَخَادِعُ
سَأَمْلأُ أَقْطَارَ البِلاَدِ مَدَائِحًا ... إِذَا كَانَ لِي مِنْ رَأْيِهِ اليَوْمَ شَافِعُ
وَمَا الشِّعْرُ يُغْنِي أَوَّلٌ مِنْهُ آخِرًا ... وَلَكِنَّهُ مِثْلُ المِيَاهِ مَنَابِعُ
بَقِيتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مُخَلَّدًا ... لِهَذَا الوَرَى مَا كَبَّرَ اللَّهَ رَاكِعُ
بَقَاؤُكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ عِزَّةٌ ... وَفَخْرٌ وَفَضْلٌ بَيِّنٌ وَصَنَائِعُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

مَنَالُكَ مِنْ طَيْفِ الخَيَالِ الَّذِي يَسْرِي ... يَدُلُّ عَلَى الوَجْدِ الَّذِي حَيْثُ لاَ أَدْرِي
أَتَى الجَانِبَ الغَرْبِيَّ وَهْوَ بِمَانِعٍ ... مِنَ الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ يَسْرِي إِلَى القَصْرِ
فَأَنَّى اهْتَدَى وَاللَّيْلُ مَا شُقَّ جَيْبُهُ ... وَلاَ كُشِفَتْ عَنْ وَجْهِهِ سُدَفُ الخُمْرِ
أَلَمْ نَحْيَ [يَوْمًا] فِي أَمَانٍ مِنَ الكَرَى ... فَلَمَّا تَيَقَّظْنَا لَهُ فَرَّ عَنْ ذُعْرِ
يُذَكِّرُنَا إِخْلاَفَ وَعْدٍ مُمَنَّعٍ ... يَبِيتُ عَلَى وَصْلٍ وَيُضْحِي عَلَى هَجْرِ
غَزَالٌ لَهُ مِنْ أُخْتِهِ نُورُ وَجْهِهَا ... إِذَا مَا بَدَتْ فِي صِبْغِ أَثْوَابِهَا الحُمْرِ

---

(١) مشبوح الذراعين: طويلهما.
(٢) الخرق: الكريم والسخي.

أُبــثُّ إلَيْــه مَــا أُجــنُّ وكُلَّمَــا ... بَكَيْـتُ عَقيقـاً ظَـلَّ يَبْسـمُ عَـنْ دُرِّ
يَمُـوتُ بـه صَبْـري فَتَبْكيْـه لَـوعَتـي ... كَمَـا بَكَـتِ الخَنْسَـاءُ حُـزْناً عَلَـى صَخْر
قَـريْـبٌ تَـرَائيْـه بَعيْـدٌ مَنَـالُـهُ ... نَـرَاهُ كَمَـا تَـرْنُـو العُيُـوْنُ إلَـى البَـدْرِ
/ ٨١ب/ إذَا مَـا اهْتَـدَى قَلْبـي بنُور جَبيْنه ... سَبيْـلَ رَشَـاد ظَـلَّ فـي ظُلَـم الشَّعْـرِ
فَعُـذْتُ بـه عَـنْ سلْـوتـي عنْـدَ عَـاذل ... أقَـامَ بـه إذْ قَـامَ مُعْتَـذراً عُـذْري
غَـدَا خَـالُـهُ مُـوسَـى كَليْمـاً بنَـاظـريْ ... ومَـا بَطَلَـتْ عَيْنَـاهُ مـنْ عَمَـل السِّحْـر
وَمَـنْ عَجَـب وَالنَّـارُ فـي صَحْـن خَـدِّه ... يَـذُوْبُ بهَـا قَلْبـي وَدَمْعـي الَّـذي يَجْـري
تُغيْـرُ عَلَـى العُشَّـاق زَرْقَـاءُ ثَغْـره ... كَمَـا فَعَلَـتْ زُرْقُ الأَسنَّـة فـي ثَغْـر
يُعَـربـدُ مـنْ سُكْـر الشَّبَـاب وَجَهْلـه ... وَمُحْتَمَـلٌ جَهْـلُ الشَّبَـاب عَلَـى السُّكْـر
ظَفـرْتُ بـه فـي النَّحْـر يَـذْبَـحُ سَلْـوَتـي ... فَقَبَّلْتُـهُ ألْفـاً علـى ذَلـكَ النَّحْـر
وَلَا عَـدْلَ فـي شَـرْعِ الهَـوَى أيُحَـدُّنـي ... ويَنْجُـو بـلا حَـدٍّ ومـنْ ريقـه خَمْـري؟!
شَـرَحْـتُ لَـهُ إيْضَـاحَ وَجْـدي مُفَصَّـلاً ... فَمَـا ضَـرَّهُ لَـوْ كَـانَ فـي لُمَـع يَقْـري
فَحَـاجبُـهُ نُـونُ الـوقَـايَـة وَمَـا وَقَـتْ ... عَلَـى شَـرْطهَـا فعْـلَ الجُفُـوْن مـنَ الكَسْـر
أُضيْـفَ إلَـى لَيْـل المُحبِّيْـنَ شَعْـرُهُ ... فَطَـالَ وَلَـوْلاَ ذَاكَ مَـا خُـصَّ بـالجَـرِّ[1]
لَهَيْـبُ فُـؤَادي مـنْ لَهيْـب خُـدُوْده ... وَسُقْمـي الَّـذي أشْكُـوْهُ مـنْ سَقَـم الخَصْـر
دُعيْـتُ قَتيْـلَ البيْـض وَالسُّمْـر فـي الهَـوَى ... وَإنْ كُنْـتُ أُرْدي القَـرْمَ بـالبيْـض وَالسُّمْـر
لَقَـدْ خَـابَ مَـنْ يَـدْعُـو طَليْـقَ دُمُـوْعـه ... لنُصْـرَة قَلْـب مَـاتَ فـي ضَـرَر الأَسْـر
/ ٨٢أ/ أبَـاديَـةَ الأعْـرَاب كَيْـفَ خَفَـرْتُـمُ ... ذمَـامـي وَأقْـدَمْتُـمْ عَلَـى الـذَّمِّ وَالغَـدْر
فَضَلْتُـمْ قُصَيّـاً فـي الخُـدَاع لمُغْـرَمٍ ... غَـدَا كَـأبـي غَبْشَـانَ فـي . . . . .
كَتَمْـتُ هَـوَاكُـمْ عَـنْ خَليْلـي وَصَـاحبـي ... فَنَـمَّ بـه سُقْمـي وَعيْـلَ بـه صَبْـري
وَأعْجَـزَنـي حَصْـرُ الَّـذي بـي مـنَ الأَسَـى ... كَمَـا أعْجَـزَتْ نُعْمَـى الخَليْفَـة عَـنْ حَصْـر

وقال أيضًا: [من الكامل]

أكْثَـرْتَ مـنْ ذكْـر العُـذَيْـب وَحَـاجـر ... وَمَـلاَعـب خُـرْس وَرَسْـم دَاثـر
خُـذْ فـي صفَـات مُهَفْهَـف عُلِّقْتُـهُ ... مُتَـلاَشيـاً مثْـلَ القَضيْـب النَّـاضـر

---

(١) هذا البيت والبيت الذي قبله في الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٠٥. فوات الوفيات ٢/ ١٢٠ ـ ١٢١.

جَـذْلاَنَ مَـا فَتَـرَتْ صَبَـابَـةُ مُغْـرَمٍ ... أَمْسَـى يُغَـازِلُـهُ بِطَـرْفٍ فَـاتِـرِ
يَـرْنُـو فَيَنْتَهِـبُ القُلُـوبَ وَحُسْنُـهُ ... نَهْـبُ العُيُـونِ كَـذَاكَ دَأْبُ الثَّـائِـرِ
أَحْنُـو عَلَيْـهِ بِـوَجْـدِ قَلْـبٍ نَـاسِـكٍ ... وَأَحَـارُ فِيْـهِ بِلَحْـظِ طَـرْفٍ فَـاجِـرِ
مُتَلَـوِّنٌ حَـذَرَ الـرَّقِيْـبِ يَصُـدُّ عَـنْ ... قُـرْبِـيْ وَبَـاطِنُـهُ خِـلاَفُ الظَّـاهِـرِ
يَـا نَـاعِـسَ الأَجْفَـانِ هَـبْ لِـيْ رَقْـدَةً ... إِنْ كُنْـتَ تَسْمَـحُ إِنَّ طَيْفَـكَ زَائِـرِيْ
ذَهَبَـتْ بِمَـوْعِـدِكَ السُّنُـونَ فَجِـدْ. . . . ... وَمَضَـتْ عَقَـابِيْـلُ الشَّبَـابِ فَبَـادِرِ
وَلَقَـدْ أَطَعْـتُ هَـوَاكَ غَيْـرَ مُـرَاقِـبٍ ... وَعَصَيْـتُ نُصْـحَ العَـذْلِ غَيْـرَ مُحَـاذِرِ
فَـإِلَـى مَتَـى أَنَـا فِـيْ غَيَـابَـاتِ الهَـوَى ... سَكْـرَانُ بَيْـنَ عَـوَاذِلٍ وَعَـوَاذِرِ
/ ٨٢ب/ وَلَئِـنْ عَثَـرْتُ وَقَـدْ أَلَـمَّ بِلَمَّتِـيْ ... صُبْـحُ المَشِيْـبِ فَـلاَ لَعـاً لِلْعَـاثِـرِ
وَلَـرُبَّ بَـاكِيَـةٍ وَقَـدْ وَدَّعْتُهَـا ... شَـرِقـاً بِـوَابِـلِ دَمْعِـيَ المُتَحَـادِرِ
طَفِقَـتْ تَلُـومُ عَلَـى الـزَّمَـاعِ وَتَشْتَكِـيْ ... غَـدَرَاتِ أَيَّـامِ الـزَّمَـانِ الغَـادِرِ[1]
فَـأَجَبْتُهَـا بِحُشَـاشَـةٍ مَقْـرُوحَـةٍ ... وَالعِيْـسُ تَهْـوِيْ كَـالعُقَـابِ الكَـاسِـرِ
كُفِّـي فَقَـدْ كَفَلَـتْ مُنَـاكِ مَكَـارِمُ المُسْتَنْصِـرِ بْـنِ الظَّـاهِـرِ بْـنِ النَّـاصِـرِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

أَلَمَّـتْ بِنَـا لَيْلَـى وَقَـدْ هَـوَّمَ الـرَّكْـبُ ... وَأَبْـدَتْ لَنَـا العُتْبَـى وَفِـيْ طَيِّهَـا عَتْـبُ
وَحَيَّـتْ فَـأَحْيَـتْ ثُـمَّ سَـارَتْ وَخَلَّفَـتْ ... رَسِيْسَ هَـوًى فِـيْ الصَّـدْرِ لَيسَ لَـهُ طِبُّ
أَتَطْـرُقُنَـا وَهْنـاً وَمِـنْ رُقَبَـائِهَـا ... سَنَـى وَجْهِهَـا الـوَضَّـاحُ وَالمَنْـدَلُ الـرَّطْـبُ
تَمِيْـلُ لِفَـرْطِ العُجْـبِ أَوْ مَـرَحِ الصِّبَـا ... كَمَـا مَـالَ مِـنْ مَرِّ الصَّبَـا الغُصُـنُ الـرَّطْـبُ
/ ٨٣أ/ كَلِيْلَـةُ حَـدِّ الطَّـرْفِ يَفْعَـلُ جَفْنُهَـا ... بِـالْبَـابِنَـا مَـا يَفْعَـلُ الصَّـارِمُ العَضْـبُ
بَـدِيْعَـةُ وَصْـفٍ كَمَّـلَ اللَّـهُ حُسْنَهَـا ... فَلَيْـسَ لَهَـا فِـيْ الخَلْـقِ مِثْـلٌ وَلاَ تِـرْبُ
فَفِـيْ نَـوْرٍ وَجْـهِ الشَّمْـسِ مِنْهَـا مَشَـابِـهٌ ... وَفِـيْ رَائِـقِ الصَّهْبَـاءِ مِـنْ رِيْقِهَـا ضَـرْبُ
شَكَـوْتُ فَمَـا رَقَّـتْ وَرَقَّـتْ لِشَكْـوَتِـي ... كَـوَاعِـبُ أَتْـرَابٌ لَهَـا. . . . عُـرْبُ
خَـلاَ قَلْبُهَـا مِـنْ كُـلِّ وَجْـدٍ وَلَـوْعَـةٍ ... وَلَـمْ يَخْـلُ مِـنْ لَـوْعَـاتِ وَجْـدٍ بِهَـا قَلْـبُ
تَجُـودُ بِـوَعْـدٍ حِيْـنَ يَنْـأَى مَـزَارُهَـا ... وَتُخْلِفُـهُ عَهْـداً إِذَا التَـأَمَ الشَّعْـبُ

---

(١) الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

تَنَـاءَى إِذَا تَـدْنُـو وَتَـدْنُـو إِذَا نَـأَتْ فَفِـي قُـرْبِهَـا بُعْـدٌ وَفِـي بُعْـدِهَـا قُـرْبُ
لَقَـدْ سَـاءَنِـي مَـا سَـرَّهَـا مِـنْ صُـدُودِهَـا وَقَـدْ جَـدَّنِـي فِـي حُبِّهَـا ذَلِـكَ اللَّعْـبُ
عَلَـى مَ وَحَتَّـى مَ التَّـدَلُّـلُ وَالعُجْـبُ أَلَـمْ يَكْفِهَـا أَنِّـي بِهَـا وَالِـهٌ صَـبُّ
كِلِينِـي لِهَـمٍّ فِيـكِ يَـا لَيْـلُ نَـاصِبٍ وَنَـارِ اشْتِيَـاقٍ بَيْـنَ جَنْبَـيَّ لاَ تَخْبُـو
تَعَلَّمْـتُ رَصْـدَ النَّجْـمِ لَـوْلاَ تَخَـوُّنِـي قِصَـارُ جُفُـونٍ لاَ يَجِـفُّ لَهَـا غَـرْبُ
أَحِـنُّ وَأَصْبُـو كُـلَّ يَـوْمٍ وَلَيْلَـةٍ غَـرَامـاً إِلَـى مَـنْ لاَ تَحِـنُّ وَلاَ تَصْبُـو
/ ٨٣ب/ عَـدِمْـتُ دَلاَلَ الغَـانِيَـاتِ فَـإِنَّـهُ شَجَـى كُـلِّ نَفْـسٍ يَسْتَخِـفُّ بِهَـا الحُبُّ
تَسَمَّيْـنَ بِـالحُسْنَـى وَهُـنَّ ظَـوَالِـمٌ وَحَـالَفْـنَ مَـا تَحْـوِي البَـرَاقِـعُ وَالنُّقْـبُ
فَمَـا أَجْمَلَـتْ جُمْـلٌ غَـدَاةَ فِـرَاقِنَـا وَلاَ أَسْعَـدَتْ سُعْـدَى وَلاَ أَعْتَبَـتْ عُتْـبُ
وَعِيـسٍ كَـأَمْثَـالِ الحَنَـايَـا ضَـوَامِـرٍ لَهَـا النَّـصُّ وَالإِرْقَـالُ فِـي سَيْـرِهَـا دَأْبُ
مَـرَاسِيـلُ لاَ جَـذْبُ البُـرَى يَسْتَـزِيـدُهَـا وَلاَ يَـزْدَهِيهَـا ذُو فَـجٍ لاَ وَلاَ هُضْـبُ
تُقِـلُّ بَنِـي الحَـاجَـاتِ مِـنْ كُـلِّ نَـازِحٍ قَصِـيٍّ لَـهُ مِـنْ شحبها دَائِمـاً شُـرْبُ[1]
إِذَا وَرَدُوا مِـنْ بَعْـدِ خَمْـسٍ وَأَوْرَدُوا مَغِيـضَ عُبَـابِ المَـاءِ مِنْهُـمْ إِذَا عَبُّـوا
سَـرَيْـتُ بِهِـمْ وَاللَّيْـلُ مُـرْخٍ رِوَاقَـهُ وَسِـرْتُ وَوَجْـهُ الشَّمْـسِ لَيْـسَ لَهَـا حُجْـبُ
بِمُـذْهِلَـةٍ يَخْشَـى الظَّلِيـمُ طُـرُوقَهَـا وَدَوِّيَّـةٍ قَفْـرٍ يَحَـارُ لَهَـا الضَّـبُّ[2]
سُكَـارَى نُعَـاسٍ أَصْبَحُـوا بَـادِلاً جِهِـمْ يَمِيلُـونَ أَحْيَـانـاً كَـأَنَّهُـمُ شَـرْبُ
فَلَمَّـا بَـدَا نَخْـلُ العِـرَاقِ وَصَفَّقَـتْ جَـدَاوِلُـهُ وَافْتَـرَّ عَـنْ زَهْـرِهِ العُشْـبُ
نَشَـرْتُ لَهُـمْ مِـنْ نُـورِ عَيْنَـيَ مُـؤْنَـةً وَقُلْـتُ: لِـيَ البُشْـرَى بِنَيْـلِ المُنَـى هُبُّـوا
تَـدَارَكَكُـمْ جُـودُ الخَلِيفَـةِ إِنَّـهُ هُـوَ النَّـائِـلُ الفَضْفَـاضُ وَالمَنْهَـلُ العَـذْبُ

/ ٨٤أ/ وأنشدني لنفسه يتشوق إِلَى وطنه بسروندكار، وصنع ذلك بديهة:

[من المديد]

حَـنَّ مَحْـزُونٌ إِلَـى وَطَنِـهْ فَبَكَـى المَفْقُـودَ مِـنْ زَمَنِـهْ
وَتَغَنَّـى مُنْشِـداً غَـزَلاً فَحَكَـاهُ الطَّيْـرُ فِـي فَنَنِـهْ

(١) «شحبها» لعلها سُحْبِهَا.
(٢) الدوية: الفلاة.

رَاكِبـاً كُـورَ الهَـوَى وَلَـهُ طَلَـبٌ يَحْـدُوْ إِلَـى سَكَنِـهْ
شَـامَ مِـنْ سـرونـدكـارَ سَنَـى بَـارِق أغْـرَاهُ مِـنْ دِمَنِـهْ
وَبِـذَاكَ الحَـيِّ لِـي رَشَـأٌ خَـانَ ظُلْمـاً عَهْـدَ مُـؤْتَمِنِـهْ
/ ٨٤ب/ نَكِّبُـوا عَـنْ سِحْـرِ مُقْلَتِـهِ ...... مِـنْ فِتَنِـهْ
مَـا عَلَـى العُـذَّالِ مِـنْ رَجُـلٍ سِـرُّهُ أَفْضَـى إِلَـى عَلَنِـهْ
لَـمْ يَـدَعْ وَقْـرُ النَّـوَى فَغَـدَا لاَسْتِمَـاعِ العَـذْلِ فِـي أُذُنِـهْ
قَـارَنَ التَّبْـرِيْـحُ مُهْجَتَـهُ حَيْـثُ جَـدَّ البَيْـنُ فِـي قَـرَنِـهْ
سَـافِحـاً بِـالسَّفْـحِ أَدْمُعَـهُ لأُهَيْـلِ الحَـزْنِ مِـنْ حَـزَنِـهْ
هَـلْ فَكَـاكٌ يُـرْتَجَـى أَمَمـاً لأَسِيْـرِ القَلْـبِ مُـرْتَهَنِـهْ
قَـدْ رَوَتْ أَجْفَـانُـهُ خَبَـراً سَلْسَلَتْـهُ العَيْـنُ عَـنْ شَجَنِـهْ
بَعْـضُ مَـا يَلْقَـاهُ مِـنْ كَمَـدٍ ذَادَ جَفْـنُ العَيْـنِ عَـنْ وَسَنِـهْ

وأنشدني، وكان قد أشرف على حارم في صحبة مخدومه الأمير ناصر الدين محمد بن قرطايا ـ رحمه الله تعالى ـ فسأله أن يرثي السلطان الملك العزيز ـ صاحب حلب ـ ويذم حارمًا، وكان مرض بها الملك العزيز، فحمل إلى حلب، فتوفي بها وذلك في سنة أربع وثلاثين وستمائة: [من الخفيف]

كُـلُّ بَـاقٍ إِلَـى الفَنَـاءِ يُعَـادُ وَالمَنَـايَـا فَقِيْـدُهَـا لاَ يُعَـادُ
أَحْـرَمَ اللَّـهُ حَـارِمـاً هَـاطِـلَ المُـزْنِ وَلاَ أَخْضَـرَّ عُـوْدُهَـا المَيَّـادُ
أَعْـدَمَتْنَـا المَلْـكَ العَـزِيْـزَ وَمَـنْ كَـانَـتْ مُلُـوْكُ الـدُّنْيَـا بِـهِ تُقْتَـادُ
مَلِـكٌ كَـانَ فِيْـهِ لِلطَّـالِـبِ الـرَّاجِـي عَطَـاءٌ وَلِلْخُصُـوْمِ عِنَـادُ
مَـا لِـدَهْـرٍ قَضَـى عَلَيْنَـا بِتَفْـرِيْـقِ مَلِيْـكٍ بَقَـاؤُهُ مُـرْتَـادُ
قَـدْ كَـرِهْنَـا حَيَـاةَ قَـوْمٍ فَعَـاشُـوا وَأَرَادُوا بَقَـاءَ قَـوْمٍ فَبَـادُوْا
فَجْعَـةٌ عَمَّـتِ البِـلاَدَ وَرُزْءٌ لَـمْ تُفَـاجَـأْ بِمِثْلِـهِ الآبَـادُ
وَمُصَـابٌ فِـي الـدِّيْـنِ أَبْكَـى بَنِـي الـدَّهْـرِ وَخَـرَّتْ لِـوَقْعِـهِ الأَطْـوَادُ
لَـوْ رَأَيْنَـا شَخْـصَ الحِمَـامِ بَـرَزْنَـا مُـرْهَفَـاتٌ بِيْـضٌ وَجُـرْدٌ جِيَـادُ
أَوْ مَلَكْنَـا عَنْـهُ الفِـدَاءَ لَجَـانٍ كُـلُّ نَفْـسٍ إِلَـى المَنُـوْنِ تُقَـادُ
تَسْتَـزِيْـدُ العِـدَا الخُطُـوْبَ وَمَـا بَعْـدَ مُصَـابِ العَـزِيْـزِ مَـا يُسْتَـزَادُ

تَشتكي فَقْدَهُ العَواصِمُ بَلْ تَنْدُبُ مَثْواهُ هُضْبُهَا والوِهَادُ
وَعِرَاضُ الجَواسِقِ البِيْضِ قَدْ أَضْحَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ العَزِيْزِ السَّوَادُ

وأنشدني لنفسه: [من الرجز]

لَوْلاَ هَوًى بِقَلْبِهِ تَعَرَّضَا ... مَا شَاقَهُ بَرْقٌ بِنَجْدٍ أَوْمَضَا
/ ٨٥ب/ لَمَّا أَضَاءَ مَوْهِنًا هَامَ بِهِ ... فُؤَادُهُ شَوْقًا إِلَى ذَاتِ الإِضَا
وَانْقَادَ مِنْ بَعْدِ الجُمُوْحِ وَارْعَوَى ... إِلَى الهَوَى وَكَانَ صَعْبًا رُيِّضَا
رَمَاهُ رِيْمٌ مِنْ بَنِي التُّرْكِ لَهُ ... شَمَائِلٌ يُخْجِلُ بَانَاتِ الغَضَا
بَدْرُ دُجًى عَرَّضَنِي إِعْرَاضُهُ ... إِلَى البِلَى أَكْرِمْ بِهِ مُعَرِّضَا
يُقِيْمُهُ عِنْدَ القُعُوْدِ رِدْفُهُ ... وَرُبَّمَا أَقْعَدَهُ إِنْ نَهَضَا
دَانٍ بَعِيْدٌ هَاجِرٌ مُوَاصِلٌ ... بِحُبِّهِ أَسْهَرَنِي وَغَمَّضَا
حَرَّضَنِي عَلَى هَوَاهُ حُسْنُهُ ... حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمَ صِرْتُ حَرَضَا
يَا مَا طَلاً دَيْنَ فَتًى غَرِيْمُهُ ... غَرَامُهُ هَلْ لِلدُّيُوْنِ مُقْتَضَى
أَسْهَرْتَ جَفْنَ مُغْرَمٍ بِحَقِّهِ ... لِمَا يُلاَقِي فِي هَوَاكَ لَوْ قَضَى
كَأَنَّمَا بَاتَ لِمَا يَلْقَى عَلَى ... شَوْكِ القَتَادِ أَوْ عَلَى جَمْرِ الغَضَا
ضَعِيْفَ عَهْدٍ لَمْ أَزَلْ أَحْفَظُهُ ... بِصِحَّةٍ تُعْقِبُ قَلْبِي مَرَضَا
مَلَكْتَ فَاسْجَحْ كَمْ إِلَى كَمْ تَعْتَدِيْ ... عَلَيَّ ظُلْمًا مُقْبِلاً أَوْ مُعْرِضَا
فَتَارَةً تَرْفَعُنِي مُنْبَسِطًا ... وَتَارَةً تَخْفِضُنِي مُنْقَبِضَا
حَمَلْتُ فِي حُبِّكَ مَا لَوْ أَنَّهُ ... كَانَ عَلَى وَجْهِ النَّهَارِ مَا أَضَا
تَرَفَّقًا يَا شَمْسُ بِالصَّبِّ فَقَدْ ... أَلْقَى إِلَيْكَ أَمْرَهُ وَفَوَّضَا
/ ٨٦أ/ أَبْغَضُ عُذَّالِيَ فِي هَوَاهُ مَنْ ... عَايَنَ مِنْ قَبْلِي مُحِبًّا مُبْغِضَا

وأنشدني لنفسه وقد ألزمه العلاء بن سامح، وكان يتولّى الإشراف بديوان إربل بولاية المارستان، فكتب إلَى الوزير الولي يستقيل منْ ذلك[1]: [من مجزوء الكامل]

يَا أَيُّهَا المَوْلَى الوَزِيْرُ وَذَا الرِّعَايَةِ وَالعِنَايَهْ
إِنَّ العَلاَءَ أَضَلَّنِي ... فِي القَوْلِ عَنْ طُرُقِ الهِدَايَهْ

---

(١) الأبيات في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٨١.

لأَنُــــوبَ مَــــارسْتَــــانكُــــمْ وَأَقُــــوْمَ فِيْــــهِ بِــــالكفَــــايَــــهْ
إنِّــــي لَمُحْتَــــاجٌ إِلَيْــــهِ مَتَــــى أَجَبْــــتُ إِلَــــى الــــولاَيَــــهْ

وأنشدني أيضًا لنفسه[1]: [من المنسرح]

يَحسُــدنــي عَــاذلــيْ عَلَيْــكَ وَمَــا يَحْصَــلُ منِّــي إلاَّ عَلَــى التَّعَــب
فَعَــاذلَــيْ ضَــلَّ فَــيْ هَــوَاكَ كَمَــنْ يَقْــرأُ (تَبَّــتْ عَلَــى أَبِــيْ لَهَــبِ)

وأنشدني قوله: [من الكامل]

مَــا فــيْ الأَنَــام فَتَــى يُــرَجَّــى للنَــدَى كَــلاَّ وَلاَ فَــيْ آلِ بَــومَــن يَنْفَــعُ
وَأَرَى الفَضَــائِــلَ فــيْ الأَنَــامِ مِثَــالُهَــا مُشْــطٌ يُقَلِّبُــهُ خَصِــيٌّ أَصْلَــعُ

/ ٨٦ب١/ وأنشدني منْ شعره: [من الطويل]

عَلَيْــكَ سَــلاَمُ اللــهِ مَــا هَبَّــت الصَّبَــا وَمَــا نَــاحَ قُمْــرِيٌّ وَمَــاذرَّ شَــارِقُ
لَئِــنْ قُطعَــتْ سُبْــلُ الــزِّيَــارَةِ بَيْنَنَــا فَــإِنِّــيْ بِحَبْــلِ مِــنْ وُدَادِكَ وَاثِــقُ

وأنشدني لنفسه منْ قصيدة مطولة يصف فيها القصيدة: [من الطويل]

إلَيْــكَ أَميْــرَ المُــؤْمنيْــنَ بَعثْتُهَــا عَــرُوْسًا تَهَــادَى فــيْ صُــوَانٍ وَفــيْ خــدْرٍ[2]
سَليْلَــةَ أَعْــرَابٍ بِنَجْــدٍ بُيُــوتُهَــا وَمَــا بَــرِحَــتْ مــنْ قَصْــرِ عيْسَــى إلَــى النَّهْــرِ
جَعَلْــتُ لَهَــا دُرَّ المَــديْــحِ قَــلاَئِــداً عَلَــى ثِقَــةٍ أَنِّــيْ أُقَلِّــدُ بِــالــدُّرِّ
لَــدَى نَــاهِــبٍ عُجْــمَ الطُّغَــاةِ نُفُــوْسَهُــمْ وَأَمْــوَالَهُــمْ نَهْــبَ الفَصِيْــحِ مــنْ الشِّعْــرِ
مَــدَائِــحُ تُبْلــيْ الــدَّهْــرَ وَهْــيَ مَــديْــدَةٌ وَتُطْــوَى اللَّيَــالــيْ وَهْــيَ بَــاقِيَــةُ النَّشْــرِ
أَضَــرُّ عَلَــى عَيْــنِ الحَسُــوْدِ مــنْ القَــذَى وَأَسْــرَعُ فَــيْ جَــوْبِ التَّنَــائِــفِ مــنْ فكْــرِ
أَلَيْلَــةَ قَــدْرٍ قُمْــتُ أُنْشــدُ مَــدْحَــهُ لَــدَيْــهِ وَمَــا أَدْرَاكَ مَــا لَيْلَــةُ القَــدْرِ
أُؤَمِّــلُ نُعْمَــى ثَيِّبًــا أَسْتَــزِيْــدُهَــا عَلَــى حُسْــنِ مَــا أَهْــدَيْــتُ مــنْ نَــاهِــدٍ بِكْــرِ
أَقَــلُّ الَّــذيْ يُــوْلــيْ أَجَــلُّ مَطَــالِبِــيْ وَبَعْــضُ نَــدَى كَفَّيْــهِ أَعْظَــمُ مِــنْ قَــدْرِيْ
فَــلاَ زَالَ مَنْصُــوْرَ اللِّــوَاءِ مُشَفَّعًــا مِــنَ اللَّــهِ فِيْمَــا رَامَ بِــالشَّفْــعِ وَالــوَتْــرِ

(١) البيتان في الوافي ٢/ ١٢١.
(٢) الصّوان: ما يصان فيه الشيء.

[٥٠٥]

/ ١٨٧أ/ عليُّ بنُ عثمانَ بن عبدِ الأعلى بنِ صدقةَ بن عبدِ الواحدِ، أبو الحسنِ البغدادَيّ

رجل خيّر وعنده فضل وسكون، صحيح الفكرة، جيد القريحة.

كانت ولادته فِيْ يوم الإثنين سادس صفر سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

سمع أبا الفرج بن الجوزي، وعمر بن طبرزد، وابن سُكينة عبد الوهاب، وعبد العزيز بن الأخضر وجماعة سواهم. وحفظ القرآن الكريم.

فمن شعره ما أنشدني ـ فِيْ أواخر شوال بمدينة السلام سنة تسع وثلاثين وستمائة ـ يمدح المستنصر بالله ـ رضوان الله عليه ـ: [من البسيط]

بَانُوا فَبَانَ عَنِ المَضْنَى تَجَلُّدُهُ وَعَزَّ نَاصِرُهُ فِيْهِمْ وَمُسْعِدُهُ
أَسْرَوْا بِنَوْمِي إِذْ سَارَتْ رِكَابُهُمُ فَاللَّيْلُ مُذْ فَارَقُوْنِي لَسْتُ أَرْقُدُهُ
لَوْ حَمَّلُوْهُ لِرَضْوَى يَوْمَ بَيْنِهِمُ بَعْضَ الَّذِي حَمَّلُوْنِيْ ذَابَ جَلْمَدُهُ
بِاللَّهِ يَا عَاذِلِيْ فِيْمَنْ أُحِبُّ أَمَا يَكْفِيْكَ مِنْهُ لإِتْلاَفِي تَعَمُّدُهُ
أَقْصِرْ عَنِ اللَّوْمِ فَالمُغْرَى المُحِبُّ إِذَا أَرَدْتَ إِصْلاَحَهُ بِاللَّوْمِ تُفْسِدُهُ
مَا كَانَ يَخْطُرُ لِي أَنَّ الزَّمَانَ كَذَا يُقْصِي حَبِيْبِيَ عَنْ عَيْنِي وَيُبْعِدُهُ
/ ٨٧ب/ لاَ تَحْسَبَنِّيَ إِنْ شَطَّ المَزَارُ بِنَا أَحُوْلُ فِيْ الحُبِّ عَمَّا كُنْتَ تَعْهَدُهُ
إِنْ لَمْ تَصِلْنِي فَعِدْنِيْ بِالوِصَالِ عَسَى يُحْيِي المُعَنَّى البَعِيْدَ الدَّارِ مَوْعِدُهُ
كَمَا أَعَادَ هَشِيْمَ الدَّهْرِ حِيْنَ ذَوَى بَادِي الغَضَارَةِ حَتَّى مَاسَ أَعِيْدُهُ
خَلِيْفَةٌ خَلَقَ الرَّحْمَانُ رَاحَتَهُ لِلْبَذْلِ وَاللَّهُ يُبْقِيْهِ وَيَعْضُدُهُ
نَهَارُهُ فِيْ اعْتِمَادِ العُرْفِ [يُنْفِقُهُ] وَاللَّيْلُ يُفْنِيْهِ أَوْرَاداً تَهَجُّدُهُ
آرَاؤُهُ فِيْ طِلاَبِ العَدْلِ ثَاقِبَةٌ كَأَنَّمَا مَقْصَدُ الفَارُوْقِ مَقْصَدُهُ
فَلَوْ رَآهُ وَمَا يَأْتِيْهِ مِنْ كَرَمٍ لَكَانَ يَحْمَدُهُ ـ وَاللَّهِ ـ أَحْمَدُهُ
إِذَا رَأَى المُجْتَدِيْ فِيْ الحَالِ بَادَرَهُ قَبْلَ التَّعَرُّضِ لِلسُّآلِ يَرْفِدُهُ
كَأَنَّهُ مُقْسِمٌ أَنْ لاَ يَرَى أَحَداً إِلاَّ وَيُشْرِكُهُ فِيْمَا حَوَتْ يَدُهُ

يَمْضِي إِلَى طَالِبِ الجَدْوَى نَدَاهُ كَمَا ... يَمْضِي إِذَا صَالَ فِي حَرْبٍ مُهَنَّدُهُ
يُعْطِي فَيُهْنِي العَطَايَا بِشْرُ. . . . ... بِلاَ مِطَالٍ وَلاَ مَنٍّ يُنَكِّدُهُ
يُعْصَى فَيُغْضِي عَنِ العَاصِي تَكَرُّمُهُ ... سَجِيَّةٌ سَنَّهَا الْمَاضِي مُحَمَّدُهُ
تُقِرُّ عَنْ مَدْحِهِ بِالعَجْزِ أَلْسُنُنَا ... إِذَا أَتَتْ بِقَرِيضٍ فِيهِ تُنْشِدُهُ
وَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الشِّعْرُ فِي نَفَرٍ ... تَأْوِيلُ مَجْدِهِمُ التَّنْزِيلُ يُورِدُهُ
لَكِنَّ شُكْرَ أَيَادِيهِ لَنَا شَرَفٌ ... فَكُلَّمَا عَمَّنَا بِالبِرِّ نَحْمَدُهُ

/١٨٨أ/ طُوبَى لِعَيْنٍ وَلَوْ فِي دَهْرِهَا نَظَرَتْ ... يَوْماً إِلَيْكَ وَعَبْداً أَنْتَ سَيِّدُهُ
فَاسْلَمْ أَبَا جَعْفَرٍ لِلْمُلْكِ مَا هَتَفَتْ ... وَرْقَاءُ أَرَّقَهَا سَجْعٌ تُرَدِّدُهُ
مُمَتَّعاً بِدَوَامِ العِزِّ مُدَّرِعاً ... ثَوْبَ البَقَاءِ لِمَعْرُوفٍ تُجَدِّدُهُ
مَعْ زَرْعِكَ الخَيْرَ فِي أَقْصَى البِلاَدِ كَذَا ... نَبْتُ الضَّلاَلِ بِسَيْفِ النَّصْرِ تَحْصُدُهُ

وأنشدني لنفسه في شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة : [من الخفيف]

يَا خَلِيلَيَّ قَدْ أَتَى نَشْرُ تَشْرِيـ ... ـنَ وَوَلَّى بِحَرِّهِ أَيْلُولْ
وَاسْتَغَاثَ الزَّمَانُ حَيَّ عَلَى الشُّرْبِ ... وَحَنَّتْ إِلَى الكُؤُوسِ الشَّمُولْ
فَاشْرَبَاهَا كَرْخِيَّةً حِينَ تَبْدُو ... تَتَوَارَى مِنَ الرِّجَالِ العُقُولْ
وَاسْقِيَانِي فَإِنَّ عَصْرَ التَّصَابِي ... عَنْ قَلِيلٍ كَمَرِّ طَيْفٍ يَزُولْ
وَاعْلَمَا أَنَّ كُلَّ لَذَّةِ عَيْشٍ ... وَسُرُورٍ إِلَى فَنَاءٍ يَؤُولْ
وَخُذَا قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ حَظّاً ... بِسَبِيلِ المَمَاتِ يَبْسُ السَّبِيلْ
وَلَئِنْ كَانَتِ اللَّيَالِي قِصَاراً ... فَوْقَهَا فَهْيَ تَحْتَهَا سَتَطُولْ
فَاصْرِفَا الهَمَّ بِالمُدَامَةِ فَالرَّا ... حُ إِلَى كُلِّ مَا يَسُرُّ رَسُولْ
وَبِهَا إِنْ خَبَرْتَ سِرُّ مَا قُلْـ ... ـتُ إِلَى قُرَّةِ العُيُونِ الوُصُولْ
/٨٨ب/ وَبِهَا تَذْهَبُ الهُمُومُ مِنَ الصَّدْ ... رِ وَيَشْفَى إِذَا حَسَاهَا العَلِيلُ
قَهْوَةٌ يَنْظِمُ المِزَاجُ عَلَيْهَا ... تَاجَ دُرٍّ كَأَنَّهُ إِكْلِيلُ
أَحْدَثَتْ فِي زُجَاجَةِ الكَأْسِ نُوراً ... فَسَنَاهَا لَهَا إِلَيْنَا دَلِيلُ
فَتَرَاهَا بَيْنَ السُّقَاةِ وَذَيْلُ اللَّيْـ ... ـلِ مُرْخًى كَأَنَّهَا قِنْدِيلُ
هِيَ شَمْسٌ وَالكَأْسُ بُرْجٌ وَسَاقِي الـ ... ـقَوْمِ قُطْبٌ لَهَا وَفِينَا الأُفُولْ
يَتَثَنَّى بِهَا إِلَيْكَ غُلاَمٌ ... كَقَضِيبٍ لَدْنِ القَوَامِ يَمِيلُ

فَـاتِـرُ اللَّحْـظِ أَغْيَـدٌ بَـابِلِـيٌّ حَسَـنُ الـوَجْـهِ رِيْقُـهُ مَعْسُـوْلُ
يَمْـزِجُ الكَـأْسَ مِـنْ رُضَـابِ ثَنَـايَـاهُ بِعَـذْبٍ كَـأَنَّـهُ السَّلْسَبِيْـلُ
بِعِـذَارٍ يُقِيـمُ عُذْرَ مُحِبِّـهِ فَيُغْضِـي إِذَا رَآهُ العَـذُوْلُ
رَشَـأٌ يَجْـرَحُ القُلُـوبَ بِطَـرْفٍ بَيْـنَ جَفْنَيْـهِ صَـارِمٌ مَسْلُـولُ
كَـمْ قَطَعْنَـا مَـا بَيْـنَ هَـذا وَهَـاتِيْـكَ لَيَـالٍ فِيْمَـا هُـوَ المَـأْمُـولُ
فَـاغْتَنِـمْ عُمْـرَكَ القَصِيْـرَ وَدَعْ مَـا قَـالَ غَيْـرِيٌّ سُـدًى وَخُـذْ مَـا أَقُـوْلُ

وقال في التاريخ، وقد رأى من قوم ما يقتضي ذلك: [من الخفيف]

جُمْلَـةُ الأَمْـرِ إِبْـنُ آدَمَ شَـيْءٌ هُـوَ شَـرٌّ فِـيْ جِلْـدِهِ مَكْتُـوْبُ
يَـدَّعِـيْ العَقْـلَ وَالعَـدَالَـةَ جَهْـلاً وَهْـوَ بِـالطَّبْـعِ جَـائِـرٌ. . . .

/ ١٨٩أ/ وقال: [من الخفيف]

جَهِلُـوا مَـا عَلِمْـتُ فَـاسْتَجْهَلُـونِـيْ ظَلَمُـوْنِـيْ إِذاً وَمَـا أَنْصَفُـوْنِـي
أَنْكَـرُوْنِـيْ وَقَـدْ عَـرَفْـتُ خَفِـيَّ الأَمْـرِ مِـنْ حَـالِهِـمْ وَمَـا عَـرَفُـوْنِـيْ

[٥٠٦]

عليُّ بنُ أبي بكر ـ واسمه عتيقُ ـ بنُ مُحمّد بنِ عليٍّ بنِ خلفِ بنِ أيوبَ، أبو الحسَنِ الأنصاريُّ.

منْ أهلِ بَلَنْسِيَةَ[١].

كانت ولادته في العشر الأول من المحرم سنة تسعين وخمسمائة، الفقيه الفاضل المقريء. قرأ القرآن بالسبع، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وسمع الحديث النبوي كثيراً بالأندلس وغيرها من البلاد.

وهو رجل يفوق أبناء وقته؛ دينًا، وفضلاً، وخيراً، وعلمًا، مقلٌّ من قول الشعر.

سكن حلب وتديَّرها. رأيته في المدرسة المنسوبة إلى بني عصرون، وله بها جامكيّة يتناولها. وهو متصدر لإقراء القرآن العظيم بالجامع أيضًا.

---

(١) بلنسية: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس، وهي شرقي قرطبة. انظر: معجم البلدان/ مادة (بلنسية).

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

ثِقْ بالإلهِ وكُنْ بهِ مُسْتَنْصِراً ... يَرْعاكَ رَبُّكَ في الفعالِ ويُرْشِدُ
/ ٨٩ب/ واقْنَعْ بما أعْطاكَ رَبُّكَ راضياً ... إنَّ القناعةَ كَنْزُها لا يَنْفَدُ
إنَّ الوُثُوقَ بذي المعالي رِفْعَةٌ ... يَحْظى بها العَبْدُ الرَّشيدُ الأسْعَدُ
وَدَعِ المطامِعَ جانباً فَلَرُبَّما ... ذَلَّتْ رِقابُ أعِزَّةٍ فاسْتُعْبِدُوا
وَمكارِمَ الأخْلاقِ لا تَدَعَنَّها ... فإذا فَعَلْتَ فأنْتَ أنْتَ الأمْجَدُ
إيّاكَ والكَذِبَ المُثيرَ عَداوَةً ... إنَّ الكَذُوبَ مِنَ الإلهِ مُبَعَّدُ
والصِّدْقُ أوَّلُ ما سَلَكْتَ طَريقَهُ ... فَهُوَ الصِّراطُ المُسْتَقيمُ الأقْصَدُ
والغِيبَةَ احْذَرْها ولا تَكُ آكِلاً ... مِنْ جيفَةٍ إنَّ المكارِهَ تُبْعَدُ
إنَّ النَّميمَةَ خَصْلَةٌ مَذْمُومَةٌ ... يَسْعى بها النَّذْلُ اللَّئيمُ الأوْغَدُ
لا تَحْسُدَنْ أحَداً على ما عِنْدَهُ ... فالعاقِلُ المَغْبُوطُ مَنْ لا يَحْسُدُ
وإذا غَضِبْتَ فكُنْ لغَيْظِكَ كاظِماً ... فالغَيْظُ نارٌ جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
واحْلُمْ فإنَّ الحِلْمَ خَيْرُ مَطِيَّةٍ ... مَنْ كانَ راكِبَها يُجَلُّ ويُحْمَدُ
إنَّ التَّواضُعَ للمُكَلَّفِ رِفْعَةٌ ... وكَذا التَّكَبُّرُ ذِلَّةٌ تَتَزَيَّدُ
فَذَرِ الرِّباءَ فإنَّهُ شِرْكٌ ودَعْ ... ظُلْمَ العِبادِ فإنَّهُ يَتَعَوَّدُ
واجْعَلْ طَعامَكَ مِنْ حَلالٍ خالِصٍ ... فَمَطاعِمُ الشُّبُهاتِ سُمٌّ أسْوَدُ
دَعْ ما يُريبُكَ إنْ أرَدْتَ سَلامَةً ... وخُذِ الذي لا رَيْبَ فيهِ تُسَدَّدُ
/ ٩٠أ/ واشْغَلْ بذِكْرِ اللهِ وَقْتَكَ وارِداً ... نَهْرَ الحَياةِ بهِ فَنِعْمَ المَوْرِدُ
واحْفَظْ جَميعَ وَصِيَّتي واعْمَلْ بها ... إيّاكَ تَتْرُكُها وعَنْها تَرْقُدُ
واضْرَعْ إلى اللهِ العَظيمِ . . . . وَقَريحَةٍ فَهُوَ الكَريمُ الأوْحَدُ
فَعَساهُ يَغْفِرُ ذَنْبَنا ويُنيلُنا ... دارَ السَّعادَةِ حينَ يأتي المَوْعِدُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

يا جامِعَ الدُّنْيا وأنْتَ تُحِبُّها ... مَهْلاً عَلَيْكَ لبَعْلِ عِرْسِكَ تَجْمَعُ
يَزْدادُ حِرْصُكَ عِنْدَ شَيْبِكَ آمِلاً ... طُولَ الحَياةِ فَلَيْتَ شِعْري تَشْبَعُ
مِمّا لِغَيْرِكَ نَفْعُهُ وحِسابُهُ ... رَدٌّ عَلَيْكَ فَهَلْ لِرُشْدِكَ تَرْجِعُ

[٥٠٧]

عليُّ بنُ رستمَ بنِ أبي القاسمِ بنِ أحمدَ بنِ وادّ بنِ يحيى الكيشيُّ.

من جزيرة كيش مولداً ومنشأً.

نزل مدينة السلام وأقام بها وتأهل. وله يد في علم الأدب وفن الحكمة؛ فاضل له فهم ودراية ومعرفة باللغة، ومعاني الشعر. رأيته ببغداد غير مرّة.

وأنشدني لنفسه، وكتب إلَي بخطه هذه المقطوعة: [من المنسرح]

/ ٩٠ب/ عَذَّبَ طَرفِي البُكَاءُ وَالسَّهَرُ ... فَمَا لِلَيْلِي صُبْحٌ وَلاَ سَهَرُ
يَنْزِلُ دَمْعِي وَيَرْتَقِي نَفَسِي ... فَيَلْتَقِي مُصْعِدٌ وَمُنْحَدِرُ
فِي حُبِّ سَاجِي اللِّحَاظ يَرْشُقُنِي ... بِأَسْهُمٍ مَا لِقَوْسِهَا وَتَرُ
مُؤَنَّثُ الدَّلِّ وَالشَّمَائِلِ فِي ... جُفُونِ عَيْنَيْهِ صَارِمٌ ذَكَرُ
أَغْيَدُ فِي كَأْسِ فِيهِ صَافِيَةٌ ... كَعِيشَةٍ مَا يَشُوبُهَا كَدَرُ
أَمْسَيْتُ حَيْرَانَ فِي هَوَاهُ كَمَا ... قَدْ حَارَ فِي غُنْجِ طَرْفِهِ الحَوَرُ
قَضَيْتُ نَحْبِي شَوْقاً إِلَيْهِ وَلَمْ ... يُقْضَ لِطَرْفِي مِنْ وَجْهِهِ وَطَرُ
أَهْدَرَ ظُلْماً دَمِي وَكُلُّ دَمٍ ... أَرَاقَهُ سَيْفُ لَحْظِهِ هَدَرُ
يَعْذُبُ فِي حُبِّهِ العَذَابُ كَمَا ... يَلَذُّ فِيهِ البُكَاءُ وَالسَّهَرُ
وَاحَرَّ قَلْبِي شَوْقاً إِلَى قَمَرٍ ... فِي فِيهِ دُرٌّ وَبَارِدٌ خَصِرُ(١)
وَمَا رَأَيْنَا دُرّاً تَضَمَّنَهُ ... مِنْ قَبْلُ رَيَّاهُ خَاتَمٌ عَطِرُ
وَرَدْتُ مَاءَ الحَيَاةِ مِنْ فَمِهِ ... هُنِّيتَ طُولَ الحَيَاةِ يَا خَضِرُ
سُبْحَانَ مَنْ أَنْبَتَ البَنَفْسَجَ فِي ... صَفْحَةِ خَدٍّ كَالجَمْرِ يَسْتَعِرُ
لَمْ أَرَ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ قَمَراً ... يُقِلُّهُ غُصْنُ بَانَةٍ نَضِرُ
/ ٩١أ/ طَلْقُ المُحَيَّا مِنْ وَرْدِ وَجْنَتِهِ ... يَكَادُ مَاءُ الدَّلاَلِ يَنْعَصِرُ
فِي صَحْنِ خَدَّيْهِ رَوْضَةٌ أُنُفٌ ... يُغْرَسُ فِيهَا الشَّقَائِقُ الخُفُرُ

(١) خصر: بارد.

أُكَفُّ طَرْفِي عَنْ تِبْرِ وَجْنَتِهِ ... مَخَافَةً أَنْ يُذِيبُهَا النَّظَرُ
أَقُولُ لِلْبَدْرِ حِينَ قَابَلَهُ: ... أَيُّكُمَا لِلتَّشَابُهِ القَمَرُ
جَنَتْ عَلَى وَجْنَتَيْهِ عَنْ خَطَأ ... لَمَّا جَنَتْ وَرْدَ خَدِّهِ الطُّرَرُ
فَأَوْجَسَتْ خِيفَةً وَبَلْبَلَهَا الـ ... ـرَّوْعُ فَجَاءَتْ إِلَيْهِ تَعْتَذِرُ
وَقَبَّلَتْ أَرْضَ أَخْمَصَيْهِ وَمَا ... قَبَّلَ أَرْضاً مِنْ قَبْلِهَا شَعَرُ

[٥٠٨]

عليُّ بنُ إسماعيلَ بنِ المجنِّ بنِ يوسفَ بنِ غازي بنِ محمودٍ، أبو الحسنِ الدمشقيُّ.

قدم الموصل في حداثته، وهو مقيم بها، ويعرف بعُلَيَّان النيّف؛ وسمي بذلك لأنّه كثير الإغراء بنتف لحيته والوالع بها. وحرفته التي يعتمد عليها الاستجداء بشعره للناس. وهو شيعي مُغالٍ في الولاء. توفي بالموصل أوائل سنة أربع وثلاثين وستمائة.

أنشدني لنفسه منْ قصيدة طويلة، يمدح بها القاضي محيي الدين / ٩١ب/ أبا حامد محمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري: [من الكامل]

يَا لَلرِّجَالِ أَمَا مُجِيرٌ مُنْصِفُ ... قَدْ مَلَّ صُحْبَتِيَ الغَزَالُ الأَهْيَفُ
قَمَرُ المَلاَحَةِ لَوْ رَآهُ يُوسُفٌ ... لَصَبَا إِلَيْهِ مِنَ المَلاَحَةِ يُوسُفُ
رَشَأٌ لِعَاشِقِهِ بِرَوْضَةِ خَدِّهِ ... وَرْدٌ بِأَلْحَاظِ النَّوَاظِرِ يُقْطَفُ
فَكَأَنَّ رِيقَتَهُ وَبَرْدَ رُضَابِهِ ... شَهْدٌ يُمَازِجُهُ شَرَابٌ قَرْقَفُ
وَكَأَنَّ غُرَّتَهُ وَفَاحِمَ شَعْرِهِ ... صُبْحٌ تَكَنَّفَهُ ظَلاَمٌ مُسْدَفُ
يَا عَاذِلِي أَصْبَحْتَ غَيْرَ مُكَلَّفٍ ... بِالعَذْلِ وَالصَّبُّ العَمِيدُ مُكَلَّفُ
حَدِّثْهُ مَا بِي مِنْ جَوًى وَصَبَابَةٍ ... فَعَسَاهُ يَسْمَعُ بِالوِصَالِ وَيُسْعِفُ
أَوْ قُلْ لَهُ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَ مَصْرَعِي ... مَا كُنْتَ تُنْكِرُ بَيْنَنَا مَا تَعْرِفُ

ومنها:

لَهَفِي عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ وَطِيبِهِ ... وَبِبَعْضِ حَقِّي إِنَّنِي أَتَلَهَّفُ
أَيَّامَ غُصْنِي نَاضِرٌ وَشَمَائِلِي ... تُصْبِي الحَكِيمَ وَبَدْرُ تَمِّي مُشْرِفُ
وَبِوَجْنَتَيَّ مَاءٌ وَنَارٌ غَالَهُ ... لَيْلُ العِذَارِ فَشَمْسُ صَحْوِيَ تَكْسِفُ

نَـزَلَـتْ بِـهِ الأَكْـرَادُ وَهْـيَ مُغِيْـرَةٌ ... مَـا ضَـرَّهُـمْ لَـوْ أجهلـوا وَتَـوَقَّفُـوا
لِلَّـهِ دَرُّ يَـدَيَّ فِـيْ شَعَـرِ الصِّبَـا ... طَـوْراً تَسُـلُّ لَهَـا وَطَـوْراً تَنْتِـفُ
/١٠٣أ/ كَمْ قَدْ حَصَدْتُ شَكَارَتِي بِأَنَامِلِيْ ... وَالسَّعْـيُ يحلـف بَيْنَـهُ وَيُخَـرِّفُ
وعشبت بالمنْقَاشِ شَوْكاً لَمْ تَزَلْ ... تَسْقِيْـهِ دَالِيَـةُ الـدُّمُـوْعِ وَ. . . .
بَيْنَـا تَـرَى خَـدِّيْ أَرِيْضـاً مُمْـرِعـاً ... حَتَّـى تَـرَاهُ وَهْـوَ قَـاعٌ صَفْصَـفُ
قَدْ حَطَّ شَعْرِيْ قَدْرَ شَعْرِيْ فِيْ الوَرَى ... هَـذَا جَـزَاءُ مُـؤَاجِـرٍ يَتَعَجْـرَفُ
وَإِذَا اشْتَهَيْتُ نَفَقْتُ بَيْنَ مَعَاشِرٍ ... الشَّيْـخُ عِنْـدَهُـمُ غَـرِيْـرٌ أَهْيَـفُ
وَإِذَا الكِتَـابَـةُ لاَحَ فِـيْ عُنْـوَانِهَـا ... حَـرْفٌ فَفِـيْ طَـيِّ الصَّحِيْفَـةِ أَحْـرُفُ
فَنَفَـرْتُ حَتَّـى عِيْـلَ صَبْـرِيْ وَاشْتَفَـى ... مِنِّـيْ الحَسُـوْدُ وَرِيْـحُ حَظِّـيْ تَعْصِـفُ
لَـمْ تَكْفِنِـيْ جَـوْرَ العِـذَارِ ... . البَيَـاضُ. . . .

البياض: اسم رجل بوابًا لدار القاضي محيي الدين.

لَـوْ صَبَّـحَ المَلِـكُ العَظِيْـمُ بِـوَجْهِـهِ ... لأَرَاهُ فِـيْ العُمْـرَانِ يَـوْمـاً يَهْتِـفُ
هَـذَا البَيَـاضُ فَمَـا السُّخَـامُ تُكْلَتُـهُ ... هَـذَا لَئِيْـمٌ بِـالخَسَـاسَـةِ يُـوْصَـفُ
قَـدٌّ كَغُصْـنِ التِّبْـرِ يَـرْعَـشُ كَبْـرَةً ... وَيَهُـزُّهُ طَـرَبُ التُّيُـوْسِ فَيَـرْجُـفُ
كَـمْ رَدَّنِـيْ عَـنْ قَصْـدِ مَـوْلاَيَ الـذِي ... بِمَـدِيْحِـهِ بَيْـنَ الـوَرَى أَتَشَـرَّفُ
الحَـاكِـمِ العَـدْلِ الجَـوَادِ وَمَـنْ لَـهُ ... رَأْيٌ يَـدَيْـنُ لَـهُ الحُسَـامُ المُـرْهَـفُ
/ ١٠٣ب/ بِأَبِيْ نَوَالُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ ... أَنْـدَى مِـنَ الغَيْـثِ الهَتُـوْنِ وَأَوْكَـفُ
قُـسٌّ وَسَحْبَـانٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَـهُ ... حَـالَ الجِـدَالِ وَبَـاسِـلٌ مُتَغَطْـرِفُ

وأنشدني فيه أيضًا لنفسه ويطلب منه حلوى: [من الخفيف]

عَلِّـلاَنِـيْ مِـنَ الـرُّضَـابِ بِـرَشْـفِ ... فَهْـوَ يُـدْنِـيْ نَـارَ الغَـرَامِ وَيُطْفِـيْ
وَاقْطُفَـا لِـيْ وَرْدَ الخُـدُوْدِ وَإِنْ كَـانَ ... عَلَـى قُـرْبِـهِ عَـزِيْـزَ القَطْـفِ
قَـدْ خَلَعْـتُ العِـذَارَ فِـيْ حُـبِّ ظَبْـيٍ ... خَنِـثِ عِطْفُـهُ أَحَـمُّ الطَّـرْفِ
بَـابِلِـيِّ اللِّحَـاظِ فَـوَّقَ لِلْقَتْـلِ سِهَـامـاً ... مِـنَ الجُفُـوْنِ الـوُطْـفِ
زَرَدِيِّ العِـذَارِ يَبْسِـمُ عَـنْ بَـرْقِ ... ثَنَـايَـا مُفَلَّجَـاتِ الـرَّصْـفِ
يُـوْسُفِـيِّ الجَمَـالِ مُخْتَصَـرِ الخَصْـرِ ... غَـرِيْـرِ الصِّبَـا ثَقِيْـلِ الـرِّدْفِ
رَامَ مِنِّـيْ حَـلاَوَةً لَيْلَـةَ النِّصْـفِ ... وَعِنْـدِيْ مَـرَارَةٌ مِنْـهُ تَكْفِـيْ

أَتُـراهُ دَرَى بِـأنَّـكَ مُحْيِـي الـدِّيْـنِ عَـوْنِـيْ عَلَـى الخُطُـوبِ وَكَهْفِـي

[٥٠٩]

/ ١٢٩أ/ عليُّ بنُ محمّد بن أحمدَ بن إبراهيمَ بن محمد بن عليٍّ بن جعفر بن عبدَ المَلك بن القَاسم بن عليٍّ بن محمد بن حمّودَ بن ميمونَ بن أحمدَ بن عمرَ بن عبيد الله بن أدريسَ بن أدريسَ بن عبدَ اللّه بن الحسَن بن الحسَن بن عَليٍّ بن أبي طالب، أبو الحسن بنُ أبي عبد اللّه الحسنيُّ الحلَبيُّ المعروفُ، بابنِ المنياويِّ الزجّاجُ(١).

كانت ولادته بحلب في سنة تسع وستمائة من أبناء شرفائها المعروفين، وأماثلها. . . . ؛ ومن بيت مشهور بالثروة والجاه.

وأبو الحسن هذا شاب جميل /١٢٩ب/ نبيه، يميل إلى علم الأدب، ويقول الشعر جيداً فيه سماحة نفس، ومروءة وكياسة، لطيف الأخلاق، حسن المعاشرة، كثير التودد والبشر، كريم الصحبة؛ أشهر بيت بحلب رياسة وجاهًا وحشمة وإيثاراً وكرمًا ومروءة.

أنشدني لنفسه لغزاً فِيْ النشابة، وذلك بناشزة مِنْ أعمال الموصل الغربية يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وستمائة: [من مجزور الرجز]

مَـا طَـائِـرٌ بِـرِيْـشٍ لَكِـنْ بِـلاَ جَنَـاحِ
مَـا إِنْ يَطِيْـرُ حَتَّـى يُعْلِـنَ بِـالصِّيَـاحِ(٢)

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

تَهَـنَّ بِشَهْـرٍ أَنْـتَ لَيْلَـةُ قَـدْرِه مَحَلُّـكَ فِيْـهِ زَادَ فِـيْ رَفْـعِ قَـدْرِهِ
وَعِـشْ وَابْـقَ مَـعْ آتِـي الـزَّمَـانِ وَمَـرِّهِ كَـذَا أَبَـداً مَـا شَـابَ حُلْـواً بِمُـرِّهِ

وأنشدني أيضًا مِنْ شعره: [من المجتث]

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ وفيه: «المنياوي»، والترجمة نقلها عن القلائد.
(٢) البيتان في مجمع الآداب ٤/ ٣٦٩.

لازلْتَ تَبْقَى وَتَرْقَى عَلَى مَمَرِّ الزَّمَانِ
حَتَّى تُجَاوِزَ كَيْوَانَ فِي عُلُوِّ المَكَانِ

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

/ ١٣٠أ/ وَمُدَامٍ رَقَّتْ فَجَلَّتْ عَنِ المَزْجِ وَقَامَتْ بِكُلِّ مَعْنًى لَطِيفِ
مُذْ غَدَتْ جَوْهَراً بَسِيطاً وَعَادَ المَاءُ مِنْ لُطْفِهَا كَجِسْمٍ كَثِيفِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من السريع]

قَدْ سَمَحَ الدَّهْرُ عَلَى بُخْلِهِ بِالجَمْعِ فَانْهَضْ أَيُّهَا السَّيِّدُ
فَنَحْنُ نَحْكِي جَسَداً وَاحِداً وَأَنْتَ رُوْحٌ وَبِهَا نُسْعَدُ

وأنشدني لنفسه: [من المديد]

قَدْ بَدَا وَالقَوْسُ حَاجِبُهُ وَلَهُ مِنْ صُدْغِهِ وَتَرُ
رَامِياً بِالهُدْبِ رَاشَ لَهُ سَهْمَ لَحْظٍ نَصْلُهُ الحَوَرُ
كُلُّ مَقْتُوْلٍ بِهِ دَمُهُ فِي الهَوَى حَتْماً بِهِ هَدَرُ

وأنشدني منْ شعره: [من مخلّع البسيط]

أَشْبَهَ بَدْرَ السَّمَاءِ بَدْرِيْ وَالغَيْمَ لَمَّا عَلَاهُ سِجْفَا
مُرَاقِباً لِلرَّقِيْبِ يَبْدُوْ حَتَّى إِذَا خَافَهُ تَخَفَّى

وأنشدني لنفسه لغزاً فيمن اسمه شبل: [من مجزوء الخفيف]

مَا إِسْمُ ظَبْيٍ .... تَصْحِيفُهُ النَّاس أسعدوا
عَكْسُ تَصْحِيفِهِ لَنَا أَبَداً لَيْسَ يُوْجَدُ

/ ١٣٠ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الخفيف]

شَامَ بَرْقَ الشَّامِ وَهْناً فَحَنَّا وَأَذَاعَتْ جُفُوْنُهُ مَا أَجَنَّا
نَازِحُ الدَّارِ وَالدُّمُوْعِ مُقِيْمُ الشَّوْقِ وَالحُزْنِ يَا لَهُ مِنْ مُعَنَّى
أَنْحَلَاهُ فَلَوْ عَلَى جَفْنٍ.... وَضَعُوْهُ لَمَّا أَضَرَّ الجَفْنَا
يَا أُهَيْلَ الشَّامِ أُخْبِرُكُمْ أَنَّ اشْتِيَاقِي يَزِيْدُ مُنْذُ افْتَرَقْنَا
عَجَبِي كَيْفَ لِي اشْتِيَاقٌ إِلَيْكُمْ وَفُؤَادِي لَكُمْ عَلَى النَّأْيِ مَغْنَى
كُلُّ مَا فِي الأَنَامِ لَفْظٌ وَأَنْتُمْ عِنْدَ سَمْعِي لِذَلِكَ اللَّفْظِ مَعْنَى

إنْ تَبَدَّلْتُ بالدُّنُوِّ بِعَاداً ... فِي هَوَاكُمْ وَبِالسُّرُورِ الحُزْنَا
وَيَطِيبُ الرُّقَادُ فِيكُمْ سُهَاداً ... وَيَسْهُلِ البِقَاعِ فِيكُمْ حَزْنَا[1]

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

سَفَكَ الدِّمَاءَ بِطَرْفِهِ لَمَّا طَرَفْ ... مِنْ طَرْفِ عَاشِقِهِ وَوَلَّى وَانْحَرَفْ
غُصْنُ النَّقَا .... مِنْ مَرَحِ الصِّبَا ... بَدْرٌ عَلَى أَعْلاَهُ بِاللَّيْلِ التَحَفْ
نَارُ الغَرَامِ بِمُهْجَتِي مِنْ غَدْرِهِ ... وَسَقَامُ جِسْمِي مِنْ سَقَامٍ فِي الهَيَفْ
إنْ أَنْكَرَ الجَفْنُ السَّقِيمُ فَعَالَهُ ... فَالخَدُّ مِنْهُ بِالَّذِي عَرَفَ اعْتَرَفْ
يَا لَيْلَةً بِالوَصْلِ بَاتَ مُسَاعِدِي ... ذَهَبَتْ لَذَاذَتُهَا وَأَعْقَبَنِي الأَسَفْ
/ ١٣١أ/ فَكَأَنَّهَا سِنَةُ الكَرَى فِي نَاظِرِي ... قَمَراً وَطِيباً أَوْ بَرِيقٌ قَدْ خَطَفْ
بِتْنَا يُسَاقِينِي المُدَامَةَ وَالَّذِي ... فِي فِيهِ مِنْ صَهْبَائِهَا أَوْفَى خَلَفْ
وَكَأَنَّمَا حَبَبُ المُدَامِ بِكَأْسِهِ ... دُرٌّ بِفِيهِ إِذِ العَقِيقُ لَهُ صَدَفْ
وَكَأَنَّمَا أَلِفُ العِذَارِ وَنُونُهُ ... مِنْ فَوْقِ مَبْسِمِهِ اللَّذِيذِ المُرْتَشَفْ
نَمْلٌ سَعَى لِوُرُودِ شَهْدِ رُضَابِهِ ... حَتَّى أَحَسَّ لَهِيبَ وَجْنَتِهِ وَقَفْ
يَا لَيْتَهُ قَطَعَ القَطِيعَةَ ثُمَّ لِي ... وَصَلَ الوِصَالَ وَعِطْفُهُ نَحْوِيَ عَطَفْ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الرجز]

أُنْظُرْ فَقَدْ أَحْدَثَ بَدْرُ التَّمِّ فِي النِّيلِ عَجَبْ
أَلْقَى بِهِ إِكْسِيرَهُ ... فَصَارَ ذَوْباً مِنْ ذَهَبْ

وأنشدني أيضًا لنفسه لغزاً في من اسمه أحمد: [من الرمل]

إِسْمُ مَنْ أَهْدَى إِلَى جِسْمِي السَّقَامَا ... مِنْ جُفُونٍ مَنَعَتْ جَفْنِي المَنَامَا
أَحْرُفٌ أَرْبَعَةٌ كَالرِّبْعِ ... مِنْ أَحْرُفِ الدَّاءِ الَّذِي بِي قَدْ أَقَامَا[2]
ضِدّ عَكْسِ البَعْضِ إِنْ صَحَّفْتَهُ ... أَلِفُ العَارِضِ لاَ قَابَلَ لاَمَا

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا: [من السريع]

/ ١٣١ب/ إِنَّ الَّذِي أَهْوَاهُ نِصْفُ اسْمِهِ ... مُصَحَّفُ إِسْمٌ بِلاَمَيْنِ

---

(١) الحَزْن: ضد السهل.
(٢) الرِّبع: نوع من الحُمّى.

فَنِصْفُـــهُ دمعِـــي فِـــيْ كَثْـــرَةٍ وَعَكْسُـــهُ يَحْكِيْـــهِ فِـــيْ اللَّـــوْنِ[1]

وأنشدني لنفسه. . . . في المنام: [من مخلّع البسيط]

هَـــذَا قلَّـــى منْـــكَ أم لجُـــرْمِ منِّـــيْ حَتَّـــى صَـــدَدْتَ عَنِّـــيْ
وكُنْـــتَ لِـــيْ صَـــاحِبـــاً مُعِيْنـــاً فَلِـــمْ عَلَـــى الهَجْـــرِ لَـــمْ تُعِنِّـــيْ

[٥١٠]

عليُّ بنُ الحسين بن عليِّ بن سعيد بن حامد بن عثمانَ بن عليِّ بن جار الخَير، أبو الحَسَنِ بنُ أبي عبد الله السنجاريُّ، المعروفُ بابنِ دبابا[2].

وقد مرَّ شعر والده في موضعه[3].

وأبو الحسن هذا فقيه حنفي المذهب، مناظر عارف بالمسائل الخلافية. نشأ بمدينة السلام، وبها تفقه وتميز، وقد قرأ أدبًا وشعراً، وأخذ عنهم شيئًا من أشعارهم.

رأيته ببغداد وحلب؛ وهو شيخ أسمر اللون ربعة من الرجال. أخبرني أنه ولد سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة ببغداد.

أنشدني لنفسه بمحروسة حلب سنة سبع وثلاثين وستمائة، مديحًا في الملك /١٣٢أ/ المجاهد أبي الحارث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي ـ صاحب حمص ـ: [من الطويل]

رَكِبْتُ عَلَى ظَهْرِ اشْتِيَاقِيْ إلَى امْرِىءٍ جَمِيْـلِ المُحَيَّـا حَـافِـظٍ للْمَـوَاثِيْـقِ
وَمَـا الحُسْـنُ مُخْتَـصٌّ بِسُنَّـةِ وَجْهِـهِ وَلَكِنَّـهُ فِـيْ. . . . وَالحَـدَائِـقِ
عَجِبْـتُ لقَلْبِـيْ إذْ أَطَـاقَ تَصَبُّـراً وَمَـا خَـاضَ فِـيْ لُقْيَـاهُ بِيْـضَ البَـوَارِقِ
وَمَـنْ كَـانَ يَبْغِـيْ فِـيْ هَـوَاهُ تَـوَسُّطـاً فَمَـا أنَـا إلاَّ عَـاشِـقٌ كُـلَّ عَـاشِـقِ
وَمَـا زِلْـتُ مُـذْ بَـاعَـدْتُـهُ وَنَـأَيْتُـهُ أُعَـوِّذُهُ بِـاللـهِ مِـنْ كُـلِّ غَـاسِـقِ

---

(١) البيتان في مجمع الآداب ٤/ ٣٦٩.
(٢) في معجم الأدباء ٥/ ١٩٧٣: «ابن ذنابة».
(٣) ترجم له المؤلف في الجزء الثاني المفقود.

مَتَـى شِئْـتَ أَنْ تَلْقَـى الجَمَـالَ مُـوَقَّـراً ... تَـأَمَّلْـهُ مَـا بَيْـنَ الظُّبَـا وَالسَّنَـاجِـقِ[1]

يُغِيْثُـكَ مَلْهُـوْفـاً وَيُغْنِيْـكَ سَـائِـلاً ... وَيَحْمِـي إِذَا مَـا عَـزَّ أَهْـلَ الحَقَـائِـقِ

وأنشدني لنفسه فيه يمدحه: [من السريع]

يَـا مَـالِكـاً جَـزْلَ العَطَـايَـا مَهِيْـبْ ... قَـامَ عَلَـى شَـانِـيْ عُـلاَكَ النَّحِيْـبْ

لَـوْ حَـاكَمَتْـكَ الـوَحْـشُ فِيْمَـا تَـرَى ... كَـانَ لَهَـا حُكْـمٌ صَحِيْـحٌ عَجِيْـبْ

قَـالَـتْ رَجَـوْتُ الأَمْـنَ مِـنْ مَـالِـك ... جَـمِّ الـوَفَـا لَيْـسَ لَـهُ مِـنْ ضَـرِيْـبْ

نَعَـمْ وَأَمَّلْـتُ نَـدَاهُ فَكَـمْ ... صِـرْتُ قِـرَى القَـاصِـيْ المَـدَى وَالقَـرِيْـبْ

[٥١١]

عليُّ بنُ عبد العزيز /١٣٢ب/ بنِ أبي محمّد بنِ نعمانَ بنِ بلالٍ، أبو الحَسنِ الخَلعيُّ، الخفاجيُّ النسبِ[2].

كان والده من قرية تدعى قرية أيوب من قرى الحلة المزيدية.

أخبرني أنَّه ولد بالموصل في جمادى الآخرة سنة إثنتين وثمانين وخمسائة.

شيخ ربعة من الرجال، أحول العين أسمر. يتعيش في الخلع بسوق الأربعاء بالموصل؛ يتشيع متمسك بمذهب الإمامية، وهو معروف بذلك؛ له طبع [في] قول الشعر. إذا أنشد لم يلحن ويتجنب اللحن في أثناء كلامه؛ له أشعار في أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ ينشدها في المشاهد والترب المختصة بأولاد الحسين ـ عليهم السلام ـ.

---

(١) السناجق: كلمة فارسية جمع سنجق، وهو اللواء.

(٢) ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٢٠١ نقلها عن القلائد. وفيه أنه توفي سنة خمس وستمائة. مجالس المؤمنين للمرعشي ٢/ ٥٥٥. الغدير ٦/ ٩ ـ ١٩. أعيان الشيعة ٤١/ ٢٩٧ ـ ٣٠٥. البابليات ١/ ١٣٦ ـ ١٤١ رقم ٤٥. الكنى والألقاب ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠. أدب الطف ٤/ ٢٠٩ ـ ٢٢١. الطليعة للسماوي ٢/ ٥٤ رقم ١٩١. شعراء الحلة ٣/ ٢٩٢ ـ ٣٠٤. المنتخب للطريحي/ مواضع متفرقة. تحفة الأزهار/ مواضع متفرقة. بحار الأنوار ١٠/ مواضع متفرقة. دار السلام للنوري ٢/ ٦٨، ٥٩، ٦٠. شعراء الغدير ٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٩.
له ديوان شعر بخط الشيخ محمد السماوي محفوظ بمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف برقم (٧٢١) ولدى المحقق نسخة مصورة عنه.

أنشدني منها ـ من لفظه وحفظه ـ بالموصل في أوائل سنة تسع وثلاثين وستمائة:

[من الخفيف]

أَيُّهَا العَاذِلُ الَّذِيْ كُلَّمَا لِنْتُ لَهُ زَادَ وَحْشَةً وَنُفُوْرَا
حَمِّلِ القَلْبَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الوَجْدِ تَجِدْنِيْ عَلَيْهِ جَلْداً صَبُوْرَا
وَكَمَا أَنْتَ لاَ تَصِلْنِيْ وَذَرْنِيْ مُوْثَقاً فِيْ حِبَالِ شَوْقِيْ أَسِيْرا
وَامْنَعِ الطَّيْفَ أَنْ يَزُوْرَ كَأَنَّ كَلاَمَ الخَيَالِ إِفْكاً وَزُوْرَا
/١٣٣أ/ أَنَا قَدْ لَذَّ لِيْ الصُّدُوْدُ وَقَدْ صِرْتُ عَلَى حَمْلِهِ جَرِيْئاً جَسُوْرَا
مَا رَأَيْتُ الوِصَالَ يُجْدِيْ عَلَى العُشَّاقِ إِلاَّ صَبَابَةً وَزَفِيْرَا
قَدْ هَدَانِيْ حَمْلُ الغَرَامِ سَبِيْلِيْ وَرَآنِيْ لَهُ حَمِيْداً شَكُوْرَا
فَوَقَانِيْ ذُلَّ الخُضُوْعِ وَلَقَّانِيْ مِنَ الهَجْرِ نَضْرَةً وَسُرُوْرَا
كَمْ تَمَزَّقْتُ فِيْ هَوَاكَ وَكَمْ بِتُّ جَلِيْساً لِلْفَرْقَدَيْنِ سَمِيْرَا
مُسْتَضِيْئاً بِالشَّوْقِ فِيْ ظُلُمَاتِ الهَجْرِ حَتَّى قَطَعْتُهَا مُسْتَنِيْرَا
وَبِسَمْعِيْ عَنْ طَارِقِ العَذْلِ وَقْرٌ لِلْهَوَى يَجْعَلُ السَّفِيْهَ وَقُوْرَا
وَعَلَى نَاظِرِيْ غِشَاوَةُ صِدْقٍ فِيْ طَرِيْقِيْ بِهَا سَبَقْتُ البَصِيْرَا
صَدَرَتْ مِنْ مَوَارِدِ الحُبِّ أَلْطَافٌ تُرَوِّيْ الصَّدَى وَتَشْفِيْ الصُّدُوْرَا
فَاسْأَلُوْنِيْ عَنْ. . . وَمِنْهَا تَجِدُوْنِيْ بِهَا عَلِيْماً خَبِيْرَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

أَنَا عَارِفٌ بِصِفَاتِ حُبِّكَ جَاهِلُ مُتَحَيِّرٌ لَمْ أَدْرِ مَا أَنَا قَائِلُ
إِنْ قُلْتُ بَدْرٌ فَالبُدُوْرُ نَوَاقِصٌ عِنْدَ الكَمَالِ وَوَصْفُ حُسْنِكَ كَامِلُ
أَوْ قُلْتُ فِيْ آيَاتِ وَجْهِكَ مِنْ أَيَاةِ الشَّمْسِ نُوْرٌ فَهْيَ نُوْرٌ زَائِلُ[(١)]
أَوْ قُلْتُ غُصْنٌ قَالَ: قَدُّكَ أَيُّهَا المَغْرُوْرُ هَلْ لِلْغُصْنِ خَدٌّ سَائِلُ
/١٣٣ب/ أَوْ قُلْتُ: لَحْظُكَ لَحْظُ ظَبْيٍ قَالَ لِيْ: أَنَّى وَقَدْ دَانَتْ لِسِحْرِيْ بَابِلُ
أَوْ قُلْتُ: رِيْقُكَ خَمْرَةٌ قَالَ: اتَّئِدْ مَا تَفْعَلُ الصَّهْبَاءُ مَا أَنَا فَاعِلُ
أَوْ قِسْتُ بِالدُّرِّ المُنَضَّدِ ثَغْرَكَ الوَضَّاحَ، قَالَ الثَّغْرُ: مَا هُوَ غَافِلُ!

(١) أياة الشمس: نورها وحسنها.

أَوْ قُلْتُ رِدْفُكَ . . . . عَلَى خَصْرٍ نَاحِلُ
مَا فِي مَعَانِي الحُسْنِ وَصْفُكَ كَامِلٌ إِلاَّ وَأَنْتَ لَهُ مَحَلٌّ قَابِلُ
فَالبَانُ وَالكُثْبَانُ وَالغِزْلاَنُ وَالقَمَرَانِ فِيكَ مَخَايِلُ
حَاشَا صِفَاتِكَ أَنْ تُشَبَّهَ مِثْلَمَا حَاشَايَ مِمَّا يَبْتَغِيهِ العَاذِلُ
وَلَئِنْ وَصَلْتُ بِبَعْضِ حُسْنِكَ كُلَّ أَشْوَاقِي فَإِنِّي بِالحَقِيقَةِ وَاصِلُ

[٥١٢]

عليُّ بنُ يوسفَ بنِ منصورِ بنِ محمد، أبو الحسنِ الجَبليُّ.

من جَبَلة وهي بلدة بساحل الشام[١]، وهي التي بناها جبلة بن الأيهم الغسّاني. فنسبت إليه. وذكر لي أنه من أولاد جبلة بن الأيهم، وكذلك أهل البلدة بعضهم ينتمي إليه.

وهو فقيه النَّفس؛ سألته عن ولادته فذكر تقديراً سنة ستمائة.

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

/١٣٤أ/ أُخْفِي الغَرَامَ وَفِي الفُؤَادِ نُصُولُ مِنْ حُبِّ بَدْرٍ مَا إِلَيْهِ وُصُولُ
رَشَأٌ يَغَارُ الغُصْنُ مِنْهُ إِذَا بَدَا يَخْتَالُ هَزَّتْهُ صَباً وَقَبُولُ
يُصْبِي قُلُوبَ العَاشِقِينَ بِمُقْلَةٍ بَعُدَ الوِصَالُ بِهَا وَلَيْسَ يُنِيلُ
فَكَأَنَّهُ البَدْرُ المُنِيرُ تُحِبُّهُ الأَلْحَاظُ لَكِنْ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
يَا صَاحِبَيَّ تَرَفَّقَا بِمُتَيَّمٍ فَالحُبُّ أَضْنَاهُ جَوًى وَنُحُولُ
كَتَمَ الهَوَى فَوَشَتْ عَلَيْهِ مَدَامِعٌ تَهْمِي عَلَى وَجَنَاتِهِ وَتَسِيلُ
لاَ يَعْرِفُ النَّوْمَ الهَنِيَّ وَصَحْبُهُ بِالجَزْعِ مِنْ وَادِي الأَرَاكِ حُلُولُ
مَا شَامَ بَرْقاً مِنْ رُسُومِ دِيَارِهِمْ . . . . فَيَمِيلُ
فَغَدَا يَقُولُ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالأَسَى وَالقَلْبُ مِنْ حَرِّ الفِرَاقِ عَلِيلُ:
دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الأَحِبَّةِ وَابْتَهِجْ بِمَدِيحِ مَنْ هُوَ فِي العَلاَءِ أَصِيلُ
أَعْنِي ضِيَاءَ الدِّينِ ذَا الجُودِ الَّذِي عَمَّ الأَنَامَ نَوَالُهُ المَأْمُولُ

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (جبلة).

مَلِكٌ تُقَادُ لَهُ المُلُوكُ أَذِلَّةً فَيُعِزُّهَا مِنْ . . . . . التَّقْبِيلُ

بَطَلٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ بِكَفِّهِ فَعَدُوُّهُ مِنْ خَوْفِهِ مَجْدُولُ

تَلْقَاهُ مُبْتَسِماً إِذَا حَانَ الرَّدَى وَالقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ

فَيَؤُولُ وَالصِّيدُ المُلُوكُ كَوَاسِدٌ أَسْرَى وَفِي أَعْنَاقِهِنَّ كُبُولُ

/ ١٣٤ب/ يَا آلَ قَيْمَرَ أَنْتُمُ سُبُلُ الهُدَى لِمَنْ اهْتَدَى وَلِمَنْ يَضِلُّ دَلِيلُ

بِكُمُ تَعَاضَدَتِ المُلُوكُ وَأَصْبَحَتْ تَزْهُو عَلَى قُرَنَائِهَا وَتَصُولُ

قَدْ جَاءَكَ العِيدُ المُبَارَكُ رَافِلاً فِي حُلَّةٍ مَا إِنْ لَهَا تَمْثِيلُ

يَسْعَى إِلَيْكَ مِنَ الإِلَهِ مُبَشِّراً فَابْشِرْ فَسَعْيُكَ عِنْدَهُ مَقْبُولُ

كُنْ بِالَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ وَاثِقاً فَشُمُوسُ سَعْدِكَ مَا لَهُنَّ أُفُولُ

يَا مَاجِداً حَازَ العَلاءَ . . . . بَيْنَ البَرِيَّةِ كَالعَطَاءِ جَزِيلُ

أَرْجُو بِأَنْ أَرْقَى بِجَدِّكَ ذِرْوَةً تَسْمُو عَلَى كُلِّ الوَرَى وَتَطُولُ

عِشْ وَابْقَ فِي سَعْدٍ عَلَى رُغْمِ العِدَا مَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ وَحَانَ أَصِيلُ

وأنشدني لنفسه حين سمع قول القائل: [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ مَا عَلِمَ الوَرَى طُرّاً لَكُنْتَ صَدِيقَ كُلِّ العَالَمِ

لَكِنْ جَهِلْتَ فَصِرْتَ تَحْسَبُ كُلَّ مَنْ يَهْوَى خِلافَ هَوَاكَ لَيْسَ بِعَالِمِ

فأنشدني فِي المعنى: [من الكامل]

لَوْ كُنْتَ مَعْ حِذْقِ المَهَارَةِ عَالِماً وَحَوَيْتَ كُلَّ فُنُونِ أَهْلِ العَالَمِ

وَجَهِلْتَ قَدْرَ بَعُوضَةٍ مِنْ فَضْلِهَا عَكْسُ الَّذِي تَهْوَاهُ لَيْسَ بِعَالِمِ

وأنشدني لنفسه فِي المثل / ١٣٥أ/ الذي يضربه الناس بينهم ويتداولونه: «إن القلوب تتجازى» [من الكامل]

نَاجَيْتُهُ مُتَلَهِّفاً مِنْ حُبِّهِ فَأَجَابَنِي مِنْ لُطْفِهِ وَأَجَازَا

يَا مَنْ شَكَا أَلَمَ الهَوَى مِنْ جَنْبِنَا مَهْلاً فَإِنَّ قُلُوبَنَا تتجازى

فَبَكَيْتُ مِنْ حُزْنِي وَمِنْ فَرَحِي بِهِ حَتَّى رَقَمْتُ عَلَى الخُدُودِ طِرَازَا

[٥١٣]
عليّ بن أبي الوفاء بن أبي المعالي بن أبي طاهر بن المؤمل بن غدير الكناني.

أصل آبائه مِنْ مَعَرَّة النعمان(١).

وكانت ولادته في سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمدينة حلب. شاب أشقر أحمر اللون تام الخلق كيس، له طبع مجيب في السعر، وخاطر مطيع في إنشائه. وعنده ذكاء وفطنة، وحرفته عمل الحديد. ويأتي في شعره بمعان حسنة من غير معرفة بالأدب.

أنشدني لنفسه بمحروسة حلب يوم الاثنين رابع ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة يمدح الملك الأشرف بن الملك العادل ـ رحمهما الله تعالى ـ: [من البسيط]

/١٣٥ب/ فَدَتْ مُلُوكُ البَرَايَا رَبَّ مَمْلَكَةٍ ... للهِ فِي مُلْكِهِ المَحْرُوسِ آيَاتُ
الأَشْرَفَ المَلِكَ المَيْمُونَ طَائِرُهُ ... مَلْكٌ لَهُ عُقِدَتْ بِالنَّصْرِ رَايَاتُ
قُلْ لِلْمُلُوكِ الأُلَى أَبْدَوْا عَدَاوَتَهُ ... أَغَرَّكُمْ مَنْ لَهُ بِالصَّفْحِ عَادَاتُ
تُوبُوا إِلَى اللهِ تُوبُوا يَا فَرَاعِنَةٌ ... مِمَّا جَنَيْتُمْ عَسَى تُمْحَى الخَطِيَّاتُ
سُحْقًا لَهُمْ وَعَصَا مُوسَى مُهَنَّدُهُ ... إِذَا تَلَقَّفَهُمْ وَالقَوْمُ حَيَّاتُ
وَكَفُّهُ البَحْرُ لكِنْ لاَ انْشِقَاقَ لَهُ ... وَأَنْتُمُ الطُّورُ وَالنَّصْرُ المُنَاجَاةُ
يَا مَنْ لِجُودِ يَدَيْهِ فِي خَزَائِنِهِ ... فِي مَلْءِ وَقْتٍ عَلَى الأَمْوَالِ غَارَاتُ
يَا طَوْدَ حِلْمٍ لِمَنْ أَمْسَى يَلُوذُ بِهِ ... وَبَحْرَ جُودٍ لَنَا فِيهِ الكِفَايَاتُ
مَتَى يُنَبِّهُ حَظِّي غِبَّ رَقْدَتِهِ ... مِنْ نَحْوِ مَجْدِكَ أَنْفَاسٌ نَفِيسَاتُ
وَأَنْثَنِي مُنْشِدًا مِنْ نَشْرِهَا ثَمِلاً ... جَذْلاَنَ قَدْ رَنَّحَتْ عِطْفِي المَسَرَّاتُ
قَدْ كَانَ حَاجَةَ نَفْسٍ ذَا المَقَامُ وَقَدْ ... قَامَتْ فَمَا بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ

وأنشدني لنفسه، وكتبها إِلَى شهاب الدين بن علم الدين عزيز، وقد طار لَهُ الحمام سابقًا: [من الطويل]

أَيَا ابْنَ عَزِيزٍ دَامَ عِزُّكَ وَالبَقَا ... فَمَا فَوْقَ مَا جَاوَزْتَ مِنْ رُتْبَةٍ مَرْقَى

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (المعرة).

حكَـاكَ . . . الجَـوِّ سَبْقـًا إلَـى العُـلاَ فَجَـاءَكَ يَحْكـيْ فـيْ تَسَـرُّعـه البَـرْقَـا

/١٣٦أ/ يُبَاريْ الـرِّيَـاحَ العَـاصفَـات إذَا انْبـرَى . . . .

فَيُغْنيْـكَ مَـا يُغْنيْـكَ عَـنْ كُـلِّ مـدْحَـة أَخُـو النَّسَـب الـوَضَـاح قَـدْ شَـرَّفَ الـوُرْقَـا

ومَـا كُنْـتَ مَسْبُـوقـًا إلَـى نَيْـل مَطْلَـبٍ فَنُنْكـرَ أنْ تَحْـويْ مَنَـاسيْبُـكَ السَّبْقَـا[1]

فَـأَنْـتَ مـنَ الشُّهْـب الثَّـوَاقـب قَـدْرُهَـا عظَيْـمٌ وَلَـمْ تَـرْضَ السَّمَـاءَ لَهَـا الأُفْقَـا

نُهَنِّيْـكَ بـالأَعْيَـاد لاَ بَـلْ لَهَـا الهَنَـا إذَا أَقْبَلَـتْ تَجْلُـوْ لَنَـا وَجْهَـكَ الطَّلْقَـا

وقال أيضًا: [من الكامل]

مَـنْ لـيْ بَـأَسْمَـرَ فـيْ تَخَـازُر طَـرْفـه نَفَثَـاتُ هَـارُوْت وَفَتْـكُ قَـوَاضـب

بشَمَـائـل مثْـل الشَّمُـوْل شَهيَّـةَ بـالجـدِّ منْـهُ أَوْ بهَـزْل مُـدَاعـب

عَـنْ نَبْلـه وَقَسيِّـه مُسْتَغْنيًـا بسهَـام مُقْلَتـه وَقَـوْس الحَـاجـب

وَبسَمْهَـريِّ قَـوَامـه عَـنْ ذَابـل أَضْحَـى يُسَـدِّدُهُ لقَلْبـيْ الـوَاقـب

غَلـطَ الَّـذيْ بـالبَـدْر قَـايَـسَ وَجْهَـهُ وَالبَـدْرُ لَيْـسَ لـوَجْهـه بمُقَـارب

رَشَـأٌ رَشيْـقُ القَـدِّ مَعْسُـوْلُ اللَّمَـى مَـا فيْـه مـنْ عَيْـب يُـرَى لْلعَـائـب

وَكَـأَنَّ غُـرَّتَـهُ وَطُـرَّتَـهُ سَنَـى صُبْـحٍ تَبَلَّـجَ تَحْـتَ جنْـحِ غَيَـاهَـب

وَكَـأَنَّ ريْقَتَـهُ مُـرَوَّقُ قَـرْقَـف . . . . فَـوْقَ شَهْـد ذَائـب

وَلنَغْمَـة الأَوْتَـار قَـامَ يُـديْـرُهَـا رَاحـًا تُـرَوِّحُ بـالسُّـرُوْر العَـازب

/١٣٦ب/ فَدَعَـوْتُـهُ يَـا سَـاقيَ الكَـأْس الَّـذيْ فـيْ فيْـه مثْـلُ مُـدَامَـة للشَّـارب

هَـلاَّ سَمَحْـتَ بهَـا وَنَحْـنُ بجلِّـق هَيْهَـاتَ مَـا ذَاكَ الـزَّمَـانُ بـآيـب

حَيَّـا الحَيَـا تلْـكَ الـدِّيَـارَ فَطَـالَمَـا قَضَّيْـتُ أَوْطَـاريْ بهَـا وَمَـآربـيْ

وَلَـو اسْتَطَعْـتُ سَقَيْتُهُـنَّ سَحَـائبًـا بيَـدَيْ غيَـاث الـدِّيْـن بَعْـدَ سَحَـائـب

المُنْعـم المَلـك الَّـذيْ مَعْـرُوْفُـهُ المَعْـرُوْفُ منْـهُ مُيَسَّـرٌ للْطَـالـب

سَمْـحٌ نَـدَاهُ كُـلَّ وَقْـت حَـاضـرٌ بَيْـنَ الأَنَـام لحَـاضـر وَلغَـائـب

يَـا أَيُّهـا المَلـكُ العَـزيْـزُ المُـرْتَجَـى وَالمُتَّقَـى لمَـواهـب وَنَـوائـب

كَـمْ كُـرْبَـةٍ عَنَّـا كَشَفْـتَ غطَـاءَهَـا وَكَتَـائـبٍ صَبَّحْتَهَـا بكَتَـائـب

---

(١) المناسيب: يعني بها الطيور المناسيب.

وَعَجَاجَةٍ أَطْلَعْتَ مِنْ بِيْضِ الظُّبَا ... فِي لَيْلِهَا الْمُسْوَدِّ زُهْرَ كَوَاكِبِ
وَفَوَارِسٍ تَرِدُ الْوَغَى فَكَأَنَّهَا ... أُسْدُ الشَّرَى تَخْتَالُ فَوْقَ شَوَازِبِ
مِنْ كُلِّ صَافِيَةٍ تَفُوتُ الْبَرْقَ إِنْ ... أَرْخَى الْعِنَانَ لَهَا بَنَانُ الرَّاكِبِ
لِلْمُسْلِمِيْنَ مُحَمَّدٌ كَسَمِيِّهِ ... أَضْحَى يَسُوسُهُمُ بِرَأْيٍ صَائِبِ
فَبِحِلْمِهِ وَبِعَدْلِهِ وَبِبَذْلِهِ ... رَدَّ النَّدَى وَالْجُودَ رَدَّ الْغَائِبِ
فَاللَّهُ يُحْيِيْهِ حَيَاةً رَغْدَةً ... بِدَوَامِ مُلْكٍ فِي عُلُوِّ مَرَاتِبِ

وقال: [من الطويل]

/١٣٧أ/ بَرَى اللهُ شَمْسَ الدِّيْنِ فِي الْخَلْقِ إِنَّهُ ... فَتًى جُمِعَتْ فِيْهِ الْمَحَامِدُ مُذْ نَشَا
هُوَ اللهُ ذُوْ الفَضْلِ الْعَظِيْمِ زَكَا بِهِ ... وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَا

وقال: [من الكامل]

هَانَتْ عَلَيْكَ تَنُوْخُ يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ ... ذَرِبَ اللِّسَانِ يَهِيْضُهُ الْهَذَيَانُ
هَلاَّ عَفَفْتَ وَقَدْ هَجَوْتَ مُحَمَّداً ... عَنْ غُصْنِ دَوْحَةِ مَجْدِهَا فَيْنَانُ
أَوْ أَنَّ فِي حَلَبٍ وَتُطْرَدُ بِاسْمِهِ ... بَيْنَ الأَنَامِ قَبُحْتَ مِنْ شَيْطَانِ

[٥١٤]

عليُّ بنُ يوسفَ بنِ العباسِ بنِ أبي بكرِ بنِ إبراهيمَ، أبو الحسنِ البوهرزيُّ الإربليُّ.

كانت ولادته بمدينة إربل في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. وكان أحد آبائه من بوهرز ـ قرية مِنْ قرايا بغداد ـ.

وأبو الحسن شيخ قصير أسمر اللون له أشعار دالة عَلَى طبع سليم، وفكر فِيْ إنشائها صحيح.

أنشدني لنفسه ما كتبه إِلَى المولى الصاحب شرف الدين أبي البركات ـ أسعده الله تعالى ـ: [من البسيط]

وَحَقِّ فَضْلِكَ يَا مَوْلاَيَ مَا انْتَقَضَتْ ... يَوْماً عُهُوْدُكَ فِيْ خَفْضٍ وَلاَ عَالِيْ
/١٣٧ب/ وَلاَ تَغَيَّرْتُ عَنْ ذَاكَ الْوَلاَءِ لَكُمْ ... وَلاَ خَلاَ مِنْكُمُ قَلْبِيْ وَلاَ بَالِيْ

وَكَيْفَ أَنْسَى أَيَادِيكَ الَّتِي سَلَفَتْ ... إِنْ كَانَ ذَاكَ فَلاَ أُبْلِغْتُ آمَالِي

[٥١٥]

عليّ بن يعيش بن علي بن يعيش[١].

[من الكامل]

/ ١٣٨أ/ حَتَّى مَ يَلْحَانِي عَلَيْكَ مُفَنِّدِي ... وَالعَاذِلُونَ عَلَى المَحَبَّةِ حُسَّدِي

يَا بَدْرَ تَمٍّ صِرْتُ فِي حُبِّي لَهُ ... مَثَلاً تَرُوحُ بِهِ الرُّوَاةُ وَتَغْتَدِي

كَمْ بِالصُّدُودِ تُرِيدُ قَتْلَ مُتَيَّمٍ ... مَا خِفْتَ فِيهِ عُقُوبَةَ المُتَعَمِّدِ

فَلَقَدْ سَلَلْتَ مِنَ اللِّحَاظِ صَوَارِماً ... لَمَّا خَطَرْتَ مِنَ القَوَامِ بِأَمْلَدِ

أَتَرَكْتَ إِلاَّ عَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... وَحَشاً أُقَلْقِلُهَا بِأَنَّةِ مُكْمَدِ

إِنْ كُنْتَ تَقْصُدُ قَتْلَتِي فَأَمِيتَنِي ... فَلَقَدْ رَضِيتُ وَهَا يَدِي أَنْ لا تَدِي

وَلَرُبَّ مَعْسُولِ المَرَاشِفِ قَدُّهُ الـ ... ـفَتَّانُ يَهْزَأُ بِالغُصُونِ. . . .

فَالثَّغْرُ مِنْهُ كَالجُمَانِ وَرِيقُهُ السَّلْسَالُ يُغْنِي عَنْ سُلاَفَةِ صَرْخَدِ

قَمَرٌ مِنَ الأَتْرَاكِ جَلَّ تَصَبُّرِي ... عَنْهُ. . . . .

قَاسٍ وَفِي عِطْفَيْهِ لِينُ مُوَافِقٍ ... صَاحٍ وَفِي جَفْنَيْهِ بَطْشُ مُعَرْبِدِ

وَلَقَدْ رَنَا لِيُخِيفَنِي بِلِحَاظِهِ ... فَعَجِبْتُ مِنْ قَطْعِ الحُسَامِ المُغْمَدِ

فَكَأَنَّ وَجْنَتَهُ حَدِيقَةُ جَنَّةٍ ... وَكَأَنَّ عَارِضَهُ اخْضِرَارُ زَبَرْجَدِ

أَسْلُو هَوَاهُ وَلاَ وَصِدْقِ مَوَدَّتِي ... وَوَلاَئِي فِي المَلْكِ العَزِيزِ مُحَمَّدِ

مَلِكٌ يَلُوحُ عَلَى البَرِيَّةِ وَجْهُهُ ... بِشْرٌ يُبَشِّرُنِي بِنُجْحِ المَقْصِدِ

مُسْتَعْذَبٌ نَغَمَ العُفَاةِ كَأَنَّهَا ... فِي سَمْعِهِ نَغَمُ الغَرِيضِ وَمَعْبَدِ

/ ١٣٧ب/ يَا ابْنَ الأُلَى سَنُّوا المَكَارِمَ وَالنَّدَى ... وَتَفَرَّدُوا دُونَ الوَرَى بِالسُّؤْدَدِ

لِلَّهِ أَنْتَ إِذَا الوَغَى فَهِقَتْ دَماً ... وَالطَّرْفُ يُعْشَى بِالقَتَامِ الأَرْبَدِ

وَالبِيضُ يَغْشَى الدَّارِعِينَ ظِبَاتُهَا ... وَالخَيْلُ تَعْثُرُ بِالقَنَا المُتَقَصِّدِ

. . . . هُنَاكَ عَنِ الغِيَاثِ فَإِنَّهُ ... رَدَى الكُمَاةِ بِأَسْمَرٍ وَمُهَنَّدِ

---

(١) بعد هذا العنوان بياض بمقدار ثلاثة أرباع الصفحة، وبعده ورد الشعر بدون مقدمة.

الكَاشف الكُربات في يوم الوغى ... والخائض الغمرات غير معرد
عقاد ألوية يكون لباسها ... هام العدا محلولة لم تعقد
علم الهدى بحر الندى غيث الثرى ... ليث الثرى .... الورى بدر الندي
فعقابه للمعتدي وضياؤه ... للمهتدي ونواله للمجتدي
أغياث دين الله يا من جوده ... أضحى يخجل كل بحر مزبد
أيجوز أن أظما ونوؤك ماطر ... للمعتفين وديم جودك موردي
ومتى نظرت إلي أيسر نظرة ... نلت المنى وبلغت غاية مقصدي
خذها عروساً لا ترى كفؤاً لها ... من خاطب أحداً سواك و...
رقت حواشيها وأوجز لفظها ... فترفعت عن ظلمة وتعقد
ركبت قريب اللفظ حتى أدركت ... لفصاحة نيل المرام الأبعد
وتنزهت أبياتها عن عائب ... لسماعها نيرانه لم تخمد
وحق أنعمك الجسام فإنها ... قسم لغيرك مدحتي لم تقصد
وتهن شهر الصوم إنك ماجد ... قضيته في عفة وتهجد
والعبد من شوق أتاك مهنياً ... بخلود ملك في الزمان مؤبد
فبقيت مرفوع اللواء مؤيداً ... بالنصر في ملك وعيش أرغد

[٥١٦]

/ ١٨٠ب/ عليُّ بنُ محمودِ بن عليٍّ بن علوانَ بن خليفةَ بنِ علوانَ البزاغيُّ الأنصاريُّ، أبو الحسنِ[(١)].

شيخ كبير السن، رأيته بمحروسة حلب بمجلس القاضي الصدر بهاء الدين أبي محمد بن الخشاب ـ أيده الله تعالى ـ في سنة ثمان وثلاثين من فلاّحي قريته؛ عامي جاهل بالعلم والأدب إذا / ١٨١أ/ أنشد لحن في إنشاده وتلعثم. وله طبع في صحة الأوزان، وذوق في عمل الشعر، ولم يقرأ قط شيئاً من العربية بل عنده طرف من علم

(١) في هامش الأصل: «ينعت مهذب الدين، وتوفي في .... سنة .... وستمائة».
ترجمته في: مجمع الآداب ٢/ ٢٣٦ رقم ١٣٩٣ (العميد).

العرب ووقائعها[١].

وهو شاعر كثير الشعر، سهل عليه عمله، متدفق الطبع، وديوان أشعاره يدخل في عدّة مجلدات؛ غير أنَّ شعره من المرذول الساقط، ليس من المختار النادر. يظهر فيه العجرفة والركاكة واللحن الفاحش. وكان ينظمه بسبب أملاكه التي ببزاغا خوفًا من أن يغصبوه بالخراج، واشفاقًا من ذلك، وقد يمدح الملك الظاهر والملك العزيز لئلا يغلب عليه السلطنة ويصانع عنه.

أنشدني بمجلس القاضي بهاء الدين أبي محمد الحسن بن إبراهيم ـ أدام الله أيامه ـ يوم الخميس السادس عشر من ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وذلك بمحروسة حلب، يمدح بها الملك العزيز[٢]: [من البسيط]

يَا حَسَنَ القَدِّ وَالتَّثَنِّيْ ... وَيَا مَلِيكًا بِكُلِّ حُسْنِ
وَيَا هِلَالًا بَدَا مُنِيْرًا ... يَخْتَالُ فِيْ ثَوْبِهِ المسني
بِأَيِّ ذَنْبٍ فَدَتْكَ رُوْحِيْ ... أَعْرَضْتَ دُوْنَ الأَنَامِ عَنِّيْ؟
يَا شَادِنًا قَدْ كَسَاهُ رَبِّيْ ... مِنْ حُلَلِ الحُسْنِ كُلَّ فَنِّ
/ ١٨١ب/ وَيَا صَغِيرًا رَجَعْتُ فِيْهِ ... مُفْتَتَنًا عِنْدَ كِبَرِ سِنِّيْ
لَا تُكْثِرِ الصَّدَّ وَالتَّجَافِيْ ... عَلَيَّ وَالهَجْرَ وَالتَّجَنِّيْ
فَقُلْ لِمَنْ لَامَنِيْ عَلَيْهِ ... دُوْنَكَ عُذْرِيْ وَلَا تَلُمْنِيْ
وَلَا تَسَلْنِيْ عَنِ التَّسَلِّيْ ... عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ فَسَلْنِيْ!

ومنها:

صَوَّرَهُ الحُبُّ فِيْ يَقِيْنِيْ ... وَخَيَّبَ الدَّهْرُ فِيْهِ ظَنِّيْ
تَشَيَّعَ القَلْبُ فِيْ هَوَاهُ ... وَكَانَ طُوْلَ الزَّمَانِ سُنِّيْ
يَا عَاذِلِيْ فِيْ هَوَاهُ دَعْهُ ... يَبْلُغْ مَا عِنْدَهُ وَدَعْنِيْ
فَالدَّهْرُ فِيْ دَوْلَةِ ابْنِ غَازِيْ ... قَدْ يَسَّرَ الأَمْنَ وَالتَّمَنِّيْ
المَلِكِ الوَاسِعِ العَطَايَا ... عَلَى البَرَايَا بِغَيْرِ مَنِّ

---

(١) في هامش الأصل: «مولده سنة .... وثلاثين وخمسمائة».
(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في مجمع الآداب ٢/ ٢٣٦.

بَدَّلَ إِعْسَارَهُمْ بِيُسْرٍ / وَالخَوْفَ مِنْ دَهْرِهِمْ بِأَمْنِ

حَتَّى غَدَوا فِي نَعِيمِ عَيْشٍ / مِنْ قَلَقِ البُؤْسِ مُطْمَئِنٍّ

بِعَارِضٍ مُطْلَقِ العَزَالِي / عَلَى مَطَا الأَرْضِ مُرْجَحِنٍّ

مُحَمَّدٌ حَمْدُهُ اعْتِقَادٌ / لِكُلِّ حُرٍّ وَكُلِّ قِنٍّ

يَهْدِمُ كَنْزَ النُّضَارِ بَذْلاً / وَلِلْعُلاَ وَالفَخَارِ يَبْنِي

/ ١٨٢أ/ تَمْتَاحُ إِنْعَامَ رَاحَتَيْهِ / بِغَيْرِ كَيْلٍ وَغَيْرِ وَزْنِ

. . . فِي البَأْسِ وَالعَطَايَا / عَنْ بَأْسِ عَمْرٍو وَجُودِ مَعْنِ

أَجْرَا عَلَى الرَّوْعِ مِنْ أَتِيٍّ / فِي يَوْمِ ضَرْبٍ وَيَوْمِ طَعْنِ(١)

وَفِيهِ مَعْ بَطْشِهِ وَقَارٌ / يَسْتَعْمِلُ الحِلْمَ وَالتَّأَنِّي

وأنشدني لنفسه: [من المنسرح]

قَالُوا: وَسَمْتَ امْرَأً بِقَافِيَةٍ / فِيهَا مَدِيحٌ لَهُ وَتَوْبِيخُ

قَدْ سُبِكَ الهَجْوُ فِي صِيَاغَتِهَا / وَالمَدْحُ فَوْقَ الهِجَاءِ مَنْسُوخُ

قُلْتُ: عَقَدْتُ الرَّجَاءَ مِنْ سَفَهِي / فِيهِ وَعَقْدُ السَّفِيهِ مَفْسُوخُ

وَالشِّعْرُ مِثْلُ القُرْآنِ فِي نَفَسِي / أَكْثَرُهُ نَاسِخٌ وَمَنْسُوخُ

وله: [من الطويل]

لَقَدْ أَنْكَرَ الشَّيْطَانُ عُظْمَ تَجَلُّدِي / وَمُصْطَبَرِي عَنْ شَتْمِ عِرْضِ المجلد

رَمَى خَمْسَةَ الأَجْزَاءِ فِي جَنْبِ بَيْتِهِ / وَلَمْ يَرَهَا إِلاَّ بِعَزْمِ المُفَنِّدِ

وَمَا أَنَا مَنْ يُصْغِي إِلَى عَذْلِ مَائِنٍ / أَرُوحُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَأَغْتَدِي

تَمَادَى لَقَيْطٌ فِي التَّوَانِي وَلَمْ يَزَلْ / يَحُضُّ أَعَادِيهِ عَلَى هُلْكِ مَعْبَدِ

وَهَا أَنَا قَدْ أَمْهَلْتُهُ بَعْدَ رُقْعَتِي / إِلَيْهِ بَقَايَا فُسْحَةِ اليَوْمِ وَالغَدِ

/ ١٨٢ب/ فَإِنْ وَصَلَتْهُ نَفْحَةٌ مِنْ سَفَاهَتِي / فَمَا أَنَا فِيهَا ظَالِمُ الرَّأْيِ مُعْتَدِي

وله: [من السريع]

سَأَلْتُ مَنْ أَعْشَقُهُ قُبْلَةً / فَقَالَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الخَجَلْ:

---

(١) الأتي: الموج.

وَاللـهِ مَا قَصْدُكَ فِي قُبْلَةٍ ... وَإِنَّمَا قَصْدُكَ غَيْرُ القُبَلْ

وقال: [من السريع]

كَأَنَّمَا زَهْرُ أَقَاحِ الرُّبى ... وَقَدْ بَدَا مُتَّسِقاً كَالشَّنَبْ

حَبُّ جُمَانٍ نَظَمَتْ نَثْرَهُ ... خَوْدٌ عَلَى وَاسِطَةٍ مِنْ ذَهَبْ

وقال: [من الطويل]

وَزِنْجِيَّةٍ أَصْبُو إِلَيْهَا كَمَا صَبَا ... إِلَى حُبِّ عَفْرَا عُرْوَةُ بنُ حِزَامِ

تُشَيِّرُ بِأَلْحَاظٍ مِرَاضٍ فَوَاتِرٍ ... وَتَبْسِمُ عَنْ ثَغْرٍ كَعِقْدِ نِظَامِ

وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهَا أَعْجَمِيَّةٌ ... وَتَفْهَمُ مَا أُوحِي بِغَيْرِ كَلَامِ

إِذَا مَا تَعَانَقْنَا جِهَاراً حَسِبْتُهَا ... سُلَالَةَ نُورٍ فَوْقَ جُنْحِ ظَلَامِ

وله: [من الخفيف]

كَانَ يَبْدُو لِنَاظِرِي أَنَّ زَيْنَ الـ ... دِّينِ مِنْ كَثْرَةِ البغاوة خُنْثَى

وَأَرَى شَخْصَهُ يَلُوحُ لِعَيْنِي ... ذَكَراً وَهْوَ فِي الحَقِيقَةِ أُنْثَى

/١٢٩أ/ غَرَسَ المَاءَ فِي رِيَاضِ بَنِي مَيْمُونَ قَرْعاً وَفِي الأَسَافِلِ قِثَّا

وقال: [من البسيط]

هَذَا الكِتَابُ الَّذِي سَطَّرْتُهُ بِيَدِي ... عَنِ الصَّبَابَةِ وَالأَشْوَاقِ وَالكَمَدِ

إِلَى الأَمِيرِ الَّذِي رُوحِي مُعَلَّقَةٌ ... بِقُرْبِهِ فِي اقْتِرَابِ الدَّارِ وَالبُعُدِ

وَإِنْ يَكُنْ شَخْصُهُ المَجْنُونُ فِي بَلَدٍ ... وَشَخْصُ مَمْلُوكِهِ المُشْتَاقِ فِي بَلَدِ

فَالوُدُّ يَجْمَعُ أَهْوَانَا كَمَا جَمَعَتْ ... بَنُو خُزَيْمَةَ دُودَاناً إِلَى أَسَدِ

[٥١٧]

/١٠٣ب/ عليُّ بنُ مكي بنِ أبي المعالي بنِ عليٍّ، أبو الحسن الشهركرديُّ.

وشهركرد قريةٌ بينَ دقوقا وكرخين.

/١٠٤أ/ كان شاعراً مسترفداً، قارئًا للقرآن ضريراً، يقصد الناس بشعره، ويرحل في البلاد، وعنده عشرة.

أنشدني لنفسه يمدح الصاحب الوزير أبا البركات المستوفي ـ رحمة الله ـ:

[من البسيط]

مَوْلَايَ يَا شَرَفَ الدِّيْنِ الَّذِيْ شَرُفَتْ ... بِهِ الدَّوَاوِيْنُ قَاصِيْهَا وَدَانِيْهَا
وَمَنْ سَرَى فِيْ بِحَارِ العِلْمِ مُنْتَخِبًا ... مِنْ قَعْرِهَا الدُّرَّ وَاسْتَنْقَى لَآلِيْهَا
يَا بَانِيَ المَجْدِ يَا قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ... يَا مَنْ إِذَا مَاتَتِ الآدَابُ يُحْيِيْهَا
أَنْتَ الَّذِي بِكَ أَضْحَى الدَّهْرُ مُبْتَسِمًا ... وَسِيرَةُ الجُودِ عَنْ كَفَّيْكَ نَرْوِيْهَا
وَأَنْتَ أَوْلَيْتَنِي يَا سَيِّدِيْ نِعَمًا ... وَمِنْ أَيَادٍ جِسَامٍ لَسْتُ أُحْصِيْهَا
إِنَّ العَدُوَّ الَّذِي اشْتَدَّتْ عَزِيْمَتُهُ ... عَلَى عِنَادِكَ قَدْ هُدَّتْ مَبَانِيْهَا
وَصَارَ فِيْ ظُلْمَةِ الأَرْمَاسِ مُطَّرِحًا ... تَدْعُوْهُ مِنْ مِحَنِ البَلْوَى دَوَاعِيْهَا
لَازِلْتَ . . . . فِيْ ذُرَى العَلْيَاءِ فِيْ نِعَمٍ ... مَا سَارَ رَكْبٌ وَحَثَّ النُّوقَ حَادِيْهَا

وأنشدني أيضًا لنفسه ما كتبه إليه: [من الخفيف]

شَرَفَ الدِّيْنِ يَا أَجَلَّ الأَنَامِ ... وَفَتَى الجُوْدِ وَالأَيَادِيْ الجِسَامِ
وَمَنِ اخْتُصَّ بِالمَكَارِمِ وَالفَضْلِ قَدِيْمًا وَبِالخِلَالِ الكِرَامِ
قَدْ أَتَى الصَّوْمُ قَادِمًا يَتَهَادَى ... فِيْ جَزِيْلِ الثَّوَابِ وَالإِكْرَامِ
/١٠٤ب/ شَهْرُ بِرٍّ وَرَحْمَةٍ وَصَلَاةٍ ... وَصَلَاتٍ تُنْحَى مِنَ الآثَامِ
بِجِرَانِهِ سَيَلْقَاكَ فِيْهِ ... كُلُّ سُؤْلٍ وَبُغْيَةٍ وَمَرَامِ
فَاسْعَ فِيْ حَاجَتِيْ يَكُنْ لَكَ فِيْهِ ... أَجْرُ مَنْ بَاتَ مُخْلِصًا فِيْ الصِّيَامِ
أَوْ كَمَنْ حَجَّ طَائِعًا يَبْتَغِيْ اللـ ... ـهَ بِسَعْيٍ وَعُمْرَةٍ وَاسْتِلَامِ
فَإِلَى مَ القُعُوْدُ مِنْ غَيْرِ نَفْعٍ ... فَلَقَدْ طَالَ فِيْ التَّقَاضِيْ مُقَامِيْ
وَإِلَى كَمْ أَغْشَاهُمُ فِيْ صَبَاحٍ ... وَمَسَاءٍ بِخِدْمَةٍ وَسَلَامِ
لَيْسَ عُذْرٌ لِلْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ ... بَلَغَ المُكْثُ بَيْنَهُمْ أَلْفَ عَامِ
وَأَرَى جَابِيَ الجَرِيْدَةِ رِخْوًا ... فِيْ التَّقَاضِيْ مُوَافِقَ الأَقْوَامِ
ذَاكَ خَطٌّ عَرَفْتُهُ مِنْ زَمَانٍ ... لَا بِرُمْحٍ يَأْتِيْ وَلَا بِحُسَامِ
فَلَئِنْ كَانَ قَدْ تَحَصَّلَ شَيْءٌ ... فَهْوَ عِنْدِيْ مِنْ جُمْلَةِ الإِنْعَامِ
وَسُؤَالِيْ . . . . . عَنْ قَرِيْبٍ ... لِمَسِيْرِيْ فِيْ هَذِهِ الأَيَّامِ
وَابْقَ لِلْقَاصِدِيْنَ عُمْرًا طَوِيْلًا ... مَا تَرَى البَرْقَ مِنْ خِلَالِ الغَمَامِ

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا يمدحه : [من الخفيف]

بِكَ أَضْحَتْ أَوْقَاتُنَا فِي أَمَانِ ... حَيْثُ كُنْتَ المُنَى وَأَقْصَى الأَمَانِي

/١٠٥أ/ وَإِلَيْكَ المَطِيُّ مُدَّتْ خُطَاهَا ... سَابِقَاتٍ فَوَاضِلَ الأَرْسَانِ

وَأَضَاءَتْ بِوَجْهِكَ الأَرْضُ فَاسْتَغْنَتْ ... بِهِ عَنْ ذُكًا وَعَنْ زِبْرِقَانِ[1]

وَغَمَرْتَ البِلَادَ بِالعَدْلِ حَتَّى ... بَلَغَ العَدْلُ سَائِرَ البُلْدَانِ

وَاطْمَأَنَّ المَخُوفُ وَانْهَزَمَ الجَائِرُ ... عَنْهَا بِرَفْعِ ضَادِ الضَّمَانِ

وَغَدَا النَّافِرُ الجَمُوحُ ذَلِيلاً ... فِي قُيُودِ الرَّدَى وَأَسْرِ الهَوَانِ

وَحَطَطْتَ الأَوْزَارَ فَاشْتَدَّ أَزْرُ المُلْكِ ... لا بِالظُّبَا وَلا بِاللِّسَانِ

بَلْ بِآرَائِكَ العَلِيَّةِ تَنْقَادُ ... صِعَابُ الأَعْنَاقِ بِالإِذْعَانِ

رَحْمَةٌ أَنْتَ أُرْسِلَتْ بَعْدَ ضُرٍّ ... لِلْبَرَايَا بَعِيدِهَا وَالدَّانِي

شَرَفَ الدِّينِ يَا ابْنَ قَوْمٍ أَقَامُوا ... سُدَّةَ المَجْدِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَبَنَوا فَوْقَهَا مَرَاتِبَ عِزٍّ ... وَضَعُوا أُسَّهَا عَلَى كَيْوَانِ

فَسَمَوا صَاعِدِينَ فِي المَجْدِ لَمَّا ... سَبَقُوا الجَائِرِينَ فِي الإِحْسَانِ

أَنْتَ قُسٌّ فِي الفَضْلِ وَالرَّأْيِ قَيْسٌ ... وَالنَّدَى حَاتِمٌ كَرِيمُ البَنَانِ

أَجْمِيلٌ لِمَنْ أُرُوحُ بِخَطٍّ ... تَاجُهُ ذِكْرُكَ العَظِيمُ الشَّانِ

وَيُرَدُّ الكِتَابُ مِنْ غَيْرِ مَا خَوْفٍ ... عَلَى النُّوَّابِ فِي حِرْمَانِي

فَخَمِيسُ الخَسِيسُ وَابْنُ مَحَلًّا ... وَابْنُ نَصَّارَ لَجَّ فِي حِرْكَانِي

/١٠٥ب/ أَنْقَصُونِي مِنَ الجِرَايَةِ وَالتَّعْوِيضِ ... ظُلْمًا عَنْ سَائِرِ الأَعْيَانِ

فَالْقِهِمْ فِي الحُبُوسِ يَلْقَوا عَذَابًا ... كَيْفَ لَمْ يَعْطِفُوا عَلَى العُمْيَانِ

وَتَهَنَّ الصِّيَامَ شَهْرًا فَقَدْ حَانَ ... بِتَوْقِيعِ خِلْعَةِ الرِّضْوَانِ

وَابْقَ فِي الدَّهْرِ مَا أَتَى رَمَضَانٌ ... كُلَّ عَامٍ بِالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ

فَرِحًا لا تَزَالُ أَنْتَ وَتَاجُ الدِّينِ ... فِي غِبْطَةٍ مَعَ الأَزْمَانِ

مَا سَرَى البَرْقُ مِنْ خِلَالِ سَحَابٍ ... وَشَدَا طَائِرٌ عَلَى غُصْنِ بَانِ

وأنشدني لنفسه : [من الخفيف]

---

(١) ذكاء : الشمس، الزبرقان : القمر.

سَلْ جُفُونِي وَاللَّيْلُ غَاشٍ بَهِيمُ ... هَلْ لِنَأْيِ الرُّقَادِ عَنْهَا قُدُومُ
أَمْ عَلَى حَالِهَا تَظَلُّ تُرَاعِي ... كَيْفَ تَنْصَاعُ لِلْمَغِيبِ النُّجُومُ
وَسَلِ الجِسْمَ كَيْفَ بَاتَ وَفِيهِ ... بَعْدَ بُعْدِ الحَبِيبِ وَجْدٌ جَسِيمُ
وَيْحَ قَلْبٍ تَرَحَّلَ الصَّبْرُ عَنْهُ ... وَفُؤَادٍ بِهِ الغَرَامُ مُقِيمُ
فَمَتَى هَبَّ لِلْوِصَالِ نَسِيمٌ ... فَشَفَى ذَلِكَ الغَرَامَ النَّسِيمُ
لَائِمِي خَفِّفِ المَلَامَةَ وَاقْصِرْ ... لَيْسَ يَقْوَى بِمَا تَقُولُ المَلُومُ
كَيْفَ أُصْغِي إِلَى مَلَامِكَ وَالشَّوْقُ بِقَلْبِي لَهُ عَذَابٌ أَلِيمُ
صَادَنِي شَادِنٌ أَغَنُّ غَرِيرٌ ... نَاعِسٌ مَائِسٌ رَشِيقٌ رَخِيمُ
/١٠٦أ/ سَاحِرُ الطَّرْفِ لَوْ رَأَى غِمْدَ مُوسَى ... لَمْ يُخَيَّلْ لِلنَّاسِ سِحْرٌ عَظِيمُ
قَدْ حَوَى وَجْهُهُ حَدَائِقَ زَهْرٍ ... سَقْيُهَا الرَّحِيقُ وَالتَّسْنِيمُ(١)

وأنشدني لنفسه يمدح الوزير أبا إسحق إبراهيم بن علي بن أبي حرب الموصلي المعروف بابن الموالي. وكان يومئذ يتقلد الوزارة بإربل للملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن تكتكين ـ رضي الله عنه ـ وبعرض بذكر جماعة كان له عليهم رسوم في رأس كل عام فعوقوها وأخروها عنه: [من الرجز]

يَا حَادِيًا نِيَاقَهُ سُحَيْرَا ... يُجْهِدُهَا تَشَوُّقًا وَسَيْرَا
لَا يَسْتَرِيحُ أَوْ يَرَى الغُوَيْرَا ... لَقِيتَ خَيْرًا وَوُقِيتَ ضَيْرَا

* * *

إِذَا أَتَيْتَ إِرْبِلًا صَبَاحَا ... وَبَانَ بِشْرٌ مُقْبِلٌ وَلَاحَا
فَاعْلَمْ بِأَنَّ النُّجْحَ وَالصَّلَاحَا ... قَدْ قَارَنَاكَ فَاتْرُكِ الرَّوَاحَا

* * *

وَاعْدِلْ إِلَى الرَّبْعِ الأَنِيسِ الآهِلِ ... بِالجُودِ وَالمَعْرُوفِ بِالفَضَائِلِ
/١٠٦ب/ وَالمَنْهَلِ العَذْبِ لِكُلِّ نَاهِلِ ... وَمَلْجَأً لِخَائِفٍ وَسَائِلِ

* * *

رَبْعٌ بِهِ بَحْرُ النَّوَالِ وَالرَّدَى ... مَا يَأْتَلِي يَسْفَحُ بِرًّا أَبَدَا

---

(١) التسنيم: عين ماء في الجنة.

يَغْمُرُ إِنْعَامًا وَيَرْوِيْ مِنْ صَدَى سَجِيَّةٌ بِبُرْدِهَا قَدْ ارْتَدَى

***

الصَّاحِبُ الحَبْرُ الوَزِيْرُ الرَّاسِخُ فِيْ العِلْمِ وَالطَوْدُ الأَشَمُّ الشَّامِخُ
وَمَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيْلٌ بَاذِخُ دِعَامُهُ عَلَى السِّمَاكِ. . . .

***

ذُوْ الطَّوْلِ وَالإِحْسَانِ وَالأَيَادِيْ وَالرَّأْيِ وَالفِطْنَةِ وَالسَّدَادِ
وَمَنْ بِهِ أَصْبَحَ هَذَا النَّادِيْ أَمْنًا لِكُلِّ رَائِحٍ وَغَادِيْ

***

وَقَدْ نَفَى عَنْهُ الأَذَى وَالبُوسَا بِعَدْلِهِ وَصَرَّفَ النُّحُوْسَا
فَالرَّبْعُ قَدْ أَضْحَى بِهِ مَأْنُوْسَا وَالنَّاسُ فِيْهِ كَزَمَانِ مُوْسَى

***

وَهُوَ الَّذِيْ يَصْدُرُ عَنْهُ سِيَرُ تَغَارُ إِذْ تُقْرَأُ مِنْهَا السُّوَرُ
سَرَى بِهَا السَّفْرُ مُجِدًّا يُخْبِرُ مُنَوِّهًا يَا حَبَّذَاكَ الخَبَرُ

***

رَقَتْ بِهِ إِلَى المَعَالِيْ قَدَمُ ثَابِتَةٌ تَقْصُرُ عَنْهَا الهِمَمُ
مَا يَسْتَوِيْ المُعْوَجُّ وَالمُقَوَّمُ كَلَّا وَلَا الضَّوْءُ مَعًا وَالظُّلَمُ

***

مِنْ مَعْشَرٍ حَازُوا عُلًا وَمَجْدَا وَسُؤْدَدًا وَنَائِلًا وَرِفْدَا
جَلَّتْ بِأَنْ تُحْصَرَ أَوْ تُعَدَّا قَدْ وَرِثَ الأَبْنَاءُ فِيْهَا الجَدَّا

***

/١٠٧أ/ لَا بَرِحَ السَّعْدُ مَعَ النَّجَاحِ عَبْدًا لَهُ فِيْ الغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ
مَا غَرَّدَتْ صَاحِبَةُ الجَنَاحِ فِيْ الدَّوْحِ بِالتَّعْدَادِ وَالنَّوَاحِ

***

وَإِنَّ لِلْمَاجِدِ تَاجِ الدِّيْنِ كَفًّا كَمِثْلِ العَارِضِ الهَتُوْنِ
تَجُوْدُ بِالنَّفِيْسِ وَالثَّمِيْنِ عَلَى الفَقِيْرِ المُدْقَعِ المِسْكِيْنِ

***

رَبِّ العَطَايَا وَالسَّجَايَا وَالمِنَنْ ... وَالمُرْتَجَى لِدَفْعِ لَزْبَاتِ الزَّمَنْ
وَمَنْ سَمَا بِالفَضْلِ سِرّاً وَعَلَنْ ... مُتَّبِعاً أَوْضَحَ نَهْجاً وَسَنَنْ

* * *

سَلِيلُ قَوْمٍ ذِكْرُهُمْ يَضُوعُ ... بَيْنَ الوَرَى وَمَجْدُهُمْ رَفِيعُ
مُؤَثَّلٌ وَعِزُّهُمْ مَنِيعُ ... وَرَبْعُهُمْ مُرْتَبَعٌ مَرِيعُ

* * *

تَجَمَّعَتْ فِيهِ خِلَالٌ غُرُّ ... عَقْلٌ وَفَضْلٌ وَنَدًى وَبِرُّ
خَلَائِقٌ أَرْبَعَةٌ تُمُرُّ ... حَمِيدَةٌ يَرْغَبُ فِيهَا الحُرُّ

* * *

لَازَالَ يَرْقَى رُتَبَ المَعَالِيْ ... مَحْفُوفَةً بِاليُمْنِ وَالإِقْبَالِ
فِي نِعْمَةٍ مُمْتَدَّةِ الظِّلَالِ ... بِغَيْرِ تَحْوِيلٍ وَلَا انْتِقَالِ

* * *

وَالفِتْيَةُ الأَمَاجِدُ الكِرَامُ ... تَسَامَقُوا فِيْ المَجْدِ وَاسْتَقَامُوا
وَمَنْ بِهِمْ أَصْبَحَتِ الأَيَّامُ ... حَالِيَةً وَاتَّسَقَ النِّظَامُ

* * *

فَمِنْهُمُ الظَّهِيرُ وَالكَمَالُ ... ثُمَّ المُعِينُ النَّدِسُ المِفْضَالُ[1]
/ ١٠٧ب/ وَالمَجْدُ يَتْلُوهُ فَنِعْمَ الآلُ ... إِلَيْهِمْ تُقَوَّضُ الرِّحَالُ

* * *

أُوْلُوا النُّهَى وَالمِنَنِ الجِسَامِ ... وَالجُوْدِ وَالمَوَاهِبِ العِظَامِ
وَمَنْ لَهُمْ مَجْدٌ مَشِيدٌ سَامِي ... مَقَرُّهُ رَاسٍ عَلَى بَهْرَامِ

* * *

طَابُوا أُصُولاً وَزَكَوا فُرُوعَا ... وَسَلَكُوا سُبْلَ العُلَا جَمِيعَا
فَأَوْضَحُوهَا مَذْهَباً مَشْرُوعَا ... أَصْبَحَ كُلٌّ لَهُمُ تَبِيعَا

* * *

---

(١) النِدس: الفهم، الكيِّس.

لأَبْـرحَ التَّـوفيْـقُ وَالإِرْشَـادُ وَالعِـزُّ وَالتَّـأْييْـد وَالإِسْعَـادُ
يَغْشَـاهُـمْ طَـوعـاً كَمَـا أَرَادُوْا دَائمَـةً لَيْـسَ لَهَـا نَفَـادُ

***

وَاشْـرَحْ لَـهُ قِصَّـةَ عَبْـد أَصْبَحَـا عَـنْ دَاره وَأَهْلـه مُنْتَـزحَـا
عَسَـاهُ بَعْـدَ خُسْـرِه أَنْ يَـرْبُحَـا وَيَغْتَـدِيْ إِلَـى العِيَـالِ فَـرِحَـا

***

فَجَـاءَ فـيْ حسَـابـه شُطُـوْرُ وَسَـاءَت الظُّنُـونُ وَالتَّقْـديْـرُ
وَهَكَـذَا مَـا بَـرِحَ الضَّـرِيْـرُ عَـزِيْـزَ شُكْـرٍ حَظُّـهُ يَسِيْـرُ

***

كَـانَ لَـهُ رَسْـمٌ عَلَـى الجَمَـاعَـهْ أُوْلـيْ الـولاَيَـات وَالاسْتطَـاعَـهْ
قَـدْرٌ يُمَشِّـىْ الحَـالَ بِـالقَنَـاعَـهْ وَأَنْفُـسُ القَـوْمِ لَـهُ مِطْـوَاعَـهْ

***

فَحيْـنَ وَافَـى لابْتغَـاء رَسْمـه مُبَـادراً فـيْ صحَّـة مـنْ عَـزْمـه
مُغَـرِّراً بِـرُوْحِـه وَجِسْمِـه خَـوْفَ الفَـوَات حَـذَراً مـنْ حَسْمِـه

***

/ ١٠٨ أ/ فَصَـادَفَ القَـوْمَ وَقَـدْ تَغَيَّـرُوا كَـأَنَّمَـا تَجَمَّعُـوا وَاشْتَـوَرُوا
وَأَسْهَبُـوا بِمَطْلِهِـمْ وَأَضْجَـرُوا وَهْـوَ عَلَـى ذَلِـكَ حِينـاً يَصْبِـرُ

***

فَـأَوَّلُ القَـوْم الإِمَـامُ القَـاضـيْ وَمَـنْ جَميْـعُ الخَلْـق عَنْـهُ رَاضـيْ
لَـمْ يُكْثـرِ العَبْـدُ لَـهُ التَّقَـاضِـيْ خَـوْفـاً مِـنَ الإِمْـلاَل وَالإِعْـرَاضِ

***

ثُـمَّ ابْنُـهُ العمَـادُ وَالمُـدَرِّسُ الفَخْـرُ وَالمُحْتَسِـبُ المُحْتَبِـسُ
ثُـمَّ أَخُـوْهُ الخَـازِنُ المُلْتَمِـسُ منِّـي مَـدْحـاً حَيْـثُ ضَـاقَ النَّفَـسُ

***

وَكَـمْ سَعَـى العَبْـدُ إِلَـى النَّقِيْـبِ بَعْـدَ الـزَّعيْـم مُكْثـرَ التَّـرْغيْـبِ
عِنْـدَ الضُّحَـى وَالظُّهْـرِ وَالمَغِيْـبِ وَمَـا رَأَى شَيْئـاً سِـوَى التَّعْـذِيْـبِ

وَيُـونُـسُ الحَمَّـالُ ثُـمَّ القُطْـبُ ... مَـا فيهِمَـا مِـنْ خَصْلَـةٍ تُحَـبُّ
وَمحـرز.... العُجْـبِ ... ثُـمَّ أَبُـو هِنْـدِيٍّ سِلْـمٌ حَـرْبِ

***

وَابْـنُ البَهْـرَزِيِّ وَنَجْـلُ مسكِـيْ ... كِـلاَهُمَـا قَـدْ سَلَكَـا فِـيْ السِّلْـكِ
وَنَـائِـبُ الإِصْطَبْـلِ لَيْـسَ يَحْكِـيْ ... لَسَـانُـهُ غَيْـرَ حَـدِيْـثِ الإِفْـكِ

***

ثُـمَّ الكَمَـالُ وَهُـوَ فِـيْ بَيْـتِ الـزَّرَدْ ... وَابْـنُ السُّلَيْمَـانِـي مُـدِلٌ مُعْتَمَـدْ
عَلَـى اليَتَـامَـى وَلَقَـدْ ضَـاعَ العَـدَدْ ... وَلَـوْ تَـوَانَـوْا سَنَـةً كَـانَ نَفَـدْ

***

ثُـمَّ الجَمَـالاَن مَـعَ التَتَمَّـهْ ... يَحْيَـى وَشَعْبَـانُ وَوَالِـيْ الظُّلْمَـهْ
/١٠٨ب/ وَالمُحِيْي وَالشَّحَّامُ وَابْنُ نِعْمَهْ ... وَابْـنُ سَلِيْـمٍ لَيْـسَ فِيْـهِ رَحْمَـهْ

***

وَابْـنُ عُبَيْـدٍ وَبَنُـو الشَّـرِيْـفِ ... قَـدْ أَسْـرَفُـوا فِـيْ المَطْـلِ وَالتَّسْـوِيْـفِ
وَضَـامِـنُ القُطْـنِ بِـلاَ مَعْـرُوْفِ ... لاَ يَسْتَحِـيْ مِـنْ كَثْـرَةِ....

***

وَالصَّـارِمُ السَّـاكِـنُ بَيْـتَ النَّـارِ ... ذُوْ يُسْـرَةٍ وَصَـاحِـبُ اقْتِـدَارِ
.... عَلَـى الآثَـارِ ... لَيْـسَ لَهُـمْ وَجْـهٌ إِلَـى اعْتِـذَارِ

***

وَصُحْبَـةٌ عَـدُّهُـمُ لاَ يَحْسُـنُ ... مِنْهُـمْ مُسِـيءٌ وَكَـرِيْـمٌ مُحْسِـنُ
وَالـوَقْـتُ فِـيْ التَّطْـوِيْـلِ لَيْـسَ يُمْكِـنُ ... وَنَفْسُـهُ إِلَـى الـدِّيَـارِ تُـذْعِـنُ

***

وَالقَصْـدُ أَنْ تُسَلِّـمَ الجَـرِيْـدَهْ ... إِلَـى فَتًـى خِصَـالُـهُ حَمِيْـدَهْ
يَبْـذُلُ فِـيْ خَـلاَصِهَـا مَجْهُـوْدَهْ ... وَلاَ تَكُـنْ عَـارِيَـةً مَـرْدُوْدَهْ

***

فَـالعَبْـدُ لاَ يَصْبِـرُ عَـنْ أَصْحَـابِـهِ ... أَكْثَـرَ مِـنْ هَـذَا وَلاَ يَـرْضَـى بِـهِ
فَـارْدُدْهُ جَـذْلاَنَ إِلَـى أَحْبَـابِـهِ ... تَكْسَـبْ عَظِيْـمَ الأَجْـرِ مِـنْ ثَـوَابِـهِ

مَتَّعَكَ اللهُ بِهَذَا العَشْرِ وَكُلِّ عَشْرٍ مُقْبِلٍ فِي الدَّهْرِ
وَلاَ بَرِحْتَ صَاعِداً فِي الفَخْرِ تُضْحِي العِدَا ضُحَاكَ يَوْمَ النَّحْرِ

***

وَكُلُّ مَنْ حَلَّ بِذَاكَ المَنْزِلِ لاَ بَرِحُوا فِي نِعَمٍ لَمْ. . . .
بِالسَّادَةِ الأَطْهَارِ مِنْ آلِ عَلِيْ وَجَدِّهِمْ أَحْمَدَ خَيْرِ الرُّسُلِ

***

/ ١٠٩أ/ مَا لاَحَ بَرْقٌ مِنْ خِلاَلِ السُّجُفِ كَصَارِمٍ يَخْطَفُ مَاضِي الغَرْبِ
وَطَافَ بِالبَيْتِ وَذَاكَ الشِّعْبِ مُهَلِّلٌ مُكَبِّرٌ مُلَبِّي

[٥١٨]

عليُّ بنُ يحيى بنِ محمودِ بنِ الحسنِ بنِ عوادِ بنِ محرزِ بنِ مرحٍ، أبو الحسنِ الخزرجيُّ البَغداديُّ.

أخبرني أنّه ولد بكرخ بغداد يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم سنة ستمائة. وهو شاب سليم الفهم من الأذكياء؛ قرأ طرفًا مَنْ علم الأصول وأحكمه، واستظهر القرآن العزيز، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وقال شعراً في مديح وهجو.

أنشدني لنفسه يمدح بعض الرؤساء من قصيدة: [من الكامل]

بَانَتْ عَنِ الأَطْلاَلِ أُمُّ الهَيْثَمِ وَنَأَتْ بِنَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُلْمِمِ
فَقَطَعْتُ أَجْوَازَ المَغَاوِزِ قَاصِداً خَيْرَ الوَرَى مِنْ مُنْجِدٍ أَوْ مُتْهِمِ
نَسْلَ النَّجَائِبِ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ كَنْزَ العُفَاةِ وَعِصْمَةَ المُسْتَعْصِمِ

ومنها يقول:

/ ١٠٩ب/ وَعَلَيْكَ مِنْ نَسْجِ الحَدِيْدِ سَوَابِغٌ لاَ خِيفَةٌ مِنْ صَارِمٍ أَوْ لَهْذَمِ
لَكِنْ رَأَيْتَ الحَزْمَ أَفْخَرَ جُنَّةً وَأَخُو التَّهَوُّرِ لَيْسَ بِالمُتَحَزِّمِ
دِرْعٌ لَكَ اتُّخِذَتْ بِغَيْرِ مُؤَخَّرٍ مَا لاَذَ نَاسِجُهَا بِغَيْرِ المُقْدَمِ

ومنها:

وَاعْلَمْ رَعَاكَ اللهُ مَوْلَى نِعْمَةٍ ... أبداً بأنَّ أباكَ أفْضَلُ مُنْعِمِ
مَا كُلُّ مَنْ نَظَمَ القَرِيْضَ بِشَاعِرٍ ... مَا كُلُّ فَاقِدِ إلفِهِ بِمُتَيَّمِ
تَاللهِ مَا سَلَكَ المَكَارِمَ تَابِعاً ... أحَدٌ وَلاَ أخَذَ العُلاَ بِمَعَلَّمِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الطويل]

لِمَنْ طَلَلٌ بَالٍ تَدَاعَتْ جَوَانِبُهْ ... وَقَفْتُ بِهِ أشْكُو النَّوَى وَأُخَاطِبُهْ
فَكَمْ حَلَّ فِيْهِ صَارِمٌ.... ... قَضَى قَبْلَ أنْ تُقْضَى هُنَاكَ مَآرِبُهْ

ومنها:

فَتَاةٌ إذَا مَا أبْرَزَتْ فِي دُجُنَّةٍ ... أضَاءَ الدُّجَى حَتَّى تَوَارَتْ كَوَاكِبُهْ
لَهَا نَاظِرٌ يُصْبِي الحَلِيْمَ بِلَحْظِهِ ... وَتُصْمِي قُلُوْبَ العَاشِقِيْنَ صَوَائِبُهْ
تَعَلَّقْتُهَا طِفْلاً وَلَمْ أدْرِ مَا الهَوَى ... وَسِيَّانَ عِنْدِي صَابُهُ وَأطَايِبُهْ[1]

ومنها في المديح:

/١١٠أ/ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي العَطَاءِ غَرَائِبٌ ... تُصَدِّقُ مِمَّنْ يَرْتَجِيْهِ رَغَائِبُهْ
فَتَشْبِيْهُهُ بِالبَحْرِ ظُلْماً رَأيْتُهُ ... وَمَنْ جُوْدِ كَفَّيْهِ تَقِلُّ سَحَائِبُهْ
أجَدَّ رِدَاءَ المُلْكِ بَعْدَ عَفَائِهِ ... وَقَامَتْ بِهِ أعْضَادُهُ وَمَنَاكِبُهْ

وأنشدني لنفسه يمدح: [من الكامل]

يَا خَيْرَ مَنْ عُقِلَ الرَّجَاءُ بِبَابِهِ ... وَبِهِ أُنِيْخَ رَكَائِبُ الآمَالِ
مَاذَا أقُوْلُ لِمَنْ يُسَائِلُ مُغْرِقاً ... مَاذَا أفَدْتَ مِنَ الفَتَى المِفْضَالِ
أيَلِيْقُ عَنْكَ بِأنْ أقُوْلَ مَنَعْتَنِي ... أوْ أنَّنِي ألْقَاهُمُ بِمُحَالِ

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

كِلْتَا يَدَيْكَ مُنَادَى مُفْرَدٌ خُلُقاً ... لَوْ كَانَتَا نُوْنَ جَمْعٍ كُنْتَ مَرْفُوْعَا
فَلَيْتَهَا أصْبَحَتْ نُوْناً لِتَثْنِيَةٍ ... لأنَّ مَازَالَ عَنْهَا الصَّرْفُ مَمْنُوْعَا

وأنشدني قوله: [من الطويل]

أُسِرُّ وَتُبْدِي مَا تُكِنُّ الجَوَانِحُ ... دُمُوْعٌ تَخُدُّ الخَدَّ وَهْيَ سَوَافِحُ

---

(١) الصاب: الصَّبِر.

وَمَا قَعَدَتْ بِيْ هِمَّتِيْ عَنْ فَضِيْلَةٍ ... وَلِيْ سَاعِدٌ حَتَّى النُّجُوْمَ تُصَافِحُ
وَلَمْ أُطْغَ إِنْ وَالَى الزَّمَانُ عَطَاءَهُ ... لَدَيَّ وَإِنْ وَلَّى فَمَا أَنَا كَادِحُ
وَلاَ وَاقِيًا مَالِيْ بِعِرْضِيْ سَفَاهَةً ... وَلُؤْمًا وَلاَ طَرْفِيْ إِلَى الرِّزْقِ طَامِحُ

/ ١١٠ب/ ومنها يقول:

قَوْمِيْ عصبةٌ لاَ نَزِيْلُهُمْ ... يُضَامُ وَهُمْ يَوْمَ الفَخَارِ رَوَاجِحُ
إِذَا الخَيْلُ كَرَّتْ فِيْ الوَغَى لاَ تَرُوْعُهُمْ ... طِوَالُ القَنَا أَوْ مُرْهَفَاتٌ صَفَائِحُ
يُجِيْرُوْنَ إِنْ جَارَ الزَّمَانُ مِنَ الرَّدَى ... وَلَوْ أَنَّ وَجْهَ العَامِ بِالجَدْبِ كَالِحُ
إِذَا نَزَلَ الضِّيْفَانُ فِيْهِمْ تَسَاهَمُوا ... عَلَيْهِمْ وِثَابًا . . . الصَّوَائِحُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

خَلَعْتُ رِدَاءَ الحِلْمِ وَالفَضْلِ وَالنُّهَى ... وَلاَ سَلَكَتْ رِجْلِيْ سَبِيْلَ رَشَادِ
وَلاَ سُلَّ فِيْ يَوْمِ الكَرِيْهَةِ صَارِمِيْ ... وَلَمْ يَجْرِ بِيْ يَوْمَ الفَخَارِ جَوَادِيْ
وَلاَ حَمَلَتْ كَفِّيْ يَرَاعًا وَلاَ جَرَى ... بِنَظْمٍ وَلاَ نَثْرٍ سَوَادُ مِدَادِيْ
وَعَوَّضْتُ ثَوْبَ الجَهْلِ عَنْ ذَاكَ مَلْبَسًا ... وَطَالَ عَلَى فَوْتٍ . . . . سُهَادِيْ
لَئِنْ كَانَ حَقًّا تَرْكُ مَنْ قَدْ وَشَوا بِنَا ... إِلَيْكَ وَهُمْ رَاجُوْنَ مِنْكَ بِعَادِيْ
وَلَكِنْ رَأَوْا قُرْبِيْ لَدَيْكَ فَسَاءَهُمْ ... فَكُلٌّ عَلَيْهِ حَاسِدٌ وَمُعَادِيْ
رَأَوْا مِنْكَ فِيْ حَقِّيْ جَفَاءً فَأَكْرَمُوا ... وَلَوْ شِئْتَ مَا فَاهُوا بِغَيْرِ مُرَادِيْ

[٥١٩]

عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ عمر بن محمد / ١١١أ/ بنِ عليِّ بنِ جامعٍ، أبو الحسنِ الإربليُّ، المعروفُ بابنِ المحتسب.

كان والده يتولّى الحُسْبة باربل وكذلك جدّه وأخوه وجماعة من أسلافه. أخبرني أنه ولد منتصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

لاَ تَكِلْنِيْ إِلَى سِوَاكَ فَإِنِّيْ ... مُدْنَفٌ لَمْ أَجِدْ لِدَائِيْ صَلاَحَا
وَلَقَدْ غُلِّقَتْ بِوَجْهِيَ أَبْوَابٌ عِظَامٌ فَكُنْ لَهَا مِفْتَاحَا
وَأَغِثْنِيْ أَجِدْ بِذَاكَ كَمَا قِيْلَ قَدِيْمًا خَيْرَ الأُمُوْرِ نَجَاحَا

إنْ أَرَدْتُمْ حَوائِجًا عِنْدَ قَوْمٍ ... فَتَنَقَّوا لَهَا الوُجُوهَ الصِّبَاحَا

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

إذَا كُتُبِي أَتَتْكُمْ فَهْيَ تَحْكِي ... ضَنَى جَسَدِي وَمَا تَحْوِي ضُلُوعِي
فَإِنْ كَانَ المِدَادُ بِهِ احْمِرَارٌ ... فَلاَ تَعْجَبْ فَذَلِكَ مِنْ دُمُوعِي

وأنشدني لنفسه ما كتبه لبعض الرؤساء: [من البسيط]

إسْعَدْ بِهَا لَيْلَةً جَاءَتْكَ مُقْبِلَةً ... تَلْقَاكَ بِالنُّجْحِ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمَلِي
فَانْعَمْ بِهَا وَاغْتَنِمْ فِيهَا الدُّعَاءَ تَجِدْ ... فِي عَقْبِهِ فُسْحَةً فِي الرِّزْقِ وَالأَجَلِ
وَكُنْ لِعَبْدِكَ فِيمَا قَدْ أُصِيبَ بِهِ ... يَا مَالِكِي فَعَلَيْكَ اليَوْمَ مُتَّكَلِي

/ ١١١ب/ وأنشدني أيضًا قوله: [من الطويل]

يُقَبِّلُ كَفًّا لَمْ تَزَلْ فِي ضَمِيرِهِ ... يُقَبِّلُهَا سِرًّا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ
وَيَدْعُوكُمُ جَهْرًا وَأَنْتُمْ شُهُودُهُ ... حَقِيقًا فَلَمْ يَحْتَجْ لِقَوْلِ مُعَرِّفِ

وأنشدني مَنْ شعره: [من البسيط]

لَمْ أَنْسَهُ إذْ بَدَا وَالكَأْسُ فِي يَدِهِ ... يُشِيرُ نَحْوِيَ بِكَفٍّ نَاعِمٍ تَرِفِ
بِقَهْوَةٍ يُخْجِلُ البَدْرَ المُنِيرَ إذَا ... بَدَا وَشَمْسَ الضُّحَى فِي قُبَّةِ الشَّرَفِ

[٥٢٠]

عليُّ بنُ محمد بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ سعدِ بنِ عبدِ الله، أبو الحسنِ النعمانيُّ الشيبانيُّ.

كانت ولادته بالنيل[١] من البلاد العراقية في سنة إثنتين وتسعين وخمسمائة. وتولى القضاء بها مدة ـ ووالده وأعمامه كانوا قضاتها ـ ورتب كاتبًا بديوان النقابة بمدينة السلام في أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين ـ خلد الله ملكه ـ.

شاهدته ببغداد بجانبها الغربي، في سنة تسع وثلاثين وستمائة في جمادى الأولى؛ وهو يشعر شعرًا رقيقًا، وعنده فضل ومعرفة بالفقه / ١١٢أ/ والحساب

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (النيل).

والفرائض.

أنشدني لنفسه من قصيدة طويلة يمدح بها الإمام المستنصر بالله: [من البسيط]

نَشَدْتُكَ اللهَ حَادِيَ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ ... مَنْ مِنْهُمُ فِي سُرَاهُ غَيْرُ مُتَّهَمِ
قِفْ مُنْجِداً فِي رُبَى نَجْدٍ إِذَا شَجَنٌ ... يُوقِفُهُ فِي ظِلَالِ الضَّالِ وَالسَّلَمِ
فَلِي بِسَفْحِ الحِمَى نَفْسٌ لَهَا نَفَسٌ ... مِنَ الجَحِيمِ وَطَرْفٌ سَافِحُ الدِّيَمِ
شَوْقاً إِلَى سَكَنٍ مِنْ سَاكِنِيهِ لَهُ ... حَشْوَ الحَشَا نَارُ وَجْدٍ... الضَّرَمِ
أَمْسَى فُؤَادِيَ رَهْناً فِي حَبَائِلِهِ ... حُبّاً لَهُ فَفُؤَادِي غَيْرُ مُنْصَرِمِ
كَمْ جُدْتُ بِالرُّوحِ فِي حُبِّي لَهُ وَلَهاً ... بِهِ وَضَنَّ بِرُوحِ الطَّيْفِ فِي الظُّلَمِ
وَكَمْ طَوَيْتُ ضُلُوعِي فِي مَحَبَّتِهِ ... عَلَى الغَرَامِ وَنَارِ الشَّوْقِ وَالأَلَمِ
وَكَمْ لَوَى بِاللِّوَى دَيْنِي بِلَا سَبَبٍ ... وَعَقَّنِي فِي عَقِيقِ الجَزْعِ مِنْ أَضَمِ
يَا يُوسُفَ الحُسْنِ صِلْ يَعْقُوبَ حُسْنِكَ قَدْ ... أَوْدَى بِهِ البَحْرُ حَتَّى ذَابَ مِنْ سَقَمِ
أَمَا تَخَافُ إِلَهَ العَرْشِ فِي رَجُلٍ ... أَمْسَى بِدَمْعٍ عَلَى الخَدَّيْنِ مُنْسَجِمِ
المُسْتَعَانُ عَلَى ضُرِّي وَمَسْكَنَتِي ... بِالعَدْلِ مِنْ مَالِكِ الأَعْنَاقِ وَالأُمَمِ
المَالِكُ العَادِلُ المُسْتَنْصِرُ بْنُ أَبِي ... نَصْرٍ أَبُو جَعْفَرَ المَنْصُورُ ذُو النِّعَمِ
/ ١١٢ب/ مَوْلًى لَنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَنَائِحِهِ ... جُودٌ بِجَدْوَاهُ أَحْيَاهَا يَدُ الرِّمَمِ
فَالنَّاسُ صُورَةُ إِنْسَانٍ مُمَثَّلَةٌ ... وَمَالِكُ القَصْرِ رُوحُ النَّاسِ كُلِّهِمُ
بَرَاهُ مِنْ نُورِهِ البَارِي وَكَوَّنَهُ ... مِنْ طِينَةٍ حُرَّةٍ لِيطَتْ عَلَى الكَرَمِ
يُنْمَى إِلَى دَوْحَةٍ قُدْسِيَّةٍ بَسَقَتْ ... فِي حَضْرَةِ القُدْسِ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمِ
مِنْ مَعْشَرٍ شُرِّفَ البَيْتُ العَتِيقُ بِهِمْ ... مَعَ المَشَاعِرِ وَالبَطْحَاءِ وَالحَرَمِ
عَلَوا عَلَى الخَلْقِ طُرّاً فَالأَنَامُ لَهُمْ ... رِقٌّ وَجِبْرِيلُ وَالأَمْلَا[كُ] وَالخَدَمِ
قَوْمٌ أَتَتْ هَلْ أَتَى فِي النَّصِّ مُخْبِرَةً ... عَنْ فَضْلِ بَيْتِهِمُ عَنْ نُونَ وَالقَلَمِ
فَهَلْ يُسَرْبِلُهُمْ مَدْحٌ لِبَاسَ عُلاً ... بَعْدَ الكِتَابِ وَقَدْ وَافَى بِمَدْحِهِمُ

وأنشدني لنفسه في التاريخ المذكور ببغداد بجانبها الغربي: [من المنسرح]

طَافَ بِكَأْسِ السُّلَافِ فِي الغَسَقِ ... حَمْرَاءَ صِرْفاً فِي أَبْيَضٍ يَقَقِ
فَخِلْتُهُ وَالمُدَامَ بَدْرَ دُجًى ... يَحْمِلُ شَمْسَ النَّهَارِ فِي الشَّفَقِ
مُعَقْرَبُ الصُّدْغِ فَوْقَ حَاجِبِهِ ... يَرْشُقُ قَلْبِي بِأَسْهُمِ الحَدَقِ

يَنْفُثُ هَارُوتُ مِنْ لَوَاحِظِهِ ... فِي كُلِّ قَلْبٍ بِالعِشْقِ مُحْتَرِقِ
فَلَيْسَ يَنْجُو مِنْ قِسِيِّ مُقْلَتِهِ ... صَبٌّ وَلَوْ عَوَّذُوهُ. . . .
/ ١١٣أ/ يَمِيسُ عِطْفَاهُ فِي غَلَائِلِهِ ... كَمَا يَمِيسُ القَضِيبُ بِالوَرَقِ
مِنْ فَوْقِ رِدْفٍ عَبْلٍ مُؤَزَّرُهُ ... مُسَرْبَلٍ بِالجَمَالِ مُنْتَطِقِ
أَصْبَحْتُ فِيهِ مِنْ سُكْرِ قَامَتِهِ ... بِالدَّلِّ سَكْرَانَ. . . . يُفِقِ
يَا حَبَّذَا شُرْبَةٌ عَلَى ظَمَأٍ ... مِنْ دُرِّ ثَغْرٍ فِي فِيهِ مُتَّسِقِ
أَبِيتُ فِيهَا مَا بَيْنَ مُصْطَبِحٍ ... . لَمَاهُ وَبَيْنَ مُغْتَبِقِ
فِي رَوْضَةٍ حَفَّهَا الرَّبِيعُ لَنَا ... بِكُلِّ وَرْدِيٍّ مَنْظَرٍ أَنِقِ
وَالمَاءُ فِيهَا مَا بَيْنَ مُنْسَرِحٍ ... بَيْنَ مَيَادِينِنَا وَمُنْدَفِقِ
وَالغَيْمُ فِي حُلَّةٍ مُفَضَّضَةٍ ... قَدْ شُدَّ أَزْرَارُهَا عَلَى الأُفُقِ
تَحْدُو النُّعَامَي بِهِ وَيَزْجُرُهَا الرَّعْدُ فَتَبْكِي بِمَدْمَعٍ شَرِقِ
فَيَبْسِمُ الرَّوْضُ مِنْ بُكَاهُ إِذَا البَرْقُ عَلَاهُ بِسَيْفِهِ الذَّلِقِ
كُؤُوسُهَا كَالنُّجُومِ يَبْعَثُهَا ... صَوْتُ المَثَانِي بِأَفْصَحِ النُّطُقِ
. . . . فِيهَا لِكُلِّ مُخْتَطِفٍ ... لِسَمْعِ شَدْوِ الأَوْتَارِ مُسْتَرِقِ
بَيْنَ نَدَامَى جَرَوْا إِلَى غَايَةِ الظَّرْفِ فَجَاءُوا مَعًا عَلَى نَسَقِ
غُرٍّ صِبَاحِ الوُجُوهِ هَمُّهُمُ ... بَثُّ النَّدَى وَالنَّدَى عَلَى الطُّرُقِ
قَدْ أَمِنُوا رَيْبَ دَهْرِهِمْ فَغَدُوا ... . عَلَى حَنَقِ
/ ١١٣ب/ بِبَأْسِ مَوْلَى أَضْحَتْ بِسَطْوَتِهِ الآفَاقُ مَحْمِيَّةً مِنَ الفَرَقِ
خَلِيفَةُ اللهِ مَالِكُ الأُمَّةِ المَنْصُورُ مُعْطِي النُّضَارِ وَالوَرِقِ
أَغْنَى الوَرَى جُودُهُ وَنَائِلُهُ ... بِمُسْتَهِلٍّ هَامِي النَّدَى غَدِقِ
وَعَمَّ طُوفَانُ نُوحِ رَاحَتِهِ ... فَهُمْ يَخَافُونَ سَوْرَةَ الغَرَقِ
أَبْلَجُ صَلْتُ الجَبِينِ يَنْشَقُّ عَنْ نُورِ مُحَيَّاهُ غُرَّةُ الفَلَقِ
قَدْ جَمَعَتْ غَايَةُ الكَمَالِ لَهُ ... حُسْنَ المَعَانِي فِي الخَلْقِ وَالخُلُقِ
فَهْوَ وَمَنْ قَالَ فِيهِ خَالِقُهُ ... فِي ذِكْرِهِ: إِنَّهُ عَلَى خُلُقِ
غُصْنَانِ مِنْ دَوْحَةٍ مُبَارَكَةٍ ... تَحْكِي بِأَنْوَارِهَا دُجَى الغَسَقِ

[٥٢١]

عليُّ بنُ هبةِ اللهِ بنِ مُحمّدِ بنِ منصورِ بنِ عبدِ الرحمنِ الخبازُ الموصليُّ.

رجل صعلوك مملق يرتزق بشعره، كثير اللحن، يقيم أوزان الشعر من غير معرفة بالأدب، وربّما قال أبياتًا صالحة.

أنشدني لنفسه يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ: [من الرجز]

/ ١١٤أ/ خَلِّ مَلَامِيْ فِيْ الهَوَى يَا سَعْدُ ... فَفِيْ فُؤَادِيْ زَفْرَةٌ وَوَجْدُ
وَفِيْ حَشَايَ وَالضُّلُوْعِ لَوْعَةٌ ... لَهَا إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَقْدُ
فَلَا لِعُلْوِيِّ النَّسِيْمِ إِذْ سَرَى ... أَهْفُو وَلَا قُلْتُ مُرَادِيَ نَجْدُ
وَلَا عَقِيْقُ الجِزْعِ بَعْدَ عَالِجٍ ... مَآرِبِيْ وَلَا الكَثِيْبُ الفَرْدُ
وَلَا لِغِزْلَانِ النَّقَا وَحَاجِرٍ ... أَصْبُو وَلَا قُلْتُ: صِلِيْ يَا هِنْدُ
وَلَا المَطَايَا الشَّدَنِيَّاتُ إِذَا ... أَنْحَلَهَا الإِرْقَالُ وَالوَخْدُ
لَكِنَّمَا أَشْجَانُ قَلْبِيْ هَاجَهَا ... أَيَّامُ أُنْسٍ لِلصِّبَا وَعَهْدُ
بِمَنْزِلٍ لِلْقَاطِنِيْنَ لَمْ يَزَلْ ... يُسْحَبُ فِيْهِ لِلتَّصَابِيْ بُرْدُ
مِنْ كُلِّ غَيْدَاءَ كَشَمْسٍ أَشْرَقَتْ ... هَالَتُهَا بُرْقُعُهَا وَالعِقْدُ
قَدْ يَئِسَ المُشْتَاقُ مِنْ وِصَالِهَا ... عُدْمًا وَأَنَّى لِلْغَوَانِيْ رَدُّ

ومن مديحها قوله:

وَأَيْنَ فِيْ الأَرْضِ وَزِيْرٌ عَادِلٌ ... تَخَافُ مِنْ بَأْسٍ سُطَاهُ الأُسْدُ
غَيْرُ فَرِيْدِ القَصْرِ مُحْيِيْ العَدْلِ كَهْفُ القَاصِدِيْنَ لَيْسَ عَنْهُ بُدُّ
أَعْنِيْ الوَزِيْرَ المَاجِدَ الحَبْرَ الَّذِيْ ... لَهُ عَلَى هَامِ السِّمَاكِ مَجْدُ
بَحْرٌ خِضَمٌّ مَا لَهُ جَزْرٌ بَلَى ... لِجُوْدِهِ طُوْلَ الزَّمَانِ مَدُّ
/ ١١٤ب/ وَبَدْرُ تَمٍّ ظَهَرَتْ أَنْوَارُهُ ... عَلَى الوَرَى فَلَاحَ ذَاكَ السَّعْدُ
حَامِيْ حِمَى الدَّوْلَةِ قَدْ أَنْشَأَهَا ... حَتَّى اسْتَتَبَّ حَلُّهَا وَالعَقْدُ
مُعِيْدُ عُوْدِ المُلْكِ غَضًّا يَانِعًا ... مِنْ بَعْدِمَا مِنْهُ ذَوَى الأَشَدُّ

تُطِيعُهُ يَوْمَ الوَغَى خَاضِعَةً ... بَنُو المُلُوكِ وَالعِتَاقُ الجُرْدُ
مُقَسِّمُ الآجَالِ فِي الهَيْجَاءِ بِالعَزْمِ القَوِيِّ حِينَ يَنْبُو الحَدُّ
قَدْ أَصْبَحَ العَالَمُ فِي أَيَّامِهِ ... وَضَمَّهُمْ مِنَ الهَنَاءِ مَهْدُ
إِلَى وَزِيرِ الوَقْتِ قَصْدُ شَاعِرٍ ... لاَ خَابَ لِلرَّاجِينَ مِنْهُ قَصْدُ
لاَ زَالَتِ الأَقْدَارُ طَوْعَ أَمْرِهِ العَالِي إِلَيْهِ حُكْمُهَا يُرَدُّ

[٥٢٢]

عليُّ بنُ عثمانَ بن فُروح بنِ فرحاد بنِ ينكبخت بنِ شيرمُرد، أبو الحسنِ الموصليُّ.

من أبناء الجند.

لهج بقول الشعر فصار له فيه طبع مُؤات، وخاطر حسن. وله أشياء تستجاد في المديح والهجو والغزل وغير ذلك.

أنشدني لنفسه يمدح المولى المالك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الاسلام.

/ ١١٥أ/ والمسلمين، محيي العدل في العالمين، كهف الضعفاء والمساكين، نصير أمير المؤمنين من قصيدة أولها: [من الطويل]

أَسِرْبُ مَهاً أَمْ أَعْيُنُ العِينِ تَلْمَحُ ... أَمِ الظَّبَيَاتُ المُرْجَحِنَّاتُ سُنَّحُ
تَمَلَّكَ قَلْبِي يَوْمَ مُنْعَرَجِ اللِّوَى ... وَبَرَّحَ بِي شَوْقٌ هُنَاكَ مُبَرِّحُ

ومنها في المديح:

وَفِي جُودِ بَدْرِ الدِّينِ إِصْلاَحُ حَالِ مَنْ ... بِصَرْفِ اللَّيَالِي حَالُهُ لَيْسَ يُصْلَحُ
أَشَدُّ مُلُوكِ الأَرْضِ بَأْساً وَسَطْوَةً ... وَأَعْظَمُهُمْ حِلْماً وَأَعْفَى وَأَصْفَحُ
وَأَصْفَاهُمُ وِرْداً وَأَحْمَاهُمُ حِمَى ... وَأَمْرَعُهُمْ رَوْضاً وَلَيْسَ يُصَوِّحُ
وَأَضْفَاهُمُ ظِلاًّ وَأَنْدَاهُمُ يَداً ... وَأَعْلاَهُمُ مَجْداً وَأَوْفَى وَأَرْجَحُ
رَحِيبُ الفِنَا صَعْبُ السُّطَا وَاسِعُ العَطَا ... أَرِيجُ الثَّنَا مِنْ جُودِهِ يَتَرَنَّحُ
أَغَرُّ يُضِيءُ التَّاجُ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ ... وَيَكْسُوهُ نُوراً نُورُهُ المُتَوَضِّحُ
إِذَا شَهِدَ الهَيْجَاءَ يَوْماً وَقَدْ خَبَتْ ... وَصَالَ فَمِنْ أَسْيَافِهِ النَّارُ تَقْدَحُ

يُسَعِّرُهَا بِالمَشْرَفِيَّةِ وَالقَنَا ... بِكُلِّ كَمِيٍّ ثَابِتٍ لَيْسَ يَبْرَحُ
تَرَى الهَامَ فِيهَا طَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا ... جَنَادِبُ مِنْ وَقْعِ الهَجِيرِ تُطَرَّحُ
/ ١١٥ب/ وَلَمْ تَرَ إلاَّ عَائِماً فِي دِمَائِهِ ... وَآخَرَ مِنْ وَقْعِ السِّهَامِ يُرَنَّحُ
أَلاَ أَيُّهَا المَلْكُ الرَّحِيمُ وَمَنْ غَدَتْ ... بِجُودِ يَدَيْهِ الأَلْسُنُ الخُرْسُ تُفْصِحُ
وَلَوْ سُئِلَتْ صُمُّ الشَّوَاهِقِ لانْبَرَتْ ... تُحَدِّثُ عَنْ جَدْوَى يَدَيْهِ وَتَشْرَحُ
تَهَنَّ بِنَيْرُوزٍ أَتَاكَ مُبَشِّراً ... بِجِدٍّ مَعَ الأَيَّامِ يُمْسِي وَيُصْبِحُ
وَعِشْ أَلْفَ عَامٍ كُلَّ يَوْمٍ مُهَنَّأً ... بِسَعْدٍ بِهِ فِيمَا تُحَاوِلُ تَنْجَحُ
وَخُذْ بِعِنَانِ الدَّهْرِ كَيْفَ أَرَدْتَهُ ... ذَلُولاً وَلِكِنْ عِنْدَ غَيْرِكَ يَجْمَحُ

[٥٢٣]
عليُّ بنُ محمّدِ بنِ عليٍّ بنِ شفاعةَ الموصليُّ.

من أبناء المواصلة.

كان أبوه عطّاراً بشهر سوك.

وهو شاب قصير أسمر اللون، رديّ العينين، خفيف العارضين في رأسه حماقة، يبغض نفسه إِلَى الناس، ويستثقلون منظره لكونه يتعاطى التِّيه والحُمق.

وكنت ربّما جمعني وإياه مجلس صديق أو سوق الكتب فيورد من شعره شيئًا، ومما علق بذهني من شعره، وسمعته منه قوله في رجل وافى الموصل من مدينة إربل بشفاعة من أميرها أبي المكارم باتكلين بن عبد الله المستنصري / ١١٦أ/ . يعرف طرفًا جيداً من النحو، ويلعب الشطرنج حسنًا. ليعطى الجامكية الموقوفة بالمدرسة النورية على من شغل فيها النحو، وعلم الأدب، فتسلمه وأجرى عليه شهوراً، فقال:

[من البسيط]

يَا مَنْصِبَ النَّحْوِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُضْطَهَداً ... مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ مِثْلَ اللَّيْثِ فِي الخِيسِ
اليَوْمَ نَالَكَ بِالشِّطْرَنْجِ لاَعِبُهُ ... فَمَا بَقِيَ غَيْرُ لَعَّابِ الحَوَالِيسِ

لمّا أنشدت الصاحب أبا البركات المستوفى هذين البيتين، استجادهما، وقال: لو قال غدا ينالك لعاب الحواليس، كان أجود في التطبيق.

[٥٢٤]
عليُّ بنُ عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العجميِّ[1] .

كانت ولادته يوم الاثنين عاشر صفر سنة تسع وتسعين وخمسمائة. أنشدني لنفسه يوم الأربعاء الثالث والعشرين من المحرّم سنة ثمان وثلاثين وستمائة بحلب المحروسة يمدح المولى /١١٦ب/ الأجل السعيد قطب الدين أبا عبد الله محمد بن المولى السيد الإمام نظام الدين أبي منصور عبد الصمد بن أبي جعفر محمد بن الرحيم بن العجمي ـ أدام الله تأييده ـ:
[من الطويل]

أَلاَ قُلْ لقُطْبِ الدِّيْنِ يَا أَكْرَمَ الوَرَى ... وَيَا وَاحِدَ الدُّنْيَا وَيَا سَيِّدَ الخَلْقِ
أَهَلْ لَكَ أَنْ تَبْتَاعَ بِالجُوْدِ وَالنَّدَى ... صَبِيًّا صَغِيْراً حِيْنَ أَفْصَحَ بِالنُّطْقِ
يَكُوْنُ لَكُمْ عَبْداً عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... وَلَكِنَّ عَبْداً لَيْسَ يَرْغَبُ فِي العِتْقِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الطويل]

رُمِيْتُ بِنَبْلِ الجَوْرِ عَنْ سَاعِدِ الدَّهْرِ ... فَأَضْحَيْتُ مُلقًى مَا لِكَسْرِيَ مِنْ جَبْرِ
صَرِيْعَ خُطُوبٍ لاَ أَرَى لِيَ مُسَاعِداً ... عَلَى مَا أُعَانِي مِنْ عَنَاهَا سِوَى الصَّبْرِ
وَتَعْلِيْلُ نَفْسِيَ بِالأَمَانِيْ وَإِنَّ مَنْ ... يُعَلِّلُ نَفْسًا بِالأَمَانِي لَفِيْ خُسْرِ
زَمَانٌ يَرَى فِيْهِ اللَّئِيْمُ مُرَادَهُ ... وَيُصْبِحُ فِيْهِ الحُرُّ فِيْ غَايَةِ الضُّرِّ
وَلَوْلاَ اصْطِبَارِيْ لِلرَّدَى وَتَجَلُّدِيْ ... لَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّيْ عَلَى النَّحْرِ
وَهَبْنِيَ غَيَّرْتُ الدُّمُوْعَ تَجَلُّداً ... أَأُطْفِيءُ نَاراً فِيْ الجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
وَكَمْ قَائِلٍ لَمَّا رَآنِيَ نَاشِداً ... نَصِيْراً وَحَظِّيْ قَدْ تَقَاعَدَ عَنْ نَصْرِيْ
أَبَعْدَ بَهَاءِ الدِّيْنِ تَأْمُلُ مَاجِداً ... يُلاَقِيْكَ بِالإِحْسَانِ وَالبِرِّ وَالبِشْرِ
/١٧٩أ/ فَقُلْتُ سُلَيْمَانُ المُؤَمَّلُ بَعْدَه ... وَحَسْبِيَ عَوْنُ الدِّيْنِ عَوْنًا عَلَى الدَّهْرِ
هُوَ السَّيِّدُ المِفْضَالُ وَالنَّدْسُ الَّذِيْ ... تَفَرَّدَ بِالعَلْيَاءِ وَالنَّائِلِ الغَمْرِ[2]
وَأَسْبَلَ مَاءَ الجَوْدِ حَتَّى تَزَاوَرَتْ ... عُيُوْنُ بَنِيْ اللأْوَاءِ عَنْ وَابِلِ القَطْرِ[3]

---

(١) في هامش الأصل: «فخر الدين، وفاته . . . . سنة خمسين وستمائة».
(٢) النَّدْس: السريع إلى سماع الصوت الخفي.
(٣) الجَود: المطر.

حَمِيٌّ إِذَا خِيفَ الرَّدَى بَاتَ جَارُهُ عَلَى عِظَمِ الأَعْدَاءِ مُنْتَفِيَ الذُّعْرِ
تُنَاخُ مَطَايَا مُعْتَفِيهِ بِمَاجِدٍ رَفِيعِ عِمَادِ البَيْتِ مُرْتَفِعِ الذِّكْرِ
لَهُمْ مِنْهُ رِفْدٌ وَجَهٌ وَنَوَالُهُ فَلَمْ يُرَ إِلَّا بَاذِلاً دَائِمَ البِشْرِ

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

إِذَا لَبِسُوا عَمَائِمَهُمْ وَقَامُوا عَلَى أَبْوَابِهِمْ مِثْلَ الدَّرَارِي
تُقَدِّرُ أَنَّهُمْ نَاسٌ كِرَامٌ وَهُمْ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ عَوَارِيْ

وأنشدني لنفسه فِيْ الأمير جمال الدولة إقبال؛ وهو يومئذ نائب الدولة الصلاحية الناصرية بحلب المحروسة، وأنشأ ذلك ارتجالاً: [من الكامل]

شَرَفًا لِدَوْلَتِنَا وَفَخْراً إِذْ غَدَتْ تَتَوَسَّمُ الإِقْبَالَ مِنْ إِقْبَالِهَا
تَاهَتْ بِأَنْوَارِ السَّنَاءِ جَلَالَةً وَزَهَتْ فَكَانَ جَمَالُهَا بِجَمَالِهَا

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

/ ١٧٩ب/ لاَ تُنْكِرُوا إِقْبَالَ دَوْلَةِ يُوسُفٍ فَبِرَأْيِ إِقْبَالٍ بَدَا إِقْبَالُهَا
وَبِعَزْمِهِ ذَلَّ المُلُوكُ لِعِزِّهَا وَبِوَصْفِهِ شَرُفَتْ وَزَادَ جَمَالُهَا

وأنشدني لنفسه مِنْ أبيات: [من الطويل]

إِذَا حَطَّ كَفُّ الحَظِّ عَنْهُمْ أُكُفَّهُ وَكَانَ لِعَادِيْ العَادِيَاتِ ذِيَادُ
يَمِيلُ إِلَيْهِ كُلُّ قَلْبٍ كَأَنَّمَا لَهُ مِنْ سُوَيْدَاءِ القُلُوبِ مِدَادُ

وأنشدني قوله: [من الكامل]

وَحَلَفْتَ لِيْ أَنْ لاَ تَخُونَ وُدِّيْ وَغَدَرْتَ بِيْ فَغَدَوْتَ بِالإِثْمِ
فَاسْوَدَّ ذَاكَ الوَجْهُ بَعْدَ بَيَاضِهِ وَغَدَا البُصَاقُ مَوَاضِعَ اللَّثْمِ

وأنشدني مِنْ شعره: [من الوافر]

أُطَالِبُهُ فَيَكْتُبُ لِيْ رِقَاعاً تَدُلُّ عَلَى الحَمَاقَةِ وَالرَّقَاعَهْ
فَيُتْعِبُنِي بِهَا مِنْ غَيْرِ نَفْعٍ فَلَيْتَ أَرَاحَنِيْ وَزَوَى رِقَاعَهْ

وأنشدني أيضًا له: [من السريع]

ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهُمْ رَابِعٌ سَادُوا وَمَا زَالُوا مَنَاخِيسَا
مُحَمَّدُ العُصْفُورُ فِيْ . . . وَابْنُ القُبَيْصِي وَالضِّيَا مُوسَى

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

/ ١٨٠أ/ وَقَالُوا: أَنْتَ شَرُّ النَّاس طُرّاً ... أَتَهْجُونَا وَقَدْ قَدُمَ الإِخَاءُ
فَقُلْتُ لَهُمْ... فَأَرْشَدُوْنِي ... إِلَى شَيءٍ يكُوْنُ لَهُ الثَّنَاءُ
.... وَكُلُّكُمْ غُثَاءٌ ... وَكُلُّ فِعَالِكُمْ عِنْدِيْ هِجَاءُ

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

رَشِيْقُ القَدِّ أَهْيَفُهُ ... دَقِيْقُ الخَصْرِ مُخْطَفُهُ
كَغُصْنِ البَانِ مَرُّ الرِّيْحِ يَثْنِيْهِ وَيَعْطِفُهُ
لَهُ فِي خَدِّهِ وَرْدٌ ... بِلَحْظِ العَيْنِ أَقْطَفُهُ
وَنَرْجِسُ مُقْلَةٍ مَازَالَ يُضْعِفُنِي مُضَعَّفُهُ
بَدِيْعُ الحُسْنِ يَخْجَلُ عِنْدَهُ فِي الحُسْنِ يُوْسُفُهُ
أُشَبِّهُهُ عَلَى عِلْمٍ ... بِأَنِّي لَسْتُ أُنْصِفُهُ
يُرَوِّعُنِي تَجَافِيْهِ ... وَيُطْمِعُنِي تَأَلُّفُهُ
فَمَا أَدْرِيْ تَجَافِيْهِ ... بَلَائِي أَمْ تَآلُفُهُ

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الخفيف]

عَاتَبُوْهُ لِصَدِّهِ ... وَمِطَالِي بِوَعْدِهِ
فَاسْتَحَى مِنْ عِتَابِهِمْ ... وَدَنَا بَعْدَ بُعْدِهِ
/ ١٨٠ب/ لَيْتَهُمْ لَمْ يَظْفَرُوا ... بِالحَيَا وَرْدَ خَدِّهِ
أَنَا فِي الحُبِّ عَبْدُهُ ... وَهْوَ أَوْلَى بِعَبْدِهِ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

قَدِيْمُ الهَوَى عِنْدِيْ لَكُمْ وَحَدِيْثُهُ ... وَلَوْ أَطْنَبَ اللَّاحِيْ وَزَادَ حَدِيْثُهُ
وَجِلْبَابُ صَدْرِيْ رَثَّ فِيْكُمْ جَدِيْدُهُ ... وَثَوْبُ غَرَامِي فِي جَدَّ فِيْكُمْ رَثِيْثُهُ
وَمَالِي مُعِيْنٌ فِيْ هَوَاكُمْ عَنِ الأَسَى ... وَمَنْ ذَا يُعِيْنُ الصَّبَّ أَمْ مَنْ يُغِيْثُهُ
فَلَا تَعْذِلَانِي فِي المَحَبَّةِ وَاعْذُرَا ... فَسَيْبُ جُفُونِي لَا تَجِفُّ غُيُوْثُهُ
فَلَوْ تَرَيَانِ الصَّبَّ فِيْ عَرْصَةِ الحِمَى ... وَقَدْ زَادَ فِيْ إِثْرِ الحُمُوْلِ لَهِيْثُهُ
يُنَاشِدُ حَادِيْ العِيْسِ لَبْثًا بِعِيْسِهِمْ ... وَقَدْ أَعْوَزَ الحَادِيْ عَلَيْهِ لُبُوْثُهُ
عُهُوْدُ الهَوَى أَضْحَتْ عَلَيْهِ أَكِيْدَةً ... وَذَلِكَ عَهْدٌ لَا يَحِلُّ نُكُوْثُهُ

/ ١٣٩أ/

ذكر من اسمه عمر

[٥٢٥]

عمرُ بنُ المظفر بن سعيد بن مكي بنِ يوسفَ، أبو الفتحِ القرشيُّ، المعروفُ باللغوي(١).

من أهل الإسكندرية.

كانت ولادته بها إما في سنة ثلاث أو أربع وستين وخمسمائة، وموطنه بمصر. شاعر مجيد محكم الكلام، متفنن النظم جزل الشعر، يفوق شعراء وقته بجودة المعاني وفصاحة الألفاظ، طويل النفس في ابتداع القريض ذويد باسطة في صناعته، كثير المديح. له ذكر مشهور، وصيت متتابع بالديار المصرية.

وذكر لي الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمود أنَّه كان شيخًا كيسًا لطيفًا مليح المحاضرة / ١٣٩ب/ كثير الحفظ لأيام الناس وحكاياتهم ووقائعهم، له معرفة تامة بالأدب واللغة.

أنشدني الشيخ الحافظ محبّ الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي، قال: أنشدني القاضي الأجل أبو الفتح عمر بن المظفر بن سعيد القرشي لنفسه:

[من الطويل]

مَتَى يَهْتَدِيْ سَارِيْ السُّلُوِّ لِسِرِّهِ ... وَقَدْ أَشْكَلَتْ سُبْلُ الغَرَامِ بِصَدْرِهِ

وَشَابَ وَمَا شَابَ الهَوَى بِمَلَالِهِ ... وَلَا شَبَّ عُمْرُو الوَجْدِ عَنْ طَوْقِ صَبْرِهِ

وَلَا غَيَّرَ الدَّهْرُ الخَؤُوْنُ وَفَاءَهُ ... وَلَا خَدَشَتْ فِيْ وَجْهِهِ يَدُ غَدْرِهِ

وَرَشَّدَ قَاضِي الحُبِّ فِيْ الوَجْدِ قَلْبَهُ ... عَلَى أَنَّهُ مَا انْفَكَ مِنْ تَحْتِ حَجْرِهِ

---

(١) في هامش الأصل: «كانت وفاة المذكور في سابع جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وستمائة».

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ وفيه: «عمر بن مظفر بن سعيد، القاضي رشيد الدين، أبو حفص، الفهري، اللغوي، المصري، الشاعر، الكاتب». التكملة للمنذري ٣/ ٥٥٦ رقم ٢٩٧٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣٧٢ ـ ٣٧٣ رقم ٥٤٥.

أُسُكَّانَ قَلْبٍ كَالغَضَا لَمْ نَأَيْتُمُ ... مَعَ القُرْبِ مِنْ عَيْنٍ تَفِيضُ لِحَرِّهِ
وَعَدْتُم ووصْل الطَّيْف إِنْ نَامَ طَرْفُهُ ... وَأَغْرَيْتُمُوهُ وَالمَنَامِ بِهَجْرِهِ
أَعَاذِلُ لَا وَاللَّهِ مَا أَنْتَ مُنْصِفٌ ... بِلَوْمِكَ مَنْ لَمْ تَدْرِ مُؤْلِمَ ضُرِّهِ
مُحَالٌ بِأَنْ يَهْوَى اخْتِيَاراً مُتَيَّمٌ ... وَوِزْرٌ بِأَنْ يَثْنِيهِ لَاحٍ . . . .
وَبِالصَّبِّ رَفْضُ العَذْلِ أَحْرَى لِأَنَّهُ ... يَزِيدُ إِذَا حُلْوُ الغَرَامِ بِمُرِّهِ
وَمَا اللَّوْمُ إِلَّا كَالهَوَاءِ إِذَا خَبَا ... لَهِيبُ الهَوَى أَذْكَاهُ . . . .
وَعَيْنِي رَمَتْ قَلْبِي وَأَجْرَتْ دُمُوعَهَا ... مُقَاصَصَةً حُمْراً حِرَاراً كَجَمْرِهِ
/ ١٤٠أ/ أَأَحْبَابَنَا رِفْقاً بِقَلْبٍ لَدَيْكُمُ ... أَسِيرِ هَوًى لَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَ أَسْرِهِ
إِلَى مَ تَجَنَّيْتُمْ عَلَيْهِ وَصَبْرُهُ ... عَلَى قَدَمِ البَلْوَى وَحَادِثِ دَهْرِهِ
تَظَافَرْتُمُ وَالدَّهْرُ وَالعَذْلُ وَالهَوَى ... عَلَى دَمِهِ مِنْ غَيْرِ هَادٍ لِهَدْرِهِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا يَا ظَالِمِيهِ وَحَسْبُهُ ... عِنَايَةُ مَوْلَانَا الوَزِيرِ بِأَمْرِهِ
وَأَنَّ نِظَامَ المُلْكِ قَلَّدَ جِيدَهُ ... صَنَائِعَ لَمْ يَطْمَحْ لَهَا طَرْفُ فِكْرِهِ
أَمَا جُودُهُ مُنْسِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... أَمَا هُوَ بَعْدَ اللَّهِ مُحْسِنُ نَشْرِهِ
وَمَنْ هُوَ بَعْدَ المَوْتِ مُحْيِيهِ لَمْ يَكُنْ ... لِيُهْمِلَهُ مَا عَاشَ بَاقِيَ عُمْرِهِ
وَهَلْ غَيْرُ عَبْدِ اللَّهِ يُرْجَى وَيُتَّقَى ... لِمَا شَاءَ مِنْ نَفْعِ القَضَاءِ وَضَرِّهِ
قَدِيرٌ عَظِيمٌ يَرْهَبُ الدَّهْرُ بَأْسَهُ ... وَأَرْأَفُ خَلْقِ اللَّهِ مَعْ عُظْمِ قَدْرِهِ
تَوَرَّعَ عَنْ دُنْيَا حَوَى كُلَّ خَيْرِهَا ... لِيَوْمٍ وَقَاهُ اللَّهُ مَحْذُورَ شَرِّهِ
وَلَمَّا أَحَبَّ اللَّهُ دِيناً أَحَبَّهُ ... وَأَنْطَقَ أَفْوَاهَ المُلُوكِ بِشُكْرِهِ
وَزِيرٌ أَنَامَ المُلْكَ جَذْلَانَ جَدُّهُ المُؤَرِّقُ طَرْفَ الجِدِّ فِي شَدِّ أَزْرِهِ
بِعَزْمٍ يُقِرُّ العَاصِفَاتِ رَوَاكِداً ... وَحَزْمٍ يَرُدُّ السَّيْلَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
أَقَامَ مَنَارَ الشَّرْعِ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... بِأَخْبَارِهِ الحُسْنَى وَإِحْسَانِ خُبْرِهِ
هُوَ العَيْنُ يَوْمَ العَدْلِ مِنْ عُمَرٍ وَمَنْ ... يُنَاوِيهِ وَاوُ الوَهْمِ فِي حُكْمِ عَمْرِهِ
/ ١٤٠ب/ لَهُ العَمَلُ المَبْرُورُ يُرْضِي كَبِيرُهُ الإِلَهَ وَيَحْظَى الخَلْقُ طُرّاً بِجَهْرِهِ
فَبِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ لَمْ يَبْقَ شَاكِياً ... لِظُلْمٍ وَلَا مَنْ . . . . لِفَقْرِهِ
بِهِ اخْضَرَّ عُودُ الجُودِ وَامْتَدَّ ظِلُّهُ ... وَأَهْدَى إِلَى الآمَالِ يَانِعَ ثَمْرِهِ
يُنَادِي نَدَى نَادِيهِ فِي جَمْعِ وَفْدِهِ ... إِلَى ابْنِ عَلِيٍّ دُونَكُمْ جَمَّ وَفْرِهِ

هُوَ البَرُّ وَالبَحْرُ المُحِيطُ بفَضْلِهِ ... المُبِيْنِ عَلَى بَرِّ الوُجُوْدِ وَبَحْرِهِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه، وذكر أنه كان ببات الصاحب فدخل فخر الدين عثمان والجمال علي بن أبي منصور عَلَى الصاحب، وبقي هو عَلَى الباب فعمل بيتين ارتجالاً وسيّر بهما إلَى الصاحب؛ فأذن له فيْ الدخول وهما: [من البسيط]

مَولاَيَ لاَزلْتَ مَأمُولاً وَمُقْتَدراً ... تُرجَى وَتُخْشَى لِيَوْمِ النَّفْعِ وَالضَّرَرِ
هَذَا عَلِيٌّ وَعُثْمَانٌ قَدِ اجْتَمَعَا ... فَكَيْفَ تَعْتَلُ يَا مَولاَيَ عَنْ عُمَرِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه منْ قصيدة: [من الطويل]

لَقَدْ شبَّ عُمْرُو الصَّبْرِ عَنْ طَوقِ مَا أَلْقَى ... وَأَنْفَدَ مِنِّيَ الجَهْدُ أَضْعَافَ مَا أُبقَى
وَقَدْ عَظُمَتْ دَعْوَى الخُطُوبِ بِبَاطِلٍ ... عَلَيَّ وَلَمْ أَعْلَمْ لَهَا قِبَلِيْ حَقَّا

/ ١٤١أ/ ومنها:

وَلَمْ تَحْمَدِ الأَيَّامِ حَظِّي لِعلَّةٍ ... خَلاَ أنَّهَا لاَ تَجْمَعُ الحَظَّ وَالحِذْقَا
وَمَا اسْتَقْبَحَتْ مِنِّي اللَّيَالِيْ سَجِيَّةً ... سِوَى قَوْلِ قَوْمٍ إِنَّهُ يُحْسِنُ النُّطْقَا
وَحُسْنُ لُغَاتِ الطَّيْرِ يَقْضِيْ بِحَبْسِهَا ... فَيَا لَيْتَهُم يُجْرُوْنَ لِيْ مِثْلَهَا رِزْقَا
يَدُ الدَّهْرِ فِيْ ضُرِّيْ صَنَاعٌ وَإِنَّهَا ... لَخَرْقَاءُ فِيْ نَفْعِيْ إِذَا رَقَّعَتْ خَرْقَا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من السريع]

لاَ تَغْبِطِ المُخْلِصَ فِيْ دَوْلَةٍ ... خُصَّ مِنَ السُّلْطَانِ بِالقُرْبِ
وَاذْكُرْ أَبَا مُسْلِمٍ فِيْمَا مَضَى ... بِالشَّرْقِ وَالشِّيْعِيَّ بِالغَرْبِ

وقال: [من الطويل]

إِلَى مَ ثَوَائِيْ فِيْ خُمُوْلِ المُنَى كَذَا ... وَأَغَصُّ لشُرْبِي رَنْقُ عَيْشِيْ عَلَى قَذَى
وَأَمْدَحُ قَوْمًا قَدْ حُرِمْتُ عَطَاءَهُمْ ... وَهُمْ يَبْتَغُوْنَ المَنْعَ بِالْمَنِّ وَالأَذَى

[٥٢٦]

عُمرُ بنُ مودود بن أبي العزِّ بنِ أبي الفرجِ بنِ أبي عليٍّ الدَّقُوقيُّ التغلبيّ، أبو حَفْص.

من أهلِ دَقُوقا ـ بُليدة منْ البلاد العراقية[١].

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (دقوقاء).

له شعر، أنشدني الصاحب / ٢٨٢/ شرف الدين أبو البركات المستوفي باربل، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد الأزري، قال أنشدنا عمر بن مودود التغلبي لنفسه: [من الطويل]

نَمَتْنِي الكُمَاةُ الغُرُّ مِنْ آلِ تَغْلِبٍ ... إِلَى الذِّرْوَةِ العَلْيَاءِ وَالخَيْرِ وَالفَضْلِ
حُمَاةٌ إِذَا نُودُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ... أَجَابُوا سِرَاعاً غَيْرَ مِيلٍ وَلاَ عُزْلِ
وَإِنْ رَكِبُوا يَوْمَ الوَغَى الخَيْلَ واعْتَزَوا ... رَأَيْتَ قُدُورَ الحَرْبِ أَبْرَدُهَا يَغْلِي
هُمُ الضَّارِبُونَ الهَامَ فِي حَوْمَةِ الوَغَى ... بِبِيضٍ خِفَافِ الضَّرْبِ مُحْكَمَةِ الصَّقْلِ
وَهُمْ طَاعَنُوا قَلْبَ الكُمَاةِ بِذُبَّلٍ ... طِوَالٍ لَدَى الهَيْجَاءِ خَطِّيَّةٍ عُسْلِ
وَهُمْ قَاتَلُوا الأَمْلاَكَ هَدْراً. . . . ... بِلاَ قَوَدٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ عَقْلِ
أَبَادُوا لَبِيداً وَالتَّبَابِعَ عَنْوَةً ... وَعَمْرُو بْنَ هِنْدٍ ذَا الأَيَادِي وَالبَذْلِ
فَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ سِوَاهُمْ بِمُعْتَزٍ ... وَلاَ طَالِباً أَهْلاً سِوَاهُمْ وَهُمْ أَهْلِي
بَنُو تَغْلِبَ العَلْيَاءِ خَيْرُ بَنِي أَبٍ ... سِوَى هَاشِمٍ خَيْرِ الأَنَامِ أُولِي الفَضْلِ
وَبَعْدَهُمُ شَيْبَانُ ثُمَّ جُفَيْنَةٌ ... وَقَيْسٌ وَتَيْمُ اللاَّتِ ثُمَّ بَنُو ذُهْلِ
وَإِبْنَا زَمَانِ بْنِ صَعْبِ بْنِ يَشْكُرِ بْنِ بَكْرٍ أُولُو العَلْيَاءِ ثُمَّ بَنُو عِجْلِ
/ ١٤٢أ/ أُولَئِكَ حَيَّا وَائِلٍ وَبِهِمْ عَلَتْ ... نِزَارٌ وَعَزَّتْ فِي حِرَازٍ عَنِ الذُّلِّ

[٥٢٧]

عمرُ بنُ محمد بنِ عبدِ الله، أبو حفصٍ الباجسريُّ الخطيبُ.

من أهلِ باجسرا قرية كبيرة مشهورة من قرايا بغداد.

كان يعلم الصبيان ويؤدّبهم بها، وله طبع فِيْ إنشاء الشعر وعمله.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن يوسف الربعي الدوري، قال: أنشدني الخطيب عمر بن محمد الباجسري لنفسه من أبيات، يمدح بها بني النجيح: [من البسيط]

السَّادةُ الغُرُّ مِنْ آلِ النَّجِيحِ وَقَدْ ... لاَلاَ عَلَى الرَّوْضِ مِنْ أَحْسَابِهِمْ نُورُ
لَقَدْ مَضَى لِيَ بِهِمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُهُ ... يَوْمٌ عَلَى سَائِرِ الأَيَّامِ مَذْكُورُ

ومنها في الصيد يصف الغزالة:

إنْ حَاوَلَتْ نَظَراً أنَّى لَهَا نَظَرٌ ... ووَجْهُهَا بجَنَاحِ الصَّقْرِ مَسْتُورُ

أَوْ . . . فَبِكَفَّيْهِ قَدَ الْجَمَهَا ... فَصَوْتُهَا حِينَ تَبْغِي المَدَّ مَقْصُورُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه فيهم أيضًا وقد مات لهم ولد / ١٤٢ب/ من قصيدة أولها: [من البسيط]

الشَّجْوُ دَائِكَ لاَ أَدْرِيْ أمِ الطَّرَبُ ... أيْنَ الدُّمُوْعُ الَّتِيْ تَجْرِيْ فَتَنْسَكِبُ

أَمَا لِطَوْقِكَ لاَ يَنْجَابُ أَسْوَدُهُ ... كَمَا مَحَا أَسْوَدَيَ الدَّمْعِ وَالنُّوَبِ

ومن آخرها:

أحْلاَمُ عَادٍ وَحُكَّامٌ إذَا جَلَسُوا ... مُسَدَّدِيْنَ وَفُرْسَانٌ إذَا رَكِبُوا

أَهْلُ السَّمَاحَةِ إنْ أعْطَوْا وَإنْ وَعَدُوا ... قَوْمُ الفَصَاحَةِ إنْ قَلُّوا وإنْ . . .

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه من قصيدة أوّلها يمدح بني النجيح أيضًا:

[من المتقارب]

ذَكَرْتُ صَبَاحًا بِلَيْلٍ أَهَلْ ... مَشِيْبٌ بَدَا وَشَبَابٌ أَفَلْ

ومنها:

هَنِيْئًا مَرِيْئًا لآلِ النَّجِيْحِ ... مَقَامٌ تَسَامَى إلَيْهِ الأُوَلْ

فَلِلْضَيْفِ مَا عَزَّ مِنْ نَائِبٍ ... وَلِلْمُجْتَدِيْ عِنْدَهُمْ مَا سَأَلْ

وَلَوْ حَاوَلَ المَوْتَ جَارٌ لَهُمْ ... لَكَادُوا يَرُدُّوْنَ عَنْهُ الأَجَلْ

[٥٢٨]

عُمرُ بنُ إبراهيمَ بن عليٍّ / ١٤٣أ/ بن أبي بكر بن رُخام، أبو حفصٍ الكاتبُ الخَوجستانيّ الأصلِ، الدنيسريُّ المولد[١].

أخذ طرفًا من الأدب عَلَى الشيخ أبي العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي

(١) ترجمته في: تأريخ دنيسر ص١٦٥.

الخزرجي. وكان شاعراً لطيفًا ذكيًا مطبوعًا كاتبًا خطاطًا، لذيذ المحادثة، طيب المفاكهة.

استكتبه نظام الدين البقش بن عبد الله القطبي، المتولي بماردين، وأقام بسنجار مُدّة يعلم أبناء رؤسائها بيت يعقوب الخط. وله فيهم مِدَحٌ حسنة، وديوان شعره موجود وأكثره استفرغه في الغزل والنسيب والمدح والهجاء والسخف، وغير ذلك.

وكان حسن الصوت في إنشاد الشعر، صاحب مُداعبة ونوادر وجد وهزل.

وكانت وفاته فِيْ المحرم سنة ستٍّ وستمائة.

أنشدني أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد المارديني بإربل فِيْ شهر صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة، قال: أنشدني عمر بن إبراهيم بن رُخام لنفسه: [من الطويل]

أأحْبَابَنَا بالشِّعْبِ مِنْ جَوِّ مَارِد ... تُرَى يَسْمَحُ الدَّهْرُ الخَؤُونُ بلُقْيَاكُمْ
عَدِمْنَا وُجُوهَ النَّاسِ يَومَ وَدَاعِكُمْ ... وَمَا النَّاسُ إلاَّ أنْتُمُ لاَ عَدِمْنَاكُمْ
/١٤٣ب/ وَسَافَرْتُ أبْغِي الفَضْلَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِكُمْ ... وَمَا عَرَفَ النَّاسُ الفَضِيْلَةَ لَوْلاَكُمْ
كَأنَّكُمُ كُنْتُمْ شَبَابَ زَمَانِنَا ... فَقَدْ شَابَتِ الأيَّامُ مُنْذُ فَقَدْنَاكُمْ

وأنشد، قال: أنشدني أبو حفص لنفسه: [من الطويل]

تُرَانِيْ أرَى أعْلاَمَ قَلْعَةِ مَارِد ... إذَا مَا عَلاَ مِنْ فَوْق مَرْقَبِهَا نَارُ
وَتَبْدُو نُسَيْمَاتُ الشُّعَيْبِ كَأنَّمَا ... يُفَتِّقُهَا مِنْ جَانِبِ الغَوْرِ عَطَّارُ
وَأنْهَلُ مِنْ مَاءِ النُّبَيْعِ وَيَشْتَفِي ... صَدَى مُهْجَةٍ فِيْهَا مِنَ الحزنِ الدار
أحِنُّ إلَى النَّارِ... تَشَوُّقَاً ... إذَا بَرَدَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أسْحَارُ
وَإنِّي غَرِيْبٌ مَا لَهُ نَحْوَ أرْضِهِ ... وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا حَنِيْنٌ وَتَذْكَارُ
إذَا كَانَ أقْصَى غَايَةِ المَرْءِ حُفْرَةً ... فَسِيَّانِ إنْ شَطَّتْ وَإنْ دَنَتِ الدَّارُ
وَإنْ كَانَتِ الأرْزَاقُ قِسْمَةَ قَاسِمٍ ... فَلاَ قَلَّ مِقْلاَلٌ وَلاَ زَادَ مِكْثَارُ
وَإنْ كَانَتِ الآجَالُ حِكْمَةَ حَاكِمٍ ... فَلاَ مَاتَ مِقْدَامٌ وَلاَ عَاشَ خَوَّارُ

[٥٢٩]

عمرُ بنُ محمد بن عليٍّ بنِ أبي نصر بن محمد بن يحيى بنِ أبي بكرٍ، أبو حفصٍ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ الشَحنَةِ.

الأديب الشاعر من أهل الموصل ومن شعرائها /١٤٤أ/ المقدمين وفضلائها المتميزين.

قرأ القرآن العظيم بوجوه القراءات على الشيخ أبي بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي المقريء، واشتغل بالأدب والعربية على أبي الحسن علي بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوي البغدادي.

وحصل مِنْ كل علم طرفًا صالحًا كعلم النّحو واللغة ومعاني الشعر والأنساب والتواريخ. وكانَ شاعراً مجوداً كثير السرقة، سليط اللسان، كثير الهجاء لأرباب الدول والرؤساء، لم يسلم أحد من صدور ذلك الزمان من هجائه. كان يتجرأ عليهم. وكان معاقراً للشراب مشغوفًا به. وكان يتزيا بزي الأجناد في عنفوان أمره، ورحل إلى حضرة الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رضي الله عنه ـ قاصداً وامتدحه بالقصيدة القافية التي استحسنها الأدباء، واستجادها الفضلاء؛ فأحسن صلته عليها.

ثم عاود الموصل فمكث بها مُدّة، فأبلغ نور الدين أتابك أرسلان شاه بن مسعود أنَّه تعرض لهجوه فشهره وصفعه، ثم اعتقله في السجن إلى أن مات /١٤٤ب/ خامس عشر شوال سنة ثمان وستمائة، بقلعة من قلاعها تسمى الجديدة، وقيل أنه توفي سنة ستٍّ وستمائة. وألف في السجن كتابًا يدخل في مجلدة سمّاه: «نفثة المصدور وأنّة المأسور» وهو مجموع حسن ضمنه أشياء من الأخبار المليحة والأشعار الفصيحة؛ رأيته بخطه، عمله لسرقجاء المجاهدي. وكان مجاوره في السجن ومن جملة خطبته يقول: «فلم أفق من خمار خمرتها إلاَّ وقد بلّت بكل قريب بعيداً، وبكل وصل صدودا، فالثغر يفتر والأحشاء تحترق».

وأشعاره تفرقت بأسرها ولم يوجد منها إلاَّ اليسير، وهذه القصيدة القافيَّة أنشدنيها أبو الطليق معتوق بن أبي بكر بن سعد الخزاعي الموصلي الشاعر، قال: أنشدني الأديب أبو حفص عمر بن علي بن الشحنة لنفسه يمدح صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رضي الله عنه ـ: [من الطويل]

سَلاَمُ مَشُوقٍ قَدْ بَرَاهُ التَّشَوُّقُ   عَلَى الحَيِّ مِنْ وَادِي الغَضَا إذْ تَفَرَّقُوا
يُرَنِّحُهُ وَفْدُ النَّسِيمِ إذَا سَرَتْ   كَتَائِبُهُ وَالبَارِقُ المُتَأَلِّقُ
/١٤٥أ/ أجِيرَانَنَا كَيْفَ التَّدَانِي وَرَكْبُكُمْ   غَدَا مُشْئِماً حَقّاً وَرَكْبِيَ مُعْرِقُ
أُبَثِّكُمُ أنِّي إذَا قِيلَ قَدْ دَنَا   وَشِيكُ النَّوَى . . . .
وَإنِّي إذَا نَهْنَهْتُ وَجْدِي أذَاعَهُ   كَمِينُ أسًى بَيْنَ الحَيَازِمِ مُحْرِقُ
فَقَلْبٌ بِإثْرِ الظَّاعِنِينَ مُوَلَّهٌ   أسِيرٌ وَدَمْعٌ فِي المَنَازِلِ مُطْلَقُ
وَلَوْلاَ وُلُوعُ الطَّرْفِ مِنْكُمْ بِنَظْرَةٍ   لَمَا كُنْتُ أدْرِي حُبُّكُمْ كَيْفَ يَعْلَقُ
يُحَرِّضُ شَوْقِي إنْ تَغَنَّتْ بِذِي الغَضَا   مُفَجَّعَةٌ وَرْقَاءُ وَاللَّيْلُ أوْرَقُ
لَهَا مِعْصَمٌ مِنْ دَمْعِهَا مُتَخَضِّبٌ   وَجِيدٌ بِجِلْبَابِ الحِدَادِ مُطَوَّقُ
بَكَتْ شَجْوَهَا وَالصُّبْحُ . . . .   وَلاَ شَابَ مِنْ فَرْطِ الدُّجُنَّةِ مَفْرِقُ
وَيَقْتَادُنِي نَحْوَ التَّصَابِي مَلاَعِبٌ   هَوِيتُ بِهَا إذْ أبْرَقَ الحَزْنُ أبْرَقُ
. . . حَوَاهَا رَسْمُهَا وَهْوَ صَامِتٌ   وَجَدَّدَ عَهْدِي عَهْدُهَا وَهْوَ مُخْلِقُ
فَمَا الوَجْدُ إلاَّ زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ   يُكَرِّرُهَا أوْ عَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ
وَمَا الشِّعْرُ إلاَّ مَدْحُ قَوْمٍ هُمُ الأُلَى   بِهِمْ يُفْتَحُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ وَيُغْلَقُ
مَعَاشِرُ لَيْسَ المَجْدُ عَنْهُمْ بِعَازِبٍ   وَلاَ ذِكْرُهُمْ إنْ أخْلَقَ الدَّهْرُ يَخْلُقُ
إذَا وَعَدُوا أوْفُوا وَإمَّا تَوَاعَدُوا   غَزَتْهُمْ أنَاةٌ حِلْمُهَا يَتَدَفَّقُ
فَوَجْهُ المَعَالِي مُسْفِرٌ بِعُلاَهُمُ   سُرُوراً وَغُصْنُ الجُودِ فِينَانُ مُعْذِقُ
/١٤٥ب/ وَشَمْلُ الثَّنَا وَالحَمْدِ فِيهِمْ مُجَمَّعٌ   وَإحْسَانُهُمْ فِي العَالَمِينَ مُفَرَّقُ
وَآمِلُهُمْ بَيْنَ الأنَامِ مُؤَمِّلٌ   وَمَادِحُهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُصَدَّقُ
أقُولُ لِسَارٍ يَقْطَعُ البِيدَ كُلَّمَا   طَوَى سَمْلَقاً فِي سَيْرِهِ جَاءَ سَمْلَقُ
يُنَازِعُ عَنْ تَعْرِيسِهِ الصُّبْحَ عُصْبَةٌ   آمَالَ طُلاَهُنَّ النُّعَاسُ المُرَنِّقُ
رُوَيْدَكَ مَغْنًى لِلنَّدَى فِيهِ مَسْمَعٌ   وَدُونَكَ . . . لِلْعِدَا فِيهِ مَشْرِقُ

بحَيْثُ صَفيَّاتُ الوُعُوْدِ عَتيْدَةٌ   هُنَاكَ وَأبْكَارُ المَوَاعيْدِ فُرَّقُ

وَنَادِ صَلاَحَ الدِّيْنِ وَالمَلِكَ الَّذِيْ   بِهِ يَمْنَحُ اللّهُ العِبَادَ وَيَرْزُقُ

وَغَنِّ بِذِكْرَاهُ المَطَايَا فَإنَّهَا   إذَا سَمِعَتْ ذِكْرَاهُ تَخْدِيْ وَتُعْنِقُ

أيَا مَلِكاً لَوْلاَ نَدَاهُ وَفَضْلُهُ   لَمَا عَلِمَتْ أفْوَاهُنَا كَيْفَ تَنْطِقُ

دَعَانِيْ نَدَاكَ المُسْتَفِيْضُ وَدَلَّنِيْ   عَلَيْكَ شُعَاعٌ بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُشْرِقُ

وَقَادَ زِمَامِيْ نَحْوَ رَبْعِكَ نَفْحَةٌ   مِنَ الجُوْدِ ظَلَّتْ بَيْنَ عِطْفَيْكَ تَعْبَقُ

وَقَالَتْ لِيَ الآمَالُ إنْ كُنْتَ نَازِلاً   بِأبْنَاءِ أيُّوْبٍ فَأنْتَ المُوَفَّقُ

يَجُوْدُ نَدًى لِلْمُعْتَفِيْنَ إذَا   . . . .

إذَا نَطَقُوا أغْضَى الأنَامُ مَهَابَةً   لَدَيْهِمْ فَلَمْ يَنْبِسْ هُنَالِكَ مَنْطِقُ

فَأقْعَدَنِيْ عَنْ فَرْضِ حَجِّكَ خِيْفَةٌ   إذَا خَطَرَتْ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تَزْهَقُ

/١٤٦أ/ وَلَوْ كُنْتُ أسْطِيْعُ القَرَارَ لَمَا ثَنَى   زِمَامَ زِمَامِيْ عَنْكَ بَيْنٌ مُفَرِّقُ

وَإنِّيْ امْرُؤٌ أحْبَبْتُكُمْ لِمَكَارِمٍ   سَمِعْتُ بِهَا وَالأذْنُ كَالعَيْنِ تَعْشَقُ

سَمِيَّ ابْنِ يَعْقُوْبَ ألَمْ تَرَ أنَّنِيْ   أهَابُكَ أنْ أدْعُوْ بِإسْمٍ وَأشْفِقُ

فَلَوْلاَ اتِّقَاءُ اللّهِ نَادَيْتُ مُعْلِناً   حَنَانَيْكَ لِيْ يَا مَنْ يُمِيْتُ وَيَخْلُقُ

لَقَدْ أشْعَرَتْ مِنْكَ النُّفُوْسُ مَهَابَةً   تَكَادُ لَهَا صُمُّ الجِبَالِ تَشَقَّقُ

إذَا يَمَّمَتْ أرْضاً رِكَابُكَ أوْشَكَتْ   لِوَطْأتِهَا تِلْكَ المَوَاطِنُ تُصْعَقُ

فَمَا بَيْنَ كَفَّيْكَ المَنِيَّةُ وَالمُنَى   كَذَاكَ السَّحَابُ الغَمْرُ يُرْوِيْ وَيُغْرِقُ

بَزَغْتَ وَنَجْمُ الجُوْدِ فِيْ النَّاسِ خَافِقٌ   . . . . . المَطَالِبِ مُخْفِقُ

وَرَبْعُ المَعَالِيْ وَالمَآثِرِ مُقْفِرٌ   وَبَابُ الأيَادِيْ وَالسَّمَاحَةِ مُغْلَقُ

فَأصْبَحْتَ لاَ وَجْهُ الأمَانِيِّ آسِفٌ   لَدَيْكَ وَلاَ صَدْرُ المَكَارِمِ ضَيِّقُ

تَرُوْحُ المُنَى صِفْراً إلَيْكَ فَتَغْتَدِيْ   لَهَا عَارِضٌ مِنْ سَيْبِكَ الجَمِّ مُتْأقُ

وَعِنْدَكَ يُضْحَى كَاسِدُ الحَمْدِ نَافِقاً   عَزِيْزاً وَأغْصَانُ المَدَائِحِ تُوْرِقُ

تُؤَلِّفُ شَمْلَ المَكْرُمَاتِ فَيَغْتَدِيْ   غُرَابُ النَّدَى فِيْ شَمْلِ مَالِكَ يَنْعَقُ

تَكَلَّفْتَ آجَالَ البَرَايَا وَرِزْقَهُمْ   فَبَأسُكَ يَحْمِيْهِمْ وَنُعْمَاكَ تُوْرِقُ

فَلَمْ يُغْنِ إلاَّ مَنْ نَدَاكَ يَجُوْدُهُ   وَلَمْ يُحْيِ إلاَّ مَنْ لَهُ مِنْكَ مَوْثِقُ

/١٤٦ب/ إذَا مَا لِسَانُ الحَمْدِ حَلَّ نِطَاقَهُ   فَأنْتَ بِمَا يَتْلُوْهُ أحْرَى وَأخْلَقُ

عَدَلْتَ فَلَمْ تَتْرُكْ عَنِ الحَقِّ عَادِلاً / وَجُدْتَ فَلَمْ يُوجَدْ عَلَى الأَرْضِ مُمْلِقُ

وَأَسْهَرْتَ طَرْفًا فِيْ رِضَا اللّهِ لَمْ يَكُنْ / يُؤَرِّقُهُ فِي اللَّهْوِ طَيْفٌ مُؤَرِّقُ

وَقَوَّمْتَ زَيْغَ الدَّهْرِ وَالدَّهْرُ أَصْعَرٌ / وَحَسَّنْتَ مِنْهُ خُلْقَهُ وَهْوَ أَخْرَقُ

وَلَوْ رُنِّقَتْ عَيْنَاكَ عَنْ مَوْرِدِ الهُدَى / طَرُوْقًا لأَمْسَى وَهْوَ طَرْقٌ مُرَنَّقُ

كَتِيْبَتُكَ الشَّهْبَاءُ بِالْيُمْنِ سَيْرُهَا / وَرَايَتُكَ الصَّفْرَاءُ بِالنَّصْرِ تَخْفِقُ

إِذَا سَارَتَا سَارَ القَضَاءُ مُبَادِراً / يَؤُمُّهُمَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَيُحْدِقُ

وَرُبَّ مُقَامٍ قَدْ رَفَعْتَ لأَهْلِهِ / سَمَاءً لَهَا بِالمَوْتِ وَبْلٌ وَرَيِّقُ

تَكَشَّفَ عَنْ طَوْدٍ بِحِلْمِكَ رَاسِخٍ / وَأَسْفَرَ عَنْ بَدْرٍ بِوَجْهِكَ يُشْرِقُ

لَدَى مَوْطِنٍ يَضْحَى الأَكُسُّ كَأَنَّهُ / بِأَرْجَائِهِ مِنْ شِدَّةِ الرَّوْعِ أَرْوَقُ

إِذَا بَسَمَتْ فِيْهِ الصَّوَارِمُ كَلَّحَتْ / لَهَا أَوْجُهٌ كَانَتْ مِنَ الْبِشْرِ تُشْرِقُ

فَإِنْ أَظْلَمَتْ آفَاقُهُ ضَحِكَتْ بِهِ / لَهُنَّ ثُغُوْرٌ فَانْثَنَى وَهْوَ أَبْلَقُ

وَإِنْ بَرَقَتْ فِيْهِ الأَسِنَّةُ أَصْبَحَتْ / عُيُوْنُ الرَّدَى وَالحَتْفِ مِنْهِنَّ تُبْرِقُ

تَحُوْكُ حَوَامِيْ الجُرْدِ فِيْهِ وَشَائِعًا / مِنَ النَّقْعِ . . . تَارَةً وَتسْرِقُ

تُخَالُ بِهَا شَمْسُ الظَّهِيْرَةِ مُقْلَةً / بِهَا حَوَلٌ فِيْ طَرْفِهَا حِيْنَ تَرْمُقُ

/ ١٤٧أ/ تَجَشَّمْتَهُ وَالمَوْتُ فِيْهِ مُدَلَّهٌ / وَقَابُ المَنَايَا خِيْفَةً فِيْهِ تَخْفِقُ

وَلَمْ تَرْعَ لِلنَّفْسِ الكَرِيْمَةِ ذِمَّةً / كَأَنَّكَ مِنْهَا طَالِبُ الثَّأْرِ مُحْنَقُ

بِفَيْلَقِ عَزْمٍ لا يُفَلُّ عَدِيْدُهُ / يُؤَازِرُهُ مِنْ نَصْرِ ذِيْ العَرْشِ فَيْلَقُ

وَكُلُّ كَمِيٍّ يَسْتَحِرُّ بِهِ الوَغَى / يُشَيِّعُهُ قَلْبٌ إِلَى المَوْتِ شَيِّقُ

يَهُوْنُ عَلَيْهِ الخَطْبُ وَالخَطْبُ مُفْظِعٌ / وَيُوْرِي زِنَادَ وَالحَرْبِ وَالحَرْبُ مُغْدِقُ

بِكُلِّ صَقِيْلٍ ثَغْرُهُ مُتَبَسِّمٌ / وَكُلِّ قَطُوْبٍ بِشْرُهُ مُتَرَقْرِقُ

وَفِيْ تَلِّ حِطِّيْنَ حَطَطْتَ عَلَى العِدَا / مِنَ الذُّلِّ . . . آيِسٍ يُفَرِّقُ

رَمَيْتَ بِأَلْحَاظِ الجِيَادِ جِيَادَهُمْ / فَضَاقَ بِهِمْ رَحْبُ الفَضَاءِ . . . .

وَعَاطَيْتَهُمْ كَأْسًا مِنَ المَوْتِ مُرَّةً / «إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ»

وَغَادَرْتَهُمْ صَرْعَى أَسَالَتْ طُلاَهُمْ / خُدُوْدُ المَوَاضِيْ لا الرَّحِيْقُ المُعَتَّقُ

مَآدِبَ تَضْحَى الضَّارِيَاتُ تَؤُمُّهُمْ / كَتَائِبُ مِنْهَا دَالِفٌ وَمُحَلِّقُ

فَـألْـوَى بِمَـنْ أفْنَيْـتَ عَنْقَـاءُ مُغْـرِبٌ وَخَـامَـرَ مَـنْ أبقَيْـتَ مَـسٌّ وَأوْلَـقُ(١)

وَأبـتَ وَثَغْـرُ الـدِّيْـنِ جَـذْلانُ ضَـاحِـكٌ أنِيْـقٌ وَطَـرْفُ الشِّـرْكِ خَـزْيَـانُ مُطْـرِقُ

وَطَـوَّقْـتَ أعْنَـاقَ البَـرِيَّـةِ مِنَّـةً يُنَـافِسُهُـمْ فيْهَـا الحَمَـامُ المُطَـوَّقُ

فَـذَا الجُـوْدُ وَالبَـأسُ اللَّـذَانِ انْتَحَـاهُمَـا سَجِيْـسَ اللَّيَـالِـي حَـاتِـمٌ وَالمُحَـرِّقُ

/ ١٤٧ب/ فَلَوْلا القِرَى فِي الدَّارِمِيِّيْنَ لاسْتَوَى جَـرِيْـرٌ عَلَـى عِـلاَّتِـهِ وَالفَـرَزْدَقُ

وَفِـي يَـوْمِ بِغْـرَاسٍ غَـرَسْـتَ صَنَـائِعًـا يُحَيِّيْـكَ مِنْهَـا نَـوْرُهَـا وَهْـوَ مُـوْنِـقُ

وَمَـنْ مَعْقِـلِ البَـرْزِيـنِ أبْـرَزْتَ عُنْـوَةً غَطَـارِيْـفَ شُـوْسًـا لَـمْ . . . . الـرتـقُ

وَقَـدَّسْـتَ أرْضَ القُـدْسِ مِـنْ كُـلِّ مَـارِقٍ . . . فِـي دَوْحَـةِ الشِّـرْكِ مُعْـرِقُ

وَلاَءَمْـتَ بِـالبَيْـتِ العَتِيْـقِ انصِـدَاعَـهُ وَمَـا كَـادَ لَـوْلا صِـدْقُ عَـزْمِـكَ يَعْتُـقُ

وَيَـوْمَ بَعَثْـتَ البَـأسَ مِنْـكَ لِكَـوْكَـبٍ خَبَـا كَـوْكَـبٌ مِـنْ عِـزِّهِ مُتَـألِّـقُ

وَحَـدَّثَـتِ الآمَـالُ أهْلِيْـهِ أنَّـهُ سَيَعْصِمُهُـمْ مِنْـهُ مَـلاَذٌ مُـرَفَّـقُ

وَمَـا عَلِمُـوا أنَّ سَـوْفَ تُشْعِـرُهُ الـرَّدَى وَلَـوْ أنَّـهُ بِـالشِّعْـرَيَيْـنِ مُعَلَّـقُ

وَإنْ تَـرُمْ سُـوْراً سَـوْرَةٌ مِنْـكَ تُـرْدِهَـا وَلَـمْ يَحْمِهَـا سُـوْرٌ مَشِيْـدٌ وَخَنْـدَقُ

فَـدُوْنَكَهَـا إنَّ القَضَـاءَ مُسَـاعِـفٌ وَعَـزْمُـكَ مَـاضٍ وَالإلَـهُ مُـوَفِّـقُ

يُصَلِّـي عَلَـى أفْعَـالِـكَ اللَّـهُ دَائِمًـا وَيُثْنِـي عَلَيْهِـنَّ الكِتَـابُ المُصَـدِّقُ

أمَـوْلَـى البَـرَايَـا هَـا مَسَـاعِيْـكَ غَضَّـةٌ وَهَـا مَـدْحِـي فِيْهَـا تَـرُوْقُ وَتُـوْنِـقُ

وَهَـا أنْـتَ مَفْقُـوْدُ القَـرِيْـنِ وَهَـا أنَـا لِعَضْـبِ لِسَـانِـيْ فِيْـكَ حَـدٌّ مُـذَلَّـقُ

وَمَـا اغتمـت فِيْـكَ الحَمْـدَ إلاّ رَأيْتَنِـي بِفِكْـرِيَ فِـيْ رَوْضِ العُـلاَ أتَـأنَّـقُ

يَجُـوْبُ مَـوَامِـيْ النُّطْـقِ طُـوْلَ تَـرَنُّمِـيْ وَأفْتُـقُ أبْكَـارَ المَعَـانِـي وَأرْتُـقُ

/ ١٤٨أ/ ولَمَّا التَقَى شِعْرِيْ وَجُوْدُكَ ألْفَا لِنَفْسِـيْ رَجَـاءً شَعْبُـهُ مُتَفَـرِّقُ

وَأصْبَحْـتُ لا صَـوْتِـي لَـدَيْـكَ مُخَفَّـضٌ ذَلِيْـلٌ وَلاَ سَمْعِـي بِنَـادِيْـكَ أفْـوَقُ

فَمَـا شَـاءَ فَلْيَبْخَـلْ وَمَـنْ شَـاءَ فَلْيَجُـدْ كَفَـانِـيْ كَفَـانِـيْ سَيْبُـكَ المُتَـدَفِّـقُ

فَكَـمْ مِـنْ حَسُـوْدٍ وَدَّ أنَّ مَطَـالِبِـيْ تُكَـدَّرُ مِـنْ جَـدْوَاكَ ثُـمَّ تُـرَنَّـقُ

أتَيْتُـكَ لَمَّـا غَـالَنِـيْ الـدَّهْـرُ وَاغْتَـدَى أدِيْمِـيْ بِظُفْـرِ النَّـائِبَـاتِ يُمَـزَّقُ

(١) أولق: جنون.

وَأَلْقَيْتُ آمَالِي بِأَبْلَجَ خِلْتُهُ ... بِفِعْلِ النَّدَى لَمْ يُلْفَ فِيهِ تَخَلُّقُ
يَصُورُ إِلَيْهِ الحَمْدُ وَالحَمْدُ آبِقٌ ... وَيَبْعُدُ عَنْهُ الذَّامُ وَالذَّامُ مُونِقُ
فَعَالٌ إِلَى حُبِّ القُلُوبِ مُحَبِّبٌ ... وَوَجْهٌ إِلَى لَحْظِ العُيُونِ مُعَشَّقُ
وَلَمَّا غَدَا نَحْوَ المَكَارِمِ سَابِقًا ... غَدَوْتَ إِلَى شَأْوِ المَحَامِدِ أَسْبَقُ
يُرَجَّى الحَيَا مِنْ بِشْرِهِ وَهْوَ ضَاحِكٌ ... وَيُخْشَى الرَّدَى مِنْ بَأْسِهِ حِينَ يُطْرِقُ
أَرَحْتُ إِلَيْهِ عَازِبَ الحَمْدِ فَاغْتَدَى ... يُغَرِّبُ فِي الآفَاقِ ثُمَّ يُشَرِّقُ
وَمَا زِلْتُ مُذْ عَامَانِ أَقْرَعُ غَرْبَهُ ... مَخَافَةَ وَاشٍ وَهْوَ فِي الغِمْدِ يَقْلَقُ
أَعِدْنِي إِلَى أَهْلِي بِنُعْمَى يُقِلُّهَا ... كُمَيْتٌ يُزِيلُ اللِّبْدَ عَنْهُ وَيُزْلِقُ
أَأَنْتُمْ مِنْ أَبْنَاءِ الوَجِيهِ وَلَاحِقٍ ... أَصَمُّ الحَوَامِي شَأْوُهُ لَيْسَ يُلْحَقُ
وَأَدْهَمَ يَفْرِي اللَّيْلَ مِنْهُ بِغُرَّةٍ ... كَأَنَّ سَنَاهَا كَوْكَبٌ يَتَأَلَّقُ
/ ١٤٨ب/ سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى لَا مُثَبَّطٌ ... أَرَحُّ وَلَا وَاهِي الظَّنَابِيبِ أَطْرَقُ[(١)]
شَدِيدُ المَطَا نَهْدُ القصرى مُقَلِّصٌ ... سَرَابِيلُهُ عَارِي النَّوَاهِقِ أَعْتَقُ[(٢)]
دَفُوقٌ أَجَشُّ الصَّوْتِ أَمَّا إِهَابُهُ ... فَرَحْبٌ وَأَمَّا خَلْقُهُ فَمُوَثَّقُ
إِذَا رَمَقَتْهُ مُقْلَةُ العَيْنِ مُقْبِلًا ... فَظَبْيٌ وَأَمَّا اسْتَدْبَرَتْهُ فَنِقْنِقُ[(٣)]
يَكُونُ لِدَعْوَى الغَدَاةِ مُبَيِّنًا ... وَشَاهِدَ عَدْلٍ لِي بِنُعْمَاكَ يَصْدُقُ
بَقِيتَ لِإِبْقَاءِ المَكَارِمِ إِنَّهُ ... عَلَى الدَّهْرِ نُورٌ مَا بَقِيتَ وَرَوْنَقُ

وأنشدني أبو الفضل مودود بن مسعود الإربلي، قال: أنشدني عمر بن الشحنة لنفسه يستدعي صديقًا له وأنشأ ذلك إرتجالاً: [من البسيط]

سَبْتٌ وَدَجْنٌ وَكَانُونٌ وَمِيلَادُ ... وَمَاجِنٌ لِرِيَاضِ اللَّهْوِ مِيعَادُ
وَقَهْوَةٌ كَمُحَيَّا مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ... أَوْ كَاعْتِقَادِ خَلِيعٍ فِيهِ إِلْحَادُ
رَاقَتْ فَرَقَّتْ فَخِلْنَا أَنَّهَا شَفَقٌ ... . مِنْ نَوَاحِي الكَأْسِ وَقَّادُ
صَاغَ الحَبَابُ بِأَعْلَى رَأْسِهَا عَجِلًا ... تَاجًا لَآلِئُهُ مَثْنَى وَإِفْرَادُ
وَمَجْلِسٍ ظَلَّ مَحْفُوفًا بِأَرْبَعَةٍ ... تَخَالَفَتْ فَهْيَ لِلْأَرْوَاحِ أَضْدَادُ

---

(١) أرح: لا أخمص له. أطرق: في ركبته ضعف أو في ساقه اعوجاج.
(٢) المطا: الظهر. مقلص: طويل القوائم.
(٣) النقنق: ذكر النعام.

فَـالغَيْـثُ مُنْسَجِـمٌ وَالبَـرْقُ مُبْتَسِـمٌ ... وَالـوُرْقُ نَـائحَـةٌ وَالغُصْـنُ مَيَّـادُ
/ ١٤٩أ/ فَوافنَا وَدَعِ التَّحْويْفَ تَحْظَ بهَا ... . همَّـه نُسْـكٌ وَإرْشَـادُ
وَأيْقِـظِ اللَّهْـوَ وَالأيَّـامُ رَاقِـدَةٌ ... فَفِـي الشَّبِيْبَـةِ إسعَـافٌ وَإسْعَـادُ
وَلاَ يُصَـاحِبْـكَ مِـنْ هَـذَا الـوَرَى أحَـدٌ ... إلاَّ خَلِيْـعٌ وَخَمَّـارٌ وَقَـوَّادُ
عُصَـابَـةٌ رَغِبَـتْ فِيْمَـا يُعَجِّلُـهُ ... لَهَـا السُّـرُوْرُ وَفِيْمَـا قِيْـلَ زُهَّـادُ

وأنشدني أبو الحسن علي بن محمد التلعفري، قال أنشدني أبو حفص بن الشحنة لنفسه في يوسف بن بركة بن عراج الشيباني التلعفري الشاعر. وكان يلقب بالنجم: [من الوافر]

بَنِـي شَيْبَـانَ إنْ ذُكِـرَتْ فِعَـالٌ ... لَكُـمْ فِـيْ كُـلِّ مُخْـزِيَـةٍ عَـلاَءُ
وَجُـوْهٌ مِـنْ سِمَـاتِ اللُّـؤْمِ مَـلآى ... مُـذَمَّمَـةٌ وَأفْئِـدَةٌ هَـوَاءُ
إذَا سُفِكَـتْ عَلَـى كَـرَمٍ دِمَـاءٌ ... يَسِيْـلُ لَهُـمْ عَلَـى اللُّـؤْمِ الـدِّمَـاءُ
وَعَهْـدِيْ بِـالنُّجُـوْمِ لَهَـا ضِيَـاءٌ ... وَلَيْـسَ لِنَجْمِكُـمْ هَـذَا ضِيَـاءُ

وأنشد[ني] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن حمدان العروضي الموصلي، قال: أنشدني أبو حفص لنفسه يصف الشقائق: [من البسيط]

/ ١٤٩ب/ هَذِيْ الشَّقَائِقُ قَدْ أبْدَتْ مَحَاسِنَهَا ... إلَـى العُيُـوْنِ عُيُـوْنٌ كُلُّهَـا دَعَـجُ
إذَا تَـوَقَّـدَ مَـا بَيْـنَ الـرِّيَـاضِ ضُحَـىً ... يَخَـالُـهُ مَـنْ رَآهُ أنَّـهُ سُـرُجُ
كَـأنَّـهُ فَـوْقَ سَـاقٍ مِـنْ زُمُـرُّدَةٍ ... مَـدَاهِـنٌ مِـنْ عَقِيْـقٍ حَشْـوُهَـا سَبَـجُ

وأنشدني، قال: أنشدني فيها لنفسه: [من البسيط]

ضَـرْبٌ أنِيْـقٌ يُـرَوِّيْ العَيْـنَ مَنْظَـرُهُ ... أتَـاكَ فِـيْ خَيْـرِ وَقْـتٍ خَيْـرَ مَنْعُـوْتِ
كَـأنَّمَـا الطَّـلُّ فِـيْ أوْرَاقِـهِ سَحَـراً ... لآلِـيءٌ نُثِـرَتْ فِـيْ صَحْـنِ يَـاقُـوْتِ

وأنشدني عبد الكريم بن الزكي بن شبانة المعلم الحظيري، قال: أنشدني عمر لنفسه: [من الطويل]

يُحَـرِّضُ أشْـوَاقِـيْ إلَـى مَـنْ أوَدُّهُ ... سَنَـى بَـارِقٍ بِـالـرَّقْمَتَيْـنِ يَلُـوْحُ
وَهَـاتِفَـةٌ بِـالبَـانِ تُمْلِـيْ مِـنَ الجَـوَى ... صَحَـائِـفَ لَـمْ يُعْلَـمْ لَهُـنَّ نُـزُوْحُ
تَغَنَّـتْ فَـأبْكَتْنِـيْ جَـوَاً وَلَقَلَّمَـا ... بَكَـى مِـنْ غِنَـاءِ الأعْجَمِـيِّ فَصِيْـحُ

فَقُلْتُ وَفِيْ الأَحْشَاء مِنْ لاَعِجِ الهَوَى ... صَبَابَةُ وَجْدٍ تَغْتَدِي وَتَرُوْحُ
كِلاَ شَجَنَيْنَا وَاحِدٌ غَيْرَ أَنَّنِي ... أُكَتِّمُ مَا أَلْقَاهُ وَهْيَ تَبُوْحُ
وَصَيَّرَنِيْ هَذَا الهَوَى وَفُنُوْنُهُ ... أُعَلِّمُ ذَاتَ الطَّوْقِ كَيْفَ تَنُوْحُ

ونقلت مِنْ خطّه قصيدة طويلة / ١٥٠أ/ مدح بها أتابك نور الدين أبا الحارث ارسلان شاه بن مسعود بن مودود ـ رضي الله عنه ـ أولها قوله[1]: [من الكامل]

طَرِبًا أَقُوْلُ إِذَا الحَمَامُ تَرَنَّمَا ... عَيْشٌ لَنَا بِالأَبْرَقَيْنِ تَصَرَّمَا
قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ فَكَانَ لِزَائِرٍ ... وَافَاكَ فِيْ سِنَةِ الرُّقَادِ مُسَلِّمَا
أَشْكُوْ تَبَاعُدَهُ بِعَيْنٍ كُلَّمَا ... نَهْنَهْتُ فَيْضَ دُمُوْعِهَا فَاضَتْ دَمَا
فَاعْصِ اللَّوَائِمَ فِيْ هَوَاكَ فَإِنَّمَا ... رُشْدُ المُتَيَّمِ أَنْ. . . . اللُّوَّمَا
وَاشْرَبْ عَلَى زَهْرِ الرَّبِيْعِ سُلاَفَةً ... كَالشَّمْسِ يُبْدِي المَزْجُ مِنْهَا أَنْجُمَا
أَفَمَا تَرَى نُوَّارَهُ فَكَأَنَّهُ ... نَشْوَانُ أَصْبَحَ بَاكِيًا مُتَبَسِّمَا
رَقَدَ النَّسِيْمُ بِجَانِبَيْهِ فَنَبَّهَتْ ... أَنْفَاسُهُ مِنْهُ عُيُوْنًا نُوَّمَا
وَسَرَى يُنَمْنِمُ وَشْيَهُ فَحَسِبْتُهُ ... وَافَى بِأَخْبَارِ الأَحِبَّةِ نُعَّمَا
صُقِلَتْ حَوَاشِيْ رَوْضِهِ فَكَأَنَّهُ ... مِنْ حُسْنِهِ قَدْ هَمَّ أَنْ يَتَكَلَّمَا
تَشْدُوْ فَيُخْبِرُ مُغْرَمٌ عَنْ مُغْرَمٍ ... مِنْهَا وَيُفْصِحُ مُعْرِبٌ عَنْ أَعْجَمَا
بِدَعٍ أَبْدَعَ فِيْ السَّمَاحِ. . . . ... كَالغَيْثِ أَنْجَدَ فِيْ البِلاَدِ وَأَتْهَمَا
/ ١٥٠ب/ أَضْحَتْ أَغَضَّ مِنَ الصِّبَا وَأَلَذَّ مِنْ ... شَكْوَى المُحِبِّ إِلَى حَبِيْبٍ أَنْعَمَا
بَهِجَ الزَّمَانُ بِهَا فَخِلْنَا أَنَّهُ ... مِنْ نُوْرِ نُوْرِ الدِّيْنِ أُلْبِسَ أَنْعُمَا
مَلِكٌ لَهُ المَجْدُ القَدِيْمُ وَكُلَّمَا ... قَدُمَتْ مَبَانِيْ المَجْدِ أَصْبَحَ. . . .
مُتَوَاضِعٌ وَأَقَلُّ مَا يَعْتَدُّهُ ... مِنْهُ التَّوَاضُعُ أَنْ يَكُوْنَ مُعَظَّمَا
إِنْ ضَاقَ دَهْرٌ كَانَ مَسْرَحُ هَمِّهِ ... رَحْبًا وَإِنْ عَبَسَ الزَّمَانُ تَبَسَّمَا
فَإِذَا ارْتَقَى فِيْ قُلَّةٍ مِنْ سُؤْدَدٍ ... هَتَفَتْ بِهِ أُخْرَى لِكَيْ يَتَقَدَّمَا
صَدَقَتْ مَخَايِلُهُ اللَّوَاتِي لَمْ أَزَلْ ... قِدْمًا لِبَارِقِ أُفْقِهَا مُتَوَسِّمَا
وَعَلِمْتُ أَنَّ البَرْقَ عِنْدَ وَمِيْضِهِ ... يُهْدِيْ تَأَلُّقُهُ الغَمَامَ المُثْجَمَا

---

(١) في هامش الأصل: «وقد ضرب. . . . . مع أولاد عمه فذكر الوقعة وما جرى فيها».

كَهْلُ الأَنَاةِ فَتَى . . . إذَا انْتَحَى لِلْخَطْبِ كَانَ . . . وَالقَشْعَمَا
هَزَّتْهُ مُعْضِلَةٌ فَلاَقَتْ صُلَّبًا حُطُمًا يَرُدُّ وَشِيْجَهَا مُتَحَطِّمَا
سَفَرَتْ خَلاَئِقُهُ فَكُنَّ مَشَارِقًا وَسَمَتْ فَجَاوَزَتِ السُّهَا وَالمِرْزَمَا[1]
وَإِذَا تَرَفَّعَ فِي المَنَاسِبِ عُدَّ مِنْ شَرَفِ الأُبُوَّةِ مَا يُبَاهِي الأَنْجُمَا
يَتَجَشَّمُ الجُلَّى وَمَنْ يَبْغِ الَّذِي يَبْغِي يَهُونُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَجَشَّمَا
رَاضَ الصِّعَابَ الجَامِحَاتِ فَأَصْبَحَتْ وَأَعَادَ مُنْآدَ الزَّمَانِ مُقَوَّمَا
قَدْ أُلِّفَتْ فِيهِ القُلُوبُ فَمَا تَرَى مِنْهُنَّ إِلاَّ مُثْنِيًا وَمُعَظِّمَا
/ ١٥١أ/ تَتْلُو وَقَائِعَهُ الصَّوَارِمُ وَالقَنَا غِبَّ الوَغَى مَغْلُولَةً وَمُحَطَّمَا
أَحْيَتْ صَنَائِعَهُ أَبَاهُ وَذُو العُلاَ مَنْ ظَلَّ يُحْيِي بِالصَّنِيعِ الأَعْظُمَا
فَلَوَ أَنَّ زَنْكِيًّا رَآهُ لَقَالَ مِنْ طَرَبٍ شَبِيهُكَ مَنْ يُقَالُ لَهُ ابْنُ مَا
لِلّهِ مُنْجِبَةٌ غَذَتْهُ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَبَرَّ المُنْجِبَاتِ وَأَكْرَمَا
فِي كُلِّ أَرْضٍ قَدْ أَقَامَ لِنَصْرِهِ عُرْسًا وَمِنْ رُزْءِ الأَعَادِيْ مَأْتَمَا
تِلْكَ النَّوَاحِي مِنْ نَصِيبَيْنِ اغْتَدَتْ عَبْرَى وَأُمُّ البِشْرِ ثَكْلَى أَيِّمَا
وَالجَوُّ أَكْلَفُ وَالجَنَابُ لِحَرْبِهِ مَحْلٌ وَضَوْءُ صَبَاحِهَا قَدْ أَظْلَمَا
وَأَرَى القِبَابَ المُسْتَهِلَّةَ أَصْبَحَتْ وَلَهًا تَعَضُّ بَنَانَهَا وَالمِعْصَمَا
وَافَيْتَهَا فَرَأَتْ بِنَاظِرِ زُغْبِهَا نَارًا مُضَرَّمَةً وَبَحْرًا خِضْرِمَا
مَا رُزْءُ عَمُّورِيَّةٍ بِأَشَدَّ مِنْ رُزْءٍ أَصَابَتْ مِنْ يَدَيْكَ وَأَعْظَمَا
جَمَحَتْ بِفَضْلِ لِجَامِهَا وَتَذَلَّلَتْ لَمَّا رَأَتْكَ لِطَرْفِ بَأْسِكَ مُلْجِمَا
يَا وَقْعَةً حَبِطَتْ عِدَاكَ فَقَلْقَلَتْ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُنْجِدًا أَوْ مُتْهِمَا
أَطْلَعْتَ فِيهِمْ مِنْ عِقَابِكَ أَنْجُمًا تَأْبَى بِغَيْرِ نُفُوسِهِمْ أَنْ تَنْجُمَا
وَصَحِبْتَهُمْ بِكَتَائِبٍ كَتَبَتْ لَهُمْ بِأَنَامِلِ الخِرْصَانِ سَطْرًا مُعْجَمَا
جَيْشٌ لِمُنْفَسِحِ الفَضَاءِ تَرَى لَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَنْهَجًا أَوْ مَعْلَمَا
/ ١٥١ب/ ضَوْضَاؤُهُ زَجَلُ الحَدِيدِ وَقَبْلَهُ دَعْوَى فَوَارِسِهِ هَلُمَّ وَأَيْنَمَا
خِلْنَا الجِبَالَ تَسِيرُ عِنْدَ مَسِيرِهِ أَنَّى اسْتَقَلَّ بِهَا وَأَنَّى يَمَّمَا

---

(١) المرزم: نجم.

نَظَرُوْهُ شَزْراً فَانْثَنَتْ أَبصَارُهُمْ ... مِنْ خَوْفِهِ فَكَأَنَّمَا حُشِيَتْ عَمَى
وَلَقِيْتَ جَمَّاعاً صَدَمْتَ خَمِيْسَهُمْ ... بِخَمِيْسِ جَمْعٍ كُنْتَ فِيْهِ مُقَدَّمَا
خُضْتَ المِيَاهَ إِلَيْهِمُ بِفَوَارِسٍ ... تَرَكْتَهُ بِالرَّكْضِ نَقْعاً أَسْحَمَا
كَانَتْ مُنَمْنَمَةَ الرِّيَاضِ فَغُصْنُهَا ... روضاً بِنُوَّارِ الدِّمَا متبسِّما
رَتَعَتْ بِهَا بُهَمُ العَدُوِّ فَصَادَفَتْ ... مُسْتَوْبَلاً مِنْ رَعْيِهَا مُتَوَخِّمَا
وَأَتَيْتَهَا مُبْيَضَّةً فَكَسَوْتَهَا ... بُرْداً بِمُسْوَدِّ القَتَامِ مُسَهَّمَا
قُدْتَ الجِيَادَ عَلَى الجِيَادِ شَوَازِباً ... سُرعاً . . . .
مِنْ كُلِّ أَشْوَسَ لاَ . . . . إِلاَّ صَقِيْلاً أَوْ سِنَاناً لَهْدَفَا
يَتَقَاتَلُوْنَ عَلَى المَنُوْنِ كَأَنَّمَا ... . مَغْنَمَا
مَا كَانَ إِلاَّ لَحْظَةً حَتَّى ثَوَوْا ... فِي ذَلِكَ الضَّحْضَاحِ صَرْعَى حُوَّمَا
. . . . وَهَارِبٌ ... فَرِقٌ وَمُرْتَثٌّ يَنُوْءُ مُكَلَّمَا[١]
وَطَعَنْتَ ثُغْرَةَ كَيْدِهِمْ بِعَزِيْمَةٍ ... كَانَتْ . . . . . إِلَيْهِمْ سُلَّمَا
يَا يَوْمَ تَلِّ أَبِي خَشِيرٍ وَالرَّدَى ... حَرَّانُ يَفْغَرُ بِالمَنُوْنِ لَهُ فَمَا
/١٥٢أ/ يَوْماً هَدَمْتَ بِهِ الرُّؤُوْسَ عَنِ الطُّلَى ... وَبَنَيْتَ مَجْداً كَانَ أَمْسِ مُهَدَّمَا
كُنْتَ المُسَعِّرَ نَارَهُ والمُصْطَلِي ... بِضَرَامِهِ وَالمُخْمِدَ المُتَضَرِّمَا
خَرِسَتْ شَقَاشِقُ أَهْلِهِ لَمَّا غَدَا الخَطِّيُّ فِي أَقْطَارِهِ مُتَكَلِّمَا
يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي أَيَّامُهُ ... أَضْحَى بِهَا نَقْصُ الزَّمَانِ مُتَمَّمَا
فَتْحٌ وَنَصْرٌ وَافِيَا لَكَ فَاغْتَدَى ... ثَغْرُ العُلاَ يَفْتَرُّ عَنْهُ وَعَنْهُمَا
كَانَا كَمِثْلِ البَطْشَةِ الكُبْرَى الَّتِي ... عَنْ ذِكْرِهَا القُرآنُ جَاءَ مُتَرْجِمَا
يَا جَامِعَ الآمَالِ وَهْيَ شَوَارِدٌ ... يَنْشُدْنَ مَغْنًى لِلنَّدَى وَمُخَيَّمَا
حِيْناً إِلَيْكَ نَجُوْبُ كُلَّ تَنُوْفَةٍ ... قَفْرٍ وَتَجْتَابُ الظَّلاَمَ الأَقْتَمَا
تُزْجِي رَكَائِبَ هِمَّةٍ لَوْ أَنَّهَا ... عِيْسٌ . . . . . الجَدِيْلَ وَشَدْقَمَا
تَرْجُو أَيَادِيَ مِنْ إِغَارَتِكَ الَّتِي ... كَانَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ سَيْلاً أَبهَمَا
جُدْلِي بِأَجْرَدَ إِنْ تَعَرَّضَ خَلْتَهُ ... سِيْداً تَمَطَّرَ فِي الدُّجَى فَتَقَحَّمَا

---

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

إمّا بأدهم [كـ] الدُّجى ذي غُرَّةٍ ... كالنَّجم يُشرقُ أو بأشقرَ أرقَما
يُنْمَى إلى آل الوجيه ولاحقٍ ... مُتلاحق الأقراب ليس بأهضَما
مثل الظَّليم إذا تهادى مُدْبراً ... والظَّبي إنْ لاقيتَهُ مُستقدِما
. . . . . الأُذُنين تحسَبُ أنَّهُ ... بهما يُحاولُ أنْ يرى أو يَعلَما
/ ١٥٢ب/ هَزِج الصَّهيل كأنَّما ترجيعُهُ ... ترجيعُ نشوانٍ غدا مُترنِّما
عاري النَّواهق مُشرف حجباتُه ... سامي التَّليل إذا اسْتَلفَّ مُحمْحِما
نهض الحصى فتخالُهُ في إثرِه ... برداً هوى أو وابلاً قد أرزَما

وقال أيضًا: [من الكامل]

ومُهفهفٍ ثمل القَوامِ كأنَّهُ ... غُصنٌ تُميِّلُهُ الصَّبا فيَميلُ
قد أسقمَتْني صحَّةٌ في طرفِه ... وأمرَّ عيشي ريقُهُ المعسولُ
أعتادُهُ بالعَتب عند مَغيبِهِ ... فإذا بدا لم أدرِ كيف أقولُ
نادمتُهُ واللَّيلُ قد حُلَّتْ عُرى ... ظُلماتِه ورِواقُهُ مسدولُ
في روضةٍ نُوَّارُها مُتبسِّمٌ ... عُجباً ودمعُ غمامها مَطلولُ
نثر النَّدى فيها لآلئ عقدِه ... فغدا لها من نثرِه إكليلُ
يهتزُّ من ولع النَّسيم كأنَّما ... دارتْ عليه بالشَّمال شَمولُ

وله منْ قصيدة: [من المديد]

كم بذاكَ الشِّعب من دنفٍ ... وسَليمٍ ما لَهُ راقي
وصريعٍ من مُدام هوىً ... عُصرتْ من وجنة السَّاقي
قمرٌ لولا محاسنُهُ ... قامتِ الدُّنيا على ساقِ
/ ١٥٣أ/ كُلَّما حاولتُ سلْوتَهُ ... ردَّني شوقي وإشفاقي

[٥٣٠]

عمرُ بنُ عليٍّ بن عبد العزيز بن المفرض، أبو حفص الحمويُّ.

شخص إلى الديار المصرية واستوطنها إلى أن مات بها، ومن شعره:

[من الخفيف]

أَخْبَـرَتْنَـا عَـنْ دَنِّهَـا المَخْتُـومِ خَبَـرَ الكَهْـفِ مُسْنَـداً وَالـرَّقِيْـمِ
زَوْجَـةُ المَـاءِ أم لهـو عـروس وَأَبُـوهَـا العُنْقُـودُ بِنْتُ الكُـرُومِ
وَقَـرَأْنَـا مَـا أَعْلَمَـتْ فَتَعَـوَّذْ إِنْ طَغَـى الهَـمُّ بِـالسَّمِيْـعِ العَلِيْـمِ
خَـاطَبَتْنِـي أَنِ ادْنُ مِنِّـي فَلَمَّـا أَنْ تَبَـدَّتْ آنَسْـتُ نَـارَ الكَلِيْـمِ
قُلْـتُ هَـذَا الخَلِيْـلُ فِـي نَـارِ نَمْـرُودَ سَلِيْـمٌ مِـنَ العَـذَابِ الأَلِيْـمِ
فَـإِلَـى بَـائِعِ المُـدَامَـةِ هَـلْ لِـيْ مِـنْ صَـدِيْـقٍ أَوْ مِـنْ شَفِيْـعٍ حَمِيْـمِ
فَـاسْقِنِيْهَـا جَهْـراً وَدَعْنِـي مِـنَ قَـوْلِ عُتُـلٍّ مِـنْ بَعْـدِ ذَاكَ زَنِيْـمِ
أَنَـا لَمَّـا نَـذَرْتُ سَفَـكَ دَمِ الـزِّقِّ رَجَـاءً لِـلأَجْـرِ وَالتَّعْظِيْـمِ
قَـالَ خَمَّـارُهَـا وَقَـدْ جَـاءَ بِـالبُشْـرَى وَعِتْقِـي مِـنْ كَـفِّ رِقِّ الهُمُـومِ
قَـدْ صَـدَقْـتَ الـرُّؤْيَـا فَـإِنَّـا فَـدَيْنَـاكَ بِـزَقٍّ فَـأَبْشِـرْ بِـذِبْـحٍ عَظِيْـمِ
/ ١٥٣ب/ إِنَّ دِيْـنَ اللَّـذَاتِ مِنِّـي عَلَـى خَمْـسٍ فَخُـذْهَـا عَـنْ مَـذْهَـبٍ مُسْتَقِيْـمِ
زَمَـنُ الـوَرْدِ وَالشَّبَـابُ وَتِبْـرٌ وَالحَبِيْـبُ الـوَافِـي وَبِنْـتُ الكُـرُومِ

هو منْ أهل الديار المصرية، أصله منْ الشام الشيخ النبيل المتفنن فِيْ جميع العلوم الدينية والأدبية. وكان منْ الشعراء المتوسعين فِيْ الكلام، المقتدرين على إنشائه فِيْ عصرنا، مطيلاً فِيْ قصائده وربما بلغت قصيدته ثمانمائة بيت؛ وذلك لقوته فِيْ النظم، وغزارة مادته، واتساع باعه، وسرعة خاطره فِيْ نحت القوافي. وكان عالمًا بصناعة الشعر ومعانيه، ولم يمدح لأحد إلاَّ كان يقوله نظريًا لنفسه، ولم يقبل منْ أحد جزاء لشرف نفسه وعزتها. وكان مع ذلك رجلاً منْ عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين؛ زاهداً عما فِيْ أيدي الناس، سالكًا طريقة السلف الصالح، ويذهب مذهب / ١٥٤أ/ التصرف. يقنع بما رزقه [اللّه] تعالى:

وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثاني مِنْ جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة بالقاهرة المُعزيَّة.

[٥٣١]

عُمرُ بنُ محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه ـ ويلّقب عَمُّويه ـ بن سعَد بَن الحَسنَ بنَ القاسمَ بنَ النضَر بنَ القاسم بن محمدَ بن عَبد اللّه بَن القاسَم [بن محمد] بن أبَي بكر الصدَيق ـ رضَـي الله عنـه ـَ، الشيـخُ أبـو عبَـد اللّـهَ، وقَيـلَ أبـو حفـص، الصوفيُّ السُّهْرَوَرْديّ الواعظ(١).

كانت ولادته سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسُهْرَوَرْد(٢)، وقدم بغداد شابًا بعد وفاة أبي الوقت السجزي فسمع بها منْ جماعة منهم: أبو المظفر بن الشبلي، وأبو الفتح بن البطي، وأبو زرعة طاهر بن محَمد المقدسي، وعمُّه أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السُّهْرَوَرْدي(٣)؛ وعنه أخذ التصوف والوعظ، وكان شيخ العراق فيْ وقته، عالمًا متقدمًا ذا لسان بكلام القوم ناطق، وقَدَم فِيْ الطريقة ثابت.

سافر فيْ صباه / ١٥٤ب/ الكثر على قدم التجريد؛ ثم عاد إلى بغداد فصار إمام عصره، وأوحَد زمانه، وممن يشار إليه فيْ علم الحقيقة والطريقة موصوفًا بالعقل والدين، وكثرة العبادة والإجتهاد. وقريء عليه الَحديث. وتولى ببغداد عدّة ربط للصوفيّة، وأنفذ للديوان العزيز رسولاً إلى عدَّة جهات. وله تصانيف، منها: كتاب «عوارف المعارف» فيما يتعلق بالتصوف وآدابه وأحوال المتصوفة(٤)، وكتاب، «بغية البيان فيْ تفسير القرآن» وكتاب «رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانيّة» صنَّفه رداً على أَصحاب البدع والحكماء والمنجمين، وتهجين أقوالهم.

ولي منه إجازة.

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/ ٣٨٠ رقم ٢٥٦٥. تذكرة الحفاظ ١٤٥٨/٤. هدية العارفين ١/ ٧٨٥. تأريخ دنيسر ص١٤٣. تاريخ إربل ١/ ١٩٢ ـ ١٩٤. الحوادث الجامعة ص٧٤. وفيات الأعيان ١١٩/٩. ذيل الروضتين ص١٦٣. طبقات السبكي ٣٣٨/٨. العبر للذهبي ١٢٩/٥. طبقات الأسنوي ١٦٣/٢. النجوم الزاهرة ٢٨٣/٦. مرآة الجنان ٧٩/٤. مرآة الزمان ٨/ وفيات سنة ٦٣٠هـ. شذرات الذهب ٥/ ١٥٣. وغيرها. توفي سنة ٦٣٢هـ.

(٢) سهرورد: بلدة قريبة من زَنجان بالجبال. انظر: معجم البلدان/ مادة (سهرورد).

(٣) أبو النجيب: عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عَمُّويَه، توفي سنة ٥٦٣هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٤.

(٤) مطبوع.

وخبرت أنَّه توفي فِيْ المحرم سنة إثنتين وثلاثين وستمائة ببغداد بجانبها الشرقي فِيْ رباط المأمونية ـ رضي الله عنه ـ.

أنشدني أبو الكرم محمود بن يوسف بن صاعد بن عبد الواحد الخوارزمي، وأبو علي عبد اللّه بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن أحمد الطوسي، قالا: أنشدنا سُلطان المشايخ / ١٥٥أ/ السُّهْرَوَرْديّ لنفسه[1]: [من مخلّع البسيط]

تَصَرَّمَتْ وَحْشَةُ اللَّيَالِيْ ... وَأَقْبَلَتْ دَوْلَةُ الوِصَالِ
وَصَارَ بِالوَصْلِ لِيْ حَسُوْداً ... مَنْ كَانَ مِنْ هَجْرِكُمْ رَثَى لِيْ
وَنَظْرَةٌ مِنْكُمُ بِرُوْحِيْ ... إنْ رُمْتُمُ لَمْ يَكُنْ بِغَالِيْ
وَحَقِّكُمْ بَعْدَ إِذْ حَصَلْتُمْ ... بِكُلِّ مَا فَاتَ لاَ أُبَالِيْ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

أَيَا صَاحِبِيْ قَدْ سَئِمْتُ السُّرَى ... فَمَنْ لِيْ بِعَيْنٍ تَذُوْقُ الكَرَى
أَرَى نَارَهُمْ وَالهَوَى سَائِقِيْ ... وَقَدْ هَيَّجَ الشَّوْقَ مَنْ أَسْهَرَا
وَقَدْ دَارَ فِيْ القَلْبِ كَأْسُ الهَوَى ... فَذُوْ الوَجْدِ لاَ شَكَّ أَنْ يَسْهَرَا
وَلُوعِيْ بِسُكَّانِ دَارِ العَقِيْقِ ... رَخِيْصٌ بِرُوْحِيَ أَنْ يُشْتَرَى
فَلاَ عَرَفَتْ مُهْجَتِيْ سَلْوَةً ... وَلاَزِلْتُ فِيْ الحُبِّ مُسْتَهْتَرَا
فَيَا قَلْبُ مَالَكَ لاَ تَرْعَوِيْ ... وَلاَ تَرْتَضِيْ طَيْفَهُمْ إنْ سَرَى
فَوهم عَيْنِك وَصْلُ الحَبِيْبِ ... وَطَيْفُ يَزُوْرُكَ كلَ القرى
تَمَتَّعْ فَفِيْ الحُبِّ مُسْتَمْتَعٌ ... فَإِلْمَامُهُ جَلَّ أَنْ يُذْكَرَا
بِرَامَةَ رِيْمٌ يُثِيْرُ الجَوَى ... وَيَصْطَادُ بِالقَهْرِ أُسْدَ الشَّرَى

---

(١) القطعة في تأريخ إربل ١/ ١٩٤ قوامها ٨ أبيات.

[٥٣٢]

/١٥٥ب/ عُمرُ بنُ الحسن بن علـيٍّ بن مُحّمد بن فَرْح بن خلف بن قُومسَ بن مَزْلاَلَ بَنِ مَلاَّل بَن أحمدَ بَن بدر بَن دحْيَةَ بَنَ خليفَةَ بنَ فروةَ الكلبيِّ، صاحبَ رسول اَللّه ـ صَلَى اَللّه عليهَ وسلم(١) ـ.

هكذا نسب نفسه. ويقول أيضًا: سبط أبي البسّام موسى بن عبد اللّٰه بن الحسين بن جعفر بن عليٍّ بن محمدِ بنِ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ عليَّ بَنِ الحسينَ بنَ عليٍّ بَنَ أبي طَالبٍ ـ رضَي اَللّه عنه ـ.

يُكنى أبا الخطّاب بنِ أبي عليٍّ، ويعرف بذي النسبين. كذلك يكتب بخطّ يده فيْ الكتب.

وهو فقيه شافعي المذهب، محدّث حافظ إمام فاضل عارف بالقراءات واللغة، وتفسير القرآن الكريم، فصيح فيْ إيراده.

رحل فيْ طلب الحديث إلى الشام والعراق وخراسان وغيرهما منْ البلاد، وصنّف كتابًا سماهَ: «مرج البحرين» فيما يتعلق بالحديث للملك الكامَل ناصر الدين

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٥ رقم ٣٢٧، وفيه: «عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجُمَيِّل بن فرح. . .، توفي بالقاهرة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة». وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٨. نفح الطيب ١/ ٣٦٨، ٢/ ٩٩ ـ ١٠٤. مرآة الزمان ٨/ ٦٩٨. تأريخ ابن كثير ١٣/ ٥١ و١٢١ و١٤٤. ذيل مرآة الزمان لليونيني ٢/ ٤٤٢ ـ ٤٢٥. مجمع الآداب ٤/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣ رقم ٤٢٦٩. العبر للذهبي ٥/ ١٣٤. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٠. التعريف بالمؤرخين للعزاوي ص٥٥ ـ ٥٦. التكملة لابن الأبار رقم ١٨٣٢. ذيل الروضتين ص١٦٣. مفرّج الكروب ٥/ ٢٥. صلة الصلة ص٧٣. عنوان الدراية ٢٦٩. البدر السافر ١٤٠أ. المغني في الضعفاء ٢/ ٤٦٣. ميزان الاعتدال ٣/ ١٨٦. مرآة الجنان ٤/ ٨٤. البداية والنهاية ١٣/ ١٤٤. لسان الميزان ٤/ ٢٩٢. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٥. بغية الوعاة ٢/ ٢١٨. الغبريني ١٥٩. المختصر المحتاج إليه ٣/ ٩٩ ـ ١٠٠ رقم ٩٣٨. تاريخ إربل ١/ ١٦٢، ٢٤٢، ٢٥٨، ٣٩٣. نهاية الأرب ٢٩/ ٢١٣ ـ ٢١٤. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٢. المعين في طبقات المحدثين ١٩٦ رقم ٢٠٨٣. دول الإسلام ٢/ ١٣٧. المستفاد من ذيل تأريخ بغداد ٢٠٥ ـ ٢٠٩ رقم ١٦٠. ذيل التقييد الفاسي ٢/ ٢٣٦ رقم ١٥١٧. توضيح المشتبه ٧/ ٦٥. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٥٧ ـ ١٦١ رقم ١٩١. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩٥ رقم ٢٤٨. حسن المحاضرة ١/ ١٦٦. طبقات الحفّاظ ٤٩٧. شذرات الذهب ٥/ ١٦٠. الفلاكة والمفلوكين ٨٨. فهرس دار الكتب المصرية ٣/ ١٧٩. كشف الظنون ٤٨٦، ٥٠٢، ١٠٧٠، ١١٦١. ١٦٥٣. ١٦٧٥. ١٧١٨. ١٩٢٣. إيضاح المكنون ١/ ١٠٣ ـ ١٠٤، ٢/ ٤٦٥، ٦٩١. هدية العارفين ١/ ٧٨٦. معجم المؤلفين ٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١. معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١٣٤ رقم ١١٠٢ وفيه: «عمر بن حسان». الأعلام ٥/ ٢٠١.

أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب.

قدم بعد عوده منْ البلاد الخراسانية مدينة إربل، واتصل بسلطانها الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري. /١٥٦أ/ ابن علي بكتكين ـ رضي الله عنه ـ فبالغ فيْ إكرامه وانعم عليه إنعامًا عظيمًا. وصنف له كتابًا سماه: «كتاب التنوير فيْ مولد السراَج المنير» يتضمن ذكر ولاده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث رآه مغرى بموَلد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشدّة شعفه بذلك، وإصغائه إليه. وذلك أنَّ الملك المعظم مظفر الدين ـ قدّس الله روحه ـ إنفرد بشيء ما سبقه أحدٌ إليه منْ الملوك الماضين، والخلفاء المتقدمين واختصّ به دونهم تبركًا بولادته ـ عليه السلام ـ فأنه كان يأمر بنصب القباب منْ الخشب متصَّلة منتظمة منْ الخانقاه التي تحت القلعة المحروسة إلى الخانقاه التي تقرَب منْ دار السلطنة بالمدينةَ، مُنذ مستهل شهر صفر، وتُزيَّن فيْ العشرين منه بآلات الثياب، وأنواع السلاح، والأقمشة الفاخرة، وتعلق فيها التعاليق، ويغني فيها المغنون وأرباب الطرب، ويقصدها الناس للتفرج منْ أقطار البلدان، فلم يزل كذلك ثاني عشر ربيع الأول؛ وهو مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ترفع القباب ويخلع على الوعاظ. /١٥٦ب/ والعلماء والقراء، ويخرج الصدقات على الفقراء والغرباء الواردين البلد منْ الصوفية وغيرهم منْ بلاد شتى، وينفق على ذلك أموالاً جمّة، ولم يسمع فيْ قديم الزَمان وحديثه منْ الملوك السالفة، والسلاطين الغابرة، منْ انتدب لهذا الأمر، وبالغ فيه سوى هذا السلطَان الملك المعظم؛ فرضي الله عنه وأرضاه، وبلغه فيْ آخرته ما يتمناه، وأجزل ثوابه، وأحسن منقلبه ومآبه بمحمد وآله أجمعين، الأبرار الطاهرين.

وهذا كتاب التنوير كنت أحد منْ سمعه على الملك المعظم مظفر الدين ـ نوَّر الله ضريحه ـ فيْ جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة برباط الصُوفية المعروف برباط المناظرة، قريبًا منْ القلعة المنصورة، بحقَّ روايته عن مصنفه الإمام أبي الخطاب. وفي مقدمته هذه الأبيات يمدح بها الملك المعظم ـ رضي الله عنه ـ:

[من الكامل]

مَلِكٌ يَلُوحُ عَلَيْه مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... سِيْمَا وَمِنْ بَدْرِ التَّمَامِ مَخَايِلُ

لاَ يَقْتَنِي عِزَّ الثَّنَا ذُخْراً وَلاَ ... يَفْنِي لَدَيْهِ المَالَ إلاَّ النَّائِلُ

أنْظُـرْ لإرْبـلَ صَـاحِ قَـدْ لَبسَـتْ بِـهِ ظِـلاًّ كَمَـا وَشَـتِ الـرِّيَـاضَ خَمَـائِـلُ
لَـوْ تَسْتَطِيْـعُ لَصَـافَحَتْـهُ يَمِيْنُهَـا لَمَّـا أتَـاهَـا مِنْـهُ مُـزْنٌ هَـامِـلُ
/ ١٥٧أ/ فَـأَفَـاضَ مِنْهَـا العَـدْلُ. . . سَلْسَـلاً تُـرْوَى المُنَـى فِيْـهِ وَهُـنَّ هَـوَاطِـلُ
بُشْـرَى لَهَـا فَلَقَـدْ تَخَلَّـدَ مُلْكُهَـا مُلْـكُ حُـلاهُ مَكَـارِمٌ وَفَـوَاضِـلُ
وَمَـوَاهِـبٌ وَسَـلاَهِـبٌ وَرَغَـائِـبٌ وَمَقَـانِـبٌ وَكَتَـائِـبٌ وَجَحَـافِـلُ
يَـا وَيْـحَ أرْضِ الـرُّوْمِ سَـوْفَ يَـزُوْرُهَـا مِـنْ نَجْـلِ زَيْـنِ الـدِّيْـنِ هَـوْلٌ هَـامِـلُ
وَتَظَـلُّ دَارُ الشِّـرْكِ. . . . فِيْـهِ وَشَـاحٌ لِلْكَتَـائِـبِ حَـائِـلُ
وَيُطِيْـفُ فِيْهَـا لِـلأَسَـارِ وَلِلْحصَـارِ دَمَـالِـجٌ وَأَسَـاوِرٌ وَخَـلاَخِـلُ
لاَزَالَ كَـالشَّمْـسِ المُنِيْـرَةِ فِـيْ الضَّحَـى وَعِـدَاهُ فِـيْ الهَيْجَـاءِ ظِـلٌّ زَائِـلُ

وله مِنْ التصانيف كتاب «الإمدادات» وهو فِيْ مجلدين سماه «بمرج البحرين فِيْ فوائد المشرقيين والمغربيين» وكتاب «العلم المشهور فِيْ فوائد الأيام والشهور»، وكتاب «النبراس فِيْ ذكر خلفاء بني العباس»[(١)]، وكتاب «جمع العلوم الكليات فِيْ قوله الأعمال بالنيات»، وكتاب «الارتقا إلى أفضل الرقى»، وكتاب «الابتهاج فِيْ أحاديث المعراج»، وكتاب «من ألقم الحجر / ١٥٧ب/ إذ كذّب وفجر»، وكتاب «نثر الدرر فِيْ فضل مِنْ تمسّك بسُّنة سيد البشر»، وكتاب «آداب ما وجب فِيْ بيان وضع عمّا فِيْ رجب»، وكتاب «المستوفى فِيْ شرف المصطفى»، وكتاب «المطرب فِيْ أشعار أهل المغرب»، وكتاب «الآيات البينات فيما خصّ الله تعالى به أعضاء نبيه مِنْ المعجزات»، وكتاب «وهم الجمر فِيْ تحريم الخمر».

ثم سكن بأُخرَة مصر والقاهرة المعزية، وبنى له الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب دار حديث، ولمَ يزل يُسمع الحديث فيها، ويفيد الناس بالعلوم والجاه والمال، ويكرم الواردين عليه مِنْ البُلدان شرقًا وغربًا وعُجمًا وعُربًا، إلى أنْ توفي ليلة الأربعاء آخر الليلة الرابعة عشر[ة] مِنْ شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. وكانت له جنازة عظيمة، ومناد ينادي أمام نعشه: هذا الَّذِيْ كان يذُبُّ الكذبَ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

---

(١) وقد طبع بتحقيق الأستاذ عباس العزاوي سنة ١٩٤٦.

كذلك أخبرني الشيخ عبد اللّه بن أحمد بن يوسف الغرماي اللخمي، وقال: /١٥٨أ/ كانت ولادته فيْ سنة أربع وأربعين وخمسمائة بأغْمَات منْ أعمال مرّاكش[١]. ونشأ بسَبْتَة[٢]، وولي القضَاء ببرّ الأندلس بمدينة دانية[٣]. ثم رحلَ عنها إلى المشرق.

حدثني القاضي الإمام بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب ـ أسعده الله تعالى ـ، قال: جمع أبا اليمن الكندي، وأبا الخطاب بن دحية مجلس. وكان بينهما عداوة فتهاترا فيه، فقال له ابن دحية: أنت ممن يُزنُّ بالهنات!، فقال له أبو اليمن مجاوبًا: اخسأ أنت نسبت إلى كلب فنبحت!، فعمل إبن دحية كتابًا [سماه]: «بالمهدي إلى ضلال الكندي».

وحدثني القاضي أبو القاسم ـ أيده الله تعالى ـ قال: ابن دحية كان يُسمّي نفسه «بذي النسبين بين دحية والحسين». ذكر أنه مِنْ بني دحية الكلبي مِنْ أهل المغرب مِنْ مدينة سبتة، وذكر أنه ولي قضاءها.

وهو شيخ فاضل، له معرفة باللغة والنحو، حافظ للحديث ومعانيه ورجاله، فقيه متقن. كان يقول: ـ أحفظ صحيح مسلم جميعه وقرأته مِنْ حفظي بالمغرب على بعض الشيوخ.

خرج /١٥٨ب/ من المغرب، وحجّ ودخل إلى بلاد العجم، وسمع بها صحيح مسلم منْ أصحاب الفراوي. ثم عاد إلى بغداد ورحل إلى الشام، وقدم علينا حلب، وسمعنا عليه موطأ مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى وغيره.

ثم تردّد بعد ذلك مراراً إلى حلب آخرها، بعد أن تقدّم بالديار المصرية وسيّر رسولاً، مرّ بها مجتازاً، وحصل له حظوة عظيمة، وتقدم. . . . بمصر عند الملك الكامل.

قال: وأخبرني أبو الروح الحميري الأندلس، قال: هذا ابن دحية ليس بصحيح

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (أغمات).
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (سبتة).
(٣) انظر: معجم البلدان/ مادة (دانية).

النسب وأصله يهودي. وكان يلقب بالكوّة. وكان فيْ صغره يُرمى بما لا يجوز، وأبوه حسن كان يلقب بالزعبطور، والزعبطور هو المشوَّه الخلق، العظيم الخلقة بلغة الأندلس المقطع. . . . ابن علي، ويلقب بالقنوط لفراغه وقلة عقله يريد القصبة الفارغة، ابن يوسف ولقبه الجُميل تصغير الجمل بلغة العامة.

قال ابن دحية، عقب كتاب صنفه للملك الكامل صاحب الديار المصرية، ختم آخره، واسم الكتاب «من ألقم الحجر، إذ كذب وفجر، وأسقط عدالة من الصحابة ماله أهجر». ثم قال بعد كلام طويل: وهذه مسئلة بديعة / ١٥٩أ/ النظام مستوفية شروط التمام والكمال، قد أشرقت شمس الفصاحة فيْ أرجائها، وفاقت أُفق البلاغة بما تضمنته منْ الذبِّ عن الصحابة على أكفائها؛ فهي روضة تتنزه مقل الخواطر فيْ أنحائها. [من الطويل]

. . . . يَحْكِـي عُيُـونًـا وَوَرْدُهَـا خُـدُوْداً جَـرَت أَجْفَـانُ عُشَّـاقِهَـا دَمَـا
وَإِنْ هَـبَّ مُعْتَـلُ النَّسِيْـمِ تَـأَرَّجَـتْ وَفَـاحَ بِمَسْـكِ نَشْـرُهَـا وَتَنَسَّمَـا

وذلك بفضل الله وطوله وسعادة من استنبطت منْ أجله

أعَـمُّ الـوَرَى جُـوداً وَأَرْفَعُهُـمْ ذُرًى وَأَرْجَحُهُـمْ عَقْـلاً وَأَمْنَعُهُـمْ حِمَـى
وَأَعْظَمُهُـمْ مُلْكـاً وَأَنْـدَاهُـمُ يَـداً وَأَجْـدَرُهُـمْ عَفْـواً إِذَا مَـا تَحَكَّمَـا
وَأَتْقَـى وَأَنْقَـى سِيْـرَةً وَسَـرِيْـرَةً وَأَجْمَـلُ بَـلْ أَبْهَـى وَأَعْلَـى مُعْظَّمَـا

وصنّف كتابًا سمّاه: «العلم المشهور فيْ فوائد فضل الأيام والشهور». وذكر فيْ آخر هذا الكلام المنثور المسجوع، وهي مناجاة: «عندما رُمت إلى الحج رحال الركاب برسول الله المبعوث إلى الأسود والأحمر، والمخصوص بطهارة / ١٥٩ب/ نهر الكوثر، قريبك بل عبدك ذو النسبين أسرع به إلى بيتك المعظم، وإلى قبرك المكرم الشوق، ويقعده وجود الشاخة وعدم الطوق، وإذا رحل المستطيع، وبادر المتمثل المطيع، ذرفت دموعه انسكابا، وود لو قد عمل إلى الكعبة المعظمة، والتربة المكرّمة أقلامًا أو ركابًا؛ ولمّا ظعن الركب واستقلّوا، ورحلوا بعد ما حلّوا. تشبثت بهم تشبث الغريق بما يجد، وودعتهم وأنا منهل المدامع مصدوع الكبد، فكم ليلة بتّ بذينك الحرمين، قرير العين، فطاولت. . . . وأنا أنشد فيْ ذلك بين المأزمين: [من البسيط]

لمَّـا رَأَيْـتُ مُنَـادِيهِـمْ أَلَـمَّ بنَـا ... شَـدَدْتُ مئْـزَرَ إِحْـرَامِـيْ وَلَبَّيْـتُ
وَقُلْـتُ للنَّفْـس جُـدِّي الآنَ وَاجْتَهِـدِيْ ... وَسَـاعِـدِينِـي فَهَـذَا مَـا تَمَنَّيْـتُ
لَـوْ جِئْتُكُـمْ قَـاصِداً أَسْعَـى عَلَـى بَصَـرِيْ ... لَـمْ أَقْـضِ حَقّـاً وَأَيَّ الحَـقِّ أَدَّيْـتُ

ولما مسّني الآن الكبرة والشاخة، وأناخ الزمان عليَّ أيَّ إناخة، خاطبت قدمي لو سبقت قلمي، واشتدادي يتمنى لو يعدم ملاذي، ونفسي تحرص على أن تعاجل طِرسي، لكن الكبرة أبت فكان / ١٦٠أ/ قُصَاراي عينُ دمعت، وكفٌّ كنفت.

وقد ألفت هذا الكتاب محتسبًا للأجر، ومستبقيًا به للسطان الملك الكامل أجمل الذكر، فأودعته منْ العلوم ما ينتفع به صاحب كل شان منْ حديث، وفقه، ولغة، ونحو، وأصول، وتاريخَ، وشعر، وحساب، وبيان. وقصدنا تأليف كتاب فيْ معنى. . . . بمعان حتى ينشط قارؤه بخروجه منْ لون إلى ألوان، وينوب له عن كُلِّ حديقَة وبستان، ففيه تذكرةً لأهل الإيمان، وفقه لأهل اَللب والرجحان، مما يعز وجود نظمه فيْ تأليف واحد، وتوجد فنونه مجموعة فيْ تصنيف واحد؛ وإنما ذلك بعون الله الكريم وطَوْله وسعادة من أُلّف منْ أجله. وأمعنت فِيْ الشرح والتفسير، ولم أرضَ باللمح اليسير.

ثم أنشد بعد خبر أسنده إلى الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ هذه الأبيات يمدح بها الملك الكامل الّذيْ صُنِّف الكتاب لأجله: [من الكامل]

هَـذَا كتَـابٌ لَيْـسَ تُبْصـرُ مثْلَـهُ ... بمثقَّـفٍ مِـنْ أَجْلـهِ وَمُقَيَّـدِ
أَلَّفْتُـهُ لَـكَ مِـنْ فُـؤَادٍ أَنْـتَ فِـيْ ... أَثْنَـاءِ أَضْلُعِـهِ تَـرُوْحُ وَتَغْتَـدِيْ
تَخْتَـالُ بَيْـنَ مُفَصَّـلٍ وَمُـوَصَّـلٍ ... وَمُطَـرَّزٍ وَمُنَظَّـمٍ وَمُنَضَّـدِ
/ ١٦٠ب/ وَلكُـلِّ جُـزْءٍ حِكْمَـةٌ أَوْ مُنْجـدٌ ... أَوْ بِـدْعَـةٌ لمُـرَمِّـلٍ وَمُقَصِّـدِ
فَتُـرِيْـكَ كُـلَّ بَـدِيْعَـةٍ فِـيْ نَـوْعِهَـا ... لَـمْ تُخْتَـرَعْ وَغَـرِيْبَـةٍ لَـمْ تُعْهَـدِ
مَـا شئْـتَ مِـنْ شعْـرٍ أَرَقَّ مِـنَ الصَّبَـا ... وَخَطَـابَـةٍ أَزْهَـى مِـنَ الـزَّهْـرِ النَّدِيْ
شَـرَّفْتُـهُ بِـالكَـامِـلِ المَلـكِ الَّـذِيْ ... وَرِثَ السِّيَـادَةَ سيِّـداً عَـنْ سَيِّـدِ
عِـزِّ المُلُـوْكِ أَبِـيْ المُظَفَّـرِ ذِيْ النَّـدَى ... وَسَمِـيِّ خَيْـرِ العَـالَمِيْـنَ مُحَمَّـدِ
أَوَلَيْـسَ مِـنْ قَـوْمٍ غَـدَوا بِفَخَـارِهِـمْ ... بِيْـضَ المَغَـانِـيْ فِـيْ الـزَّمَـانِ الأَسْـوَدِ

يَــرْوِي سِــوَاهُ فَخَـارَهُ عَــنْ مُـرْسَـلٍ ... أبَــداً وَيَــرْوِيْ عَــنْ صَحِيْــحٍ مُسْنَـدِ
وَيكَـــادُ يَعْلَــمُ فِطْنَـــةً وَتيَقُّظـــاً ... فِــي نَـوْمِـه مِـنْ حَـادِث مَـا فِـي غَـدِ
يُحْيِــي عُلُــومــاً إذْ يُمِيْــتُ جَهَــالَــةً ... وَيُعِيْــدُ بِــرّاً فِــي الأنَــام وَيَبْتَــدِيْ
مَلِــكٌ لِعَــافِيْــهِ يُمَلِّكُــهُ النَّــدَى ... وَلَــهُ مُلُــوْكُ الأرْضِ دُوْنَ الأعْبُــدِ
سَحَّــاحُ مَنْهَــلِ كُــلِّ مَنْهَــلِ الحَيَــا ... ضَــافِــيْ رِدَاءِ الأمْــنِ صَــافِــي المَــوْرِدِ
بَحْـــرٌ إذَا اشْتَـــدَّ الأُوَامُ لآيِـــبٍ ... بَـــدْرٌ إذَا امْتَـــدَّ الظَّــلاَمُ لِمُهْتَـــدِيْ
تُجْلَــى دَيَــاجِيْــرُ الخُطُــوْبِ بِغُــرَّةٍ ... مِــنْ وَجْهِــهِ كَـالكَــوْكَـبِ المُتَــوَقِّـدِ
ذُو أخْمَــصٍ عُقَــدَتْ مَــوَاقِــعُ عِــزِّهِ ... بِمَعَــاقِــدِ القَمَــرَيْــنِ هَــامِ الفَــرْقَــدِ
يَــا خَيْــرَ مَــنْ عَــزَّت بِــهِ فِئَــةُ الهُــدَى ... عَــدْلاً وَذَلَّ لَــهُ الــزَّمَــانُ المُعْتَــدِيْ
/١٦١أ/ قَدَّسْتَ ذَاتَكَ بِالكَمَالِ وَصُنْتَهَا ... عَــنْ قَــدْحِ مُعْتَــرِضٍ وَذَمِّ مُفَنِّــدِ
وَسَمَــتْ إلَــى أُفُــقِ العُــلاَ بِــكَ هِمَّــةٌ ... أزْرَتْ بِكُـــلِّ مُعَظَّـــمٍ وَمُمَجَّـــدِ
وَرَعَيْــتَ أحْــوَالَ الــرَّعِيَّــةِ مُــوْجِــداً ... بِصَــلاَحِهِــمْ إعْــدَامَ رُوْحِ المُفْسِــدِ
وَرَفَعْــتَ مِنْــكَ مَنَــارَ كُــلِّ فَضِيْلَــةٍ ... بِــرِدَاءِ نُــوْرِكَ فِــيْ المَمَــادِحِ تَــرْتَــدِيْ
وَغَــدَا بِــكَ الإشْــرَاكُ بَعْــدَ غِيَــاثِــهِ ... فِــيْ قَبْضَــةِ الإسْــلاَمِ مَغْلُــوْلَ اليَــدِ
وَسَعَيْــتَ لِلْعَلْيَــاءِ فِــيْ تَخْلِيْــدِهَــا ... لَمَّــا رَأيْــتَ الشَّخْــصَ غَيْــرَ مُخَلَّــدِ
أنَــا طَــوْعُ كَفِّــكَ نِيَّتِــيْ لَــكَ نِيَّتِــي ... فِيْمَــا تُحِــبُّ وَمَقْصَــدِيْ لَــكَ مَقْصَــدِيْ

ولما فرغ منْ كتاب «النبراس فيْ تاريخ خلفاء بني العباس» إنتهى به إلى ذكر الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء لأمر الله، أنشد لنفسه[1]:

[من الكامل]

تَــرْتَــاحُ أنْــدِيَــةُ النَّــدَى وَالبَــاسِ ... مِــنْ ذِكْــرِ مَــوْلاَنَــا أبِــيْ العَبَّــاسِ
نَجْــلِ الخَــلاَئِــفِ وَابْــنِ عَــمِّ مُحَمَّــدٍ ... خَيْــرِ البَــرِيَّــةِ مِــنْ جَمِيْــعِ النَّــاسِ

وأنشدني الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي، قال: قرأت على أبي الخطاب

(١) في «آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٠٩» إن هذا الشعر من قصيدة للتاج الطرقي. ـ طرق: مدينة بقرب أصفهان ـ عملها للناصر لدين الله.

/ ١٦١ب/ من شعره يمدح الملك المعظم مظفر الدين ـ قدّس الله روحه ـ:

[من مجزوء الرجز]

لَوْلَا الوُشَاةُ وَهُمُ ... أَعْدَاؤُنَا مَا وَهَمُوا
وَفَاضَ دَمْعِي وَهَمَى ... بِالدَّمْعِ لمَّا فَهِمُوا
فَخَاطِرِي مُضْطَرِبٌ ... وَنَاظِرِي مُضْطَرِمُ
يَكْتُبُ دَمْعِي كُلَّمَا ... لَهُ الفُؤَادُ يَكْتُمُ
هَلْ يَتَسَاوَى السَّاهِرُوْنَ فِي الهَوَى وَالنُّوَمُ

ومنها:

يَا مُعْرِضاً عَنْ مُقْبِلٍ ... فِي الحُبِّ لَا يُتَّهَمُ
سُلُوُّهُ مُنْفَصِلٌ ... وَصَبْرُهُ مُنْفَصِمُ
إِنْ كُنْتَ لَا تُنْصِفُ فِي ... حُكْمِ الهَوَى مَنْ تَظْلِمُ
فَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا ... وَالمَلِكُ المُعَظَّمُ
مُظَفَّرُ الدِّيْنِ الَّذِيْ ... يُمْنَاهُ بَحْرٌ مُفْعَمُ
مَلْكٌ عَمِيْمٌ طَوْلُهُ ... وَفِيْهِ طُوْلُ عَمَمُ
يَشْقَى المُوَارِيْ بِسُطَاهُ وَالمُوَالِي يَنْعَمُ
/ ١٦٢أ/ وَجُوْدُهُ وُجُوْدُهُ ... مَا مِنْهُمَا لِي عَدَمُ
تَرَى قَوَافِي الشِّعْرِ فِي المَدْحِ لَهُ تَخْتَصِمُ
لَوْ لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ ... دَلَّتْ عَلَيْهِ الشِّيَمُ
وَقَالَ عَنْهُ السَّيْفُ مَا ... يَعْجِزُ عَنْهُ القَلَمُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

أَلَا تَرَى كُلَّ مَنْ عَادَاكَ فِي قَلَتٍ ... عَلَيْهِ مِنْ سِيْمِيَاءِ الذُّلِّ أَلْوَانُ[١]
قَدْ ضَمَّهُ الجِذْعُ ضَمَّ المُسْتَهَامِ بِهِ ... فَمِنْهُ قَبْرُهُ وَالجَوُّ أَكْفَانُ[٢]

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من الطويل]

---

(١) قَلَت: هلاك.
(٢) الجذع: كذا في الأصل، ولعله الجِزْع وهو منعطف الوادي.

بِفَتْحِكَ جَاءَ السَّعْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وَأَقْبَلَ إِقْبَالَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ
عَلِيْمٌ بِتَدْبِيْرِ الأُمُوْرِ مُوَفَّقٌ ... يَرَى بِـ .... الفِكْرِ مَا فِيْ العَوَاقِبِ

ومنها يقول:

وَيَلْبَسُ لِلْهَيْجَا ثِيَابَ أَسَاوِدٍ ... مِنَ الرُّقْشِ حَاطَتْهَا عُيُوْنُ الجَنَادِبِ

وأنشدني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف الغرباي، قال: أنشدني الإمام أبو الخطاب لنفسه.

/ ١٦٢ب/ وكتبها إلى الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب: [من الوافر]

فَدَيْتُكَ هَلْ عَلِمْتَ بِمَنْ رَجَاكَا ... وَأَمَّكَ فِيْ ذُرَاكَ وَفِيْ ذَرَاكَا
وَأَنْشَدَ بَعْدَ بَيْنٍ وَاشْتِيَاقٍ ... أَتَأْذَنُ لابْنِ دِحْيَةَ أَنْ يَرَاكَا

وكتب إلى الملك فيْ صدر كتاب صنعه له: [من الطويل]

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِيْ وَإِنِّي لَشَاعِرٌ ... إِلَى أَيِّ مَعْنًى فِيْ مَدِيْحِكَ أَقْصِدُ
وَجَدْتُ النُّهَى وَالبَأْسَ وَالفَضْلَ وَالنَّدَى ... إِذَا ذُكِرَ الأَمْلَاكُ نَحْوَكَ تَسْجُدُ
وَإِنْ قِيْلَ: مَنْ لِلْعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالعُلَا ... وَمَنْ لِقِرَاعِ الخَيْلِ، قِيْلَ: مُحَمَّدُ
وَعَدْلُكَ فِيْ الدُّنْيَا يبسطَ لأَهْلِهَا ... عَلَى أَهْلِهَا مِنْهُ رُوَاقٌ مُمَدَّدُ

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي بحلب، قال: أنشدني الإمام أبو الخطاب بن دحية لنفسه: [من الرمل]

أَيُّهَا السُّلْطَانُ فَاسْمَعْ قَوْلَ مَنْ ... قَوْلُهُ فِيْ كُلِّ خَطْوٍ يُتْبَعُ
أُمُّهُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ المُصْطَفَى ... وَالَّذِيْ فِيْ النَّاسِ حَقًّا يَشْفَعُ
/ ١٦٣أ/ وَأَبُوهُ مُشْبِهٌ جِبْرِيْلَ فِيْ ... صُوْرَةٍ مِنْهُ عَلَيْهِ يَخْلَعُ[1]
مَازَجَتْ جِسْمَ المَعَالِيْ رُوْحُهَا ... حَبَّذَا الجِسْمُ وَرُوْحٌ تُجْمَعُ
حَسْبُهُ مَدْحُكَ فَخْرًا دَائِمًا ... أُذُنُ الخَلْقِ لَهُ تَسْتَمِعُ
أَنْتَ سُلْطَانُ الوَرَى قَاطِبَةً ... بِكَ يَسْمُو النَّاهِضُ المُضْطَلِعُ

(١) يشير إلى أن جبريل ـ عليه السلام ـ ينزل بهيئة دحية الكلبي.

كُلُّهُم مِنْ شُكْرِ كَفَّيْكَ غَدَوا ... فِي رِيَاضٍ مِنْ صِفَاتٍ تَرْتَعُ
فَإِذَا . . . النَّاسُ حَلاَ عَنْ مُلُوكٍ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا
فَلْيُزَخْرَفْ كُلُّ شَيءٍ حَدَّثُوا ... أَنْتَ أَنْتَ الدَّهْرُ لاَ مَا أَسْمَعُوا
فَابْقَ وَاسْلَمْ فِي سُعُودٍ مَالَهَا ... مِنْ أُفُولٍ فِي نُجُومٍ تَطْلُعُ
دائماً ما تعالت قينة ... فَرْعَ أَيْكٍ وَسْطَ رَوْضٍ تَشْجَعُ[(١)]

. . . .

فقال هذه الكلمة :

/ ١٦٣ب/ «من عبد الله المأمون أمير المؤمنين، سلالة أهل البيت الطاهرين، أهل مهبط الوحي، ومصعد الأمر والنهي، ومدار أفلاك العُلاَ، ومزار أملاك السما، وموطن التنزيل، وموطيء الروح الأمين جبريل، ومقرّ الخلافة والإمامة، وموضع الكرامة، ولنا تحج ملوك الأرض، وذلك أوجب عليهم وجوب الفرض. فأن شرفنا بالسبق وفات، وهيهات دانٍ يدرك شأونا هيهات.

كلّ ذلك ببركة ابن عمنا، الَّذيْ يالبركة عمنا، الإسماعيلي النسب، الإبراهيمي المنتسب، المنيف الطرفين، الشريف السلفين، الملتقي بالرسالة، للأداء والدلالة، المبعوث إلى الأحمر والأسود، سيد ولد آدم وما ولد، الَّذيْ أيد بكتاب أنزل مِنْ الملكوت الأعلى عليه، وأوصل يدي الرَوح الأمين إليه. أعجز الأنَس والجن حين تحداهم برهانه، وأعجب الجن لما سمعوا بيانه، فيه تبيان كل شيء وتفصيله، وبرهان كل شيء ودليله، قد فصلته آياته بتقديس وتوحيد، ووعيد، وحكم وأحكام، ونقض وإبرام، وقصص وأخبار، / ١٦٤أ/ وسير وأسرار، والحض على العمل الَّذيْ هو سبب دخول الجنّة، والتحذير مِنْ العمل الَّذِيْ هو سبب دخَول النار؛ فهو بحر لا تفنى

(١) بعد هذا بياض بمقدار ستة أسطر.

عجائبه، ولا تنفد غرائبه.

والذي بُشرت به الأنبياء، وهتفت بمبعثه الكُهّان، وقام على صدقه البرهان، وردّ الله ببركته عن مكة الفيل، وأرسل على الملك الَّذيْ جاء وعلى أصحابه طيراً أبابيل، والذي خمدت ليلة مولده نار فارس ولَم تخمد قبل ذاك بألف عام، وكانت تعبدها المجوس كعبادة الكفار الأوثان والأصنام.

ورأت أمّه حين ولدته نوراً أضاء بها قصور بصرى مِنْ أرض الشام، وانشق أيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة، وهوَ القصر الأبيض الباهر بحسنه أبصار المبصرين، ونزلت الملائكة من الأفق المبين، ورجمت بالشهب جميع الشياطين، وغاضت بحيرة ساوة، وذهب ماؤها المعين، وفاض وادي السماوة، آية حصل بها لمن حام الشك اليقين، والذي يظلله ظلّ الغمام، ويخاطب البهم بفصيح الكلام. وسلّم عليه بالنبوة الأحجار، وتسجد له الأشجار، ويدعو الشجر فيأتي إليه ثم يأمره بالرجوع /١٦٤ب/ فيرجع سامعًا مطيعًا بقدرة من أعانه عليه، ويُسَبِّح الطعام عند أكله له، وذلك أنه خصّه الله بها وفضله.

والذي أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً، وجرر على المجرّة فِيْ درج المعراج ذيلاً، على دابة يقال لها «البراق»، لا يستطاع ركوبهاَ ولا يطاق؛ إلاَّ لمن سخرها له الإله الخلاق، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى وهي فِيْ السماء السابعة، حيث تعنو وجوه الملائكة الطائعة، ويغشاهم سنى الَأنوار الساطعة. فسار ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسيرة سبعة آلاف سنة، صاعداً ونازلاً فِيْ بعض ليلة بجسده وروحه مِنْ غير نوم ولا سنَة، واستوى بمستوى تَسمع فيه صرير الأقلام علَى الألواح، وعادَ إلى مضجعه عندما كاد جبين الشرق يوشح بنور الصباح.

وأصبح يحدّث أخبار الملوك فِيْ أم القرى، سنده عن حفظ ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى. والذي انشق له القمر المنير، ونبع منْ بين يديه مراراً عدّة الماء النمير، وزكابيمن يمينه الطعام اليسير، فأكل منه الجم الغفير. وقد جعل الله في / ١٦٥أ/ كل عضو منه آية، وذلك دليل على مكانه عند ربّه وأنَّ له به عناية، والذي حذره الذراع المسموم عن أكله، ثم لم يعد عليه بعدما أكل منه لقمة لعصمة الله فِيْ ذلك كلّه. والذي حنَّ الجذع اليابس إليه وسمع له صوت كأصوات العشار، وهذه آية نظرت بعين الصحة وطارت بجناح الانتشار، ورجف به وبخلفائه الجبل فراضه برجله، وقال: أسكن فسكن وامتثل، وبث له شكوى الجمل.

والذي قرن الله ـ تعالى ـ اسمه باسمه. وأعلن به فِيْ الدنيا فِيْ كل مكان، وأجرى ذكره بأنواع المحامد على كل لسان؛ والذي كانَ ينصر ويؤيد فِيْ الحروب، بريح الصَّبا وهي ذات الهبوب، فهزمت ليلة الأحزابَ جميع أعدائه. وكانوا قد حاصروه فِيْ عدّة ألوف، فاقتلعت الخيام، وأكفات القدور وزحزحت جميع الصفوف. ونصر بالرعب مسيرة شهرين بين يديه، ونزلت السكينة منْ الله عليه؛ وانكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر فاعطاه عرجوناً[1] أو عوداً فصار بيده سيفًا يومئذ يفري الجماجم، ويبري / ١٦٥ب/ الأعضاء والبراجم. وكذلك انقطع سيف عبد اللّه بن جحش يوم أحد فأعطاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرجون نخلة، فصار فِيْ يده سيفًا، يقال إنَّ قائمة منه، ولم يزل يتناول حتى بيع منْ بُغا التركي بمائتي دينار. وهذه معجزة قد بقيت بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي واضحة المنار.

---

(١) العرجون: عذق التمر، وهو من النخل كالعنقود من العنب، ومنه قوله تعالى: ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ يس: ٣٩.

والذي خصّه الله بالحوض والشفاعة، وأخبر بما كان وما يكون إلى قيام الساعة. وهذا الحوض هو نهر الكوثر المفعم الملآن، الَّذيْ ساحته مِنْ بصرى إلى عُمان أو مِنْ صنعاء إلى عَمَّان، وماؤه أشدّ بياضًا مِنْ الثلج، وَأحلى مِنْ العسل فِيْ المذاق، وأباريقه على عدد نجوم السماء ذوات الإشراق.

والذي زوى الله له الأرض فأراه مشارقها ومغاربها، وأعطاه كنوزها ومطالبها وأخبر ـ جلّ وعلا ـ أنَّ ملك أمته سيبلغ مازوي لهم منها، ولقي ربه جلّت قدرته وهو مُعرض إعراض الزاهدين عنها، وقبص ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن خيّرهُ الله فِيْ الدنيا؛ فاختار لقاء ربه، لرغبته فيما بين يديه وحبِّه. فجمع الله له بين مُلك الدارين الدنيا والآخرة، واسبغ عليه جزيل النعمتين الباطنة والظاهرة. وكسر بدعوته / ١٦٦أ/ شوكة الأكاسرة، وجبر الدين وقصم ظهور الجبارة، فغشت دعوته فِيْ المشارق والمغارب كما وعد وشاعت، وأخبر عن الله ـ عز وجل ـ أنَّه يستخلف فِيْ أرضه مِنْ يؤمن به. فكان ذلك كذلك.

وهذه معجزة راعت، فاستخلف الله أصحابه وأهل بيته مِنْ بعده، فسمعت الأمة لهم وأطاعت. فكانوا خلفاء الخلق، وفتحتَ الغرب والشرق؛ يقاتلون عبدة الأوثان والنيران عُزّلاً. وطارت قلوب الملوك رُعبًا منهم، وطاشت وخفقت أفئدتهم خوفًا مِنْ ذكر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجاشت وتمنّت أنّها إلى زمنه ما عَاشت. فبهذا النبي أفاخر مِنْ يفخر، وأكابر مِنْ تقدّم وتأخر؛ صلى الله عليه عدد الرمل ومدد النمل، وَعلى أهل بيته الكرِيم، الجدراء بالتقديم والتعظيم:

إلى دُهمى عظيم عظماء الهند، وركن. . . . السند، شرح الله صدره للإسلام، وجعله ممن دُعى إلى دار السلام، واتبع سبيل المؤمنين، وقال: ﴿وجهتُ وَجهي للّذي فَطَرَ السمواتِ والأرضَ

حنيفاً وما أنا مِنَ المُشركين»[١].

/ ١٦٦ب/ أما بعدُ: فأنّه وصل كتابك حاكيًا عرائس خصائصك علينا، وجالبًا نفائس خصائلك إلينا، ففضضنا عن الجواهر منه ختامًا، وأمطنا عن الأزاهر منه كمامًا، واستجلينا منْ معاينه ما لو كانت خدوداً لكانت مضرَّجة، أو ثغوراً لكانت مُفلَّجةً، واستدللنا بفحوى خطابه على ما تضمره لنا منْ مودَّة لا كذب فيها، ومحبَّة نيطت بعُرى الصدق أواخيها؛ فأمَّا ما صدَرته فيْ كتابك منْ تعظيم ملكك، ونفيس ذخائرك، وطيب رائحة قصرك وفَخرك وفخر آبائك. فإنَّك فخرت بأعراض الجواهر الفانية القليلة البقاء، وزخارف الدنيا التي لا يحصل الواثق منها على غير النصب والشقاء. ومالكها وإنْ عظَم دوامه سحابة صيف، ومالكها وان طال مقامه فعجالة ضيف؛ فإنَّا لا نفاخرك بأمثاله مما ملكناه منْ سهل الأرض وجبالها، واحتوت عليه خزائننا مما أخذناه بسيوفنا مَنْ ذخائر الملوك وأموالها. وإنَّما الفخر بتقوى الله وطاعته، والإيمان بهذا النبي الأمي، خاتم الأنبياء، وأفضل منْ مشى تحت / ١٦٧أ/ السماء، والتزم شريعته والعدل فيْ الرعية، والحَكم بالسوية؛ بين القوي والضعيف، والشريف والمشروف. وذلك التزام شريعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل بمقتضاها، وأنْ يتقي كتابًا عند الله **﴿لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها﴾**[٢]، فكيف كفيت عن البصيرة إذ سطع نور البرهان، جنحت على ما أوتيت منْ فطنة ذكية، وفطرة زكية إلى عبادة الأوثان، واتخذت الندّ المصنوع لصَانع الموضوعات نداً، ولم تر لك منه تقليداً لمن سلف من الآباء بُداً؛ وأنا أدعوك دعاء المشفق الناصح، إلى سلوك السنن الواضح، وخلع الأنداد، ومفارقة ديانة الأنداد،

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٩.
(٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.

والتوجه لمن وجه وجهه إليه إبراهيم الخليل، وقام على وجوده ووجوب وحدانيته الدليل، فزين الدنيا بزينة الكواكب، وأظهر فِيْ الأرض أنواع العجائب.

والإقرار بنبوة مِنْ ظهرت على.... ذكرنا آنفًا مِنْ الآيات الخارقة للعادات؛ فإنّه لا يَسمع به أحد ولا يؤمن به إلاَّ كان مِنْ أصحاب النار، وحقَّت عليه كلمة العذاب فِيْ دار البوار.

/ ١٦٧ب/ فأسلم تسلم أيها الملك، ويكون لك مالنا وعليك ما علينا. فإنَّ إسلامك إنْ مَنَّ الله عليك به مِنْ أسنى التحف الواصلة إلينا.

وأما ما أتحفتنا مِنْ هدية، واطرفتنا به مِنْ طرفة سنية؛ فما آتانا الله خير مما آتاكم، بل أنتم بهديتكم تفرحون، إلاَّ أنا اتبعنا لنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فِيْ قبوله للهدية، لما جبله الله عليه مِنْ الخلق الكريم، وطمعًا فِيْ أنْ يهديكَ الله بلطفه الصراط المستقيم. قابلناها بالقبول، وثنينا عنان النظر إليها، واقتدينا بابن عمّنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فِيْ الإنابة عليها.

ويعثنا إليك كتابًا.... يسمى: «بستان الألباب» يفتر عن جواهر الحكم وزواهر الآداب، ومطالعتك له تطلعك على أنَّ اسمه لمسمّاه موافق، ونعته لمعناه مطابق، ...... بما تيسر تناوله علينا، مِنْ الخزائن الحاضرة لدينا؛ معتذرين لديك مِنْ النقص، ومقابلة مجلسك بالنزر اليسير، لكن الملوك لو تهادت على قدر أقدارها، وعظم أخطارها لضاقت مِنْ ذلك أحوالها، .... وفنيت أموالها.

وإنّما الهدية وإنْ / ١٦٨أ/ قلت دليل الاحتفال بالمهدى إليه والإقبال. والسلام على مَنِ اتبع الهُدى، وقال: ﴿إنّي مِنْ

المسلمين﴾(١)، و﴿الحمد لله ربِّ العالمين﴾(٢)، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه أجمعين، والسلام عليه وعليهم إلى يوم الدين».

[٥٣٣]

عُمرُ بنُ أحمدَ بنِ أبي بكرِ بنِ مهرانَ، الإمامُ أبو حفصٍ الضريرُ النحويُّ العيسفنيُّ.

شيخنا.

كان مولده بقرية منْ سواد العراق تسمى مُوَهْرَر، وقدم صغيراً إلى عين سَفنة قرية مِنْ نواحي الموصل، فسكنهَا مدَّة فنسب إليها.

ثم ورد مدينة الموصل، وحفظ كتاب الله ـ تعالى ـ وطلب العلم، وجدّ فيْ الاشتغال، ولازم الشيخ أبا الحرم مكي بن ريان بن شبة الماكسيني النحوي. وبرع فيما قرأ عليه حتى صار أنحى أهل زمانه، وأعلمهم بالنحو والعروض والقوافي والتصريف واللغة ومعاني الشعر وسائر فنون الأدب؛ فلمّا توفي شيخه أبو الحرم قام مقامه، وجلس مكانه وأقرأ الناس النّحو والآداب.

/ ١٦٨ب/ وتصدّر وأفاد خلقًا كثيراً، وانثال عليه جماعة كثيرة ممن هو فيْ طبقته مِنْ أصحاب الشيخ أبي الحرم، وأخذوا عنه حتى أقرَّ له كُلّ عالم، واعترف بفضله كلَ أديب.

وكان مفرط الذكاء، وسريع الحفظ، قوي النفس وقت القراءة عليه، لم يقبل منْ أحد جزاءً ولا ثوابًا. وكان له يد فيْ علوم أخر؛ كعلم الحساب، والفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ. ومع ذلك لم يكن فيْ عمل الشعر كبير يد. وكان يرفع نفسه عن نظمه؛ وربّما وقع له معنى فيقول فيه أبياتًا يسيرة لَم يظهر عليها طلاوة.

وكانت وفاته يوم عيد الفطر بالموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن ظاهر

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(٢) سورة الفاتحة: الآية ٢.

البلد غَربيَّةً بمقبرة المعافى بن عمران ـ رضي الله عنهما ـ.

أنشدني أبو يعقوب إسحق بن مروان بن سمكان الموصلي النحوي العروضي، قال: أنشدني شيخي الإمام أبو حفص الضرير لنفسه، وقد سأله بعض الرؤساء، أنْ يصنع أبياتًا يضمنها هذا البيت:

تَشَاغَلْتُمُ عَنَّا بِصُحْبَةِ غَيْرِنَا ... وَأَظْهَرْتُمُ الهِجْرَانَ مَاهَكَذَا كُنَّا

فأنشأ أبو حفص هذه الأبيات، أولها: [من الطويل]

/١٦٩أ/ إلَى مَ أُقَاسِيْ لاَعِجَ الشَّوْقِ وَالحُزْنَا ... وَيُضْنِيْ هَوَاكُمْ وَالجَفَا جَسَدِيْ المُضْنَى

أَأَحْبَابَنَا إنْ حُلْتُمُ عَنْ عُهُودِنَا ... فَإنَّا عَلَى تِلْكَ المَوَاثِيْقِ مَا حُلْنَا

رَعَى اللّهُ أَيَّامًا تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ ... فَمَا كَانَ أَحْلاَهَا لَدَيَّ وَمَا أَهْنَا

أَحِنُّ إلَيْهَا بِالأَصَائِلِ وَالضُّحَى ... وَمَا يَنْفَعُ الصَّبَّ الكَئِيْبَ إذَا حَنَّا

يَكَادُ لِمَا يَلْقَى مِنْ الوَجْدِ وَالأَسَى ... يَحِنُّ اَشْتِيَاقًا فِيْ الظَّلاَمِ إذَا جَنَّا

إذَا لَمْ يَكُنْ لِيْ عِنْدَكُمْ مِثْلُ مَالَكُمْ ... بِقَلْبِيْ فَلاَ أَجْدَى الحَنِيْنُ وَلاَ أَغْنَى

فَقَدْ كَانَ يَغْشَى النَّوْمُ عَيْنَيْ بِقُرْبِكُمْ ... فَمُذْ غِبْتُمُ ما صَافَحَ الغُمْضُ لِيْ جَفْنَا

وَأَحْسَنْتُ ظَنِّيْ فِيكُمُ لاَعَدِمْتُكُمْ ... فَمَا بَالُكُمْ أَخْلَفْتُمُ ذَلِكَ الظَّنَّا

فَإنْ كَانَ أَغْنَاكُمْ سِوَانَا فَإنَّنَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ لَمْ نَجِدْ عَنْكُمُ مَغْنَى

تَشَاغَلْتُمُ عَنَّا بِصُحْبَةِ غَيْرِنَا ... وَأَظْهَرْتُمُ الهِجْرَانَ مَا هَكَذَا كُنَّا

[٥٣٤]

عُمرُ بنُ عبد الله بن المفرّج بن درع بن الحسنِ بنِ الخضرِ بنِ حامد، أبو عَبد اللَه بَن أبي القَاسم التكريتيُّ.

الفقيهُ المدرسُ الشافعيُّ الأديبُ الشاعرُ.

/١٦٩ب/ حفظ الختمة الشريفة وأتقنها، واشتغل على أخيه بفنون منْ العلوم الأدبيّة، وبضروب منْ علوم الفقه والقرآن والشعر. وسافر إلى الموصل فِيْ سنة ستٍّ وستين وخمسمائة فلقي بها جماعة منْ المشايخ والعلماء؛ كالشيخ أبي الفصل يونس بن محمد بن منعة المدرس الإربلي، والشيخ أبي المظفر منصور بن يحيى اليشكري، ووالده يحيى والشيخ عمر النساج، والشيخ عمر بن محمد بن الخضر

الملاّ، وأبي بكر القرطبي وغيرهم مِنَ المشايخ.

ثم عاد إلى تكريت، وأقام بها واشتغل وسمع بها على جماعة مِنْ المشايخ مِنْ أهلها، وممن قدمها. ولما توفي ابن عمّه أبو النجيب عبد الرحمن [بن] أَحمد بن المفَرّج ببلدة ماردين أُنفذ إلى تكريت وطلبه، فتوجه إليه فِيْ سنة سبع وستين. وأقام عنده بالمدرسة وفوّض إليه أمرها، والنظر فِيْ أحوالها، ورتبه إمَامًا يصلي بها وقرّر له فِيْ كل شهر دينارين.

واشتغل هناك بما كان يذكره أبو النجيب مِنَ الدروس فِيْ الأصول والخلاف والمذهب، وتكلّم مع الفقهاء وباحث ولقي بها جماعةً مِنَ الفضلاء، وأنفذه صاحب ماردين / ١٧٠أ/ في رسالة إلى بلد خِلاَط . . . . فِيْ سنة سبعين وخمسمائة؛ فرأى بها جماعة مِنْ أهل الفضل.

ثم عاد فِيْ هذه السنة إلى ماردين، ولم يزل مقيمًا مع أبي النجيب، إلى أن كثر شوق الشيخ أحمد والَد أبي النجيب هذا، فترك أبو النجيب ما كان إليه، وتوجَّه هو وأبو عبد الله فِيْ جمادى الآخرة فِيْ سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، ووصلا إليها فِيْ يوم الجمعة مِنْ شهر رَجب مِنْ السنة المذكورة.

ثم تولى أبو النجيب القضاء بمحروسة تكريت، فاستناب أبا عبد الله فِيْ الفصل بين المترافعين إليه فِيْ التاريخ، ولم يزل معه مُساعداً له ونائبًا؛ إلى أن توفي أَبو النجيب يوم الإثنين رابع المحرم مِنْ سنة ست وسبعين وخمسمائة، فَتولّى القضاء بعده ابن عمّه القاضي تاج الدين أبو زكريا، فاستناب أخاه أبا عبد الله فِيْ فصل الحكومات، وفوّض إليه بعد ذلك أمر الخطابة بجامع تكريت فخطب بها يوم الجمعة الخامس والعشرين مِنْ شوال مِنْ سنة ست وسبعين وخمسمائة، بعد عجز الخطيب أبي القاسم علي بن محَمد بن أحَمد بن إبراهيم بن الحارث بن أبي تمام التكريتي، وفرض له على ذلك الإيجاب والإطلاق. وله تواقيع مِنْ جماعة مِنْ الأمراء بتكريت / ١٧٠ب/ بذلك.

وسافر إلى بيت الله الحرام حاجًا يوم العشرين مِنْ شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وصحبة جماعة مِنْ أهل تكريت، وعاد هو والجماعة معه فِيْ صفر سنة اثنتين وثمانين إلى تكريت، وأقام بها.

ثم تزوج المباركة خديجة ابنة الشيخ نعمان بن أبي منصور بن عثمان، شيخ تكريت، وأولد منها خمسة أولاد؛ فمات له ولد اسمه عبد الله فِيْ دمشق. كان سافر إليها فِيْ تجارة، ودفن بها فجزع عليه أبو عبد الله.

وكان فِيْ كل وقت يذكر لأخيه تاج الدين عزمه على ترك القضاء والتلبس به، ويطلب منه أن يعفيه عن ذلك، وكان يذكر له ما فِيْ الصبر على ذلك مِنْ ثواب الإنصاف والعدل، وعدم مَنْ يقوم مقامه فِيْ ذلك، إلى أنْ قوي عزمه فِيْ الترك، ورغب فِيْ الإنقطاع فعزل نفسه عن ذلك، وانقطع إلى المسجد الطلحي مشتغلاً بنفسه، منقطعًا عن مخالطة الناس؛ يصرف زمانه فِيْ طاعة الله ـ تعالى ـ وتصنيف العلوم، وغير ذلك.

وانحدر إلى مدينة السلام فِيْ أوقات إقامة أخيه تاج الدين بها مراراً، ولقي بها جماعة مِنْ المشايخ والعلماء، وحج. . . . وولديه فِيْ شوال مِنْ سنة اثنتي عشرة وستمائة، /١٧١أ/ وعاد إلى تكريت وأقام بمسجد مِنْ مساجدها يعرف بالطلحي، ولازم الإمامة به، واشتغل عليه جماعة مِنْ أهل تكريت، وعملوا بفتواه وأخذوا بقوله. وأقرأ القرآن وختم جماعة. وحدّث وسمع عليه مِنْ أهل تكريت ومن المجتازين بها.

وله مُصنفات ومنظومات فِيْ أنواع مِنْ العلوم، وأجوبة عن مسائل وردت عليه. وعمّر فِيْ المسجد الطلحي عمارات كثيرة، وبنى فِيْ باطنه فِيْ الصحن الأول منه رواقات محيطة به، وأظهر الخير فِيْ المسجد المذكور، ورتّب أحواله ترتيبًا جميلاً.

وانعكف جماعة مِنْ أهل الرأس الأسفل على الصلوات الخمس، وفي ليالي المواسم وإذا قدم متميّز أو واعظ حضر عنده، وجلس بالمسجد . . . . معه وأحسن إليه بما يقدر عليه؛ وما زال يقيم شعار الدين فِيْ هذا المسجد.

وهذا ذكر مصنفاته، منها: كتاب «ديوان الخطب» وهو مشتمل على خطب الجمع والأعياد والاستسقاء والكسوف، وعلى فصول وأدعية وغير ذلك. وكتاب «نظم لباب الفقه» تأليف الإمام أبي القاسم أحمد بن محمد المحاملي ـ رحمه الله تعالى ـ سأله الشيخ أبو الحسن علي بن الدزوي المقريء نظمه فنظمه فِيْ سنة ثمانين وخمسمائة فِيْ نحو من اثني عشر ألف [بيت].

/ ١٧١ب/ ونظم أيضًا كتاب «الناسخ والمنسوخ» تأليف هبة الله بن سلامة المفسّر، ونظم أيضًا العقيدة المعروفة بالقدسية.

كان مولده بتكريت ليلة الخميس نصف الليل سابع عشر شوال سنة أربعين وخمسمائة. وتوفي بها فِيْ جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وستمائة. وكان من الفقهاء الشافعية؛ فاضلاً شاعراً مقتدراً على النظم يدرس الفقه ويفتي. وكان إمام زمانه، حسن النظر فِيْ العلم؛ ذا بديهة حاضرة فِيْ الشعر.

نظم عدد آي القرآن، وذكر اختلاف القارئين فيها، ونظم أيضًا كتاب «اختلاف القراء فِيْ إثبات إلا . . . . وحذفها»، ونظم أيضًا معجزات النبي ـ صلى الله عليه [وسلم] ـ ونظم أيضًا «لمحة النحاة ومنحه الرواة» فِيْ العوامل، وذكر أيضًا كتاب «مخارج الحروف» على ترتيب الخليل بن أحمد، ونظم أيضًا كتاب «ذكر منازل القمر وغيره»، ونظم أيضًا كتاب «معرفة الضرب فِيْ الصحاح والكسور»، ونظم أيضًا كتاب «ذكر صفات السادة الفتيان ومدح الناصر لدين الله».

/ ١٧٢أ/ وصنَّف كتاب «مناسك الحج» ونظم أيضًا كتاب «طبقات الفقهاء» للشيخ أبي اسحاق الشيرازي، وصنَّف كتاب تاريخ مولده ومتجددات أحواله، وجمع أيضًا كتابًا فيه فنون مِنْ منظوماته ورسائله ومكاتباته، ويشتمل على عشرة أبواب.

وقد ذكرت فِيْ هذا الكتاب بعض منظوماته وإن كانت مدوّنة فِيْ كتب مفردة لئلا يخلو هذا الكتاب مِنْ ذكر شيء منها، وليعلم بذلك ما عنده مِنْ وفور الفضل والعلم وقوة التمكّن فِيْ النظم والنثر واقتداره فِيْ صناعته.

ومن شعره ما كتبه إلى أخيه تاج الدين فِيْ جواب مكتوبه إليه: [من البسيط]

يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ الطِّيْبِ مِنْ قَلَمٍ ... أَسْدَتْ يَداً قَلَّ عَنْهَا مَا يُجَازِيْهَا

قَدْ كَانَ بَشَّرَنِي طَيْفُ الخَيَالِ بِهَا ... فَظِلْتُ مِنْ فَرَحٍ فِيْ النَّوْمِ أُبْكِيْهَا

حَتَى بَدَتْ فِيْ سُطُوْرٍ زَلْزَلَتْ جَسَدِيْ ... بِالشُّوْقِ لَمَّا تَرَاءَتْ فِيْ مَعَانِيْهَا

فَقُلْتُ وَالعَيْنُ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ تَرَحٍ ... تَسُحُّ بِالدَّمْعِ سَحّاً مِنْ مَآقِيْهَا

تُرَى يَعُوْدُ لَنَا شَمْلٌ نُسَرُّ بِهِ ... فَتَأْخُذَ العَيْنُ حَظّاً مِنْ أَمَانِيْهَا

وكتب إلى أخيه أيضًا: [من الخفيف]

/ ١٧٢ب/ كُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ يُدْنِي سُرُوري ... لِدُنُوِّ اللِّقَاءِ بِالأَحْبَابِ
وَإِذَا مَا تَزَايَدَ الشَّوْقُ أَرْسَلْتُ زَفِيرَ الضُّلُوعِ طَيَّ الكِتَابِ
يَا رَسُولِي إِلَى المُؤَمَّلِ تَاجِ الدِّينِ ذِي الفَضْلِ وَالأَيَادِي العِذَابِ
قُلْ لَهُ مُعْلِنًا ثَنَائِي وَشُكْرِي ... وَادِّكَارِي لِفَضْلِهِ السَّكَّابِ
طَالَ يَوْمُ الفِرَاقِ وَاشْتَدَّ شَوْقِي ... فَمَتَى يَنْقَضِي بِيَوْمِ الإِيَابِ

وله في مكاتبة إلى بعض أصحابه بالنظامية: [من الوافر]

أَلاَ أَبْلِغْ مُجِيرَ الدِّينِ عَنِّي ... بِأَنِّي لاَ أَحُولُ عَنِ الوِدَادِ
وَكَيْفَ أَحُولُ أَمْ هَلْ كَيْفَ أَسْلُو ... وَقَدْ سَلَبَتْ مَحَبَّتُهُ فُؤَادِي
أَتَذْكُرُ لَيْلَةً قَصُرَتْ عَلَيْنَا ... بِفِكْرٍ مُوضِحٍ سُبُلَ الرَّشَادِ
تُوَاصِلُ بِالمَسَائِلِ تَبْتَلِينِي ... وَأُعْطِيكَ الجَوَابَ عَلَى السَّدَادِ
وَبَعْدُ فَلَوْ ذَهَبْتُ لِشَرْحِ شَوْقِي ... لأَفْنَى كَاغَدِي وَفَنَى مِدَادِي
فَدُمْ وَاسْلَمْ وَقُمْ وَاغْنَمْ وَلاَ تَسْأَمْ فَفِي العُقْبَى تَنَلْ كُلَّ المُرَادِ

وله في معنى الحديث المروي عن النبي ـ صلى الله عليه ـ في صنعة أخلاق اهل الجنة، وأخلاق أهل النار: [من البسيط]

/ ١٧٣أ/ أَهْلُ الجِنَانِ لَهُمْ حَالٌ تَخُصُّهُمُ ... فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ وَالأَخْلاَقِ وَالأَدَبِ
وَجْهٌ جَمِيلٌ وَخُلْقٌ وَاسِعٌ حَسَنٌ ... وَلُطْفُ نُطْقٍ يَسُرُّ النَّاسَ مُحتلبَ
وَرَحْمَةُ القَلْبِ لاَ فَظٌّ وَلاَ مَقِتٌ ... وَلاَ عَبُوسٌ وَهَذَا غَايَةُ الحَسَبِ
وَلِلشَّقِيِّ خِلاَلٌ مِثْلُ عِدَّتِهَا ... فِي ضِدِّهَا فَاسْتَمِعْ قَوْلاً بِلاَ كَذِبِ
فَفِي القَسَاوَةِ وَالعِصْيَانِ يَتْبَعُهَا ... وَسُوءُ ظَنٍّ وَبُخْلُ النَّفْسِ بِالنَّشَبِ
وَعَابِسُ الوَجْهِ لاَ يَنْفَكُّ ذُوْ صَخَبٍ ... خَابَ الشَّقِيُّ وَبَاعَ الجِدَّ بِاللَّعِبِ
كَذَا رَوَيْنَا عَنِ المُخْتَارِ سَيِّدِنَا ... أَعْنِي النَّبِيَّ نَبِيَّ العُجْمِ وَالعَرَبِ

وقال في المواعظ: [من الكامل]

وَإِذَا اللَّبِيبُ غَدَا يُفَتِّشُ نَفْسَهُ ... نَطَقَتْ شَوَاهِدُهَا بِصِدْقِ الحَالِ
إِنَّ النُّفُوسَ وَدَائِعٌ وَرَهَائِنٌ ... فِي مُدَّةِ الدُّنْيَا لَوَشْكِ زَوَالِ

فَالعَاقِلُ النِّحْرِيْرُ مَنْ وَافَى بِهَا ... مَقْرُوْنَةً بِصَوَالِحِ الأَعْمَالِ
وَالغَافِلُ المَغْرُوْرُ مَنْ يُلْقِي بِهَا ... فِي قَعْرِ مُظْلِمَةِ الدُّجَى مِضْلَالَ
تَعِسَ امْرُؤٌ يَسْعَى وَيَجْمَعُ جَاهِداً ... مَالاً سَيَتْرُكُهُ لَدَى التَّرْحَالِ
وَإِذَا الفَتَى لَمْ يَدَّخِرْ لِمَعَادِهِ ... زَاداً فَسَوْفَ يَؤُوْلُ شَرَّ مَآلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المُعْنَى بِهَا ... عَمَلاً تَفُوْزُ بِهِ مِنَ الأَهْوَالِ
/ ١٧٣ب/ وَدَعِ التَّعَلُّلَ بِالمُنَى فَلَقَلَّمَا ... تُجْدِي عَلَيْكَ عَوَاقِبُ الآمَالِ

وقال أيضًا: [من المجتث]

يَا مَنْ خَلاَ بِالمَعَاصِيْ ... خَفْ يَوْمَ شَيْبِ النَّوَاصِيْ
خَفْ يَوْمَ تَأْتِي البَرَايَا ... بِذِلَّةٍ وَانْقِمَاصِ[1]
خَفْ يَوْمَ تَبْدُو الخَطَايَا ... وَيَوْمَ أَخْذِ القِصَاصِ
غَداً عَلَيْكَ يُنَادَى ... هَذَا جَزَا كُلِّ عَاصِيْ
هَذَا جَزَا عَبْدِ سُوْءٍ ... مُجَاهِرٍ بِالمَعَاصِيْ
أَمَا تَخَافُ أَذَى مَنْ ... يَرَاكَ بَيْنَ الخَصَاصِ
فَتُبْ إِلَيْهِ وَبَادِرْ ... تَفُزْ بِعِزِّ الخَلاَصِ
وَلاَ تُبَهْرِجْ عَلَيْهِ ... مَا التِّبْرُ مِثْلُ الخَلاَصِ[2]

وأنشدني أبو محمد عبد السلام بن الحسن، قال: أنشدني عمر لنفسه:

[من مجزوء الرمل]

كُلُّ حَيٍّ عَنْ قَلِيْلٍ ... فَإِلَى المَوْتِ يَصِيْرْ
لَيْسَ يَبْقَى ذُوْ افْتِخَارٍ ... وَيَسَارٍ وَفَقِيْرْ
سَوْفَ يُسْقَوْنَ كُؤُوْساً ... شُرْبُهَا شُرْبٌ عَسِيْرْ
/ ١٧٤أ/ وَسَيَلْقَاهُمْ غَداً يَوْمٌ عَبُوْسٌ قَمْطَرِيْرْ

وقال أيضًا: [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا لِخَابِرِ حَالِهَا ... بِصَافِيَةٍ فَاسْأَلْ بِذَاكَ خَبِيْرَا

---

(١) انقماص: ذلّة بعد عزّ.
(٢) الخلاص: ما انتفى عنه الغش من الذهب والفضة.

تُرِيكَ سُرُوراً ثُمَّ تُعْقِبُ تَرْحَةً ... كَأَنَّكَ فِيهَا مَا عَهِدْتَ سُرُورَا

وقال: وأنشدني أبو محمد عبد السلام بن يحيى، قال: أنشدني عمي لنفسه أبو عبد الله عمر: [من مجزوء الكامل]

كُنْ مَيِّتاً بَيْنَ الوَرَى ... وَانْظُرْ لِعَيْنِكَ وَاعْتَبِرْ

كَمْ مِنْ مُؤَمِّلِ عِيْشَةٍ ... بَيْنَا يُؤَمِّلُهَا قُبِرْ

يَرْجُو البَقَاءَ وَكَيْفَ يَطْمَحُ فِيْهِ مَخْلُوقٌ قُدِرْ

مَاذِي بِدَارِ إِقَامَةٍ ... فَابْغِ التَزَوُّدَ وَابْتَدِرْ

إِنَّ البَطَالَةَ رَاحَةٌ ... لَكِنَّ عُقْبَاهَا صَبِرْ

وقال أيضًا وأنشد فيه أبو محمد: [من مجزوء الكامل]

أُكْتُبْ بِكَفِّكَ مَا يَسُرُّكَ أَنْ تَرَاهُ فِي القِيَامَهْ

/ ١٧٤ب/ وَاحْذَرْ مُقَارَفَةَ القَبِيْحِ فَذَاكَ يُورِثُكَ المَلاَمَهْ

وَاخْشَ البَيَاتَ فَإِنَّمَا ... هَلَكَ امْرُؤٌ ظَنَّ السَّلاَمَهْ

وَاذْكُرْ مَقَامَكَ حَيْثُ لاَ ... يُغْنِي التَّأَسُّفُ وَالنَّدَامَهْ

وقوله ايضًا: [من البسيط]

عَلَى مَ تَحْزَنُ فِي الدُّنْيَا وَتَحْتَرِقُ ... وَنَحْنُ فِيهَا إِلَى الآجَالِ نَسْتَبِقُ

يَا غَافِلاً وَسِهَامُ المَوْتِ تَرْمُقُهُ ... لاَ تَأْمَنَنْ خَتْلَهَا مَا سَرَّكَ الرَّمَقُ

وقال أيضًا: [من مخلّع البسيط]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ أَدُلُّكُمُ ... عَلَى فَعَالٍ يَفُوزُ مَنْ فَعَلَهْ

دَعُوا فُضُولَ الكَلاَمِ كَمْ بَطَلٍ ... لِسَانُهُ بِالفُضُولِ قَدْ قَتَلَهْ

وَاقْتَنِعُوا بِاليَسِيْرِ وَاعْتَبِرُوا ... كَمْ جَامِعٍ لِلْكَثِيرِ مَا أَكَلَهْ

وَزَيِّنُوا بِالتُّقَى نُفُوسَكُمُ ... فَذُو النُّهَى زَانَ بِالتُّقَى عَمَلَهْ

وأنشد أيضًا القاضي أبو محمد عبد السلام التكريتي ببغداد في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني عمي أبو عبد الله عمر لنفسه: [من الوافر]

/ ١٧٥أ/ أَيَا ابْنَ الأَرْبَعِيْنَ تَرُومُ لَهْواً ... وَأَنَّى اللَّهْوُ بَعْدَ الأَرْبَعِيْنَا

أَيَا إِبْنَ المَيِّتِيْنَ أَباً وَجَداً ... سَتَلْحَقُ فِي غَدٍ بِالمَيِّتِيْنَا

تُؤَمِّلُ أنْ تَعيشَ قَريرَ عَيْنٍ   وَكَمْ قَدْ أبْكَتِ الدُّنْيَا عُيُونَا
تَظُنُّ العَيْشَ فيْهَا أنْ سَيَصْفُو   وَكَمْ قَدْ أخْلَفَتْ فيْهَا الظُّنُونَا
تَزَوَّدْ مِنْ سِنِيْكَ بِخَيْرِ زادٍ   وَلاَ تَغْتَرَّ . . . . السِّنِيْنَا

ومن شعره يرثي ولده عبد الله، ومات بفلسطين وأنفذه ليكتب على قبره، أنشدنيه عنه أبو القاسم ابن أخته بتكريت فِيْ شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة:

[من الطويل]

ألاَ إنَّ عَبْدَ اللّهِ أصْبَحَ ثَاوِيًا   بأرْضِ فلَسْطِيْنٍ إلَى مَوْقِفِ الحَشْرِ
سَيَأتِي إلَى تكْرِيْتَ نَعْيُ مُصَابِهِ   وَيَأتِي أيْضًا سَابِقُ الدِّيْنِ مِنْ مِصْرِ
فَتَى كَانَ مثْلَ البَدْرِ حَشْوُ ثِيَابِهِ   إذَا مَا انْثَنَى أوْ كَانَ أزْهَى مِنَ البَدْرِ
وَقَدْ كَانَتِ الآسَادُ تَخْشَى لِقَاءَهُ   فَقَدْ طَمِعَتْ فِيْ خَدِّهِ دُوْدَةُ القَبْرِ
سَلاَمِيْ عَلَيْكَ . . . . مَا ذَرَّ شَارِقٌ   وَمَا ثَوَّبَ الدَّاعِي إلَى نُسُكِ الفَجْرِ[1]

وقال أيضًا: [من المتقارب]

/ ١٧٥ب/ أرَى الطَّيْرَ يَحْنُو عَلَى فَرْخِهِ   إذا كَانَ فِيْ عُشِّهِ لَمْ يَطِرْ
فَإنْ طَارَ ينقرهُ حَبَّةً   لِيَلْقُطَ إذْ كَانَ لاَ يَدَّخِرْ
تَنَبَّهْ لِذَا السِّرِّ يَا صَاحِبِيْ   وَكُنْ فَطِنًا يَقِظًا وَاعْتَبِرْ
بُنَيَّ فَدُوْنَكَ كَسْبَ العُلُوْمِ   صَغِيْرًا فَمَا الشَّيْخُ بِالمُدَّكِرْ
إذَا لَمْ يَكُنْ حَصَلَ الذِّكْرُ فِيْ   زَمَانِ الصِّبَا وَهْوَ لَمْ يَعْتَبِرْ
فَمَا شَرَفُ المَرْءِ فِيْ نَفْسِهِ   بِآبَائِهِ حِيْنَمَا يَفْتَخِرْ
وَلَكِنْ بِمَا فَاضَ مِنْ فَضْلِهِ   عَلَى مَنْ إلَى فَضْلِهِ يَفْتَقِرْ

ومن ذلك ما رأى فِيْ منامه، كأنَّ رقعةً أُلقيت إليه، وفيها خط ولده المتوفى، وفيها أبيات لم يحفظ منها سوى بيتين: [من الطويل]

فَمَا لِيَ مَنْ أشْكُو إلَيْهِ صَبَابَتِي   وَلِيْ عِنْدَ مَوْتِيْ أنَّةٌ وَحَنِيْنُ
وَمَا كُنْتُ أدْرِي أيْنَ تُقْضَى مَنِيَّتِي   وَلاَ أنَّ هَذَا الأمْرَ كَيْفَ يَكُوْنُ

(١) نسك: عبادة.

فأجاب عنها بهذه الأبيات: [من الطويل]

/ ١٧٦أ/ أيَا مُهْجَتِي يَا قُرَّةَ العَيْنِ إنَّنِي ... عَلَيْكَ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ حَزِينُ
يَعِزُّ عَلَى عَيْنَيَّ أنْ غِبْتَ عَنْهُمَا ... وَكُلُّ عَزِيزٍ يَا بُنَيَّ يَهُونُ
وَمَا فِي نَعِيمِ العَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ ... وَأيُّ التِذَاذٍ لِي وأنْتَ دَفِينُ
سَلامٌ عَلَى صَفْوِ الحَيَاةِ وَطِيبِهَا ... وَهَا دَمْعُ عَيْنَيَّ بِالبُكَاءِ رَهِينُ

وقال أيضًا يرثيه: [من الوافر]

أقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طُولاً ... كَأنَّ الصُّبْحَ لَجَّ بِهِ اللَّجَاجُ
إلَى الرَّحْمَنِ أشْكُو مَا بِقَلْبِي ... عَسَى هَمِّي يُبَدِّلُهُ انْفِرَاجُ
نَدِيمِي زَفْرَتِي وَدُمُوعُ عَيْنِي ... شَرَابِي وَالنَّجِيعُ لَهَا سِرَاجُ
وَبِي سَقَمٌ وَأفْكَارٌ وَحُزْنٌ ... أُمُورٌ لَيْسَ يُبْرِئُهَا عِلاجُ
ألِفْتُ الحُزْنَ بَعْدَكَ فِي المَغَانِي ... فَلا فَرَحٌ يَزُورُ وَلا ابْتِهَاجُ
وَكُنْتَ لَنَا سِرَاجًا فِي اللَّيَالِي ... فَمُذْ أُودِيتَ أظْلَمَتِ الفِجَاجُ
تَبَدَّلَ كُلُّ ذِي حُسْنٍ لَدَيْنَا ... وَحَتَّى الرَّبْعُ بَدَّلَهُ العَجَاجُ
تَكَدَّرَ صَفْوُ عَيْشٍ كَانَ عَذْبًا ... وَحَلَّ مَحَلَّهُ مَقِرٌّ أُجَاجُ
أُمِرُّ وَقَدْ سَفَا السَّافِي عَلَيْهِ ... فَيَغْلِبُنِي بُكَاءٌ وَانْزِعَاجُ
وَكَانَ بِهِ سِرَاجُ الوَصْلِ يَكْفِي ... فَقَدْ أمْسَى وَقَدْ طُفِئَ السِّرَاجُ
/ ١٧٦ب/ فَلا وَتَرَاكَ لا يَنْفَكُّ دَمْعِي ... يَجُودُ وَلَيْسَ يَمْنَعُهُ رِتَاجُ

[٥٣٥]

عُمرُ بنُ عبد النور بن ماخُوخَ بن يوسفَ بن ليانَ بن باديسَ بن صُولي بن بلَولَ الهواري، أبو حفصٍ اللَّزنيُّ البجائي الصَّنْهَاجِي (١).

كان فقيهًا شافعيًا، مناظراً أصوليًا، كاتبًا شاعراً؛ له يد باسطة فِي علم الأدب

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٢١. وفيات الأعيان ٥/ ٣١٦ ـ ٣١٧ في ترجمة كمال الدين موسى بن يونس. وفيه: «العماد، أبو علي عمر...». النجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٣.

والعربية.

أنشدني أبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي زيد التبريزي، قال: أنشدني عمر بن عبد النور لنفسه: [من الكامل]

وَمُعَقْرَبِ الصُّدْغَيْنِ خلتُ عذارَهُ ... نُؤْيًا أثافي رَسْمِهِ الخيْلانُ[1]

فوقفتُ أبكيهِ بعَيْنَيْ عُرْوَةٍ ... حُزْنًا عليه كأنني غَيْلانُ[2]

وأنشدني، قال: أنشدني منْ شعره في غلام اسمه إبراهيم: [من الطويل]

كَسَتْنِي وَلَمْ أشْعُرْ جُفُونُكَ سُقْمَهَا ... وَمِنْ قَبْلُ لَمْ أعْرِفْ وِصَالاً وَلاَ صَدًّا

وَأبْقَيْتَنِي فِي نَارِ شَوْقٍ كأنَّنِي ... سَمِيُّكَ لكِنْ لاَ سَلاَمًا وَلاَ بَرْدَا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

/ ١٧٧أ/ غُصَّ المصلَّى لاَ لِزُهْدٍ إنَّما ... صَنَمُ الصَّبَابَةِ عَظَّمَتْ أبْنَاؤُهَا

أيْنَ اسْتَقَلَّ اسْتَقْبَلَتْهُ أوْجُهٌ ... فَالظَّبْيُ شَمْسٌ وَالوَرَى حِرْبَاؤُهَا

عِبْتُمْ عَلَى التَّتَرِ السُّجُودَ إذَا بَدَتْ ... شَمْسُ الضُّحَى وَسَبَتْكُمُ نُظَرَاؤُهَا

وقال أيضًا: [من الكامل]

هَبْنِي صَبَوْتُ كَمَا تَرَوْنَ بِزَعْمِكُمْ ... وَظَفِرْتُ فِيهِ بِلَثْمِ خَدٍّ أزْهَرِ

إنِّي اعْتَزَلْتُ فَلاَ تَلُومُوا إنَّهُ ... أضْحَى يُقَابِلُنِي بِخَدٍّ أشْعَرِ

وقال في غلامين تحابّا أحدهما يعرف بابن صقر، والآخر بابن فهد:

[من الطويل]

ألَيْسَ عَجِيبًا جَارحَانِ تَصَايَدَا ... وَذَلِكَ شَيْءٌ لاَ يَكَادُ يُرَامُ

يُقَالُ ابنُ صَقْرٍ بِابْنِ فَهْدٍ مُتَيَّمٌ ... فَكَيْفَ عَلَى أنَّ الفُهُودَ تَنَامُ

وقال في الشيخ العلامة كمال الدين أبي المعالي موسى بن يونس الفقيه المدرس[3]، وهو يلقي الدرس بحضرة المتطيلسين ارتجالاً

---

(١) الخيْلان: مع خال.

(٢) غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي: ذو الرمّة، (٧٧ ـ ١١٧هـ)، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، له «ديوان شعر» ط في مجلد ضخم.

(٣) ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/ ٣١١ ـ ٣١٨. الحوادث الجامعة ١٤٩. ذيل الروضتين ١٧٢. طبقات السبكي ٥/ ١٥٨. البداية والنهاية ١٣/ ١٥٨. العبر للذهبي ٥/ ١٦٢. شذرات الذهب ٥/ ٢٠٦. =

بالموصل[١] : [من الطويل]

/ ١٧٧ب/ كمالُ كَمالُ الدِّيْن للعلْم والعُلاَ ... فهيْهاتَ سَاعٍ فِيْ مَسَاعِيْكَ يَطْمَعُ

إذَا اجْتَمَعَ النُّظَّارُ فِيْ كُلِّ مَوْطنٍ ... فَغَايَةُ كُلٍّ أنْ تَقُولَ وَيَسْمَعُ

فَلاَ تَحْسَبُوْهُمْ عَنْ عنَادٍ تَطَيْلَسُوا ... وَلكِنْ حَيَاءً وَاحْتِرَافاً تَقَنَّعُوا

وقال فيه أيضاً[٢] : [من الوافر]

تَجُرُّ المَوْصلُ الأذْيَالَ فَخْراً ... عَلَى كُلِّ المَنَازلِ وَالرُّسُوْمِ

فَدِجْلَةُ وَالكَمَالُ هُمَا شفَاءٌ ... لهِيمٍ أوْ لِذِيْ نَهَمٍ سَقِيْمِ[٣]

فَذَا بَحْرٌ تَدَفَّقَ وَهْوَ عَذْبٌ ... وَذَا بَحْرٌ وَلكِنْ مِنْ عُلُوْمِ

وقال : [من الطويل]

أأغْرَاكَ زُوْرٌ مِنْ مُجِدٍّ وَمَازِحٍ ... فَتَقْبَلَ قَوْلَ الكَاذبِ المُتَوَاقِحِ

هَوَاكَ حَشَا الأحْشَا وَأظْهَرَ غَيْرَةً ... فَقُلْ فِيْ إنَاءٍ لاَ بِمَا فِيْهِ رَاشحِ

وَعَيْشِكَ مَا أبْدَيْتَ حُبّاً وَإنَّمَا ... تَجِيْشُ بِبَحْرِ الشَّوْقِ فِيْكَ قَرَائِحِيْ

فَيَلْحَظُنِي الحُسَّادُ فِيْكَ كَأنَّهَا ... بُغَاثٌ أتَتْ تَخْشَى انْقِضَاضَ الجَوَارِحِ[٤]

وَيَفْحَصُ عَنْ وُدِّيْ وَإنِّي لَكَاتمٌ ... وَلكِنَّ طَرْفِيْ فِيْ الصَّبَابَةِ فَاضِحِيْ

فَقَلْبِيَ خَفَّاقٌ وَجِسْمِيَ نَاحلٌ ... وَعَيْنِيَ تَمْرِيْ بِالدُّمُوْعِ السَّوَافِحِ

وَلَوْلاَكَ لاسْتَعْصَيْتُ كِبْراً وَإنَّمَا ... يُذِلُّ الفَتَى إضْمَارُ شَوْقِ الجَوَانحِ

/ ١٧٨أ/ وَكُنْتُ أبِيَّ النَّفْسِ صَعْباً مَقَادَتِي ... فَرَاضَ جِمَاحَ القَلْبِ صَيْدُ الجَوَارِحِ

وَقَدْ صَانَ إحْسَانِيْ شعَارُ قَنَاعَةٍ ... وَقَدْ صُنْتُ إلاَّ عَنْكَ وَجْهَ مَدَائحِيْ

وَكُنْتُ لَعَمْرِيْ أمْلأُ القَلْبَ رَغْبَةً ... وَأسْحَبُ ذَيْلِيْ فَوْقَ قِمَّةِ رَامِحِ

فَمَا زَالَ بِيْ حُبِّيْكَ يُوْقِدُ جَمْرَةً ... عَلَى الوَجْدِ مِنْ نِيْرَانِ وَجْدٍ لَوَاقِحِ

فَأغْرَقُ طَوْراً فِيْ بُحُوْرِ مَدَامِعِيْ ... فَهَا أنَا أطْفُو بَيْنَ أنْفَاسِ كَاسحِ

= الفلاكة والمفلوكون ص٨٤.

(١) الأبيات في الوفيات ٥/ ٣١٦.

(٢) الأبيات في الوفيات ٥/ ٣١٦.

(٣) هيم : عطاش.

(٤) البغاث : رذال الطير.

فَـإِنْ كُنْـتَ تَهْـوَى أَنْ أَمُـوْتَ فَحَبَّـذَا　　وَإِنْ كُنْـتَ تَهْـوَى أَنْ أَعِيْـشَ فَصَـالِـحِ

[٥٣٦]

عمرُ بنُ الخضرِ بنِ اللّمشِ بنِ الدُزْمِش، أبو حفصٍ الدُّنَيْسريُّ التركيُّ(١).

كان يعتني بالطبّ وسماع الحديث، ويتفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وله شعر حسن فيْ الغزل.

أنشدني أبو القاسم التبريزي، قال: أنشدني عمر بن الخضر لنفسه: [من الكامل]

بَلَـغَ الغَـرَامُ بِـهِ إِلَـى غَـايَـاتِـهِ　　وَتَحَكَّمَـتْ أَحْكَـامُـهُ فِـيْ ذَاتِـهِ
صَـبٌّ أَصَـابَتْـهُ الصَّبَـابَـةُ فِـيْ الصِّبَـا　　قَهْـراً فَلَـمْ يَعْطِـفْ عَلَـى صَبَـوَاتِـهِ
كَلِفـاً بِمَـنْ هُـوَ فِـيْ المَـلاَحَـةِ وَاحِـدٌ　　مُتَفَـرِّدٌ وَالحُسْـنُ بَعْـضُ صِفَـاتِـهِ
/١٧٨ب/ فَـالبَـدْرُ مُفْتَقِـرٌ إِلَـى أَنْـوَارِهِ　　وَالغُصْـنُ مُضْطَـرٌ إِلَـى حَـرَكَـاتِـهِ
وَالسِّحْـرُ مِـنْ أَلْحَـاظِـهِ وَالـدُّرُّ مِـنْ　　أَلْفَـاظِـهِ وَالـوَرْدُ مِـنْ وَجَنَـاتِـهِ
يَهْـوَى المُحِـبُّ العَـذْلَ فِيْـهِ لاسْمِـهِ　　وَيَـرَى اسْمَـهُ فِـيْ العَـذْلِ مِـنْ لَـذَّاتِـهِ
مَـنْ رَامَ يَعْـرِفُـهُ فَـأَوَّلُ لَفْظِـهِ　　مَعْكُـوْسَـةُ التَّصْحِيْـفُ مِـنْ أَبْيَـاتِـهِ(٢)

وأنشدني أبو الحسين أحمد بن الحسن المارديني. قال: أنشدني عمر بن الخضر بن اللمش لنفسه: [من البسيط]

أَفْـدِيْ الَّـذِيْـنَ لَهُـمْ فِـيْ مُهْجَتِـيْ دَارُ　　فَهُـمْ بِهَـا الـدَّهْـرَ سُكَّـانٌ وَحُضَّـارُ
مُـذْ فَـارَقُـوْا لَـمْ أَزَلْ مُضْنَـى الفُـؤَادِ بِهِـمْ　　وَمَنْطِقِـيْ بِهِـمُ نَثْـرٌ وَأَشْعَـارُ
بِـيْ مِنْهُـمُ قَلَـقٌ وَالقَلْـبُ مُحْتَـرِقٌ　　وَالـدَّمْـعُ مُنْسَبِـقٌ فِـيْ الخَـدِّ مِـدْرَارُ

---

(١) توفي في سنة ٦١٥هـ.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٢٣٤. الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٥٨. الإعلان بالتوبيخ ص١٢٦. تاج العروس ١١/ ٣١٧. كشف الظنون ١/ ٦٩٠. هدية العارفين ١/ ٧٨٥. تأريخ الأدب العربي لبروكلمان ٦/ ٧٩. الأعلام ٥/ ٤٥. معجم المؤلفين ٧/ ٢٨٣. طبقات السبكي ٥/ ١٦٣. حكماء الإسلام للقفطي ١٨٩. مقدمة تحقيق كتاب تأريخ دنيسر ص٥ ـ ١٤.

(٢) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٢٣٤.

وَالجِسْمُ فِي سَقَمٍ يَحْكِي شَبَا قَلَمٍ ... وَالرُّوحُ فِي نِقَمٍ مِنْ حَيْثُ مَا سَارُوا
فَالعَيْنُ تَطْلُبُهُمْ وَالقَلْبُ يَرْقُبُهُمْ ... وَالبَيْنُ يَحْجُبُهُمْ وَالدَّهْرُ غَدَّارُ
سَارُوْا عَلَى عَجَلٍ وَالقَلْبُ فِي وَجَلٍ ... وَفِي سُوَيْدَائِهِمْ مِنْ مَائِهِ نَارُ
لَمْ أَنْسَ أُنْسِيْ بِهِمْ أَيَّامَ وَصْلِهِمُ ... وَهُمْ عَلَى الهَجْرِ أَعْوَانٌ وَأَنْصَارُ
وَنَحْنُ فِي صَفْوِ عَيْشٍ لَا يُكَدِّرُهُ ... مِنَ الرَّقِيْبِ مَقَالَاتٌ وَأَكْدَارُ
حَتَّى رَمَانِيْ النَّوَى مِنْهُمْ بِمَا عَجَزَتْ ... عَنْهُ القُوَى وَرَثَى لِيْ الأَهْلُ وَالجَارُ

/ ١٩٢/ وأنشدني، قال أنشدني لنفسه: [من الوافر]

تَوَلَّتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا بِقَوْمٍ ... لِسُوْءِ الحَظِّ جَاءَ بِهِمْ قِرَانُ
إِذَا مَا رُمْتَ عِلْمًا نِلْتَ جَهْدًا ... لَدَيْهِمْ حَيْثُ يُعْتَبَرُ العِيَانُ
وَإِنْ حَاوَلْتَ مِنْهُمْ صِدْقَ قَوْمٍ ... فَكُلُّهُمُ إِذَا حَاوَلْتَ خَانُوا
كَلَامُهُمُ كَلَامٌ فِي فُؤَادِيْ ... فَلَيْتَهُمُ مِنَ الأَقْطَارِ بَانُوا

ولد هذا عمر سنة سبعين وخمسمائة، وتوفي سنة عشرين وستمائة بماردين. وكان إليه عمالة وقف الجامع بماردين. وكان طبيبًا فيلسوفًا منجمًا، وروى الحديث ورحل فيْ طلب الحديث، وسمع شيئًا كثيراً. وصنف لدنيسر كتابًا سمّاه: «حلية السريين فيْ خواص الدنيسريين»[1]. وصنف كتابًا آخر سماه: «رموز الكنوز فيْ علم النشأة» وسماه علم الحق. وصنّف كتابًا فيْ الحديث سمّاه: «الثمانيات» روى كثيراً منْ كتب القراءات. وكان شافعي المذهب.

[٥٣٧]

/ ٩٢ب/ عُمرُ بنُ مُحمَّد بن عُمرَ بنِ محمدِ بنِ أبي نصرٍ، أبو حفصٍ الفرغانيُّ[2].

هو منْ مدينة يقال لها «أَنْدُكان» منْ بلاد فَرْغَانه[3].

(١) عني بتحقيقه الأستاذ إبراهيم صالح، وطبع في دمشق مرتين، وتحت عنوان «تأريخ دنيسر».
(٢) ترجمته في: الجواهر المضية للقرشي ١/ ٣٩٦.
(٣) انظر: معجم البلدان/ مادة (أندكان)، (فرغانة).

كان شيخًا فقيهًا حنفيًا صوفيًا، يعرف الأصول والخلاف، ويفهم النّحو والعربية.

رحل إلى مدينة السلام فولّاه أمير المؤمنين المستنصر بالله تدريس المدرسة الجديدة التي أنشأها على دجلة، وجعلها على الأربعة المذاهب. يدرّس فيها فقه الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وذلك فيْ رجب سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ولم يزل يدرّس بها إلى أنْ مات يوم السبت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن بجانب الشرقي فيْ مقابر أبي حنيفة؛ وهو أول منْ درّس فيها الفقه على المذهب الحنفي.

وروى شيئًا منْ الحديث على الحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الحافظ، وغيره. وكان يقول شعراً متوسطًا ينظمه فيْ أغراض يتفق وقعها، أو أسباب مختلفة، وأجوبة كتب / ٩٣أ/ كانت ترد عليه منْ أصدقائه وأخوانه الذين يكاتبونه؛ ولم يكن منْ المسترفدين بالشعر، ولا صنعه لأجل جائزة أبداً. وكان يتجول فيْ الأقطار، ويخترق البلدان ويكثر الإقامة فيْ المدن. أذهب جدَّة عمره فيْ السفر. وكان كُل مدينة ينزل بها يقبل عليه أماثلها وصدورها وأعيانها ويقربونه ويستفيدون منه ويكرمونه؛ فلذلك لا نجد فيْ شعره إلاّ مكاتبة كتاب ورد عليه منْ صديق أو. . . . به فيْ سماع كان يحضره مع هؤلاء، فيقول على ذلك. . . . أو ما يقارن تلك الأجناس ويناسبها.

وله ديوان يدخل فيْ جلد استفرغه فيْ المعاني التي سبق ذكرها آنفًا. وكان متفننًا فيْ كل فضل، فقيهًا حنفيًا نحويًا فاضلاً أصوليًا.

أنشدني أبو الثناء محمود بن فضل اللّه بن أحمد بن أسعد الهمذاني الصوفي، قال: أنشدني أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني لنفسه: [من الرجز]

يَا صَاحِبِيْ إلَىَ مَ أَنْتَ صَاحِيْ ... مِنْ سُكْرِ هَوًى وَسُكْرِ رَاحِ

لا تخل مِنَ الصَّبُوحِ يَوْمًا ... مِنْ خَمْرِ مَرَاشِفِ الصِّبَاحِ

/ ٩٣ب/ العِشْقُ طَرِيْقُهُ التَّرَقِّيْ ... وَالسُّكْرُ حَقِيْقَةُ الفَلاَحِ

لا تَعْتَقِدَنَّ ذَا فَسَاداً   هَذَا هُوَ غَايَةُ الصَّلاحِ[(١)]

وأنشدني جعفر بن محمد الخسرسابوري، قال: أنشدني عمر بن محمد الفرغاني لنفسه: [من الرمل]

(أتُرَى يَثْنِيهِ عَنْ قَسْوَتِهِ   خَدُّهُ الذَّائِبُ مِنْ رِقَّتِهِ)[(٢)]

وَيُرَوِّي غُلَّةً مِنْ عَاشِقٍ   بِالزُّلالِ العَذْبِ مِنْ رِيقَتِهِ

وَيُدَاوِي غُلَّةً مِنْ وَامِقٍ   مِنْ أُسَارَاهُ وَفِي رِبْقَتِهِ

(قَمَرٌ لا فَخْرَ لِلْبَدْرِ سِوَى   أنَّهُ صِيغَ عَلَى صُورَتِهِ)[(٣)]

يَا لَطِيفًا حَيَّرَتْ أَلْطَافُهُ   قَلْبِيَ المَجْبُورَ فِي غُرْبَتِهِ

أَعْطِ مَنْ أَهْوَاهُ مَا أَهْوَى لَهُ   مِنْ دَوَامِ العُمْرِ فِي دَوْلَتِهِ

وَأَنِلْ مَنْ أَشْتَكِي قَسْوَتَهُ   رِقَّةً تَثْنِيهِ عَنْ قَسْوَتِهِ

وأنشدني القاضي الإمام ابو القاسم عمر بن أبي الحسن الحلبي ـ أيده الله تعالى ـ قال: أنشدني أبو حفص الفرغاني لنفسه يتشوق بعض الأخوان: [من الكامل]

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي مُشْتَاقُ   شَوْقًا تَضِيقُ لَهُ بِيَ الآفَاقُ

/ ١٩٤أ/ لَوْ رُمْتُ أَشْرَحُ بَعْضَهُ بِصَحَائِفِي   لاَسْتُنْفِدَ الأَقْلامُ وَالأَوْرَاقُ

أَرْجُو وَأَحْيَا بِالرَّجَاءِ تَلافِيًا   مَا تَنْطَفِي إلاّ بِهِ الأَشْوَاقُ

لازِلْتُمُ لِلْمَكْرُمَاتِ شُمُوسَهَا   حَتَّى يَدُومَ بِكُمْ لَهَا الإشْرَاقُ

وَعَلَيْكُمُ مِنِّي تَحَايَا عَاشِقٍ   مَا يَقْتَدِي إلاَّ بِهِ العُشَّاقُ

وله وقد دخل عليه محمد بن الرفاعي، فصبّحه، وكان مساءاً غلطًا، فقال ارتجالاً: [من الطويل]

أَتَانِيَ مَسَاءٌ نُورُ عَيْنِي وَنُزْهَتِي   فَفَرَّجَ عَنِّي كُرْبَتِي وَأَزَاحَا

فَصَبَّحْتُهُ عِنْدَ المَسَاءِ لأنَّهُ   بِطَلْعَتِهِ رَدَّ المَسَاءَ صَبَاحَا

وقال أيضًا: [من الكامل]

---

(١) الصحيح: ذا فساد.

(٢) البيت لابن منير الطّرابلسي، انظر: ديوانه ٨٦.

(٣) البيت لابن منير أيضًا، انظر: ديوانه ٨٦.

عَـادَ الحَبِيْـبُ كَمَـا بَـدَا مُتَعَطِّفَـا وَأَنَـارَ نُـوْرُ جَمَالِـهِ ظُلَـمَ الجَفَـا
وَأَعَـادَ رَوْحُ وِصَالِـهِ رُوْحِـي إِلَـى جِسْـمٍ أَضَـرَّ بِـهِ الفِـرَاقُ وَأَتْلَفَـا
جَـارَتْ عَلَـيَّ الحَـادِثَـاتُ لِجَـوْرِهِ فِـي ظُلْمِهِـنَّ وَأَنْصَفَـتْ إِذْ أَنْصَفَـا
فَلَـهُ المَحَـامِـدُ مَـا تَـرَنَّـمَ طَـائِـرٌ وَشَكَـا الجَفَـاءَ مُتَيَّـمٌ أَلِـفَ الـوَفَـا

وقال أيضًا بديهة فيْ صديق له على سبيل البسط والتأنيس وقد دخل / ٩٤ب/ عليه، ويلقب بالنجم. وكانوا فيْ بستان صفي الدين بن الموفق: [من الطويل]

رَجَمْنَـا أَكَـاذِيْـبَ الظُّنُـون بِصَـادِق مِنَ العِلْمِ صَافٍ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ الرَّجْمُ
وَصِـرْنَـا هُـدَاةً مُهْتَـدِيْـنَ إِلَـى الهُـدَى وَكُنَّـا حَيَـارَى بَعْـدَمَـا طَلَـعَ النَّجْـمُ
وَأَصْفَـى صَفِـيُّ الـدِّيْـنِ مِنَّـا قَـرائحـًا .... عَلَـى وُرَّادِهَـا النَّثْـرُ وَالنَّظْـمُ
وَأَضْفَـى عَلَيْنَـا أَنْعُمـا جَـلَّ قَـدْرُهَـا عِظَـامـًا تَـوَلَّـى شُكْـرَهَـا اللَّحْـمُ وَالعَظْـمُ

وقال أيضًا فيه: [من السريع]

فَضَلَلْـتُ هَـدْيَ العِلْـمِ بَعْـدَ الهُـدَى مُـذْ غَـابَ عَـنْ نَـاظِـرِيَ النَّجْـمُ
وَهَكَـذَا السَّـارِيْ بِظِـلِّ الهُـدَى إِنْ غَـابَ عَـنْ نَـاظِـرِهِ النَّجْـمُ

وقال يرثي الزعيم المغنّي: [من الكامل]

مَـاتَ الـزَّعِيْـمُ وَمَـاتَ بَعْـدَ مَمَـاتِـهِ وَجْـدٌ وَجَـدْتُ حَيَـاتَـهُ بِحَيَـاتِـهِ
شَـادٍ لَطِيْـفُ النَّعْـتِ فِـيْ سَكَنَـاتِـهِ حَـادٍ خَفِيْـفُ الـرُّوْحِ فِـيْ حَرَكَـاتِـهِ
ذُوْ نَغْمَـةٍ تُحْيِـيْ النُّفُـوْسَ كَـأَنَّمَـا أَنْفَـاسُ عِيْسَـى أَوْدَعَـتْ نَغَمَـاتِـهِ
اللُّطْـفُ كُـلُّ اللُّطْـفِ بَعْـضُ نُعُـوْتِـهِ وَالظَّـرْفُ كُـلُّ الظَّـرْفِ بَعْـضُ صِفَـاتِـهِ
بَلَـغَ النِّهَـايَـةَ فِـيْ الغِنَـاءِ وَكَـانَ أَعْظَـمَ آيَـةٍ لِلَّـهِ مِـنْ آيَـاتِـهِ
/ ١٩٥/ مُـذْ أَخْلَـقَ الأَيَّـامُ جِـدَّتَـهُ غَـدَا يُـذْرِيْ عَلَيْهَـا بَـاكِيـًا عَبَـرَاتِـهِ
مَـازَالَ يَبْكِـيْ حَسْـرَةً لِشَبَـابِـهِ حَتَّـى أَتَـاهُ المَـوْتُ مِـنْ حَسَـرَاتِـهِ
كَـمْ عَـاشَ أَخْـوَفَ خَـائِـفٍ مِـنْ مَـوْتِـهِ مَـنْ مَـاتَ آمَـنَ آمِـنٍ لِـوَفَـاتِـهِ
فَسَقَـى الإِلَـهُ ثَـرَاهُ سُقْيَـا رَحْمَـةٍ وَأَحَلَّـهُ الفِـرْدَوْسَ مِـنْ جَنَّـاتِـهِ

وقال منْ صدر مكاتبة: [من الكامل]

يَـا مُعْـرِقِيْـنَ تَحَمَّلُـوا حُيِّيْتُـمُ عَنِّـيْ تَحِيَّـةَ مُشْئِـمٍ مُشْتَـاقِ

أَلِفَ السُّهَادُ جُفُوْنَهُ إِلْفَ الكَرَى جَفْنُ المُتَيَّمِ أَعْيُنَ العُشَّاقِ

وقال وقد خرج يومًا إلى ضواحي الجزيرة العُمرية، فمرّ بواد يعرف بسقلان، وهو واد ذو أبنية وأشجار وانهار، فتذكر من كان فيه منْ القدماء، وأنشد بديهًا:

[من الهزج]

سَبَى قَلْبِيْ سَقلاَّنُ فَمَا لِيْ عَنْهُ سُلْوَانُ

مكَانٌ فِيْهِ أَهْنَى العَيْشِ لَوْ سَاعَفَ إِمْكَانُ

وَوَاد فِيْهِ أَشْجَارٌ وَأَنْهَارٌ وَغُدْرَانُ

/ ٩٥ب/ وَأَزْهَارٌ وَأَنْوَارٌ وَأَطْيَارٌ وَأَلْحَانُ

وَمَنْثُوْرٌ وَنسْرِيْنٌ وَحَوْذَانٌ وَرَيْحَانُ

وَمَسْلاَةٌ عَنِ الأَوْطَانِ لَوْ شَاقَتْكَ أَوْطَانُ

وَمَلْهَاةٌ عَنِ الأَشْجَانِ إِنْ أَلْهَتْكَ أَشْجَانُ

وَأَصْحَابٌ وَأَحْبَابٌ وإِخْوَانٌ وَخُلاَّنُ

وَلَكِنْ أَيْنَ أَقْوَامٌ بِهِ مِنْ قَبْلَنَا كَانُوا

تُذَكِّرُنَاهُمُ فِيْهِ عَمَارَاتٌ وَبُنْيَانُ

فَكَمْ ضَاعَتْ لَهُمْ فِيْهِنَّ أَوْقَاتٌ وَأَزْمَانُ

وَآمَالٌ وَأَمْوَالٌ وَأَعْمَالٌ وَأَعْيَانُ

فَأَحْيَاهُمْ وَحَيَّاهُمْ مُلِثُّ القَطْرِ هَتَّانُ

وَعَمَّهُمُ مِنَ الرَّحْمَانِ غُفْرَانٌ وَرِضْوَانُ

وقال فيه أيضًا: [من الهزج]

سَقَى وَادِيْ سَقلاَّنَ حَيًا يَهْمِيْ كَأَجْفَانِي

عَلَى نَاءٍ عَنِ العَيْنِ وَمِنْ قَلْبِيْ الشَّجَا دَانِيْ

عَلَى مَنْ هَجْرُهُ بَاقٍ وَلَكِنْ وَصْلُهُ فَانِيْ

/ ٩٦أ/ أَتَانِيْ طَيْفُهُ وَهْنًا فَأَحْيَانِيْ وَحَيَّانِيْ

وقال في الغزل: [من السريع]

يَا مُخْلِفًا بِالوَصْلِ مِيْعَادِيْ وَمُنْجِزاً بِالهَجْرِ إِيْعَادِيْ

أسقيت بالمُبْعد يا مُسْعديْ بالقُرْب إنْ آثَرْتَ إسْعَاديْ
خَوفي منَ الحُسَّاد أنْ يَشْمَتُوا لا تُشْمتَنْ بَاللّه حُسَّاديْ
أصْبَحْتُ منْ مَرْضَاكَ أرْضَى بأن تُصْبح يَوْماً بَعْض عُوَّاديْ
فَدَيْتُ مَنْ أُصْبح في أسْره ولَيْسَ لي منْ أسْره فَاديْ
وُدّيَ أنْ أحْظَى بتَقْريْبه ووُدُّه طَرْديْ وإبْعَاديْ

وحضر في سماع، فأنشد المغني: [من السريع]

نَديْمَتي جَاريَتيْ سَاقيَهْ ونُزْهَتي سَاقيَةٌ جَاريَهْ

فسئل إجازته، فقال مرتجلاً: [من السريع]

فيْ رَوْضَة أبْهَجُ أقْطَارهَا أزْهَارُهَا الزَّاهرَةُ الزَّاهيَهْ
وجَنَّةٌ زَيَّنَ أشْجَارهَا ثمَارهَا اليَانعَةُ الدَّانيَهْ
شَائدَةَ أرْكَان عَيْشيْ بهَا ألْحَانُ أطْيَار بهَا شَاديَهْ
رَاضيَةٌ شَاكرَةٌ رَبَّهَا سَاكنُهَا فيْ عيْشَة رَاضيَهْ
/٩٦ب/ مَاضيَةٌ أحْكَامُ أهْوائهَا بالسَّعْي فيْ أيَّامهَا المَاضيَهْ
قَاضيَةٌ أنْ لَيْسَ يَقْضيْ عَلَى مَنْ حَلَّ فيْهَا أبَداً قَاضيَهْ

وأنشده الأمير شمس الدين تابكين ـ حين ودّعه بالبصرة ـ البيتين الأخرين، فقال مجيزاً لهما: [من الوافر]

بنَفْسيْ مَنْ. . . . سيأتي في ملكه. . . . عناني
وبشرني بشاشته ضحًى وَبلّغني بَلاغَتُهُ الأمَانيْ
فَريْدٌ فيْ الفَصَاحَة وَالبَيَان وَحيْدُ مَالَهُ فيْ النَّاس ثَانيْ
يُبَدِّدُ جُوْدُهُ بَدرَ العَطَايَا ويَنْظمُ لَفْظُهُ دُرَّ المَعَانيْ
توحده بأنْوَاع المَعَانيْ عنان . . . .
وَبدّل بالسُّرُوْر مُقيْمَ غَمّيْ وَخوفي منْ زَمَانيْ بالأمَانيْ
فَشُكْرُ عطَائه . . . . ونَشْرُ ثَنَائه قدْ صَارَ شَانيْ
وكُنْتُ أعظّمُ الأخْبَارَ عَنْهُ فَصَغَّرَ مَا سَمعْتُ به عيَانيْ
. . . . عَنْهُ وقَلْبي أسيْرُ هَوَاه فيْ مَعْنَاهُ عَانيْ

وَوَدَّعَنِي وَأَوْدَعَنِي غَرَامًا يُقَصِّرُ عَنْ حِكَايَتِهِ لِسَانِي
وَأَنْشَدَنِي وَقَدْ أَزِفَ التَّنَائِي وَحَارَ بِغَرْبِهَا شَمْسُ التَّدَانِي
/ ١٩٧أ/ أُوَدِّعُكُمْ وَأُودِعُكُمْ جَنَانِي وَأَنْثُرُ أَدْمُعِي نَثْرَ الجُمَانِ
وَإِنِّي لاَ أُطِيقُ لَكُمْ فِرَاقًا وَلَكِنْ هَكَذَا حُكْمُ الزَّمَانِ

وقال، وكتب بها إلى الملك العظيم مظفر الدين ـ صاحب إربل ـ مصدر شفاعة لبعض الأخوان: [من الخفيف]

يَسْأَلُ اللَّهَ خَاضِعًا فِي سُؤَالِهْ مُخْلِصًا فِي دُعَائِهِ وَابْتِهَالِهْ
رَافِعًا كَفَّ ذِلَّةٍ وَخُضُوعٍ وَانْكِسَارٍ إِلَى جَنَابِ جَلاَلِهْ
أَنْ يُلَقِّي مُظَفَّرَ الدِّينِ فِي الدِّينِ وَدُنْيَاهُ مُنْتَهَى آمَالِهْ
المَلِيكُ الَّذِي المُلُوكُ جَمِيعًا مِنْ مَمَالِيكِهِ وَبَعْضِ عِيَالِهْ
وَيُوَقِّيهِ مَا يَخَافُ وَيَخْشَى مِنْ أَذَاهُ فِي حَالِهِ وَمَآلِهْ
وَيُجَازِيهِ عَنْ جَمِيعِ مَسَاعِيهِ لِمَرْضَاتِهِ جَزِيلَ نَوَالِهْ
وَيُرَقِّيهِ مِنْ مَنَازِلِ زُلْفَاهُ ذُرَاهَا مَعَ النَّبِيِّ وَآلِهْ

وقال وهو صدر كتاب، كتبه شفاعة فِي حق بعض أصدقائه :ـ[من الرمل]

/ ٩٧ب/ . . . . . أَيَّامًا مَضَتْ وَلأَحْكَامِ المُنَى فِيمَا مضى
وَلَيَالِيهَا الَّتِي . . . . . مِنْ تَكَالِيفِ الحَيَاةِ الغَرَضَا
فِي اجْتِمَاعٍ لِسَمَاعٍ نَشْرُهُ يَنْشُرُ المَوْتَى وَيَشْفِي المَرَضَا
مَا وَجَدْنَا مُذْ فَقَدْنَا . . . . عَنْ لَذِيذِ العَيْشِ فِيهِ عِوَضًا
وَسَقَى دَاراً سَقَانَا أَهْلُهَا مِنْ مَرَاضِي اللَّهِ كَاسَاتِ الرِّضَا
وَأَرَانَا بَعْدَ يَوْمٍ أَسْوَدٍ بِالنَّوَى لِلْقُرْبِ يَوْمًا أَبْيَضَا
وَحُسَامًا لِلْمُنَى أَغْمَدَهُ البَيْنُ بِالوَصْلِ المُهَنَّا المُنْتَضَى

وقال فِي العيد: [من السريع]

قَدْ ذَهَبَ الغَمُّ وَجَاءَ السُّرُورْ وَأَقْبَلَ الكَأْسُ عَلَيْنَا يَدُورْ
كَأْسًا كَسَتْ . . . . . مِنْ بَعْدِ ثَوْبِ الغَمِّ ثَوْبَ السُّرُورْ
إِذَا جَلَوْهَا فِي ظَلاَمِ الدُّجَى كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ ضِيَاءً وَنُورْ

يَنْشُرُهُمْ مَوْتَى شَذَا نَشْرِهَا ... كَأَنَّ يَومَ النَّشْرِ يَوْمُ النُّشُورْ
وَدَّعَنَا الصَّوْمُ وَدَاعَ الرِّضَا ... وَعَادَ بِالأَفْرَاحِ عِيدُ الفُطُورْ
فَانْتَهِزُوا فُرْصَةَ إِمْكَانِكُمْ ... وَبَادِرُوا فِيهَا انْقِلاَبَ الأُمُورْ
وَاغْتَنِمُوا غُرَّةَ دُنْيَاكُمُ ... فَإِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعُ الغُرُورْ

/ ١٩٨أ/ وقال يتشوق بعض أخوانه: [من الكامل]

طَالَ الفِرَاقُ وَطَالَتِ الأَشْوَاقُ ... وَامْتَدَّ نَحْوَ لِقَائِكَ الأَعْنَاقُ
يَا نُورَ أَحْدَاقِ الوَرَى لاَ فَارَقَتْ ... أَنْوَارَهَا بِفِرَاقِكَ الأَحْدَاقُ
يَا شَمْسَ آفَاقِ العُلاَ لاَ أَظْلَمَتْ ... يَوْمًا بِغَيْبَةِ شَمْسِهَا الآفَاقُ
لاَزِلْتَ مَشْرِقَ شَمْسِ رَأْيٍ مُشْرِقٍ ... الشَّمْسُ مِنْ إِشْرَاقِهِ إِشْرَاقُ
وَنَفَيْتَ بِالبَأْسِ المَخُوفِ وَبِالنَّدَى ... فِي كَفِّكَ الآجَالُ وَالأَرْزَاقُ
مَا سَرَّ مِنْ بَعْدِ الفِرَاقِ تَوَاصُلٌ ... أَوْ سَاءَ مِنْ بَعْدِ الوِصَالِ فِرَاقُ

وقال في الربيع وارتياحه بأزهاره: [من الكامل]

قَدِمَ الرَّبِيعُ قُدُومَ مَنْ تَهْوَاهُ ... حَيَّاهُ مُحْيِي قَطْرِهِ حَيَّاهُ
وَجَلاَ عَلَى أَسْرَارِنَا أَنْوَارَهُ ... إِذْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ مَنْ تَهْوَاهُ
وَافْتَرَّ مَبْسِمُ كُلِّ نَوْرٍ ضَاحِكًا ... فَرِحًا بِعَابِسِ مَنْ بِهِ وَبُكَاهُ
وَأَعَادَ مَيْتَ التُّرْبِ حَيًّا نَاطِقًا ... سُبْحَانَ مُنْطِقِهِ وَمَنْ أَحْيَاهُ

وكتب صدر كتاب إلى أهله، وهم بالعراق: [من الكامل]

/ ٩٨ب/ أَحْبَابَنَا لاَ تَحْسَبُونَا بَعْدَكُمْ ... .
فَلَقَدْ حَلَلْتُمْ بِالسَّرَائِرِ مَنْزِلاً ... مَا حَلَّ فِيهِ وَلَنْ يَحِلَّ سِوَاكُمُ
أَبِكُمْ مِنَ الشَّوْقِ المُبَرِّحِ مَا بِكُمْ ... حَاشَاكُمُ مِمَّا بِنَا حَاشَاكُمُ
وَتُرَى يَجُودُ زَمَانُنَا بِوِصَالِكُمْ ... فَتَرَوْنَنَا بِعُيُونِكُمْ وَنَرَاكُمُ
لاَبُدَّ أَنْ نَرْعَى رِيَاضًا أَمْرَعَتْ ... بَعْدَ التَّنَائِي فِي حَرِيمِ حِمَاكُمُ

وقال وقد غنى المغنى أبياتًا في المعنى، فسئل إجازتها: ـ [من الرمل]

أَيُّ سِرٍّ لِي مَا أُظْهِرُهُ ... شَادِنٌ سَفَكَ دَمِي أَضْمَرَهُ
وَسَبَى قَلْبِي وَلَمْ أَدْرِ بِهِ ... طَرْفُهُ السَّاحِرُ مَا أَسْحَرَهُ

طَــلَّ خَــدَاهُ دَمِــي وَاعْتَــرَفَــا ... مَــا يَخَــافُ اللَّــهَ مَــنْ أنْكَــرَهُ
مُسْتَحِـــلٌّ دَمَ مَـــنْ يَعْشَقَـــهُ ... مُـــؤْمِنـــاً بِـــاللَّـــهِ مَـــا أكْفَـــرَهُ
كُـــلُّ سَكْـــرَانَ يُـــرَجَّـــى صَحْـــوُهُ ... غَيْـــرَ صَـــبٍّ حُبُّـــهُ أسْكَـــرَهُ
كَيْـــفَ أنْسَـــاكَ حَبِيبـــاً قَـــدْرُهُ ... جَـــلَّ أنْ أنْسَـــاهُ أوْ أذْكُـــرُهُ

وقال فِيْ غرض له : [من الكامل]

هَــلْ عَــائِــدٌ زَمَــنُ الــوِصَــالِ المَــاضِــيْ ... حَتَّــى أنَــالَ بعَــوْده أغْــرَاضِــيْ؟
/ ٩٩أ/ وَتَقَــرُّ عَيْنِــي بِــالأَحِبَّــةِ نَظْــرَةً ... فَــرَحِــي بهَــا يَشْفِــيْ بِــهِ أمْــرَاضِــي
وَيُعِيْــدُ سُعْــدَى مُقْبِــلاً إقْبَــالُهُــمْ ... مِــنْ بَعْــدِ طُــوْلِ الهَجْــرِ وَالإعْــرَاض
وَيَعُــوْدُ قَلْــبٌ شَــاحِــطٌ بِبِعَــادِهِــمْ ... وَوِدَاعِهِــمْ بِــالقُــرْبِ مِنْهُــمْ رَاضِــيْ
لأُبُــدَّ أنْ يَقْضِــيْ وَإنْ طَــالَ المَــدَى ... بِتَــوَاصُــلٍ بَعْــدَ التَّفَــرُّقِ قَــاضِــيْ
وَأرَى رُكُــوبِــيْ مَــعْ مَــرِيْــعِ جَنَــابِهِــمْ ... يَــرْعَــوْنَ هَــوناً مُمْــرِعَــاتِ رِيَــاض

وقال وقد ورد عليه كتاب مِنْ أصدقائه مِنْ إربل إلى الجزيرة العمرية :

[من البسيط]

وَافَـــى كِتَـــابُ أخٍ وَافٍ تَـــذَكُّـــرُهُ ... بَـــاقٍ عَلَـــى العَهْـــدِ مَـــأمُـــوْنٌ تَغَيُّـــرُهُ
صَـــافِيْ الـــوُدَادِ عَلَـــى طُـــوْلِ البِعَـــادِ بِـــلاَ ... غِـــشٍ.... أوْ غِـــلٍّ يُكَـــدِّرُهُ
مُصَـــدَّقٌ فِعْلُـــهُ المَشْكُـــوْرُ فَـــاعِلُـــهُ ... قَـــوْلاً يقُـــول لِـــذِيْ سَمْـــعٍ وَيُخْبِـــرُهُ
وَافَـــى فَقَـــرَّتْ بِـــهِ عَيْنِـــيْ وَسُـــرَّ بِـــهِ ... قَلْبِـــيْ وَأصْبَحْـــتُ أطْـــوِيْـــهِ وَأنْشُـــرُهُ

وقال غزلاً على ما اقترح عليه بعض الأخوان : [من الرمل]

لِـــيْ حَبِيْـــبٌ قَـــدْ سَـــلاَ فِـــيْ حُبِّـــهِ ... قَلْبِـــيَ المُغْـــرَى بِـــهِ كُـــلُّ حَبِيْـــب
لَـــمْ يَغِـــبْ عَنِّـــيَ مُـــذْ شَـــاهَـــدْتُـــهُ ... ذِكْـــرُهُ فِـــيْ مَشْهَـــدٍ أوْ فِـــيْ مَغِيْـــبِ
/ ٩٩ب/ خَـــدَّ خَـــدِّيْ بِـــدَمٍ فَجَّـــرَهُ ... عِشْـــقُ خَـــدٍّ بِـــدَمِ الصَّـــبِّ خَضِيْـــبِ
يَتَبَـــدَّى ضَـــاحِكـــاً يُضْحِكُنِـــيْ ... ثُـــمَّ يخفِـــي شَـــقَّ جُيُـــوبِـــي
وَشَقَـــائِـــي وَعَنَـــائِـــيْ وَبَـــلاَئِـــيْ ... وَبُكَـــائِـــيْ [وَعَـــوِيْلِـــيْ] وَنَحِيْبِـــي
وَعَـــذَابِـــي وَمُصَـــابِـــيْ وَاضْطِـــرَابِـــيْ ... وَاكْتِئَـــابِـــيْ وَانْتِحَـــابِـــيْ وَلَهِيْبِـــي
وَلِهَـــتْ رُوْحِـــيْ بِـــرُوْحِـــيْ وَلَهَـــا ... فِيْـــهِ فضُـــوحِـــي وَلِهَيْبِـــيْ وَلَهِـــيْ بِـــي

وَبِهِ يَزْدَادُ دَائِي وَلِدَائِي هُوَ إِنْ شَاءَ شِفَائِي وَطَبِيبِي
صَيَّرَ الصَّبَّ مُصَابًا مَنْ رَمَاهُ بِسَهْمٍ [مِنْ] مَعَانِيهِ مُصِيب
يَا غَرِيبًا لِي إِلَيْهِ دَائِمًا شَوْقُ نَاءٍ نَازِحِ الدَّارِ غَرِيب
جَعَلَتْنَا نَسَبًا غُرْبَتُنَا فَغَرِيبٌ لِغَرِيبٍ كَنَسِيب
وَعَجِيبًا شَأْنُهُ أَوْقَعَنِي حُسْنُهُ المُعْجِبُ فِي شَأْنٍ عَجِيب
وَقَرِيبًا مِنْ بَعِيدٍ عَنْهُ نَأْيُ نَالَهُ كُلُّ بَعِيدٍ وَقَرِيب
وَجَلاءً لِعُيُونٍ رَمِدَتْ مُذْ جَفَاهَا وَشِفَاءً لِقُلُوب
بَدَّلَ العِشْقُ شَبَابِي بِمَشِيبٍ. . . . شَبَابِي لِمَشِيب
لاَ تُؤَاخِذْنِي بِذَنْبٍ قَدْ مَضَى أَنْتَ يَا مَوْلاَيَ غَفَّارُ الذُّنُوب

[٥٣٨]

عمرُ بنُ بدر بنِ سعيد / ١٠٠أ/ بنِ مُحمّدِ بنِ بنكير، أبو حفصٍ الكرديُّ الحَنفيُّ الموصَليُّ(١).

قال القاضي الإمام أبو القاسم: قدم علينا حلب، وسافر إلى البيت المقدَّس، فولاّه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل رواية الحديث بمدرسته التي أنشأها بالبيت المقدّس، وولاه مملوكه عز الدين إيبك مدرسته التي أنشأها لأصحاب أبي حنيفة. وبقي مدرسًا بها؛ واجتمعت به فيها بالبيت المقدس فِيْ سنة [٦٢١](٢).

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٤٠ رقم ٣١١. تأريخ إربل ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ رقم ١٣٦. تاج التراجم لابن قطلوبغا ص٤٦. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ رقم ١٦٤. الطبقات السنية ٢/ورقة ٩٢٥ ـ ٩٢٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص١٢٦ رقم ١٢٥. علماء بغداد للفاسي ص١٥٨. الجواهر المضية للقرشي ١/ ٣٨٧. التكملة لابن الصابوني ص٩٦. العبر ٥/ ٩١. شذرات الذهب ٥/ ١٠١. معجم المؤلفين ٧/ ٢٧٨. التكملة للمنذري ٣/ ١٦٢ رقم ٢٠٧٢. الأعلام ٥/ ١٩٩. كشف الظنون ٨٠، ١٧٣، ١١٥٨. هدية العارفين ١/ ٧٥٨. تاريخ الأدب العربي ١/ ٤٤٠ وملحقه ١/ ٦١٠. الرسالة المستطرفة ١١٤.
وذكرت له مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٥/ ج١/ ٥٠ لشهر كانون الثاني ١٩٢٥ مصنفًا بعنوان: «المغني عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح فيه شيء من الأحاديث»، حققه محمد الخضر التونسي وطبعه في السلفية سنة ١٩٢٤، وقد سمته المجلة بإمام المسجد الأقصى، وجعلت وفاته في سنة ٦٢٣ بدلاً من سنة ٦٢٢هـ.

(٢) موضع النقاط بياض في الأصل وما أثبتناه من تحقيق د. الصقار لتأريخ إربل ٢/ ٤٠٤.

ثم رحل إلى البيت المقدّس، حين خرج الفرنج إلى دمياط، قبل أن يخرب بمدّة، وسار إلى الموصل وأقام إلى سنة إحدى وعشرين وستمائة. ثم قدم علينا حلب فِيْ هذه السنة؛ وسمعنا عليه أجزاءً مِنْ أمالي ابن ملّة الحافظ.

سألته عن مولده، فقال، فِيْ جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل. سمع ببغداد أبا الفرج بن كليب، وابن الصابوني وابن الجوزيّ. ثم سكن دمشق، وتوفي بها فِيْ سنة اثنتين وعشرين وستمائة ليلة السبت فِيْ التاسع والعشرين مِنْ رمضان. أخبرني بذلك أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادي. هذا كلام أَبي القاسم.

ورأيت له كتابًا فِيْ الحديث جارى فيه. / ١٠٠ب/ أبا عبد الله الحميدي فِيْ كتابه: «الجمع بين الصحيحين»[1]، وله كتاب سمّاه: «العلم فِيْ أطراف البخاري ومسلم» وكتاب «العقيدة الصحيحة فِيْ الموضوعات الصريحة».

أنشدني أبو الفضل العباس بن بزوان الموصلي، قال: أنشدني أبو حفص لنفسه، وقد طلب منه الإجازة: [من الوافر]

أَجَـزْتُ لُمـدْركـيْ عَصْـرِيْ لِيَـروُوا ... سَمَـاعِـي وَالمُنَـاوَلَ وَالمُحَـازَهْ
وَتَصْنِيْفِـيْ وَمَـا أرْوِيْـهِ طُـرّاً ... عَلَـى الشَّـرْط المُـرَاعَـى فِـيْ الإِجَـازَهْ
وَهَـذَا خَطُّـهُ عُمَـرُ بْـنُ بَـدْرٍ ... وَحَمْـدَلَ ثُـمَّ صَلَّـى حَيْـثُ جَـازَهْ

[٥٣٩]

عمرُ بنُ مُحمّدِ بنِ الحسينِ، أبو حفصٍ الواسطي.

فقيه عالم بالمذهب مِنْ حملة القرآن الكريم، راوية للحديث.

أنشدني أبو الفضائل جعفر بن محمد الواسطي، قال: أنشدني أبو حفص لنفسه مِنْ أبيات: [من البسيط]

نَـادَيْـتُ لمَّـا رَأَيْـتُ الحَـيَّ مِـنْ سَكَنِـيْ ... عَفَـا وَجَـدَّ بِـهِ سَيْـرٌ فَـأَخْـلاَهُ:

---

(١) ذكره بروكلمان ١/ ٤٤٠. وملحق ١/ ٦١٠. وسزكين ١/ ١٣٢ و١٤٣.

يَـا مَعْهَـدَ الحُـبِّ هَـلْ عَهْـدٌ فَتُخْبِـرَنَـا   عَــنِ الحَبِيْـبِ مَتَـى زُمَّـتْ مَطَـايَـاهُ

[٥٤٠]

/ ١٠١أ/ عُمرُ بنُ أبي الفتحِ التكريتيُّ(١).

مِنْ أهل حماة، أبو حفصٍ.

كان رجلاً قصيراً مِنْ الرجال يلبس الشرنوش والقباء، ويتزيا بزي الجند، وخدم بحلب جنديًا فِيْ دولة المَلك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب بن غازي ـ رحمه الله تعالَى ـ وأنفذ رسولاً إلى مدينة السلام فِيْ سنة خمس وثمانين وخمسمائة، فأكرم إكرامًا وافراً. وأرادوه إلى الديوان العزيز ليخدم كَاتبًا فِيْ ديوان الإنشاء، فاستعفى مِنْ ذلك وأصبح بسبب. . . . لا مراع لها ينظر فيها، ويتولى مصالحها، فأعفي عنه. وتوفي سنة إحدى عشرة وستمائة عن سنّ عالية.

وكان شاعراً مجيداً كثير الشعر، كاتبًا فصيحًا كامل الفضائل بارعًا فِيْ فنه، نبيها أريبا. يعدّ مِنْ الكتاب المترسلين، صاحب بلاغة فِيْ الإنشاء نظمًا ونثراً، مشتهر الأمر فِيْ وقته.

أنشدني غازي بن مورود الطفسي الحموي، قال: أنشدني عمر بن أبي الفتح لنفسه حين ورد مدينة السلام / ١٠١ب/ رسولاً إلى الإمام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ: [من الطويل]

شَكَـوْتُ إلَـى نَفْسِـيْ صُـرُوْفُ زَمَـانِهَـا   فَقَالَتْ: حُرُوبُ الدَّهْرِ تَأبى إلَى الصُّلْحِ
إذَا كُنْـتَ رَأْسـًا فِـيْ الـزَّمَـان فَـلاَ تَلُـمْ   جبَـاهَ اللَّيَـالِـيْ إذْ جَبَهْنَـكَ بِـالنَّطْـحِ
ومُـنْـذُ نَصَـرَ اللَّــهُ العَظِيْـمُ بِنَصْـرِهِ   فَـذَلِـكَ نَصْـرٌ جَـاءَ لاِبْـنِ أَبِـيْ الفَتْـحِ

[٥٤١]

عمرُ بنُ عليِّ بنِ سيارٍ، أبو حفصٍ السنجاريُّ.

شاعر مِنْ أهل سنجار، رائق الألفاظ، له فِيْ الغزل أشياء مستجادة.

---

(١) في هامش الأصل: «عطر لحيته الخضاب».

أنشدني أبو الحرم مكي بن علي بن مكي الضرير الكوفي، قال: أنشدني أبو حفص عمر بن علي بن سيار لنفسه: [من الكامل]

وَأَغَنَّ أَسْمَرَ قَدُّهُ كَالأَسْمَرِ سَلَبَتْ لَوَاحِظُهُ جَمِيلَ تَصَبُّرِي
يَبْدُو قَضِيباً مُثْمِراً شَمْسَ الضُّحَى نَاهِيكَ مِنْ غُصُنٍ بِشَمْسٍ مُثْمِرِ
يَجْنِي وَآتِيهِ اعْتِذَاراً فِي الهَوَى وَمَتَى أُرِدْ غُفْرَانَهُ لَمْ يَغْفِرِ
مَنَعَ الوِصَالَ فَلاَ خَيَالٌ زَائِرٌ تَحْتَ الدُّجَى إِلاَّ بِلَحْظٍ أَزْوَرِ

[٥٤٢]

عُمُر بنُ أحمدَ بن هبة الله /١٠٢أ/ بن مُحمّد بن يحيى بن زُهَيْر بن هارونَ بن مُوسى بن عيسى بن عبد اللَّهَ بن محمد بن أبي جرادةَ ـ صاحبَ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبَ صلواتُ الله عليه وسلامه ـ واسم أبي جرادة عامرُ بنُ ربيعةَ بن خويلد بن عوف بن عقيل ـ أبي القبيلة ـ بن كعب بن صعصعةَ بن معاويةَ بن بكر بن هوازنَ بن منصور بن عكرمَةَ بن خصفةَ بن قيس بن عيلاَن بن مضرَ بن نزار بن معدِّ بن عدنانَ، أبو القاسم بنُ أبي الحسن القاضي المَعروفُ بابنِ العديمِ، العقيليُّ الحلبيّ[١].

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٤١ ـ ٤٢٦ رقم ٣٠٣، وفيه: «عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى. . . .، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة ستين وستمائة». معجم الأدباء ٥/ ٢٠٦٨ ـ ٢٠٧٠، وفيه: «. . . عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة. . .». تالي كتاب وفيات الأعيان للصقاعي ٩٥ ـ ٩٦ رقم ١٤٣. ذيل مرآة الزمان ١/ ٥١٠ و٢/ ١٧٧. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص٤٢١ ـ ٤٢٤ رقم ٥٤١. العبر ٥/ ٢٦١. البدر السافر ٣٧ب. تأريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٥. عيون التواريخ ٢٠/ ٢٧٥. فوات الوفيات ٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣ وفيه: «توفي سنة ست وستين وستمائة». مرآة الجنان ٤/ ١٥٨. البداية والنهاية ١٣/ ٢٣٦. الجواهر المضية ١/ ٣٨٦. عقود الجمان للزركشي ٢٣٧ب. السلوك ١/ ٤٧٦. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨. حسن المحاضرة ١/ ٤٦٦. شذرات الذهب ٥/ ٣٠٣. تاج التراجم لابن قطلوبغا ٤٨ رقم ١٤٣. أعيان الشيعة ٤٢/ ٢٢٢. ديوان الإسلام ٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ رقم ١٥٠٥. المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦. نهاية الأرب ٣٠/ ٧٧. المعين في طبقات المحدثين ٢١٠ رقم ٢٢٠٢. الإشارة=

صدر صدور الآية، وشمس علماء الأمة، حاز الفضائل بأسرها والمعاني بفخرها والمعالي بعزّها، وعقيلة العلوم بحرزها. ذو الباع الأطول فيْ علوم الشريعة، فارع حصونها ومعاقلها المنيعة وله البيت الأصيل والمجد الأثيل، والقدر الجليل.

نشأ فيْ العلم، وترعرع فيْ الفضل، وشبَّ فيْ الزهد، وتكمّل فيْ الورع. الفقيه الحنفي المدرس الكاتب المتفرد بعلم الكتابة والخط؛ وبيت أبي جراده كله أدباء فضلاء شعراء /١٠٢ب/ رؤساء فقهاء نبهاء محدّثون مقدّمون عبّاد زهاد قضاة، يتوارثون الفضل كابراً عن كابر، وتاليًا عن غابر. وكُل هؤلاء معظمهم من آبائه. ولي القضاء بحلب وأعمالها، وهم على مذهب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ.

وأبو القاسم فأوصافه فيْ الفضل كثيرة، وسماته بحسن الأثر أثيرة، فان الله كمل خلقه، وحسن خلقه، ووفر فضله، وكثر عقله، وجعل همته فيْ العلوم ومعالي الأمور. وقد درس الفقه فأحسنه، وعني بفن الأدب فأتقنه، ونظم القريض فجوّده، وأنشأ النثر فسدده، وقرأ حديث الرسول وعرف علله ورجاله وتأويله وفروعه وأصوله، والجرح والتعديل والعلم بالخلاف والجدل وغير ذلك من العلوم.

ثم أنَّ له خطًا فاق به أبناء زمانه، وبلغ الغاية القصوى فيْ جودته واتقانه؛ وينضاف إلى ذلك العفاف. . . . والوقار، وحسن السمت والجلال. المشهور عند الخواص والجمهور، وقد صنّف عدّة كتب منها: كتاب التاريخ /٢٠٣أ/ الذي صنعه لحلب، حذا فيه حذو تاريخ الخطيب أبي بكر بن ثابت، وكتاب «زبدة الحلب فيْ ذكر ولاة حلب» واقتصر فيه على الملوك الذين ملكوها، وكتاب «في الجهاد»، وكتاب «الكلم المستفادة فيْ أخبار بني أبي جَرادة» ضمنه أخبار أهله ومناقبهم، وما يستحسن من أشعارهم وفضائلهم؛ وغير ذلك من الكتب.

= إلى وفيات الأعيان ٢٥٨ ـ ٢٧٩. تاريخ ابن أسباط ١/ ٤٠٦. عقد الجُمان ٣٣٩ ـ ٣٤٢. المنهل الصافي ٨/ ٢٧٠. الأعلام ٥/ ٤٠. دول الإسلام ٢/ ١٦٦. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٦. فهرس مخطوطات الموصل ١٢١. معجم المؤلفين ٧/ ٢٧٥. إعلام النبلاء ٤/ ٤٤٤ ـ ٤٧٢ رقم ٢٥١. كشف الظنون ٣٠، ٢٤٩، ٢٩١، ٣٣٧، ٧٢٩، ٧٥٧، ٩٥٢، ١٠٩٠، ١٤١٦. هدية العارفين ١/ ٧٨٧. المخطوطات المصورة ٢/ ٢٠، ٧٩.

وفوّض إليه تدريس المدرسة النورية المدعوة بمدرسة الحلاوس مضافًا إلى مدرسة شاذبخت النوري. وصار له منزلة رفيعة من الدولة الناصرية الصلاحية ـ ثبتّها [الله] وأيدها. وأُنفذ رسولاً إلى بلاد الروم عدّة مرات، وكذلك الديار المصرية اعتماداً على وفور عقله ورزانته.

وكان مولده فِيْ ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وكتب مصحفًا بخطه، ومجموعًا. . . . منَ خطّ ابن البواب وأهداهما إلى السلطان الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب؛ وكتب معهما رقعة بذهب فيها هذه الأبيات وزمّكها[1] على غاية الحسن، وأرسل الجميع إليه.

/ ٢٠٣ب/ وأنشدنيه بمدينة حلب، بمنزلة المعمور ليلة الجمعة الثامنة عشرة من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة ـ أبقاه الله تعالى ـ: [من البسيط]

كُلُّ الهَدَايَا وَإِن جَلَّتْ مَوَاقِعُهَا ... تَبَايَنَتْ فِي نَفِيْسِ القَدْرِ وَالغنَمِ

وَشَابَهَتْ خَطَرَ المُهْدِي وَمَوْضِعهِ ... وَقَصَّرَتْ عَنْ نَدَى ذِيْ البِرِّ وَالنِّعَمِ

وَإِنَّ أَنْفَسَ مَا يُهْدَى وَأَحْمَدَهُ ... عُقْبَى. . . . القَدْرِ وَالهِمَمِ

هَدِيَّةٌ صَدَرَتْ عَنْ كَاتِبٍ حَسَنٍ ... إِلَى أَجَلِّ مُلُوكِ الأَرْضِ كُلِّهِمِ

الأَشْرَفِ المَلِكِ المَأْمُوْلِ نَائِلُهُ ... وَخَيْرِ مَنْ أَسْبَغَ النُّعْمَى عَلَى الأُمَمِ

كَلامُ رَبِّ البَرَايَا مُصْحَفٌ شَهِدَتْ ... كُلُّ الهَدَايَا لَهُ بِالفَضْلِ وَالعِظَمِ

تَظَلُّ تَرْتَعُ مِنْهُ العَيْنُ فِي زَهَرٍ ... وَفِيّ رِيَاضِ هُدًى لَمْ تُسْقَ بِالدِّيَمِ

قَدْ جَاءَ يَحْكِيْكَ يَا مَنْ لاَ شَبِيْهَ لَهُ ... يَا أَشْرَفَ النَّاسِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

فِيْهِ صِفَاتُكَ مِنْ عَدْلٍ وَمِنْ خُلُقٍ زَاكٍ ... وَبَذْلِ النَّدَى وَالجُوْدِ وَالكَرَمِ

فَاجْعَلْهُ خَيْرَ جَلِيْسٍ وَأَبْقَ مَا صَدَحَتْ ... حَمَامَةٌ وَدَعَتْ أُخْرَى عَلَى عَلَمِ

وقال أيضًا، وأنشدنيه[2]: [من الطويل]

---

(١) في هامش الأصل: «جاز فيه. . . وسهل له ذلك فضلاً. . . فِي تحريره وتجريده وضبطه وتقييده، ولم يعتن. . . أنه قال فيه. . . ولا تعاطى. . . الأرجا. . . فبرز. . . سابقًا».
زَمّكها: جعل حروفها تتداخل، ولعله هو المراد.

(٢) القطعة في الوافي ٢٢/ ٤٢٥. الفوات ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

وَأَهْيَـفَ مَعْسُـوْلِ المَـرَاشِـفِ خلْتُـهُ — وَفـي وَجْنَتَيْـهِ للمُـدَامَـةِ عَـاصِـرُ
/ ٢٠٤أ/ يُسيـلُ إلـى فيْـهِ اللَّـذيْـذِ مَـذَاقُـهُ — رَحيقـًا وَقَـدْ مَـرَّتْ عَلَيْـهِ الأعَـاصِـرُ
فَيَسْكَـرُ منْـهُ عنْـدَ ذَاكَ قَـوَامُـهُ — فَيَهْتَـزُّ تيهـًا وَالعُيُـوْنُ نَـوَاظِـرُ
كَـأَنَّ أَمِيْـرَ النَّـوْمِ يَهْـوَى جُفُـوْنَـهُ — إذَا هَـمَّ رَفْعـًا خَـالَفَتْـهُ المَحَـاجِـرُ
خَلَـوْتُ بِـهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا نَـامَ أَهْلُـهُ — وَقَـدْ غَـارَت الجَـوْزَاءُ وَاللَّيْـلُ سَـاتِـرُ
فَـوَسَّـدْتُـهُ كَفِّـي وَبَـاتَ مُعَـانقِـي — إلَـى أَنْ بَـدَا ضَـوْءٌ مِـنَ الصُّبْـحِ سَـافِـرُ
فَقَـامَ يَجُـرُّ البُـرْدَ منْـهُ عَلَـى تُقًـى — وَقُمْـتُ وَلَـمْ تُحْلَـلْ لإثْـمٍ مَـآزِرُ
كَـذَلِـكَ أَحْلَـى الحُـبِّ مَـا كَـانَ مَزْجُـهُ — عَفَـافـًا وَوَصْـلاً لَـمْ تَشُنْـهُ الجَـرَائِـرُ

وقال أيضًا وأنشدنيه[1]: [من الطويل]

وَسَـاحِـرَةِ الأَجْفَـانِ مَعْسُـوْلَـةِ اللُّمـى — مَـرَاشفُهَـا تُهْـدِيْ الشِّفَـاءَ مِـنَ الظَّمَـا
حَنَـتْ لـيَ قَـوْسَـيْ حَـاجبَيْهَـا وَفَـوَّقَـتْ — إلَـى كَبِـدي مِـنْ مُقْلَـةِ العَيْـنِ أَسْهُمَـا
فَـوَاعَجَبـًا مِـنْ رِيْقهَـا وَهْـوَ طَـاهـرٌ — حَـلاَلٌ وَقَـدْ أَضْحَـى عَلَـيَّ مُحَـرَّمَـا
فَـإنْ كَـانَ خَمْـرًا أَيْـنَ للْخَمْـرِ لَـوْنُـهُ — وَلَـذَّتُـهُ مَـعْ أَنَّنـي لَـمْ أَذُقْهُمَـا
لَهَـا مَنْـزِلٌ فـي رَبْـعِ قَلْبـيْ مَحَلُّـهُ — مَصُـوْنٌ بِـهِ مُـذْ أَوْطَنَتْـهُ لَهَـا حِمَـى
جَـرَى حُبُّهَـا مَجْـرَى حَيَـاتـيْ فَخَـالَطَـتْ — مَحَبَّتُهَـا رُوْحِـي وَلَحْمِـيَ وَالـدَّمَـا
تَقُـوْلُ إلَـى كَـمْ تَـرْتَضـيْ العَيْـشَ هَكَـذَا — وَتَقْنَـعُ أَنْ تضحَـى صَحيْحـًا مُسَلَّمَـا
/ ٢٠٤ب/ فَسِـرْ فـي بِـلاَدِ الله وَاطَّلـبِ الغنَـى — تَفُـزْ مُنْجِـدًا إنْ شئْـتَ أَوْ شئْـتَ مُتْهِمَـا
فَقُلْـتُ لَهَـا: إنَّ الَّـذيْ خَلَـقَ الـوَرَى — تَكَفَّـلَ لـيْ بـالـرِّزْقِ مِنْـهُ وَأَنْعَمَـا
وَمَـا ضَـرَّنـيْ أَنْ كُنْـتُ رَبَّ فَضَـائـلٍ — وَعلْـمٍ عَـزِيْـزَ النَّفْـسِ حُـرًّا مُكَـرَّمَـا
إذَا عَـدمَـتْ كَفَّـايَ مَـالاً وَثَـرْوَةً — وَقَـدْ صُنْـتُ نَفْسـي أَنْ أُحِـلَّ وَأُحْـرِمَـا
(وَلَـمْ أَبْتَـذِلْ فـي خِـدْمَـةِ العلْـمِ مُهْجَتـي — لأَخْـدُمَ مَـنْ لاَقَيْـتُ لكـنْ لأُخْـدَمَـا)

مضمن للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الأرجاني، ومنها قوله يفتخر بآبائه:

سَـأُلْزِمُ نَفْسـيْ الصَّفْحَ عَنْ كُـلِّ مَنْ جَنَى — عَلَـيَّ وَأَعْفُـو عِفَّـةً وَتَحلُّمَـا

---

(١) البيتان ٣ و٤ في الفوات ٢/ ٢٠٢.

وَأَجْعَلُ مَالِي دُوْنَ عِرْضِي وِقَايَةً ... وَلَوْ لَمْ يُغَادِرْ ذَاكَ عِنْدِيَ دِرْهَمَا
وَأَسْلُكُ آثَارَ الأُلَى اكْتَسَبُوا العُلاَ ... وَحَازُوا خِلاَلَ المَجْدِ مِمَّنْ تَقَدَّمَا
أُوْلَئِكَ قَوْمِي المُنْعِمُونَ أُوْلُو النُّهَى ... بَنُو عَامِرٍ فَاسْأَلْ بِهِمْ كَيْ تُعَلَّمَا
إِذَا مَا دُعُوا عِنْدَ النَّوائِبِ إِنْ دَجَتْ ... أَنَارُوا بِكَشْفِ الخَطْبِ مَا كَانَ أَظْلَمَا
وَإِنْ جَلَسُوا فِيْ مَجْلِسِ الحُكْمِ خِلْتَهُمْ ... بُدُوْرَ ظَلاَمٍ وَالخَلاَئِقَ أَنْجُمَا
وَإِنْ هُمْ تَرَقَّوا مِنْبَراً لِلْخَطَابَةِ ... فَأَفْصَحُ مَنْ يَوْماً بِوَعْظٍ تَكَلَّمَا
وَإِنْ أَخَذُوا أَقْلاَمَهُمْ لِكِتَابَةٍ ... فَأَحْسَنُ مَنْ وَشَّى الطُّرُوْسَ وَنَمْنَمَا
/ ٢٠٥أ/ بِأَقْوَالِهِمْ قَدْ أُوْضِحَ الدِّيْنُ وَاغْتَدَى ... بِأَحْكَامِهِمْ عِلْمُ الشَّرِيْعَةِ مُحْكَمَا
دُعَاؤُهُمُ يَجْلُو الشَّدَائِدَ إِنْ عَرَتْ ... وَيُنْزِلُ قَطْرَ المَاءِ مِنْ أُفْقِ السَّمَا
وَقَائِلَةٍ يَا ابْنَ العَدِيْمِ إِلَى مَتَى ... تَجُوْدُ بِمَا تَحْوِيْ سَتُصْبِحُ مُعْدِمَا
فَقُلْتُ لَهَا: عَنِّي إِلَيْكِ فَإِنَّنِي ... رَأَيْتُ خِيَارَ النَّاسِ مَنْ كَانَ مُنْعِمَا
أَبَى اللُّؤْمَ لِي أَصْلٌ كَرِيْمٌ وَأُسْرَةٌ ... عُقَيْلِيَّةٌ سَنُّوا النَّدَى وَالتَّكَرُّمَا

وقال أيضًا: ـ[من البسيط]

قُلْ لِلْوَزِيْرِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ ... وَلاَ تَخَطَّتْ بِسُوءٍ نَحْوَهُ قَدَمُ
يَا أَيُّهَا الصَّاحِبُ المَيْمُونُ طَائِرُهُ ... وَمَنْ أَيَادِيْهِ لاَ تُحْصَى وَلاَ النِّعَمُ
بَقِيْتَ لِلدَّوْلَةِ الغَرَّاءِ تَحْرُسُهَا ... بِحُسْنِ رَأْيِكَ يَا مَنْ فَضْلُهُ دِيَمُ
مَلَكْتَ رِقَّ الرَّعَايَا بِالجَمِيْلِ فَقَدْ ... أَضْحَوا عَبِيْدَكَ إِنْ عَزُّوا وَإِنْ عَظُمُوا
وَاللَّهِ لَوْ أَنْفَقَتْ كَفَّاكَ مَا مَلَكَتْ ... لِمَا مللتهم بِالبِرِّ . . . . .
لَكِنَّ . . . . . النار غَادَرَهُمْ ... بِطُوْلِ عُمْرِكَ إِذْ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمُ
يَدْعُوْنَهُ بِابْتِهَالٍ لاَ يُغَادِرُهُ ... إِلاَّ التَّضَرُّعُ وَالإِخْبَاتُ لَيْلَهُمُ
أَبْرَدْتَ مِنْهَا قُلُوباً طَالَمَا احْتَرَقَتْ ... بِظُلْمِهِ وَانْبِعَاثُ الشَّرِّ نَحْوَهُمُ
أَرْسَلْتَ نَحْوَ قَفَاهُ أَسْهُماً خَضَعَتْ ... بِالقَوْلِ مِنْكَ لَهَا الأَذْقَانُ وَالقِمَمُ
/ ٢٠٥ب/ تَكَادُ تَفْعَلُ فِيْ أَرْجَاءِ هَامَتِهِ ... مِنَ المَذَلَّةِ مَا لاَ يَفْعَلُ الأَدَمُ
أحرقت بِالخَائِنِ الزِّنْدِيْقِ فَانْشَرَحَتْ ... لَكَ الصُّدُوْرُ فَلاَ غِلٌّ وَلاَ سَقَمُ
تُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا أَوْلَيْتَهُ حَلَبٌ ... وَيَثْرِبٌ وَكَذَا البَطْحَاءُ وَالحَرَمُ
كَذَاكَ يُثْنِي رَسُولُ اللَّهِ وَالمَلأُ الأَعْلَى عَلَيْكَ بِهِ وَالدِّيْنُ وَالكَرَمُ

وأنشدني أيضًا لنفسه ما كتبه إلى الصدر الكبير شهاب الدين أبي جعفر يحيى بن خالد بن القيسراني الكاتب: [من الخفيف]

يَا كِتَابِي عَنِّي تَحَمَّلْ سَلامَا يُخْجِلُ الوَرْدَ عَرْفُهُ والخُزَامَى
صَنَائِعٌ نَشْرُهُ أُجُزْتَ بِدَارِيـ ـنَ بِهِ أَمْ مَزَجْتَ فِيهِ مُدَامَا
ثُمَّ زُرْ سَاحَةَ الوَزِيرِ شِهَابِ الدِّ يْنِ وَالثِمْ أَبْوَابَهُ إِعْظَامَا
وَلِجِ المَنْزِلَ الكَرِيْمَ وَقَابِلْـ ـهُ وَقَبِّلْ يَدَيْهِ وَالأَقْدَامَا
فَهْوَ مَوْلًى بِالعِلْمِ قَدْ زَانَهُ اللّهُ فَأَضْحَى لِلْمُتَّقِيْنَ إِمَامَا
الْمَعِيُّ تَرَاهُ إِنْ أَعْمَلَ الفِكْرَةَ تَلْقَى الأَغْرَاضُ مِنْهَا سِهَامَا
وَإِذَا جَرَّدَ اليَرَاعَ لِخَطْبٍ سَلَّ مِنْهُ عَلَى الأَعَادِي حُسَامَا
/٢٠٦أ/ وَلَهُ دَانَتِ البَلاغَةُ وَانْقَادَتْ وَأَلْقَتْ إِلَى يَدَيْهِ الزِّمَامَا
وَإِذَا مَا حَلَلْتَ فِي بَطْنِ كَفٍّ فِيهِ تُولِي الوَرَى الأَيَادِيْ الجِسَامَا
فَاغْنَ فِيْ رَوْضَةٍ بِهَا بَلْ غَدِيْرٍ بَلْ سَحَابٍ يَهْمِيْ العَطَايَا سِجَامَا
وَمَتَى فَضَّ مِنْكَ خَتْمَكَ وَاسْتَجْلَى مُحَيَّاكَ حِيْنَ أَبْدَى اللِّثَامَا
حَيِّهِ عَنْ مُتَيَّمٍ ذِيْ اشْتِيَاقٍ فِيْ هَوَاهُ قَدْ خَالَفَ اللُّوَّامَا
قُلْ لَهُ: عَبْدُكَ المُحِبُّ أَبُو القَاسِمِ يَشْكُو لِبُعْدِكَ الآلامَا
لَوْ غَدَا شَارِحًا جَمِيْعَ الَّذِيْ يَلْقَى لأَفْنَى المِدَادَ وَالأَقْلامَا
مُذْ تَرَحَّلْتَ نَحْوَ حَارِمَ أَضْحَى نَوْمُهُ وَحْشَةً عَلَيْهِ حَرَامَا
كَانَ مُسْتَأْنِسًا بِقُرْبِكَ مِنْهُ يَتَمَنَّى النَّعِيْمَ وَالإِنْعَامَا
فَغَدَا إِذْ رَحَلْتَ حِلْفَ اكْتِئَابٍ دَائِمَ الفِكْرِ مُدْنَفًا مُسْتَهَامَا
فَاحْبُهُ مِنْكَ مُنْعِمًا بِكِتَابٍ تُعْلِ مِنْهُ قَدْرًا وَتَشْفِ أُوَامَا
وَابْقَ فِيْ نِعْمَةٍ وَأَبْقَى لَكَ اللّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا وَالنِّظَامَا

وقال أيضًا: ـ [من الطويل]

أَحِنُّ إِذَا بَرْقُ الغُوَيْرِ تَأَلَّقَا وَأَصْبُو إِلَيْهِ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامِيْ بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى سَقَاهَا الحَيَا سَحًّا مِنَ المُزْنِ مُغْدِقَا
/٢٠٦ب/ وَمَحْجُوبَةً مَا شِئْتَ قُلْ مُتَغَزِّلاً بِهَا تُلْفِ أَوْفَى النَّاسِ قَوْلاً وَأَصْدَقَا
إِذَا قُلْتَ: إِنَّ الشَّمْسَ تُشْبِهُ وَجْهَهَا تَرَى وَجْهَهَا أَبْهَى وَأَحْسَنَ مَشْرِقَا

وَإِنْ قُلْتَ: غُصْنُ البَان يَحْكي قَوامَهَا ... تَجِدْ خَدَّهَا يُزْرِيْ عَلَى بَانَةِ النَّقَا
وَإِنْ قسْتَ . . . . ريقَهَا بمُدَامَة ... مَدَحْتَ إذَا قسْتَ الرَّحيْقَ المُعَتَّقَا
يَوَدُّ نَسيْمُ المسْكِ لَوْ أَنَّهُ حَكَى ... تَرائبَ منْهَا إذْ تَضوَّعُ وَمَفْرقَا
لَهَا مَبْسمٌ عَذْبٌ وَعَيْنٌ كَحيْلَةٌ ... وَخَدٌّ أسيْلٌ فَلَّ عَزْمي وَفَرَّقَا
وَجيدٌ يُغَيرُ الظَّبْي أَبيَضُ لَوْنه ... وَشَعْرٌ يُغَيرُ اللَّيْلَ إنْ شَاءَ قُرطَقَا
أَتَتَ تَتَهَادَى بَيْنَ بيْضٍ نَواعمٍ ... يُخَمِّرْنَ أَطْرَافَ البَنَان منَ التُّقَى
فَحَيَّيْتُهَا ثُمَّ اشْتَكَيْتُ صَبَابَتي ... إليْهَا فَقَالَتْ: هكَذَا مَنْ تَعَشَّقَا
فَقُلْتُ: ارْحَمي مَنْ ذَابَ وَجْداً وَبَادري ... قَتيْلَ جَوًى غَادَرْته فيْ الهَوَى لَقَى
فَقَالَتْ تَجَنَّبْ أَنْ تَزُوْرَ فَإنَّ لي ... أَباً غَائراً مَا زَالَ يُخْشَى وَيُتَّقَى
وَلاَ تَلجنْ يَوْماً عَلَيَّ فَإنَّني ... أَخَافُ إذَا مَا زُرْتَني أنْ تُمَزَّقَا
فَعُدْتُ إلَى الشَّكْوَى وَأَبْدَيْتُ ذلَّةً ... وَأَسبَلْتُ دَمْعاً جَارياً مُتَرقْرقَا
فَرَقَّتْ لمَا بيْ ثُمَّ قَالَتْ لصَحْبهَا ... أرَى ذَا الفَتَى فيْ أَسْرِ حُبِّي مُوْثَقَا
وَأبرَزَت الوَجْهَ المُنيْرَ وَأَصْبَحَتْ ... عَلَى العَاشق المسْكيْن أَحْنَى وَأشْفَقَا
/٢٠٧أ/ وَظَلَّتْ تُجَاذبُني الحَديْثَ وَإنَّني ... لأَمْنَحُهَا منِّي الوُدَادَ المُرَوَّقَا

وله وقد رأى فيْ عارضه شعرة بيضاء، وعمره يومئذ أحد[ى] وثلاثون سنة، وأنشدنيه[1]: [من الطويل]

أَلَيْسَ بَيَاضُ الأُفْقِ فيْ اللَّيْلِ مُؤْذناً ... بِآخرِ عُمْرِ اللَّيْلِ إذْ هُوَ أَسفَرَا[2]
كَذَاكَ سَوَادُ النَّبْتِ يَقْرُبُ يَبْسُهُ ... إذَا مَا بَدَا وَسْطَ الرِّيَاضِ مُنَوِّرَا

وقال أيضًا وأنشدنيه: [من الكامل]

إحْذَرْ منْ إبْنِ العَمِّ فَهْوَ مُصَحَّفُ ... وَمنَ القَريْبِ فَإنَّمَا هُوَ أَحْرُفُ
فَالقَافُ منْ قَبْرٍ غَدَا لَكَ صَافراً ... وَالرَّاءُ منْهُ رَدًى لنَفْسكَ يَخْطَفُ
وَاليَاءُ يَاْسٌ دَائمٌ منْ خَيْره ... وَالبَاءُ بُعْضٌ منْهُ لاَ يُتَكَلَّفُ
فَاقْبَلْ نَصيحَتيَ الَّتي أَهْدَيْتُهَا ... إنِّي بِأَبْنَاءِ العُمُومَةِ أَعْرَفُ

---

(١) البيتان في الوافي ٢٢/ ٤٢٥. معجم الأدباء ٥/ ٢٠٦٩.
(٢) في الأصل: «مؤذن» والتصويب من الوافي ومعجم الأدباء.

[٥٤٣]

عمرُ بنُ عليِّ بنِ المباركِ بنِ يوسفَ بنِ عليٍّ، أبو حفصٍ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ النَخَّالِ.

هكذا ذكر لي نسبَه لما سألتُه عنه.

كان شيخًا طويلاً عانى نوع الأدب والخط والكتابة والتجويد لها، فتميّز فيْ ذلك كلّه /٢٠٧ب/ ولازم الشيخ أبا الحرم النحوي، وأخذ عنه صدراً جَيِّداً من علم العربيَة والنحو.

ثم تردد إلى أولاد الأمراء بالموصل يعلمهم خطًا وأدبًا. وكان قبل ذلك مقلاً فأثرى وصار له رزق صالح وحرمة عندهم وقبول. لقيته عدّة مرات ولم ينشدني شيئًا من شعره.

ثم عثرت له بعد ذلك بقصيدة، فأنشدنيها وهي بخط يده نظمها في القاضي حجّة الدين أبي منصور المظفر بن عبد القاهر الشهرزوري، وتوفي يوم الأثنين رابع عشر المحرم من سنة إحدى وثلاثين وستمائة بالموصل: [من الطويل]

نُهَى عَجَّزَتْ مِنْ دُونِهَا النَّظْمَ والنَّثْرَا ... وَأَوْضَاحُ فَضْلٍ فَاقَتِ الأَنْجُمَ الزُّهْرَا

تَسَامَتْ فَلاَ نَثْرٌ تُزَادُ بِهِ عُلاً ... وَتَاهَتْ فَلاَ نَظْمٌ تُزَانُ بِهِ ذِكْرَا

فَلَوْ جَاءَهَا بِالنَّثْرَةِ النَّثْرُ لَمْ يَجُزْ ... مَنَاقِبَهَا أَوْ حَفَّهَا الشِّعْرُ بِالشِّعْرَى

وَهَبْنِيْ مَلأْتُ الأُفْقَ بِالمَدْحِ أَنْجُمَا ... فَهَلْ يَتَغَشَّى نُورُهَا الشَّمْسَ وَالبَدْرَا

بَدا كَمُحيَّا الصُّبْحِ مِنْ نُورِهِ سَنًى ... وَأَبْدَى سَحِيْقُ المِسْكِ مِنْ نَشْرِهِ عِطْرَا

عَلَى أَنَّ طِيْبَ الذِّكْرِ أَجْدَرُ بِالفَتَى ... وَأَعْلَى لَهُ قَدْراً وَأَبْقَى لَهُ ذِكْراً

فَإِنَّ لأَنْفَاسِ الخُزَامَى تَأَرُّجًا ... إِذَا مَا نَسِيْمُ الرِّيحِ ضَوَّعَهَا نَشْرَا

/٢٠٨أ/ هَجَرْتُ مَدِيْحًا فِيْ سِوَاكَ تَقِيَّةً ... وَصَوْنًا فَلاَ إِفْكًا أَقُولُ وَلاَ هَجْرَا

فَإِنَّكَ قَاضِي النَّاسِ حُجَّةُ دِيْنِنَا ... غِيَاثٌ لِمَنْ وَافَى.... مُعْتَرَّا

تُخَوِّلُهُ نُعْمَى وَتُسْعِفُهُ يَداً ... وَتُلْحِفُهُ ظِلاً وَتَكْنُفُهُ بِرَّا

صِلاَتٌ تَرَاهَا كَالصَّلاَةِ فَرِيْضَةً ... إِذَا عَنَّ مِنْهَا الشَّفْعُ أَعْقَبَهَا الوَتْرَا

لَقَدْ حُزْتَ فَضْلاً لَمْ يَحُزْهُ مِنَ الوَرَى سِوَاكَ وَمُلِّكْتَ السِّيَادَةَ وَالفَخْرَا
وَنِلْتَ مَحَلاً فِي الأَنَامِ وَرُتْبَةً تَجَاوَزْتَ الجَوْزَاءَ بِالفَخْرِ وَال. . . .
فَدُمْ حُجَّةَ الدِّيْنِ الإِمَامِ عَلَى الوَرَى تُنِيْلُ النَّدَى جُوْداً وَتَصْلِيْ العِدَا الجَمْرَا
وَلاَزِلْتَ لِلْعَافِيْنَ مَأْوَى وَمَلْجَأً نُزِيْلُ بِكَ البَأْسَاءَ وَالضُّرَّ وَالفَقْرَا

[٥٤٤]

عمرُ بنُ إسحاقَ بن هبة الله بن صدّيقِ بنِ محمودِ بنِ صالحٍ، المعروفُ بابنِ قاضي خِلَاط[١].

وقد تقدّم شعر أبيه[٢] وأخيه[٣] وكانت ولادته بخِلَاط فِيْ ليلة السادس من شعبان فِيْ سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

وانتقل مع أبيه وأخيه إلى مدينة إربل، ثم سافر عنها بعد موت أبيه فِيْ سنة سبع عشرة وستمائة إلى بلاد الشام؛ ثم نزل دمشق وخدم أميراً /٢٠٨ب/ بها، يعرف بكريم الدين إبراهيم. ثم خدم بعده الملك الصالح عماد الدين أبا الفداء إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي صاحب دمشق[٤].

لقيته بحلب المحروسة بخانقاة القصر يوم السبت العشرين من جمادى من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وستمائة، وقد وردها رسولاً من قبل الملك الصالح مخدومه.

وهو شاب جميل حسن المنظر فاخر الملبوس، متزي بزي الأكراد؛ شعره

---

(١) في هامش الأصل: «توفي المذكور عماد الدين، عمر بن إسحاق، بحماه يوم الأحد الخامس والعشرين من المحرم سنة ست وستين وستمائة».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٣ رقم ٣٠٥. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٩٥ ـ ٤٠٢. المنهل الصافي ٨/ ٢٧٧. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٦١ ـ ٦٧٠) ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ رقم ٢١٤. عيون التواريخ ٢٠/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦. السلوك ١/ ق٢/ ٥٧٢.

(٢) تقدمت ترجمة (إسحاق بن هبة الله بن صديق) في الجزء الأول برقم ١٣٦.

(٣) تقدمت ترجمة (أحمد بن إسحاق بن هبة الله) في الجزء الأول برقم ٥٥.

(٤) في هامش الأصل: «وخدم المذكور عماد الدين عمر بعد الملك الصالح، الملك الأشرف وصاحب حمص، ومن بعده خدم الملك المنصور صاحب حماة وما زال بها إلى أن توفي رحمه الله».

يضرب إلى كتفيه، جندي كيّس ذو طبع مؤات فيما يرومه من إنشاء العلم ولم يكن عنده شيء من العلم سوى نظم الشعر لا غير. فاستنشدته فأنشدني هذه المقطوعات ما خلا هذه القصيدة البائية.

أنشدني عمر بن إسحاق لنفسه: [من الطويل]

وَلَمَّا دَنَا ممَّنْ أُؤَمِّلُ قُرْبَهُ ... بعَادٌ أَذَابَ القَلْبَ بَيْنَ الجَوَانِحِ
وَسَارَتْ نَوَاجِيْ العِيْسِ عَنْ أَرْضِ بَارِق ... وَكُلُّ نَضِيْرِ الخَدِّ لِلْبَدْرِ فَاضِحِ
وَعَايَنْتُ وَخْدَ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً ... وَمَرَّ حُدُوْجِ القَوْمِ بَيْنَ الصَّحَاصِحِ
وَأَلْفَيْتُ أَبْنَاءَ الهَوَى شَارَفُوا أَسًى ... مَنَايَاهُمُ مَا بَيْنَ بَاكٍ وَنَائِحِ
تَيَقَّنْتُ أَنِّيْ لاَ مَحَالَةَ وَارِدٌ ... حِيَاضَ المَنَايَا إِثْرَ بَيْنِ الطَّلاَئِحِ
/ ٢٠٩أ/ رَبِحْتُ دُنُوَّ الدَّارِ دَهْراً قَبَضْتُهُ ... وَكُنْتُ غَدَاةَ البَيْنِ أَخْسَرَ رَابِحِ

وأنشدني من شعره[1]: [من السريع]

يَا لَيْلَةَ الحَاجِرِ هَلْ عَوْدَةٌ ... تُرَى لِوَصْلِ النَّازِحِ الهَاجِرِ
وَهَلْ يُعِيدُ الوَصْلَ قَوْلِيْ: تُرَى ... هَلْ عَوْدَةٌ يَا لَيْلَةَ الحَاجِرِ
أَحْبَابُنَا بَانُوا فَلَمْ يَكْتَحِلْ ... بِالغُمْضِ مِنْ بَعْدِهِمُ نَاظِرِيْ
كَانَ التَّمَنِّيْ فِيْهِمُ أَوَّلِيْ ... فَصَارَ يَأْسِيْ مِنْهُمُ آخِرِي
وَاحَرَبَا مِنْ عَاذِلٍ عَادِلٍ ... فِيْ الحُكْمِ عَنْ إِيْصَافِهِ جَائِرِ
يَأْمُرُنِيْ بِالصَّبْرِ عَنْهُمْ وَمَنْ ... أَيْنَ لِقَلْبِيْ جَلَدُ الصَّابِرِ
أَيَا شَقَائِيْ فِيْ الهَوَى إِنَّنِي ... أَعِيْشُ إِلاَّ تَعَبَ الخَاطِرِ
فَيَا مُرِيقاً دَمَ عُشَّاقِهِ ... بِصَارِمٍ مِنْ طَرْفِهِ السَّاحِرِ
بِالأَسْوَدِ الفَاتِرِ حَتَّى مَتَى ... تَفْعَلُ فِعْلَ الأَبْيَضِ البَاتِرِ

أنشدني لنفسه[2]: [من المجتث]

سَبَتْ فُؤَادَ المُعَنَّى ... لَوَاحِظٌ مِنْكَ وَسْنَى
يُمْرِضْنَنَا حَيْثُ تَرْنُو ... وَهُنَّ أَمْرَضُ مِنَّا

---

(١) القطعة في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٩٦.
(٢) الأبيات الأربعة الأولى في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٩٦.

مَـا أكْثَـرُ النَّـاسِ حُسْنـًا … أقَلُّهُـمُ أنْـتَ حُسْنَـا
/ ٢٠٩ب/ رُدَّ الـرُّقَـادَ لَعَـلَّ الخَيَـالَ يُطْـرِقُ وَهْنَـا
إلَـى مَتَـى ذَا التَّجَـافِـي … جُـدْ بِـالتَّـلاَقِـي وَصِلْنَـا

وقال أيضًا وأنشدنيه: [من الكامل]

سَحَـرَتْـهُ ألْحَـاظُ الحسَـان كَمَـا تـرى … وَغَـذَتْـهُ ألْبَـانُ الهَـوَى فَتَحَيَّـرَا
وَغَـدَا يَصُـوبُ لِـذِكْـرِ نَجْـدٍ دَمْعُـهُ … فَـلأجْـلِ ذَلِـكَ مَـا جَـرَى إلاَّ جَـرَى
يَـا طَـرْفُ دَعْ شَكْـوَى السُّهَـادِ جَهَـالَـةً … أنْـتَ الَّـذِيْ فِـي بَحْـرِه غَـرِقَ الكَـرَى
وَأنَـا الَّـذِيْ أصْبَحْـتُ أنْـزَحُ مَـاءَهُ … أبغـي الغَـرِيْـقَ بِـهِ وَهَـا أنَـا لاَ أرَى
تَشْكُـو وَأنْـتَ. . . . أسْبَـاب الهَـوَى … حَتَّـى. . . . بِهَـا العَـذَابَ الأكْبَـرَا
مَـا كُنْـتَ فِـيْ خَلَـدِيْ لِـرَائِعَـةِ النَّـوَى … قَبْـلَ الحمَـام. . . . وَمُصَـوَّرَا
فَـدَنَـا بِهَـا زَمَـنٌ أسَـاءَ وَلَـمْ يكُـنْ … مِـنْ قَبْلِهَـا بِنَـوَى الأحِبَّـةِ أنْـذَرَا
وَأبَـادَنِـي بِبِعَـادِ أهْيَـفَ خَـدُّهُ … كَـالْـوَرْدِ أزْهَـرُ فَـوْقَ غُصْـنٍ أزْهَـرَا
فَسَـرَى الفُـؤَادُ وَمَـا أقَـامَ وَحبُّـهُ … بَيْـنَ الجَـوَانِـحِ قَـدْ أقَـامَ وَمَـا سَـرَى

وقال أيضًا وأنشدنيه: ـ[من الكامل]

وَمُهَفْهَـفٍ رَطْـبِ المَعَـاطِـفِ نَـاعِـمٍ … عَـذْبِ المَـرَاشِـفِ طَيِّـبِ الأنْفَـاسِ
جَمَـعَ المَحَـاسِـنَ وَجْهُـهُ فَكَـأنَّمَـا … هُـوَ رَوْضَـةٌ رَاقَـتْ عَلَـى. . . .
/ ٢١٠أ/ فَـالنَّـرْجِسُ الطَّـرْفُ المُضَـاعَـفُ لَـوْعَتِـيْ وَاقـاعهـا ثغـر جنـى. . . .
وَالخَـدُّ يَبْـدُوْ مُحْـدِقًـا بِعِـذَاره … كَـالـوَرْدِ حُـفَّ بِـهِ جَنِـيُّ الآس
سُبْحَـانَ مَـنْ أنْشَـاهُ مِـنْ إحْسَـانِـهِ … حُسْنَـا فَـأصْبَـحَ فِتْنَـةً لِلْنَـاسِ

[٥٤٥]

عمرُ بنُ عبدِ اللَّه، أبو حفص، الأنصاريُّ الواسطيُّ الفقيهُ.

نزل بغداد وتفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وصار معيداً له؛ وله شعر رقيق.

أنشدني زين الدين أبو الفضل صدقة بن أبي إلبة الشيرازي، قال: أنشدني عمر الأنصاري لنفسه: [من الطويل]

أَوَاخِــرُ أَشْــوَاقِـــيْ إِلَيْــكَ أَوَائِـــلُ وَسَــائِـلُ دَمْعِــيْ لِــيْ إِلَيْـكَ رَسَـائِـلُ
وَأَيْسَــرُ مَــا . . . . مِنْـكَ . . . . قَــاتِـلُ مِــنَ الْـوَجْـدِ وَالـدَّاءِ الَّـذِيْ لاَ يُـزَايِـلُ
أَسُـدُّ عَــنِ التَّعْـذَالِ سَمْعِــيْ وَإِنْ دَعَـا غَــرَامٌ فَمُغْــرًى بِـالإِجَـابَـةِ مَـائِـلُ
وَفِــيْ مَـذْهَــبِ العُشَّـاقِ أَنَّ ابْـنَ صَبْـوَةٍ سَلَــى كَـانَ فِيْمَـا ادَّعَــى وَهْـوَ جَـاهِـلُ
وَمَــا أَنَــا مِمَّــنْ يَــرْدَعُ العَــذْلُ قَلْبَــهُ عَلَــى كُــلِّ حَــالٍ فَلْتَكُــفَّ العَــوَاذِلُ
رَضِيْــتُ بِقَتْــلٍ فِــيْ هَــوَاكَ وَرَاقَ لِــيْ وَأَحْلَــى الهَـوَى لِلْصَّـبِّ مَـا هُـوَ قَـاتِـلُ
/ ٢١٠ب/ لَعَمْــرِيَ لَــوْلاَ أَنْ أُؤَمِّــلَ أَنَّــهُ إِذَا مَــرَّ عَــامٌ جَـاءَ بِـالْـوَصْـلِ قَـابِـلُ
لَفَــارَقَـتِ النَّفْــسُ الحَيَــاةَ وَأَصْبَحَــتْ تَنُــوْحُ عَلَيْهَــا النَّـائِحَـاتُ الثَّـوَاكِـلُ
وَلَــوْلاَ سَقَـامُ الجَفْــنِ لَـمْ يُلْـفَ مُسْقَـمٌ وَلَـوْلاَ نُحُـوْلُ الخَصْـرِ لَـمْ يُلْـفَ نَـاحِـلُ
قَطَعـتُ حِبَـالَ الـوَصْـلِ لاَ عَـنْ جَرِيْـرَةٍ وَمَــا النَّــاسُ إِلاَّ قَــاطِـعٌ وَمُــوَاصِـلُ
فَهَــلاَّ بَعَثْـتِ الطَّيْــفَ فِـيْ سِنَـةِ الكَـرَى لَعَلِّــيْ أَرَى بَعْــضَ الَّــذِيْ أَنَــا آمِـلُ
فَــإِنَّ الكَــرَى فِــيْ طَـرْفِ كُـلِّ مُسَهَّـدٍ لِكُــلِّ خَيَــالٍ مِــنْ حَبِيْــبٍ حَبَـائِـلُ
وَهَــلْ عَــاذِلٌ إِذَا حَــلَّ عَــاقِــلاً وَلَــمْ تَقْتَنِصْــهُ بِــاللِّحَــاظِ العَقَـائِـلُ
بِــوَادٍ بِــوَادٍ كَــالشُّمُــوْسِ بِــأَعْيُــنٍ إِذَا مَــارَنَــتْ لَــمْ تُحْـمَ مِنْهَـا المَعَـاقِـلُ
رَشَقْـــنَ بِنَبْــلِ السِّحْــرِ مِنَّــا مَقَــاتِــلاً فَمَــا جَــاوَزَتْ تِلْـكَ النِّبَـالَ المَقَـاتِـلُ
فَمَــنْ كَــانَ يَـرْوِيْ السِّحْـرَ عَـنْ أَرْضِ بَـابِلٍ فَعَــنْ هَــذِهِ الأَلْحَــاظِ تَـرْوِيْـهِ بَـابِـلُ

[٥٤٦]

عمرُ بنُ أبي بكر بن يحيى، أبو حفص البغداديُّ.

حفظ كتاب الله ـ تعالى ـ ببغداد، وسمع الحديث على جماعة من شيوخها منهم؛ أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن سكينة، وأبو الرِّضا بن العودي وغيرهما؛ وله / ٢١١أ/ إجازة من أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي وغيره من أصحاب الحديث.

خرج من بغداد لضائقة لحقته متوجهًا إلى محروسة إربل، فنزل بدار حديثها المظفرية؛ وسمع حديثًا كثيراً على شيخنا أبي الخير بن أبي المعمر التبريزي المحدّث وتولى بها الإمامة، يصلّي بجماعتها الصلوات الخمس. رأيته بها وهو شيخ كثير

الدرس للقرآن يتلوه دائمًا آناء الليل وأطراف النهار .

أخبرني أنه [ولد] سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وبلغني أنَّه قتل بإربل حين دخلها التتار الملاعين ـ خذلهم الله تعالى ـ فِيْ شوال سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ـ رحمة الله تعالى ـ وله مقطعات من الشعر .

أنشدني لنفسه؛ وكان قد مرض حتى أشرف على الهلاك، فمنَّ الله عليه وأنقذه من مرضه الَّذيْ ألمّ به : [من الرمل]

ذِكْرُهُ أُنْسِيْ وَأُنْسِيْ ذِكْرُهُ ... لَيْتَنِيْ لَمْ يَخْلُ مِنْ ذِكْرِ لِسَانِيْ

عَجَبًا لِيْ كَيْفَ أَنْسَى شُكْرَهُ ... وَمِنَ الأَمْرَاضِ رَبِّي قَدْ شَفَانِيْ

يَا إِلَاهِيْ كُنْ لِعَبْدٍ مُذْنِبٍ ... دَائِمًا يَدْعُوْكَ فِيْ كُلِّ مَكَانِ

إِنَّ رَبِّيْ قَالَ فِيْ تَنْزِيْلِهِ ... أَنَا مِنْ عَبْدِيْ قَرِيْبٌ إِنْ دَعَانِيْ

/ ٢١١ب/ رَبِّ فَاغْفِرْ لِيْ ذُنُوْبِيْ كُلَّهَا ... وَاعْفُ عَنِّيْ ثُمَّ أَصْلِحْ لِيْ لِسَانِيْ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى علاء الدين أبي علي بن عمر بن صالح الإربلي، وهو يومئذ يتولّى الاشراف بالديوان المظفري ـ يشكو إليه من عمال دار الحديث، تشفعًا فِيْ استخلاص جامكيته منهم وقد عوقت عليه ومطلوه بها :ـ[من الخفيف]

أَيُّهَا السَّيِّدُ العَلَاءُ أَغِثْنِيْ ... وَانْتَصِرْ لِيْ مِنْ هَذِهِ العُمَّالِ

كَمْ يُعَنُّوْنَ بِالتَّرَدُّدِ وَالمَطْلِ وَلَا يَنْظُرُوْنَ فِيْ سُوْءِ حَالِيْ

جَهِلُوْنِيْ فَلَيْتَهُمْ عَرَفُوْنِيْ ... إِنَّنِيْ كُنْتُ فِيْ زَمَانِيَ الخَالِيْ

بِمَدَارٍ وَحَنْطَةٍ وَبِغَالٍ ... وَبَجَاهٍ وَحِشْمَةٍ وَدَلَالِ

فَرَمَانِيْ قَضَاءُ رَبِّيْ إِلَيْكُمْ ... بَعْدَمَا أَنْ عَدِمْتُ جَاهِيْ وَمَالِيْ

لَيْتَنِيْ كُنْتُ قَدْ قُبِرْتُ وَمَا جِئْتُ إِلَى إِرْبِلٍ رَقِيْقَ الحَالِ

إِنْ تَكُنْ مُسْعِدِيْ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ يَمِيْنًا بِكُلِّهِمْ مَا أُبَالِيْ

[٥٤٧]

عمرُ بنُ عبد الكريم / ٢١٢أ/ بن عمرَ بن الرحيم بن إسماعيلَ بنَ أحمدَ بَن محمد بنَ أحمدَ بنَ دوستَ داذ، البغداديُّ المولَدِ والمنشأ، النيسابوريُّ الأصلِ، أبو المحاسنِ بنِ أبي سعدٍ.

من أبناء المشايخ المعروفينَ بالتصوّفِ وحسنِ الطريقة.

أخبرني أنه ولد في شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة. وتوفي آخر نهار يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وستمائة. وَصُلِّي عليه برباط.... الشيخ أبي سعيد النيسابوري، ودفن يوم السبت بالجانب الغربي ببغداد في مقبرة باب البصرة تجاه جامع المنصور. وكنتُ ممن شهد الصلاة عليه ـ تغمده الله برحمتهَ ورضوانه عنه وكرمه ـ.

وكان شابًا عفيفًا جميلاً، موصوفًا بالعقل، حسن الأدب، ولم يُعرف له مُنذ نشأ صبوة، تأكدت بيني وبينه صحبة ببغداد، وكنت كثير التردد إلى والده.

ومما أنشدني لنفسه من قصيدة يناقض بها قصيدة أبي الفتوح بن البخاري التي تقدّمت[١]، فقال أبو المحاسن: [من البسيط]

جنى ورد خدود العاتب الجاني ... إلى احتمال التجني من الجاني
/٢١٢ب/ أَحْوَى حَوَى الحُسْنَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... فَاقَ الخَلَائِقَ حَتَّى مَالَهُ ثَانِي
طَلْقُ المُحَيَّا لَو اسْتَسْقَى الحَيَا لَسَقَى ... وَلَوْ تَعَذَّرَ نَابَتْ عَنْهُ أَجْفَانِي
مَا عَايَنَ الإِنْسُ إِنْسَانًا كَصُورَتِهِ ... لِمَّا يُصَوِّرُهُ إِنْسَانُ إِنْسَانِي
فِي فِيهِ رَاحِي وَرُوحِي فِي يَدَيْهِ وَفِي ... تَقْبِيلِ وَجْنَتِهِ رَوْحِي وَرَيْحَانِي
أَغْنَتْ عَنِ الغَانِيَاتِ الغُرِّ غُرَّتُهُ ... وَشَهْدُ فِيهِ عَنِ الصَّهْبَاءِ أَغْنَانِي
وَالخَمْرُ مَا خَامَرَتْ عَقْلِي وَلَا غَفَلَتْ ... عَنِ المَوَاقِيتِ تَسْبِيحِي وَقُرْآنِي
أَهْوَى العَفَافَ كَمَا أَهْوَى شَمَائِلَهُ ... وَلِلنُّهَى عَنْ تَنَاهِي الأَمْرِ يَنْهَانِي
وَاعْتَضْتُ مِنْ رَاهِبَاتِ الدَّيْرِ يَا سَكَنِي ... بِسَاكِنِي الدُّورِ مِنْ حُورٍ وَوِلْدَانِ
أُحْبِبْ بِهِنَّ شُمُوسًا لَا شَمَامَسَةً ... قَدْ تُوِّجُوا بِأَكَالِيلٍ وَتِيجَانِ

---

(١) مرّت في ترجمة عبد اللطيف بن علي بن علي بن هبة الله، أبو الفتوح البخاري، الجزء الرابع برقم ٣٥٠.

وَنَحْظُرُ الدُّفَّ وَالمَحْصُورَ نُنْكِرُهُ ... وَلاَ نُصِيخُ لِنَايَاتٍ وَعِيدَانِ
وَالزَّفْنُ مُضْطَرِبٌ لِلْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ ... وَلَيْسَ يُنْكِرُ عَرْفَ الحبِّ عِرْفَانِي(١)
وَفِي المُعَنَّى لأَرْبَابِ الهَوَى أَرَبٌ ... لَمْ يَبْلُغُوهُ بِشمْعُونَ وَشَمْعَانِ
فَالقَسُّ لَوْ كَانَ قُسّاً فِي فَصَاحَتِهِ ... لَمَا انْتَصَرْتُ عَلَى غَيٍّ بِنَصْرَانِي
مَالِي وَلِلْجَاثلِيقِ الشَّيْخِ مُتَّزِراً ... بِالصُّوفِ يُزْرِي عَلَى دِينِي وَإِيْمَانِي
فَابْنُ البُحَيْرِيِّ لَمّا إن طَغَى وَبَغَى ... قَالَ: اعْذرُونِيَ فَالرَّبَّانُ رَبَّانِي
/ ٢١٣أ/ سَاءَ اعْتِقَاداً فَنَاجَتْهُ عَقِيدَتُهُ ... هَذَا هُوَ العَيْشُ إلاَّ أَنَّهُ فَانِي
هَذَا إِلَى مَالِكٍ مَالَتْ جَوَارِحُهُ ... وَنَحْنُ مِلْنَا إِلَى رَوْضٍ وَرُضْوَانِ
أَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَعْفُو بِرَحْمَتِهِ ... وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَى ضَعْفِي وَنُقْصَانِي
فَلَسْتُ أُنْكِرُ جُرْمِي وَهْوَ يَعْرِفُهُ ... وَلاَ أُصِرُّ عَلَى إِصْرِي وَعُدْوَانِي
وَلاَ أَقُولُ وَعُمْرِي بَلْ عَامِرِه: ... (عَرِّجْ بِدَيْرِ حَنِينَا أَيُّهَا الجَانِي)(٢)

[٥٤٨]

عُمرُ بنُ يوسفَ بنِ أبي بكرٍ، أبو حفصٍ القفصيُّ، المعروفُ بابنِ التَبسّيِّ.

وتَبِسّ مدينةٌ من مدن أفريقيّة(٣).

حدثني القاضي أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة بحلب ـ أيده الله تعالى ـ قال: كان شيخًا حسنا دمث الأخلاق، طيب المحاضرة، اقام عندنا بحلب سنين عدّة. وكان يختلف إليها بعد ذلك.

وروى لنا شيئًا من شعر عبد المنعم الجلياني عنه، وأنشدنا مقطعات من الشعر له ولغيره. وكان له معرفة بالحكمة والهندسة.

وأخبرني أنّه ولد فِيْ العشر الأول من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وخمسمائة،

---

(١) الزفن: الرقص.

(٢) ما بين القوسين صدر مطلع قصيدة البخاري.

(٣) في معجم البلدان: «تِبِسَّة». انظر المعجم/ مادة (تبسة).

قال: وجدته كذلك بخط /٢١٣ب/ والدي، قال: وتوجه إلى ذبلاد الروم بعد العشرين والستمائة، فبلغني بعد ذلك انه توفي بها. وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَقَائِلَةٍ مَالِيْ أَرَاكَ مُغَيَّرَا ... أَمِنْ فَرْطِ وَجْدٍ صَارَ لَوْنُكَ أَصْفَرَا
فَقُلْتُ كِلِيْنِي يَا هُنَيْدَةُ وَاعْلَمِيْ ... فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالجَلَامِدِ أَثَّرَا
فَقَالَتْ: رَعَاكَ اللَّهُ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرٌ ... بِمَا هُوَ أَوْ مَا كَانَ قِدْمًا وَمَا جَرَى
لَعَلَّ بِرَأْيٍ يُحْدِثُ اللَّهُ رَاحَةً ... فَإِنَّ الَّذِيْ أَبْلَى يُفَرِّجُ مَا تَرَى
فَقُلْتُ لَهَا: صَرْفُ الزَّمَانِ وَجَوْرُهُ ... أَحَالَ عَلَى الأَحْوَالِ حَالِيْ فَغَيَّرَا
وَشَتَّتَ أَحْبَابِيْ وَأَذْهَبَ ثَرْوَتِي ... فَصِرْتُ فَقِيْرًا بَعْدَ مَا كُنْتُ مُوْسِرَا
تَنَاءَتْ دِيَارِيْ وَاضْمَحَلَّتْ أَحِبَّتِيْ ... فَهَذَا الَّذِيْ أَهْدَى لِجِسْمِي التَّغَيُّرَا
فَدَمْعِي سَفُوْحٌ وَالجَوَى حَلَّ فِيْ الحَشَا ... وَقَلْبِيْ قَتِيْلُ الحَالَتَيْنِ مُعَفَّرَا
وَلاَ حَاكِمٌ يَقْضِيْ فَيَحْكُمُ بَيْنَنَا ... وَلاَ مُسْعِدٌ تُلْفِيْ لِنَصْرِيَ مُيَسَّرَا
فَمَنْ مَانِعِيْ مِنْ ظُلْمِ دَهْرِيْ وَجَوْرِه ... وَلَمْ أَلْقَ إِلاَّ مَنْ إِذَا قَالَ: قَصَّرَا
وقد حَارَ وَهْمِيْ مِنْ عَظِيْمِ بَلِيَّتِيْ ... فَمَا حِيْلَتِيْ فِيْمَا سَمِعْتَ وَمَا تَرَى

[٥٤٩]

عمرُ بنُ أسعد بن عمّار /٢١٤أ/ بن سعد بن عمار بن عليٍّ بن أبي العلاء بنَ أَبِي الفرَجِ بنِ هُذيلٍ الأميرُ أبو حفصَ ابنُ أبي المعالي المَوصَليُّ.

من أبناء الأمراء وبيت الجاه والولاية والخدمة للملوك والسلاطين.

كانت ولادته فيما أخبرني به من لفظه ظهر يوم الأحد سادس جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة. سمع فِيْ حال صغره الحديث، وكتب خطًا رائقًا؛ وله معرفة حسنة بالتواريخ والسير وأيام الناس وأخبارهم، صاحب نظم حسن، ونثر لاباس به؛ وهو نعم الرجل دينًا وتواضعًا وفضلاً.

أنشدني لنفسه: [من الوافر]

إِذَا عَلِقَتْ مِنَ الدِّيْوَانِ كَفِّي ... بِأَسْبَابِ العُبُوْدَةِ وَالوَلاَءِ
فَلَسْتُ أَخَافُ أَحْدَاثَ اللَّيَالِيْ ... إِذَا أَصْبَحْتُ مِنْهُ بِالفِنَاءِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من السريع]

هُنِّيتَ بالخلْعَةِ يَا مَنْ لَهُ مَجْدٌ وَوَجْهٌ يُخْجِلُ الشَّمْسَا
قَدْ فُقْتَ أَضْرَابَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْتِيهِ فِي المَصْبَحِ وَالمَمْسَى

وأنشدني أيضًا قوله: [من البسيط]

يَا مَنْ لَهُ مُقْلَةٌ تُسْبَى العُقُولُ بِهَا رِفْقًا بِقَلْبٍ حَشَاهُ الوَجْدُ أَحْزَانَا
/ ٢١٤ب/ إِنْ كَانَ قَصْدُكَ قَتْلِي بِالصُّدُودِ فَقَدْ أَضْرَمْتَ فِي كَبِدِي بِالهَجْرِ نِيرَانَا

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

فَأَنْتَ الَّذِي عَظَّمْتَ لِلدِّينِ أَمْرَهُ وَشَيَّدْتَهُ مَبْنًى وَنَوَّهْتَهُ قَدْرَا
سَمَوْتَ عُلُوًّا وَارْتِفَاعًا وَبَسْطَةً وَنِلْتَ المُنَى فِي كُلِّ حَادِثَةٍ قَطْرَا
حُسَامُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الَّذِي انتضى لِجَذِّ رِقَابِ الصِّيْدِ يَبْتُرُهَا بَتْرَا

وأنشدني لنفسه: [من السريع]

صُبِّحْتَ بِالإِقْبَالِ وَالنَّصْرِ يَا مَالِكَ الإِحْسَانِ وَالأَمْرِ
وَعِشْتَ مَا نَاحَتْ عَلَى أَيْكَةٍ قُمْرِيَّةٌ فِي غُرَّةِ الفَجْرِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الوافر]

مَثَلْتُ بِخِدْمَةِ المَلِكِ الهُمَامِ أَبِي الأَشْبَالِ وَاللَّيْثِ المُحَامِي
فَأُرْعِدَتِ الفَرَائِصُ مِنْهُ خَوْفًا وَآذَنَ مِنْهُ ظَهْرِي بِانْفِصَامِ
أَلَامُ عَلَى مَهَابَةِ لَيْثِ بِيدٍ عَدَاهُ [] بِالعَضْبِ الحُسَامِ
مَلِيكٌ يُكْسِبُ الضِّرْغَامَ بَأْسًا وَإِقْدَامًا عَلَى الجَيْشِ اللُّهَامِ
مَلِيكٌ شَأْنُهُ قَمْعُ الأَعَادِي وَبَذْلُ نَدًى كَمُنْهَلِّ الغَمَامِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

/ ٢١٥أ/ أَلَا يَا أَيُّهَا المَوْلَى الهُمَامُ وَيَا مَلِكًا أَيَادِيهِ جِسَامُ
شَأَوْتَ مُلُوكَ أَهْلِ الأَرْضِ طُرًّا وَفُقْتَ العَالَمِينَ فَمَا تُرَامُ
إِذَا ضَنَّ السَّحَابُ وَأَنْتَ فِينَا سَقَانَا جُودُ كَفِّكَ وَالسَّلَامُ
إِذَا رَضِيَ الكِرَامُ عَلَيَّ مِنْهُمْ فَمَا آسَى إِذَا سَخِطَ اللِّئَامُ

ومن كلامه المنثور ما كتبه إلى بعض الولاة فِيْ معنى أملاك له أخذت منه: «شابت ذوائب الأمل فِيْ الوعود الكريمة، واتسع خرق الفاقة، وتضاءل الصبر واشتدّت فيه الحاجة، والإلحاح فِيْ السؤال، يُؤدي إلى الملال، والإمهال، يؤذن بالإهمال».

[٥٥٠]

عمرُ بنُ عليٍّ بن مُحمّد بن الوزير أبي المظفر يحيى بنِ محمدِ بنِ هبيرةَ، أبو الفضَل بنِ أبي الحسنَ الشيبانيُّ.

وقد تقدم نسبه مستقصىً عند ذكر ابن عمه أحمد بن ظفر[١].

أخبرني أنّه ولد تقديراً سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بدمشق، وهو من بيت الوزارة والرئاسة. كان فِيْ خدمة /٢١٥ب/ الملك المسعود مودود بن محمود بن محمد ـ صاحب آمد ـ وكاتب أسراره؛ فلما أخذ الملك الأشرف موسى آمد وملكها خرج الأمير أبو الفضل متوجهًا إلى مدينة إربل سنة ثلاثين وستمائة ليخدم سُلطانها الملك المعظم كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه.

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

سَلاَمٌ عَلَى مَنْ لَيْس لِيْ منْهُمُ بُدُّ ... وَإنْ هَجَرُوا عَنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَإنْ صَدُّوا

سَلاَمٌ كَأنْفَاس الرِّيَاض تَأرَّجَتْ ... سُحَيْراً وَفِيْ أرْجَائهَا البَانُ وَالرَّنْدُ

أيَا سَاكنِيْ الزَّوْرَاء هَلْ بَعْدَ بُعْدنَا ... تَدَان فَفِيْ الأحْشَاءِ مِنْ بَيْنكُمْ وَقْدُ

تَنَاسَيْتُمُوْنِيْ وَاضْمَحَلَّتْ مَوَدَّتِيْ ... لَدَيْكُمْ وَقُلْتُمْ غَالَهُ البَيْنُ وَالبُعْدُ

وَمَا عِنْدَكُمْ أنِّيْ إذَا هَبَّتِ الصَّبَا ... عَرَاقِيَّةً مِنْ أرْضِكُمْ هَزَّنِيْ الوَجْدُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ الوَاشِيْنَ لاَ نَالُوا المُنَى ... عَنِّيْ إلَيْهِ صَادِقَ الأعْذَارِ

وَاللّهِ مَا رَقَدَتْ جُفُوْنِيْ بَعْدَهَا ... إلاَّ لِرقبَةِ طَيْفهَا الزَّوَارِ

وَلَمَا خَزَنْتُ الدَّمْعَ يَوْمَ وَدَاعِهَا ... إلاَّ لِحفْظِ وَدَائِعِ الأسْرَارِ

---

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ٦٦.

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى الصاحب /٢١٦أ/ شرف الدين أبي البركات المستوفي:

[من البسيط]

إنِّـي أُعُـدُّ انْقِطَـاعِـيْ عَـنْ مَقَـرِّكُـمُ ... كيْمَـا أُحَقِّقُـهُ مِـنْ أَعْظَـمِ الحُـوْبِ

فَـإِنْ تَجَـاوَزْتُـمُ عَنِّـيْ فَحِلْمُكُـمُ ... عَـنْ كُـلِّ صَاحِـبِ جُرْمٍ غَيْرُ مَحْجُوْبِ

ولِـيْ رَسَـائِـلُ حَمْـدٍ أَسْتَعِيْـنُ بِهَـا ... مُسْتَـوْهِـبَ المِسْكِ مِنْهَـا نَفْحـةَ الطِّيْبِ

زَهَـتْ بِكُـمْ إرْبِـلُ الغَـرَّاءُ وافْتَخَـرَتْ ... لمَّـا غَـدَتْ سَلَـبَ الغُـرِّ المَنَـاحِيْـبِ

كَـذَا المُبَـارَكُ أنَّـى حَـلَّ فِـيْ بَلَـدٍ ... كَسَـاهُ بِـالفَخْـرِ فَضْفَـاضَ الجَـلاَبِيْـبِ

وَافَـى الصِّيَـامُ فَـلاَ زَالَـتْ مَيَـامِنُـهُ ... تُنِيْلُـهُ كُـلَّ مَـأْمُـوْلٍ وَمَطْلُـوْبِ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَمِـنْ عَجَـبٍ أنِّـي أَرَى ذَا حُشَـاشَـةٍ ... بِـوَجْـهٍ لَئِيْـمٍ مِـنْ دُجَـى البُخْـلِ كَـالِـحِ

يُـؤَمِّـلُ أنْ يُثْنَـى عَلَيْـهِ بِصَـالِـحٍ ... وَهَيْهَـاتَ أنْ يُثْنَـى عَلَيْـهِ بِصَـالِـحِ

وَأَنْشَدَنِيْ أيضًا قوله: [من الخفيف]

لا يَغُـرَّنَّكُـمْ تَضَـاعُـفُ بِشْـرِيْ ... عِنْـدَ لُقْيَـاكُـمُ وَفَـرْطُ ابْتِسَـامِـيْ

إنَّ لِلسَّيْـفِ حِيْـنَ يُشْهَـرُ لِلْضَـرْبِ بُـرُوْقًـا فِيْهِـنَّ وَمْـضُ الحِمَـامِ

وأنشدني قوله فِيْ إنسان أتلف له بغلة ثمينة، ثم أتبعها بضياع محفورة ثم هجره /٢١٦ب/ عقيب ذلك، وتجنّى عليه حتى أنه كاد أن لا يكلمه: [من السريع]

إنِّـيْ وَإِيَّـاهُ حَـدِيْـثٌ غَـدَا ... أُعْجُـوبَـةً بَيْـنَ الـوَرَى مُثْلَـهْ

كُنْـتُ أُصَـافِيْـهِ وأَعْتَـدُّهُ ... ذُخْـراً عَلَـى الأَيَّـامِ مَـا مِثْلَـهْ

مَـا بَـالُـهُ يَجْتَـازُ بِـيْ مُعْـرِضًـا ... عَنِّـيْ وَيَثْنِـيْ عَـامِـداً نَعْلَـهْ

كَـأَنَّنِـيْ ضَيَّعْـتُ مَحْفُـوْرَةً ... مِنْـهُ وَأَتْلَفْـتُ لَـهُ بَغْلَـهْ

وأنشدني لنفسه، وكان مقيمًا بخلاَط، والخوارزمي يُحاصرها فِيْ النوبة الأولى؛ وكتبها إلى الأمير أسد الدين أبي العباس أحمد بن عبد اللّه بن عيسى المهراني الكردي وهو أسير فِيْ يده. وكانت بينهما صحبة ومحبّة تتجاوز حدّ الوصف:ـ [من الكامل]

أأبُثُّـكَ الأشْـوَاقَ أمْ أشْكُـو الَّـذِيْ ... أَنَـا فِيْـهِ مِـنْ حَـذَرٍ وَمِـنْ وَسْـوَاسِ

هَيْهَـاتَ لاَ إِحْـدَاهُمَـا أَنَـا قَـادِرٌ ... أنِّـى أُعَبِّـرُ عَنْـهُ فِـيْ قِـرْطَـاسِ

وَلَقَـدْ سَمِعْـتُ مِـنَ الكَـلاَمِ عَجَـائِبـًا ... زَادَتْ عَلَـى عَـدِّيْ وَحَـدِّ قِيَـاسِـيْ
وَتَعَـرَّضَ الأَعْـدَاءُ بِـيْ لَمَّـا رَأَوا ... بَيْنِـيْ وَبَيْنَـكَ ضَجَّـةَ الحُـرَّاسِ
/٢١٧أ/ أَوَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِيْ الخِلُّ الَّذِيْ ... يَتْلُـو مَحَـاسِنَكُمْ مَـعَ الأَنْفَـاسِ
وَإِذَا اعْتَـرَى أَمْـرٌ وَفَـاجَـأَ فَـادِحٌ ... يَـوْمـًا يَجُـوْدُ بِـرُوْحِـهِ وَيُـوَاسِـيْ
وَلَئِـنْ أَتَـاحَ اللَّـهُ عَـوْدَكَ سَـالِمـًا ... وَأَجَـابَ فِيْـكَ الـدَّهْـرُ بَعْـدَ شِمَـاسِ
فَجَمِيْـعُ مَـا لاَقَيْـتُ مُغْتَفَـرٌ لَـهُ ... إِلاَّ فِـرَاقُـكَ يَـا أَبَـا العَبَّـاسِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ حَقَّقْتَ المَكَارِمَ فِيْ امْرِىءٍ ... وَأَيْقَنْـتَ أَنَّ المَجْـدَ تَحْـتَ رِدَائِـهِ
فَـزُرْهُ وَلاَ تَخْشَـى المَـلاَلَ فَـإِنَّـهُ ... يَـرَى لَـكَ حَقّـًا فِـيْ لُـزُوْمِ فِنَـائِـهِ

[٥٥١]

عُمرُ بنُ محمود بن أبي عليٍّ بنِ عليٍّ بنِ أبي عليٍّ بنِ محمودِ بنِ الربيعِ، أبو حفصٍ الإربليُّ.

يُعرف عند أهل بلده بابن الموازينيِّ.

شاب أزرق العينين أشقر، ذو خاطر مؤات فِيْ الشعر المتزن، وفطنة حسنة فِيْ إنشائه؛ استظهر القرآن الكريم، وأخذ من العربية ما يعصمه من اللحن. ومال إلى حفظ الأشعار. وهو سريع الحفظ، ينشد البيتين والثلاثة مرّة واحدة فيحفظها فِيْ الوقت ولم ينسها.

/٢١٧ب/ وكان مولده سنة ثلاث وستمائة بإربل، وبها توفي فِيْ المحرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

أنشدني من شعره، يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمة الله تعالى ـ: [من الخفيف]

هَـلْ إِلَـى سَـالِـفِ الـوِصَـالِ وُصُـوْلُ ... أَمْ بِقُـرْبِ الحَبِيْـبِ يَشْفَـى الغَلِيْـلُ
بَعُـدَتْ شُقَّـةُ الـوِصَـالِ عَلَـى المُشْتَـاقِ فَـالجِسْـمُ مِنْـهُ مُضْنًـى عَلِيْـلُ
حَـرَّمَ الغُمْـضَ جَفْنُـهُ فَقَصِيْـرُ اللَّيْـلِ فِـيْ جَنْـبِ مَـا يُـلاَقِـيْ طَـوِيْـلُ

فِي هَوَى أَهْيَفِ القَوامِ لَهُ مِنْ   جَفْنِ عَيْنَيْهِ صَارِمٌ مَسْلُولُ

إِنْ تَبَدَّى فَبَدْرُ تَمٍّ مُنِيرٌ   أَوْ تَثَنَّى فَغُصْنُ بَانٍ يَمِيلُ

هَدَّ ظَهْرِي ثِقْلاً وَأَوْهَى اصْطِبَارِي   مِنْهُ رِدْفٌ وَافٍ وَخَصْرٌ نَحِيلُ

كَحَلَ الجَفْنَ بِالسُّهَادِ وَصَدَّ النَّـ   ـوْمَ عَنْ مُقْلَتَيَّ طَرْفٌ كَحِيلُ

يَا عَذُولِي فِي حُبِّ مَنْ شَرْحُ أَشْوَا   قِي إِلَيْهِ إِذَا يُعَدُّ يَطُولُ

لا تَلُمْنِي فَمَسْمَعُ الصَّبِّ عَنْ ثِقْـ   ـلِ اسْتِمَاعِ المَلامِ وَاهٍ كَلِيلُ

يَا خَلِيلِي وَقَلَّ فِي الحُبِّ أَنْ يُو   جَدَ لِلْعَاشِقِ المُعَنَّى خَلِيلُ

كَانَ ظَنِّي أَنِّي مَدَى الدَّهْرِ لا أَسْـ   ـلُو وَعَنْ عَهْدِ حُبِّهِ لا أَحُولُ

عَلَّمَتْنِي أَفْعَالُهُ كَيْفَ أَسْلُو   هُ وَمَاذَا - إِذَا سُئِلْتُ - أَقُولُ

/ ٢١٨أ/ فَتَسَلَّيْتُ وَاسْتَرَحْتُ مِنَ التَّعْـ   ـذِيبِ فِي الحُبِّ وَاسْتَرَاحَ العَذُولُ

حَسْبُ جِسْمِي يُطِيقُ حَمْلَ أَيَادِي   شَرَفِ الدِّينِ فَهْوَ عِبْءٌ ثَقِيلُ

أَنَا مِنْ نَائِلِ المُبَارَكِ ذِي الإِنْـ   ـعَامِ فِي رَوْضَةِ النَّعِيمِ أَجُولُ

لِيَ مِنْ صَوْبِ رَاحَتَيْهِ إِذَا أَجْـ   ـدَبَ رَبْعِي سَحَابُ جُودٍ هَطُولُ

ذُو مُحَيّاً طَلْقٍ وَرَبْعٍ رَحِيبٍ   فِيهِ لِلْقَاصِدِ المُجِدِّ مَقِيلُ

يُظْهِرُ البِشْرَ حِينَ يَأْتِي يَرُومُ النَّـ   ـيْلَ مِنْ جُودِ رَاحَتَيْهِ النَّزِيلُ

فَهْوَ فِي المَكْرُمَاتِ فَرْدٌ وَفِي دَفْـ   ـعِ الأَعَادِي عَنْ نَازِلَيْهِ قَبِيلُ

عَمَّ إِحْسَانُهُ الأَنَامَ فَأَضْحَى   وَكَثِيرُ الثَّنَاءِ فِيهِ قَلِيلُ

أَسْرَعَ المُعْتَفُونَ يَبْغُونَ جَدْوَا   هُ وَتَأْمِيلُهُمْ لَدَيْهِ دَلِيلُ

غَيْرُ بِدْعٍ يَا ابْنَ مَوْهُوبَ فِي رَبْـ   ـعِ مَعَالِيكَ نُزِّلَ التَّنْزِيلُ

يَا وَزِيراً أَشْبَاهُهُ وَعَطَايَا   هُ قَلِيلٌ هَذَا وَهَذَا جَزِيلُ

لِحِمَى رَبْعِهِ حَقِيقٌ بِأَنْ تُطْـ   ـوَى إِلَيْهِ صَحَاصِحٌ وَسُهُولُ

هَزَّنَا عِنْدَ مَدْحِهِ طَرَبٌ حَتَّـ   ـى كَأَنَّ المَدِيحَ فِيهِ شَمُولُ

فَلإِنْشَادِهِ نَمِيلُ كَأَنَّ الغُصْـ   ـنَ هَبَّتْ لَهُ صَباً وَقَبُولُ

فَلْيَعِشْ مَا أَحَبَّ فِي خَفْضِ عَيْشٍ   فَأَمَانِيُّنَا إِلَيْهِ تَؤُولُ

/ ٢١٨ب/ وأنشدني لنفسه أيضًا يمدحه: [من الخفيف]

قُمْ فَقَدْ آذَنَ الدُّجَى بِالرَّوَاحِ   وَدَعَا بِالفَلاحِ دَاعِي الفَلاحِ

وَتَــوَلَّــتْ عَسَــاكِـرُ اللَّيْــلِ وَاسْتَــوْلَــتْ عَلَــى هَـزْمِهَــا جُيُــوشُ الصَّبَــاحِ
وَاحْبُنَــا مِــنْ رُضَــابِ فِيْــكَ بِخَمْــرٍ مَــا عَلَيْنَــا فِــيْ شُرْبِهَــا مِــنْ جُنَــاحِ
فَــوْقَ وَرْدٍ مِــنْ وَجْنَتَيْــكَ وَآسٍ مِــنْ عِــذَارَيْــكَ نُــزْهَــةِ الأَرْوَاحِ
وَاسْقِنِيْهَــا أَوَّلاً فَصَهْبَــاءُ كَــرْمٍ خَنْــدَرِيسًــا تَــدْعُــو إِلَــى الأَقْــدَاحِ
قَــرَعَتْهَــا يَــدُ المِــزَاجِ وَكَــانَــتْ لَــمْ تُــدَنَّــسْ مِــنْ قَبْــلِ ذَاكَ بِــرَاحِ
بَــرَزَتْ فِــيْ الــدُّجَــى فَعَــادَ نَهَــاراً فَغُنِيْنَــا بِهَــا عَــنِ المِصْبَــاحِ
يَــا نَــدِيْمَــيَّ قُــمْ نَشْــرَبِ الــرَّاحَ صِــرْفًــا فَكَــذَا شُــرْبُهَــا بِطِيْــبِ افْتِضَــاحِ
فِــيْ رِيَــاضٍ يُهْــدِيْ إِلَيْــكَ أَرِيْــجَ المِسْــكِ مِنْهَــا مَنْثُــورُهَــا وَالأَقَــاحِيْ
يَتَغَنَّــى الحَمَــامُ فِيْهَــا بِــأَلْحَــانٍ تُسَــرِّيْ الهُمُــومَ عُجْــمٍ فِصَــاحِ
لاَ تَــرَانِــيْ إِلاَّ إِلَيْهَــا مَــدَى الــدَّهْــرِ عَــدُوَى الَّــذِيْ. . . .
أَيْــنَ قَلْــبُ الخَلِــيِّ مِمَّــا كَــرِهَتْــهُ أَسْهُــمُ الأَعْيُــنِ المِــرَاضِ الصِّحَــاحِ
فَــاغْتَنِــمْ لَــذَّةَ الــزَّمَــانِ وَحَــاذِرْ أَنْ تُــرَى يَــا أَخَــا الخَــلاَعَــةِ صَــاحِيْ
لاَ تَخَــفْ فَــاقَــةً وَقَــدْ بِــتَّ تَــرْجُــو شَــرَفَ الــدِّيْــنِ ذَا النَّــدَى وَالسَّمَــاحِ
/٢١٩أ/ أَرْيَحِيًّــا مَــا فِــيْ يَــدَيْــهِ مُبَــاحٌ وَحِمَــى العِــرْضِ مِنْــهُ غَيْــرُ مُبَــاحِ
حَجَبَتْــهُ عَــنْ أَنْ يُنَــالَ بِسُــوْءِ القَــوْلِ سُمْــرُ القَنَــا وَبِيْــضُ الصِّفَــاحِ
يَــا أَجَــلَّ الأَنَــامِ قَــدْراً وَأَذْكَــى النَّــاسِ نَشْــراً وَمَــنْ لَــدَيْــهِ نَجَــاحِــيْ
حَمِــدَ السَّــائِــرُوْنَ نَحْــوَكَ يَــرْجُــوْنَــكَ سَيْــرَ الظَّــلاَمِ عِنْــدَ الصَّبَــاحِ
بَــاتَ كَــفُّ الإِعْطَــاءِ مِنْــكَ لِمَــا خَطَّتْــهُ فِــيْ الجُــوْدِ كَــفُّ غَيْــرِكَ مَــاحِــيْ
فَــإِلَــى وَجْهِــكَ البَهِــيِّ اشْتِيَــاقِــيْ وَإِلَــى جُــوْدِ رَاحَتَيْــكَ التِيَــاحِــيْ
لَــكَ ذُلُّ الــوَرَى فَلَيْــسَ لِمَــنْ بِــتَّ تَــرُوْمُ انْقِيَــادَهُ مِــنْ جِمَــاحِ
وَاسْتَقَــادَتْ لَــكَ المَنُــوْنُ. . . . .
فَــابْــقَ فَــالعَــامِلُــوْنَ مَــا لَــمْ تَكُــنْ فِيْهِــمْ جَمِيْعًــا أُوْلُــو أَيَــادٍ شِحَــاحِ

وأنشدني لنفسه يصف فصّ النرد: [من المنسرح]

وَذِيْ جِهَــاتٍ سِــتٍّ لَــهُ جَسَــدٌ . . . . الجِسْــمِ أَمْــرُهُ وَجَبَــا
تَجُــوْرُ فِــيْ حُكْمِــهِ فَتَبْــذُلُ فِــيْ الطَّــوْعِ لَــدَيْــهِ اللُّجَيْــنَ وَالــذَّهَبَــا
كَــأَنَّــهُ الــدَّهْــرُ فِــيْ تَصَــرُّفِــهِ مَتَــى حَبَــانَــا اسْتَــرَدَّ مَــا وَهَبَــا

وأنشدني قوله فيه أيضًا: [من الطويل]

وَعَاجِيِّ جِسْمٍ نَقَّطَ المِسْكُ جِسْمَهُ ... كَصُبْحٍ عَلَيْهِ لِلْدُّجُنَّةِ آثَارُ

/٢١٩ب/ مُسَدَّسِ شَكْلٍ فِيْهِ ضُرٌّ وَرَاحَةٌ ... تُصَرِّفُهُ فِيْنَا . . . . أَقْدَارُ

فَلاَ تَتَعَدَّى مَا يَقُوْلُ وَإِنْ جَنَى ... عَلَيْنَا وَعُقْبَى مَا نُسَرُّ بِهِ النَّارِ

وأنشدني أيضًا لنفسه فيه: [من مجزوء الكامل]

جَيْشَانِ مِنْ زَنْجٍ وَرُوْمٍ ذَا عَلَى هَذَا يَصُوْلُ

يَتَجَاوَلاَنِ وَلاَ يُطَلُّ دَمٌ وَغَيْرُهُمُا القَتِيْلُ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى بعض أصدقائه: [من البسيط]

أَبْلِغْ مُحَمَّدَ عَنِّي إِنْ مَرَرْتَ بِهِ ... قَضِيَّةً تُقْلِقُ الأَحْشَاءَ مُشْتَهِرَهْ

أَشْكُوْ إِلَيْكَ رَعَاكَ اللَّهُ حَادِثَةً ... يَشُبُّ مِنْهَا لَظَى فِي النَّفْسِ مُسْتَعِرَهْ

مَا بَالُ عُثْمَانَ يَنْهَى عَامِداً عُمَراً ... أَنْ يَسْتَظِلَّ وَتَحْنُو فَوْقَهُ الشَّجَرَهْ

يَسْطُوْ عَلَيْهِ وَيَنْهَاهُ وَيَزْجُرُهُ ... كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ العَشَرَهْ

وقال أيضًا وأنشدنيه لنفسه: [من الكامل]

لَمْ يَفْضُلِ القُدَمَاءُ فِيْمَا أَلَّفُوا ... إِلاَّ مُؤَلِّفُ دُرَّةِ التَّقْصَارِ

مَا شِئْتَ مِنْ مَعْنَى بَدِيْعٍ رَائِقٍ ... فِيْهَا وَمِنْ مُسْتَحْسَنِ الأَشْعَارِ

فَكَأَنَّنِي لِمَّا أُطَالِعُ . . . . مِنْهَا أُشَاهِدُ سَائِرَ الأَمْصَارِ

/٢٢٠أ/ وَلَئِنْ تَقَدَّمَهُ أُنَاسٌ قَبْلَهُ ... وَتَفَطَّنُوا فِيْ ذَلِكَ المِضْمَارِ

فَلَهُ الفَضِيْلَةُ حَيْثُ جَاءَ بِمَائِهِ ... لَمْ يَشْعُرُوا مِنْ صِحَّةِ الآثَارِ

لَوْلاَ اللُّجَيْنُ وَمَا يُسَاوِيْ لَمْ يَبِنْ ... لِلْنَّاظِرِيْنَ فَضِيْلَةُ الدِّيْنَارِ

[٥٥٢]

عُمرُ بنُ إبراهيمَ بن مسعودِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ، أبو حفصٍ الإربليُّ، ينعت بالخَالِ.

وهو من بيت الشيخ الذين كانوا رؤساء إربل ومشايخها، وإليهم الرئاسة بإربل.

وأبو حفص هذا؛ كانت ولادته تقديراً فِيْ سنة. . .[1] وتسعين وخمسمائة. يخدم جنديًا للأمراء، وله طبع فِيْ قرض الشعر، يقيم وزن البيت بذوق حسن ويقع. . . فيجيد رصفها إلاَّ أنه لم يعرف شيئًا من العربية، وإذا أنشد يلحن فِيْ إنشاده وربما اتى فِيْ شعره بلحن لكونه ما اشتغل بالأدب. وله أشعار تستطاب؛ لأنَّه يضمنها شرح حاله فتأتي مطبوعة خفيفة من غير تكلف. وهو الآن فِيْ خدمة الأمير ركن الدين أبي شجاع بن قرطايا الإربلي.

/ ٢٢٠ب/ أنشدني لنفسه، وكان فِيْ خدمة ركن الدين بن قرطايا ويشكو إليه من غلاء السعر وتعذر النفقة: [من الخفيف]

إنَّ بَرْقًا بَدَا مِنَ الأَبْرَقَيْنِ ... هَاجَ وَجْدِيْ شَوْقًا وَأَسْهَرَ عَيْنِيْ

وَدَعَانِيْ إِلَى الشَّامِ وَعَيْشٍ ... مَرَّ رَغْدًا بِالدَّوْحِ وَالجَبَلَيْنِ

وَفَتَاةٍ بِسَفْحِ عِشْرِيْنَ إنْ لاحَتْ ... تَرَاهَا أبْهَى مِنَ القَمَرَيْنِ

جَعَلَتْنِيْ بِقَصْرِ عِيْسَى مَشُوقًا ... طُولَ لَيْلِي أُرَاقِبُ الفَرْقَدَيْنِ

قَدْ كَوَانِيْ حَرُّ العِرَاقِ وَمَالِيْ ... جَلَدٌ ثَابِتٌ عَلَى حَرَّيْنِ

أَيْنَ عَيْشٌ لَنَا رَقِيْقُ الحَوَاشِيْ ... بِمَغَانِيْ قُوَيْقَ وَالدَّارَيْنِ

حَبَّذَا بِالشَّامِ آبٌ وَتَمُّوزُ ... وَبَرْدُ النَّسِيْمِ فِيْ تَشْرِيْنِ

يَا مَلِيْكِيْ اسْمَعْ شِكَايَةَ عَبْدٍ ... مِنْ بَنِيْ الشَّيْخِ مُعْلَمِ الطَّرَفَيْنِ

مَا لَهُ مُلْتَجًا سِوَى بَابِكَ المَحْرُوسِ ... فِيْ المَشْرِقَيْنِ وَالمَغْرِبَيْنِ

نَهَبَتْهُ الخَيْلُ العِتَاقُ وَأَفْنَتْ ... مَا حَوَاهُ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَعَيْنِ

كُلَّ يَوْمٍ لَهُمْ وَلِلْبَيْتِ يَا مَوْلايَ ... قُوتٌ يَزِيْدُ عَنْ دَانِقَيْنِ

وَيَزِيْدُ الغُلامَ مِنِّي إِذَا سَامَحَ ... نَقْدًا فِيْ الشَّهْرِ دِيْنَارَيْنِ

/ ٢٢١أ/ وَكِرَا الدَّارِ مَعْ كِرَا الخَانِ والصَّابُونُ ... أَفْنَى مَالِيْ وَ. . . .

هَاتِ قُلْ لِيْ مِنْ أَيْنَ لِيْ كُلُّ ذَاكَ المَالِ ... أُصَادِفْ مَطْلَبًا مِنْ لحين

وَلَئِنْ دَامَ ذَا عَلَيَّ تَرَانِيْ ... رَاجِلاً قَدْ قَطَعْتُ رَأْسَ العَيْنِ

أَنْتَ ذُخْرِيْ فِيْ النَّائِبَاتِ وَعَوْنِيْ ... فِيْ المُلِمَّاتِ وَاعْتِمَادِيْ وَزَيْنِيْ

(١) موضع النقاط بياض في الأصل.

جَعَلَ اللّهُ نَجْمَ سُورِكَ مَحْفُوفًا بِعِزٍّ يَسِيرُ فِي الخَافِقَيْنِ

وأنشدني لنفسه(١)، وقد نزل بقرية تعرف بأم عبيدة من أعمال واسط، وهي التي فيها بيت الرفاعي مشايخ هذه القرية يخاطب شيخها الزاهد أحمد الرفاعي:

[من الكامل]

يَا شَيْخَ أَحْمَدَ إِنَّنِي مُتَمَسِّكٌ بِكُمُ وَأَنْتُمْ فِي البَرِيَّةِ سَادَتِي
مَا جِئْتُ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إِلَيْكُمُ إِلاَّ لأَحْظَى فِي غَدٍ بِالجَنَّةِ
وَأَطُوفُ مِنْ حَوْلِ الضَّرِيحِ تَطَوُّعًا وَأُعْفِرُ أَطْرَافَ الرِّوَاقِ بِوَجْنَتِي
تَاللّهِ لَوْلاَ صِبْيَةٌ خَلَّفْتُهُمْ بِالشَّامِ يَبْكُونَ الغَدَاةَ لِغَيْبَتِي
/ ٢٢١ب/ جَاوَرْتُ أُمَّ عُبَيْدَةَ وَسَكَنْتُهَا فَلَعَلَّ فِيهَا أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي
مَا كُنْتُ أَخْشَى مِنْ زَفِيرِ جَهَنَّمٍ وَبَنُو الرِّفَاعِي فِي القِيَامَةِ عُدَّتِي

وأنشدني لنفسه، وقد نزل بالهرث ـ من أعمال واسط ـ وكان في خدمة الأمير ركن الدين أبي شجاع ـ حفظه اللّه ـ كتب إليه يشكو من البراغيث: ـ [من الكامل]

أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ البَرَاغِيثِ الَّتِي بِالهَرْثِ قَدْ أَكَلَتْ جَمِيعَ جَوَارِحِي
فَكَأَنَّهُمْ فُقَرَاءُ أُمِّ عُبَيْدَةَ يَتَرَاقَصُونَ عَلَى الفِرَاشِ بِطَائِحِي

وأم عبيدة مجاورة الهُرْث(٢) وبها بيت الرفاعي المشايخ، وبها الفقراء ومذهبهم الرقص إلى عالي.

وأنشدني أيضًا لنفسه، وقد فارق الأمير ركن الدين من حلب ونزل دمشق لسبب جرى بينه وبين عمّه داود بن مسعود: ـ [من المنسرح]

يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي يَدُهُ تُعْرَفُ بِالسَّمْهَرِيِّ وَالجُودْ
/ ٢٢٢أ/ غُلاَمُكَ الخَالُ لَمْ يَدَعْ حَلَبًا إِلاَّ لِخَوْفٍ مِنْ خُبْثِ دَاوُدَ
دَاوُدُ مَا بَيْنَ . . . . نَكَدٌ يَرْمِي خِصَامًا وَبَيْنَ عُنْقُودَ
لاَ تَعْجَبُوا إِنْ أَذَاعَ سِرَّكُمُ نَقْلُ حَدِيثٍ وَإِبْنُ مَسْعُودْ

(١) شطبت في الأصل العبارة: «وكان يومئذ نائبًا للأمير ركن الدين ـ حفظه الله ـ بجبل السماق في قرية له من أعمال حلب».
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (الهرث).

وأنشدني لنفسه، وكان يخدم باربل لمالكها مظفر الدين، فعوّق نواب الديوان حامكيته. فكتب إلى المستوفي أبي البركات يلتمس منه استخلاصها: [من الكامل]

مَوْلَايَ يَا شَرَفَ الأَنَامِ وَمَنْ لَهُ ... كَفٌّ تَنُوبُ عَنِ السَّحَابِ إِذَا وَنَى
أَنْتَ الَّذِيْ مَا رَامَ جُوْدَكَ آمِلٌ ... إِلَّا انْثَنَى عَجِلاً وَقَدْ نَالَ المُنَى
مَالِيْ أَرَى الأَجْنَادَ مِنْ دِيْوَانِكُمْ ... أَخَذُوا جَمِيْعَ رِقَاعِهِمْ إِلَّا أَنَا

وأنشدني لنفسه: ـ[من الخفيف]

كُفَّ عَنِّيْ فَمَا عَلَيْكَ ضَمَانِيْ ... خَلِّ شَأْنَ الدُّمُوْعِ تَجْرِيْ وَشَانِيْ
فَلَقَدْ شَاقَنِيْ إِلَى الشَّامِ بَرْقٌ ... أَيْنَ أَرْضُ الشَّامِ مِنْ جَابَانِ
مُسْتَهَامٌ فِيْ هُرْث جَابَانَ يَشْتَاقُ إِلَى النَّيْرَبَيْنِ فَالْمَيْدَانِ
وَقُصُوْرٍ بِنَهْرِ بَانَاسَ وَالوِلْدَانُ فِيْهَا تَخَالُهَا كَالجِنَانِ
/ ٢٢٢ب/ كُلُّ حُلْوِ الدَّلَالِ مُعْتَدِلِ القَامَةِ يَسْبِيْ بِطَرْفِهِ الفَتَّانِ
وَغِنَاءُ الأَطْيَارِ يُغْنِيْكَ فِيْهَا عَنْ سَمَاعِ النَّايَاتِ وَالعِيْدَانِ
حَبَّذَا، حَبَّذَا! لَيَالٍ تَقَضَّتْ ... بَيْنَهُمْ وَالشَّبَابُ فِيْ العُنْفُوَانِ
حَيْثُ عِقْدُ اللَّذَاتِ مِنْهُمْ نَظِيْمٌ . . . . شَمْلُ عَيْشَتِيْ فِيْ تَدَانِيْ
وَمُحَيَّا الزَّمَانِ طَلْقٌ وَأَيَّامُ التَّلَاقِيْ مِنَ النَّوَى فِيْ أَمَانِ
وَوُرُوْدُ الوِصَالِ عَذْبٌ وَأَغْصَانُ المَسَرَّاتِ دَانِيَاتُ المَجَانِيْ
غَدَرَ الدَّهْرُ فَافْتَرَقْنَا وَهَلْ يُنْكَرُ غَدْرٌ مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ

وكان فيْ خدمة بعض أمراء إربل، فكتب إليه: [من الوافر]

أَيَا مَوْلَايَ رُكْنَ الدِّيْنِ مِنْ لِيْ ... سِوَاكَ وَمَنْ بِغَيْرِكَ أَسْتَجِيْرُ
أَتَعْلَمُ أَنَّنِيْ فِيْ سُوْءِ حَالٍ ... وَقَدْ أَضْحَى يُمَاطِلُنِيْ الأَمِيْرُ
وَتُمْسِيْ الصَّافِنَاتُ مُضَمَّرَاتٍ ... فَلَا تِبْنٌ لَهُنَّ وَلَا شَعِيْرُ
لَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ حَتَّى ... كَأَنِّيْ فِيْ بِلَادِكُمْ أَسِيْرُ

وأنشدني لنفسه من أبيات: ـ[من البسيط]

وَاللَّهِ مَا غَرَّدَتْ فِيْ الأَيْكِ طَائِرَةٌ ... وَلَا رَأَيْتُ غَرِيْبًا فَارَقَ الوَطَنَا
إِلَّا وَقُلْتُ مِنَ الأَشْوَاقِ يَا سَكَنِيْ ... تُرَى تَعُوْدُ لَيَالٍ قَدْ مَضَيْنَ لَنَا

[٥٥٣]

/٢٢٣أ/ عُمر بن المظفر بن عبد الله بن المبارك بن عثمان المخزومي المعروف بالسيهبان[(١)].

وهو لقب لبعض أجداده.

[هو من قرية بُرْطُلَّة إحدى قرايا الموصل[(٢)]. كانت حرفته الحياكة، ثم صار له طبع فعمل منه قطعًا كثيرة، وعانى فن الطرب فصار مغنيًا يحضر السماعات . . . . . ؛ وربما أنشأ شعراً . . . . .][(٣)]: [من الكامل]

شِمْ بَارِقًا عُلْوِيَّ نَجْدٍ يَخْفِقُ ... يَخْبُو وَطَوْراً بِالغَضَا يَتَأَلَّقُ

أَسْرَى وَقَدْ أَغْفَى الرَّبَابُ عَلَى الحِمَى ... وَالنَّجْمُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ مُعَلَّقُ

يَحْدُوْ سَحَابَاتٍ . . . . مِنْهُ العِهَادُ مَوَارِداً وَالأَبْرَقُ

أَمْسَى يَرُوْقُ لِشَائِمِيْهِ وَمِيْضُهُ ... وَيُرِيْقُ أَدْمُعَهُ الغَمَامُ وَيُهْرِقُ

شَرِقَتْ بِوَابِلِهِ الأَجَارِعُ غُصَّةً ... لَمَّا سَقَاهَا دَرَّهُ المُتَرَقْرِقُ

فَغَدَتْ بِهِ أَطْلَالُ رَامَةَ تُشْرِقُ ... وَالزَّهْرُ يَرْقُصُ وَالجِفَارُ يُصَفِّقُ

وَالرَّوْضُ يَبْسِمُ وَالنَّسِيْمُ مُعَنْبَرٌ ... فَكَأَنَّ مِسْكًا فِي رُبَاهَا يُسْحَقُ

أَوْسَاقِيًا فَضَّتْ خَوَابِي حَنْتَمٌ يَدُهُ وَدَارَ بِهَا عَلَيَّ مُعَتَّقُ

فَثَمِلْتُ حَتَّى ظِلْتُ مِنْ طَرَبٍ إِلَى ... بَانِ الحِمَى وَغَرِيْبِهِ أَتَشَوَّقُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ أُمَيْمَةَ طَارِقُ ... وَقَدْ بَيَّنَتْ مِنْهُ المُنَى وَالحَقَائِقُ

أَتَى زَائِراً وَهْنًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ ... وَمَا صَدَّهُ طُوْلُ السُّرَى وَالعَوَائِقُ

/٢٢٣ب/ عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ اهْتَدَى وَأَمَامَهُ ... سُجُوْفُ ظَلَامٍ مَانِعٌ وَسُرَادِقُ

سَرَى بِغَيَابَاتِ الكَرَى مُتَكَتِّمًا ... وَقَدْ هَجَعَ الوَاشُوْنَ وَاللَّيْلُ غَاسِقُ

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٥/٥١٦ نقلها عن القلائد، وفيه: «توفي بالموصل في شهر ربيع الأول سنة خمسين وستمائة».

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (برطلى).

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

فَنَمَّتْ بِهِ جَرْسُ الحُلِيِّ عِيَادُه ... وَطِيبُ رِدَاءٍ فَاعْتَرَتْهُ النَّوَاشِقُ
فَأَهْلاً بِهِ طَيفٌ سَرَى بَعْدَ هَجْعَةٍ ... كَمَا لاَحَ فِي طَيِّ السَّحَابَةِ بَارِقُ

وأنشدني أيضًا من شعره[1]: [من الطويل]

تَعَرَّضَ وَهْنًا وَالرِّكَابُ هُجُودُ ... خَيَالٌ بِهِ عَهْدُ المَزَارِ بَعِيدُ
سَرَى مِنْ زَرُودٍ بَعْدَ يَأْسٍ وَدُونَهُ ... مِنَ الأَرْضِ بِيدٌ لِلْمَطِيِّ تَبِيدُ
تَخَطَّى إِلَيَّ النَّائِبَاتِ فَلَيْتَهُ ... يُعِيدُ لُبَانَاتِ الهَوَى وَيَعُودُ
وَلَيْتَ الدُّجَى يَمْتَدُّ طُولاً كَهَجْرِهِ ... وَلَمْ يَبْدُ لِلْصُّبْحِ المُنِيرِ عَمُودُ
فَلَمْ يَبْقَ فِي المُشْتَاقِ غَيْرُ حُشَاشَةٍ ... لِنَارِ هَوًى بَيْنَ الضُّلُوعِ وُقُودُ
وَخَافَتْ أَنْفَاسٍ يُصَعِّدُهَا الأَسَى ... عَلَيْهَا عِظَامٌ نُحَّلٌ وَجُلُودُ
جَرَى دَمْعُهَا دَمْعًا وَغَاضَ كَلاَمُهَا ... فَلَيْسَ عَلَى هَذَا السَّقَامِ مَزِيدُ
وَأَجْحَدُ أَنِّي بِالصَّبَابَةِ مُولَعٌ ... وَهَلْ نَافِعٌ لِلْعَاشِقِينَ جُحُودُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

أَهَاجَ الهَوَى العُذْرِيَّ بَرْقٌ تَبَسَّمَا ... بَدَا كَغِرَارِ السَّيْفِ وَهْنًا عَلَى الحِمَى
سَرَى خَافِقًا وَاللَّيْلُ مُرْخٍ سُتُورَهُ ... عَلَى مَا حَوَتْهُ الخَافِقَانِ مُخَيِّمَا
/٢٢٤أ/ يُذَكِّرُنِي لَمْيَاءَ لَمْ أَنْسَ عَهْدَهَا ... عَلَى مَا خَلاَ مِنْ وَصْلِهَا وَتَصَرَّمَا
وَمَا شَعَفِي بِالبَرْقِ لَوْ لَمْ أَظُنُّهُ ... وَقَدْ رَاقَنِي ثَغْرٌ لِسُعْدَى تَوَهُّمَا
أَرِقْتُ لَهُ لَكِنْ أَرَقْتُ مَدَامِعًا ... تَجَرَّعْتُهَا مَاءً فَأَجْرَيْتُهَا دَمَا
وَبِتُّ أَوَدُّ الطَّيْفَ لَوْ بَاتَ زَائِرًا ... وَمَنْ لِي بِمَسْرَاهُ إِذَا الرَّكْبُ هَوَّمَا
وَمَنْ لِي بِجَرْعَاءِ العَقِيقِ وَجِيرَةٍ ... تَجَرَّعْتُ لَمَّا قَوَّضُوا العَيْشَ عَلْقَمَا
عَدِمْتُ وَقَدْ بَانُوا الكَرَى وَتَجَلُّدِي ... وَلاَ خَيْرَ فِي عَيْشٍ لِمَنْ كَانَ مُعْدِمَا

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في مجمع الآداب ٥/ ٥١٦.

[٥٥٤]

عُمرُ بنُ إسماعيلَ بن مسعودِ بن سعد بن سعيد بن أبي الكتائب بن أبي العشائرِ الفارقيُّ، الكاتبُ، الفَقيهُ، الشافعيُّ، المُدَرِّسُ (١).

شاب اجتمعتُ به بدمشق بقلعتها المحروسة يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة.

أخبرني أنه ولد فِيْ تاسع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وأنه حفظ القرآن الكريم فِيْ ستة أشهر وعمره ست سنين، وقرأ مذهبًا وخلافًا وأصولاً عَلَى عدة من المشايخ منهم: أَبو حفص عمر بن محمد الفرغاني، وأبي الحسن علي بن علي الآمدي. وتميَّز فيما قرأ عليهم.

/ ٢٢٤ب/ وشدا طرفًا من الأدب عَلَى أبي عبد الله محمد بن حيدر النحوي الموصلي.

وخدم جماعة من بني أيوب ملوك الشام. وكان مبدأ خدمته لتاج الملوك أبي المكارم إسحاق بن الملك العادل؛ ثم لأخيه الملك الأمجد تقي الدين عباس، وبعده لأخيه شهاب الدين غازي؛ ثم للملك الأشرف شاه أرمن، [وصحبه إلى مدينة دمشق

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٦ رقم ٣٠٧، وفيه: «توفي سنة تسع وثمانين وستمائة». تالي كتاب وفيات الأعيان ١١٥ رقم ١٧٤. العبر ٥/ ٣٦٣. فوات الوفيات ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥. مرآة الجنان ٤/ ٢٠٨. طبقات السبكي ٨/ ٣٠٨. طبقات الأسنوي ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ رقم ٩٠٧. البداية والنهاية ١٣/ ٣١٨. تذكرة النبيه ١/ ١٣٢. عقود الجمان للزركشي ٢٣٩أ. تأريخ ابن الفرات ٨/ ١٠٤. المنهل الصافي ٨/ ٢٧٨. السلوك ١/ ق٣/ ٧٥٩. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٤٣ ـ ٤٤ رقم ٤٨١. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٥. بغية الوعاة ٢/ ٢١٦ رقم ١٨٢٧. الدارس ١/ ٣٥١. طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢. شذرات الذهب ٥/ ٤٠٩. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٨١ ـ ٦٩٠) ص٣٧٦ ـ ٣٨١ رقم ٥٧٨. نهاية الأرب ٣١/ ١٧. تأريخ حوادث الزمان ١/ ٧ ـ ١٣ تحقيق التدمري. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٧٧ ـ ٣٧٨. طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢/ ٩٢٦ ـ ٩٢٨ رقم ٧. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٨. عيون التواريخ ٢٣/ ٤٨ ـ ٥١. عقد الجمان ٤١ ـ ٤٣. الدارس ١/ ٣٥١. هدية العارفين ١/ ٢٨٧. معجم المؤلفين ٧/ ٢٧٧. الأعلام ٥/ ١٩٩.

فيْ سنة ست وعشرين وستمائة، ولم يزل فيْ خدمته إلى أن توفي الملك الأشرف][١]، فاتصل بأخيه الملك الصالح أبي الفداء أسماعيل واستكتبه فيْ ديوان إنشائه، وجعله مدرسًا فيْ المدرسة الفلكية مضافًا إلى الكتابة. وهو أحد الكتاب المنشئين بدولته.

وأنشدني جملة من أشعاره، إلاَّ أنَّه إذا أنشد شيئًا منها يستغرق بالثناء عليها ويصفها ويعجب بها غاية الإعجاب، ويتعاطى أكثر مما عنده ويفرط فيْ ذلك.

أنشدني لنفسه بدمشق المحروسة بقلعتها يوم الإثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة يقولها للأمير شمس الدين أبي الفضل لؤلؤ بن عبد الله، المقيم بمدينة حلب: [من الطويل]

حَكَيْتَ سَحَابَ البُحْتُرِيِّ مُعَرِّجًا عَلَى حَلَبٍ فَارْتَاحَتِ الرُّوْحُ وَالنَّفْسُ
فَشَاهَدْتُ بَحْرًا لِلنَّدَى فِيْهِ لُؤْلُؤٌ وَعَايَنْتُ أُفْقًا لِلْهُدَى وَبِهِ . . . . .

/ ٢٢٥أ/ وأنشدني لنفسه أيضًا من قصيدة[٢]: [من البسيط]

خَوْدٌ تَجَمَّعَ فِيْهَا كُلُّ مُفْتَرِقٍ مِنَ المَعَانِيْ الَّتِيْ تَسْتَغْرِقُ الكَلِمَا[٣]
عَطَتْ غَزَالًا سَطَتْ لَيْثًا خَطَتْ غُصُنًا مَاجَتْ كَثِيْبًا رَنَتْ نَبْلًا بَدَتْ صَنَمَا
رَأَيْتُ شِعْرِيَ فِيْ الشِّعْرَى بِمِدْحَتِهِ لأَنَّ مِدْحَتَهُ علوى إذَا نَظَمَا
أَضَاءَ شَمْسًا بَدَا بَدْرًا عَلَا فَلَكًا نَمَا هِلَالًا سَمَا نَجْمًا هَمَى دِيَمَا

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَمُخْطَفَةٍ تَسْبِيْ العُقُولَ وَتَخْطَفُ العُيُوْنَ كَأَنَّ السِّحْرَ مِنْ جَفْنِهَا يُوحَى
خَطَتْ وَسَطَتْ ظَبْيًا وَلَيْثًا وَأَسْفَرَتْ صَبَاحًا وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَبَدَتْ . . . .

وأنشدني أيضًا لنفسه وهما بيتان لا ثالث لهما[٤]: [من الكامل]

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) الأبيات في الوافي ٢٢/ ٤٣٣. والقصيدة في تأريخ الإسلام ص٣٧٨ قوامها ٢١ بيتًا. مع اختلاف باللفظ. بعضها في طبقات الفقهاء الشافعيين ١/ ٩٢٧ ـ ٩٢٨. عيون التواريخ ٢٣/ ٤٩. تذكرة النبيه ١/ ١٣٣. طبقات الأسنوي ٢/ ٢٨٦. تأريخ حوادث الزمان ١/ ٩.
(٣) البيتان في الوافي ٢٢/ ٤٣٢. الفوات ٢/ ٢٠٤.
(٤) سميّه: المسمى بإسمه، ووليه: الموالي له.

مِنْ غَرْسِ نِعْمَتِهِ وَنَاظِمِ مَدْحِهِ بَيْنَ الوَرَى وَسَمِيِّهِ وَوَلِيِّهِ
يَشْكُو ظَمَاهُ إِلَى السَّحَابِ لَعَلَّهُ يَرْوِيْهِ مِنْ وَسْمِيِّهِ وَوَلِيِّهِ

وأنشدني أيضًا فِيْ الملك الصالح عماد الدين إسماعيل : [من المديد]

إِنَّ إِسْمَاعِيْلَ بَحْرُ نَدًى وَغَمَامٌ هَاطِلٌ وَكَفَا
/ ٢٢٥ب/ صَالِحٌ فِي اسْمٍ وَفِي صِفَةٍ وَعِمَادٌ لِلْوَرَى وَكَفَى!

وأنشدني أيضًا لنفسه فِيْ رجل اسمه عثمان، وقد رمدت عيناه، ثم شفيت وله ولد يدعى نور الدين وعمل ذلك إرتجالاً[1] : [من الكامل]

قَرَّتْ عُيُونُ النَّاظِرِيْنَ لأَنَّهَا نَظَرَتْ إِلَى عُثْمَانَ ذِيْ النُّوْرَيْنِ
نُوْرٌ بِعَيْنٍ لَمْ تَزَلْ تَسْتَحْقِرُ الدُّنْيَا وَنُوْرٌ قُرَّةٌ لِلْعَيْنِ

---

(١) الوسمي: المطر أول الربيع، والولي: المطر الذي يأتي بعد الوسمي.

ذكر من اسمه عيسى

[٥٥٥]

عيسى بنُ سليمانَ بنِ عبد اللَّه بن عبد الملك بن عبد اللَّه بنِ محمد الرُّعَيْنيُّ الرُّنْديُّ، أبو محمدٍ، وقيل أبو موسى، الأندلسيُّ(١).

من أهلِ مالقةَ.

كان من . . . . الحديث، وسمع منه كثيراً، وكتب بخطه. ولقي رجال أهل العلم والفضل، وأخذ عنهم وسار واجتهد وحصل بعد أن طاف قطعة من البلاد. ثم استقر مقامه بدمشق ثم كرَّ راجعًا إلى مالقة مدينته فلما وصلها بقي بها مدة يسيرة، ومات فِيْ سنة / ٢٢٦أ/ ثلاثين وستمائة.

وكانت ولادته فِيْ شهر ربيع الأول من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، بقرية من قرى الأندلس يقال لها «بلمالة» من كورة بشقير. توغل فِيْ ديار مصر وأقام مدة ببلاد الشام، وطوف قطعة من البلاد الجزرية ثم عاد إلى وطنه فمات به.

وكان حافظًا للقرآن العظيم؛ شاعراً فاضلاً. وعمل كتابًا سماه «الحنين إلى الأوطان الغالب عَلَى النفس هواه والهوى سلطان» ونظم معشرات.

أنشدني الشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر القرطبي، ثم الدمشقي بها سنة أربعين وستمائة فِيْ المحرم، قال: أنشدنا الشيخ تاج الدين أبو محمد عيسى بن سليمان الرعيني لنفسه، وذكر بعض ما أتى به المصطفى

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٥/ ٦٤٠ نقلها عن القلائد. وكان نصّها: «. . ذكره ابن الشعار وقال: دخل بلاد مصر والشام والجزيرة، وأقام بدمشق، وله كتاب الحنين إلى الأوطان، وكان مولده سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وتوفي بمالقة سنة ثلاثين وستمائة». نفح الطيب ٢/ ٣٨٠. التكملة لابن الأبار رقم ١٩٢٩. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢ ـ ٢٤ رقم ١٥. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١١٦ ـ ١١٧ رقم ١١٤. صلة الصلة ٥١. الذيل والتكملة ٥/ ٤٩٥.

ـ صلى الله عليه ـ من الآيات: [من الطويل]

لَكَ الحَمْدُ يَا أَللَّهُ وَالشُّكْرُ دَائِبًا ... كَثِيرًا عَلَى كُلِّ الَّذِيْ أَنْتَ فَاعِلُ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ هَدَيْتَنِي ... لِنَظْمٍ بِهِ تَزْهُو لَعَمْرِيْ المَحَافِلُ
مَنَنْتَ بِنَظْمٍ فِيْ الحَبِيْبِ مُحَمَّدٍ ... فَمَنَّ بِتَرْحَالِيْ فَقَلْبِيَ رَاحِلُ
وَهَبْنِيَ أَصْحَابًا كِرَامًا أَعِفَّةً ... لَهُمْ قَدَمٌ فِيْ الجِدِّ وَالعَزْمِ طَائِلُ
/ ٢٢٦ب/ تَشُدُّ بِهِمْ أَزْرِيْ فَإِنِّي مُدْنَفٌ ... حَلِيْفُ اشْتِيَاقٍ لِلْرَسُوْلِ وَنَاحِلُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَزُوْرُ مُحَمَّدًا ... أَمِ اغْتَالَ مَوْتٌ دُوْنَ ذَلِكَ حَائِلُ
لَعَمْرِيْ لَئِنْ طَالَ المَقَامُ وَلَمْ أَزُرْ ... بِلَادًا بِهَا بَدْرُ الهِدَايَةِ كَامِلُ
لَأَيْقَنْتُ أَنِّي بِالذُّنُوْبِ مُقَيَّدٌ ... وَأَنِّيَ عَنِ الإِرْشَادِ وَالخَيْرِ غَافِلُ
تَوَسَّلْتُ لِلْرَحْمَنِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... بِخَيْرِ الوَرَى طُرًّا وَأَنِّيَ سَائِلُ
بِمَنْ نَبَعَ المَاءُ القَرَاحُ بِكَفِّهِ ... بِمَنْ أَوْرَقَتْ فِيْهِ الغُصُوْنُ الذَّوَابِلُ
بِمَنْ وَجْهُهُ يَزْهُو عَلَى البَدْرِ فِيْ الدُّجَى ... بِمَنْ جُمِعَتْ حَقًّا لَدَيْهِ الفَضَائِلُ
بِمَنْ كَلَّمَتْهُ الشَّاةُ وَهْيَ سَمِيْطَةٌ ... وَذَلَّتْ لَهُ أُسْدُ الشَّرَى وَالمَقَاوِلُ
بِمَنْ حَنَّ جِذْعُ النَّخْلِ شَوْقًا لِصَوْتِهِ ... وَأَخْصَبَ عَصْرُ النَّاسِ إِذْ هُوَ مَاحِلُ
بِمَنْ كَلَّمَ الضَّبَّ البَهِيْمَ حَقِيْقَةً ... بِمَنْ كَلَّمَتْهُ الجَامِدَاتُ الجَنَادِلُ
بِمَنْ أَخْبَرَ الكُهَّانُ دَهْرًا بِبَعْثِهِ ... بِمَنْ بَشَّرَتْ حَقًّا بِذَاكَ الأَوَائِلُ
بِمَنْ أَرْتَجِيْ فِيْ الحَشْرِ مِنْهُ شَفَاعَةً ... نَعَمْ وَالرِّجَالُ الصَّالِحُوْنَ الأَفَاضِلُ
بِمَنْ خَصَّهُ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْرِ فِيْ الوَغَى ... وَذَلَّتْ لَهُ يَا صَاحِبَيَّ الجَحَافِلُ
فَذَاكَ الَّذِيْ أَسْرَى بِهِ اللَّهُ لَيْلَهُ ... إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى فَمَا إِنْ يُسَاجَلُ
وَذَاكَ الَّذِيْ قَدْ كَلَّمَ اللَّهَ رَبَّهُ ... إِذْ أَسْرَى بِهِ حَقًّا وَمَا هُوَ بَاطِلُ
/ ٢٢٧أ/ وَذَاكَ الَّذِيْ قَدْ جَاءَ بِالنُّوْرِ وَالهُدَى ... وَذَاكَ الَّذِيْ تُزْجَى لَدَيْهِ الرَّوَاحِلُ
وَذَاكَ رَسُوْلُ اللَّهِ يَا صَاحِ أَحْمَدٌ ... وَذَاكَ الَّذِيْ تُطْوَى إِلَيْهِ المَرَاحِلُ
وَذَاكَ الَّذِيْ مِنْ أَجْلِهِ الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ ... وَلَاحَ هِلَالُ الدِّيْنِ أَوْ هُوَ آفِلُ
تَوَسَّلْتُ يَا رَبِّيَ إِلَيْكَ بِفَضْلِهِ ... فَأَنْتَ الَّذِيْ تُرْجَى لَدَيْكَ الوَسَائِلُ
فَمَا أَبْلَغُ . . . . مِنْ عُشْرِ فَضْلِهِ ... فَإِنَّ لِسَانِيْ بِالمَآثِمِ عَاطِلُ
لِتَغْفِرَ زَلَّاتِيْ وَتَرْحَمَ ذِلَّتِي ... فَإِنِّيَ أَنَا العَبْدُ الضَّعِيْفُ المُوَاصِلُ

وَبلِّغْنِــي يَــا أَللَّــهُ قَبْــرَ مُحَمَّــدِ ... وَلاَ تُحْـزِنِــي رَبِّــي إِذَا سَــالَ سَـائِــلُ
وَهَــبْ وَالِــدَيَّ مِنْــكَ أَعْظَــمَ رَحْمَــةً ... تَعُمُّهُمَــا دَأْبــاً لَمجْــدِكَ شَــامِــلُ
وَلِلْمُسْلِمِيْــنَ اغْفِــرْ فَــأَنْــتَ مُــؤَمَّــلٌ ... وَفَضْلُــكَ مَعْلُــومٌ وَجُــوْدُكَ سَــائِــلُ
وَصَــلِّ عَلَــى خَيْـرِ البَـرِيَّــةِ أَحْمَــدِ ... وَأَصْحَــابِــهِ طُــرّاً فَـدَمْعِـيَ هَـامِــلُ
وَدَاراً وَشَــوْقــاً لِلْــرَّسُــوْلِ وَصَحْبِــهِ ... وَحُبُّهُــمُ فِــيْ مُضْمَــرِ القَلْــبِ حَــاصِــلُ
عَلَيْهِــمْ سَــلاَمِــيْ مَــا تَــرَنَّــمَ طَــائِــرٌ ... وَمَــا قَطَعَــتْ أُفْــقَ السَّمَــاءِ المَنَــازِلُ

وأنشدني أيضًا، قال: انشدنا لنفسه وقد سأله بعض مشايخه بدمشق شيئًا مما يتعلق بأصحاب الحديث: [من البسيط]

/ ٢٢٧ب/ قُلْ لِلَّذِيْنَ بِعِلْمِ الرَّأْيِ قَدْ وَلِعُوا ... وَأَهْمَلُــوا السُّنَّــةَ الغَــرَّاءَ وَاخْتَــرَعُــوا
مَسَــائِــلاً جَمَّــةً مَــا مِثْلُهَــا وَرَدَتْ ... فِــيْ الشَّــرْعِ لَكِنَّهُــمْ فِــيْ وَصْفِهَــا ابْتَـدَعُـوْا
وَصَــوَّبُــوا رَأْيَهُــمْ حَتَّــى لَقَــدْ زَعَمُــوا ... أَنْ لَيْسَ عِلْــمٌ سِــوَى هَــذَا الَّــذِيْ وَضَعُــوا
العِلْــمُ وَيْحَكُــمُ مَــا فِيْــهِ حَــدَّثَنَــا ... خَيْــرُ الأَنَــامِ رَسُــوْلُ اللَّــهِ فَــاسْتَمِعُــوا
وَالقَــائِلُــوْنَ بِــهِ وَالنَّــاقِلُــوْنَ لَــهُ ... هُــمُ الــرِّجَــالُ وَأَنْتُــمْ خَلْفَــهُ تَبَــعُ
يَــا شَــانِيــاً لَهُــمُ مَهْــلاً عَلَيْــكَ فَكَــمْ ... تَبْغِــي بِبُغْــضِ أُهَيْــلِ الفَضْــلِ يَــالُكَــعُ
اللَّــهُ فَضَّلَهُــمْ حَقّــاً وَأَهَّلَهُــمْ ... لِنَقْــلِ قِيْــلِ رَسُــوْلِ اللَّــهِ فَــاتَّبِعُــوا
آثَــارَهُ فَغَــدَوا وَاللَّــهُ يَكْلَــؤُهُــمْ ... مُسْتَمْسِكِيْــنَ لِــوَاءَ العِلْــمِ قَــدْ رَفَعُــوا
كَفَــاهُــمُ شَــرَفــاً وَاللَّــهِ أَنَّهُــمُ ... فِــيْ سِلْكِ إِسْنَادِ خَيْرِ الخَلْقِ قَدْ جُمِعُوا
مَــنْ ذَا يُضَــاهِيْهِــمُ أَمْ مَــنْ يُسَــاجِلُهُــمْ ... أَمْ مَــنْ يُفَــاخِــرُهُــمْ يَــوْمــاً وَقَــدْ رَتَعُــوا
فِــي رَوْضَــةٍ مِــنْ رِيَــاضِ العِلْــمِ مُــؤْنِقَــةٍ ... أَزْهَــارُهَــا وَجَنَــاهَــا العِلْــمُ وَالــوَرَعُ
. . . . أَهْــلَ الحَــدِيْــثِ العِلْــمِ أَنَّهُــمُ ... تَمَسَّكُــوا بِعُــرَى مَــا لَيْــسَ يَنْقَطِــعُ
حَتَّــى تُبَــوِّءَهُــمْ دَارَ الخُلُــوْدِ عَلَــى ... خَيْــرِ الأَنَــامِ الَّــذِيْ طَــاحَــتْ بِــهِ البِدَعُ
صَلَّــى عَلَيْــهِ إِلَــهُ الخَلْــقِ مَــا طَلَعَــتْ ... شَمْــسُ النَّهَــارِ وَلاَحَ البَــرْقُ يَلْتَمِــعُ

وأنشدني تاج الدين أبو الحسن / ٢٢٨أ/ محمد بن أحمد بن علي القرطبي، قال: أنشدنا أبو محمد الرعيني، قال: انشدني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي بكر لنفسه بدمشق: [من الكامل]

مَــنْ لَــمْ تَنَلْــهُ غُــرْبَــةٌ مِــنَ الــرَّدَى ... فَهْــوَ القَنَــاةُ وَتِلْــكَ حَــدُّ سِنَــانِ

وَحُـرُوفُهَـا مِـنْ كُـلِّ بُـؤْسٍ رُكِّبَـتْ ... لِتَعُـمَّ مَـنْ يَغْشَـاهُ بِـالأَشْجَـانِ
فَـالغَيْـنُ مِـنْ غَـمٍّ وَغُبْـنٍ دَائِـمٍ ... وَالـرَّاءُ مِـنْ رُزْءٍ عَلَـى الأَوْطَـانِ
وَالبَـاءُ مِـنْ بَـرَحٍ وَبَيْـنٍ أَوْبَلَـى ... وَالهَـاءُ مِـنْ هَـمٍّ وَهُلْـكٍ دَانِـي

وأنشدني تاج الدين أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي الدمشقي بها، قال: أنشدني أبو محمد عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني، فِيْ الجزء الأول من تأليفه الَّذِيْ سماه «كتاب الحنين إلى الأحباب والأوطان الغالب عَلَى النفس هواه والهوى سلطان» فمن ذلك ما أنشأه فِيْ وصفه، وهو عشرون بابًا: [من البسيط]

/ ٢٢٨ب/ هَـذَا كِتَـابُ قَصِـيِّ الـدَّارِ مُمْتَحَـنٍ ... بِفُـرْقَـةِ الأَهْـلِ وَالأَخْـدَانِ وَالـوَطَـنِ
صَـبٍّ مَشُـوقٍ بَـرَاهُ البَيْـنُ فَـاضْطَـرَمَـتْ ... أَحْشَـاؤُهُ فَغَـدَا وَالهَـمُّ فِـيْ شَطَـنِ
تَصْنِيـفُ مَـنْ قُـرِحَـتْ بِـالـدَّمْعِ مُقْلَتُـهُ ... وَخُـدَّ فِـيْ الخَـدِّ فِعْـلَ العَـارِضِ الهَتِـنِ
كَـذَاكَ كُـلُّ غَـرِيْـبِ الـدَّارِ مُنْتَـزِحٍ ... مَـا إِنْ لَـهُ حَيْثُ مَـا قَـدْ حَـلَّ مِـنْ سَكَـنِ
يَشْكُـو البِعَـادَ وَمَـا قَـدْ ظَـلَّ يَـرْمُقُـهُ ... مِـنْ سُـوْءِ فِعْـلِ النَّـوَى فِـيْ السِّـرِّ وَالعَلَـنِ
طَـالَ الثَّـوَاءُ بِـأَرْضِ الشَّـامِ وَأَسَفِـيْ ... مَـاذَا مُنِيْـتُ بِـهِ مِـنْ غَـدْرَةِ الـزَّمَـنِ
فَـاللَّـهُ يَجْبُـرُ ثُكْلِـيْ ثُـمَّ يَجْمَعُنِـيْ ... قَبْـلَ المَمَـاتِ بِمَـنْ أَهْـوَى بِـلاَ مِحَـنِ
بِـرَحْمَـةٍ مِنْـهُ مَـا أَرْجُـو سِـوَاهُ كَـذَا ... سُبْحَـانَـهُ جَـلَّ ذُوْ الإِحْسَـانِ وَالمِنَـنِ

وأنشدني، قال: انشدني لنفسه فِيْ الباب الأول؛ وهو باب فِيْ ذم الغربة والإغتراب وبيان كون الغريب أذل من التراب: [من الوافر]

أَبَـتْ لِـيَ هِمَّتِـيْ وَأَبَـى انْتِخَـابِـيْ ... سِـوَى حِفْـظِ المَـوَدَّةِ وَالإِخَـاءِ
أَلاَ إِنِّـيْ بِشُتَّـلَ مُسْتَهَـامٌ ... أَدِيْـنُ لِسَـاكِنِيْهَـا بِـالـوَفَـاءِ

شُتَّل: اسم ضيعة من ضياع مالقة بها أهله وولده.

/ ٢٢٩أ/ أَهِيْمُ بِمَـنْ بِشُتَّـلَ قَـدْ أَقَـامُـوا ... وَنَـابُهُـمُ بِـلاَ مَيْـنٍ شَقَـائِـيْ
إِذَا الأَقْـدَارُ لَـمْ تَسْمَـحْ بِقُـرْبٍ ... سَـأَقْنِـيْ فِـيْ وِدَادِهِـمُ ذَمَـائِـيْ[1]

---

(١) الذماء: بقية الروح.

أُنُــوْحُ لِغُــرْبَتِــي وَلِفَقْــدِ أَهْلِــيْ فَــدَهْــرِيْ لاَ أَمَــلُّ مِــنَ البُكَــاءِ
أَبِيْــتُ حَلِيْــفَ وَجْــدٍ وَاشْتِيَــاقٍ وَلَيْلِــي قَــدْ فَــزِعْــتُ إِلَــى الــدُّعَــاءِ
أُنَــادِيْ فِــيْ بِــلاَدِ الشَّــرْقِ . . . . إِلَــهَ العَــالَمِيْــنَ أَرِحْ شِفَــائِــيْ
أَذَا العَــرْشِ المَجِيْــدِ إِلَيْــكَ أَشْكُــو نُــزُوحَ أَحِبَّتِــيْ وَالهَــمُّ دَائِــيْ
أَلاَ إِنِّــيْ غَــرِيْــبُ الــدَّارِ صَــبٌّ إِلَــى كَــمْ ذَا التَّغَــرُّبُ وَالتَّنَــائِــيْ
أَلاَ إِنَّ الغَــرِيْــبَ مَــدَى اللَّيَــالِــيْ أَذَلُّ مِــنَ التُّــرَابِ بِــلاَ . . . .
إِلَــى اللَّــهِ العَظِيْــمِ شَكَــوْتُ حَــالِــيْ عَسَــاهُ بِفَضْلِــهِ يُــدْنِــيْ لِقَــائِــيْ

وأنشدني، قال: انشدني لنفسه: [من الطويل]

خَلِيْلَــيَّ إِنِّــي قَــدْ نَصَحْتُكُمَــا جُهْــدِيْ وَإِنْ كَــانَ نُصْحِــيْ لاَ يُفِيْــدُ وَلاَ يُبْــدِيْ
وَلَكِــنَّ نُصْــحَ الخَلْــقِ فِــيْ الشَّــرْعِ قَــدْ أَبَــى فَــذَاكَ حَــدَانِــيْ أَنْ أُبِــثَّ الَّــذِيْ عِنْــدِيْ
فَــدُوْنَكُمَــا كَــمْ ذَا التَّغَــرُّبُ فِــيْ الــوَرَى وَحَتَّــى مَتَــى لاَ تَنْــزِعَــانِ إِلَــى الــرُّشْــدِ
أَلاَ إِنَّ سُبْــلَ الــرُّشْــدِ لِلْمَــرْءِ أَوْبَــهُ لأَوْطَــانِــهِ الــلاَّتِــيْ بِهَــا كَــانَ فِــيْ المَهْــدِ
فَــلاَ تَسْمَعَــا مِمَّــنْ يُبَهْــرِجُ قَــوْلَــهُ . . . . وَإِنْ زَعَمُــوا أَنَّ الفَــوَائِــدَ فِــيْ البُعْــدِ
/ ٢٢٩ب/ . . . أَنَّ البُعْــدَ . . . لَفْظُــهُ ذَوُو الــدِّيْــنِ وَالــدُّنْيَــا ذَوُو الحَــلِّ والعَقْــدِ
فَكُــلُّ غَــرِيْــبِ الــدَّارِ لاَبُــدَّ أَنْ يُــرَى ذَلِيْــلاً حَقِيْــراً لاَ يُعِيْــدُ وَلاَ يُبْــدِيْ
وَلَــوْ كَــانَ ذَا مَــالٍ عَــرِيْــضٍ وَثَــرْوَةٍ فَــلاَ بُــدَّ أَنْ يَلْقَــى كَثِيْــراً مِــنَ الجَهْــدِ
وَمَــا إِنْ يَــزَالُ الــدَّهْــرَ حِلْــفَ صَبَــابَــةٍ وَلَــوْ مَلَــكَ الــدُّنْيَــا إِلَــى آخِــرِ الهِنْــدِ
فَمَــنْ كَــانَ ذَا عَقْــلٍ غَــزِيْــرٍ وَهِمَّــةٍ فَــلاَ يَلْتَفِــتْ يَــوْمــاً إِلَــى العَلَــمِ الفَــرْدِ
وَلاَ يَحْفِلَــنْ بِــالظَّــاعِنِيْــنَ إِلَــى الحِمَــى وَلاَ يَصْبُــوَنْ لِلسَّــاكِنِيْــنَ رُبَــى نَجْــدِ
وَلَكِــنَّ طَــرْفَ العَــزْمِ يَــرْكَــبُ مَتْنَــهُ تَــؤُومُ بِــهِ الأَوْطَــانَ بِــالنَّــصِّ وَالــوَخْــدِ
وَيُتْحِــفُ أَهْلِيْــهِ بِــرُؤْيَــةِ وَجْهِــهِ فَمَــا مِنْهُــمُ إِلاَّ مَشُــوْقٌ وَمُسْتَجْــدِيْ
إِلَــى اللَّــهِ يَشْكُــوْنَ الغَــرَامَ وَفَقْــدَهُ فَيَــا بُــؤْسَ مَــا يَلْقَــوْنَ مِــنْ شِــدَّةِ الــوَجْــدِ
فَلِلَّــهِ مَــنْ يَــرْعَــى قُلُــوبَ أُهَيْلِــهِ وَيَكْسِــبُ فِــيْ ذَاكَ الثَّنَــاءَ مَــعَ الحَمْــدِ

[٥٥٦]
عيسى بنُ عبد العزيز بن يَلَلْبَخْت[١] البردكيُّ، خطيبُ الجامعِ بمراكشَ، أبوَ موسىَ الجَزوليّ[٢].

منسوب إلى قبيلة من البربر مشهورة تسمى «جزولة» أصلها بين الكاف والقاف فعربها الكتاب، وكتبوها بالجيم.

/ ٢٣٠أ/ من أهل مراكش.

الشيخ الأديب النحوي الفقيه الخطيب.

رحل إلى مصر وأدرك أبا محمد عبد الله بن بري النحوي، وقرأ عليه أصول أبي بكر بن السراج، وقرأ عَلَى أبي منصور ظافر بن الحسين المالكي المصري كتابًا فِيْ أصول الدين، فنال عندهم حظوة، وتقبلوه وحسن موقعه عندهم، وقاسى مدة إقامته بمصر ضراً من الفقر والفاقة، ولم يدخل فِيْ مدرسة.

وكان يخرج إلى الضياع فيحصل ما يقوم بنفقته، وهو غاية من القلة وضيق المعيشة، ثم رجع إلى المغرب فقيراً مدقعًا فوصل إلى المرية وغيرها من البلاد. وصَاحَبَ ابني عبد المؤمن المستولين عَلَى تلك البلاد، فنال عندهم حظوة، وتقبلوه وحسن موقعه عندهم، فتمشت أحوالـه معهم، واكتسب رزقـًا متوافـراً من صحبتهم.

---

(١) يَلَلْبَخْت: بفتح الياء المثناة من تحتها واللام، وسكون اللام الثانية، وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوقها: وهو اسم بربري.
انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٠.

(٢) ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٨ ـ ٤٩١. إنباه الرواة ٢/ ٣٧٨. دول الإسلام ٢/ ١١٣. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٩٧ رقم ٢٥٧. بغية الطلب ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ رقم١٨٧٩. مرآة الجنان ٤/ ١٩ ـ ٢٠. تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣٢ وفيهما وفاته سنة ٦١٠هـ. صلة الصلة لابن الزبير ٥٣. تكملة الصلة لابن الأبار ٢/ رقم ١٩٣٢. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٠. العبر ٥/ ٢٤ ـ ٢٥. تأريخ مختصر الدول ٢٢٩. المختصر في أخبار البشر ٣/ ١١٥. شذرات الذهب ٥/ ٢٤. ديوان الإسلام ٢/ ٨٩ رقم ٦٨٢. روضات الجنات ٥٠٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٢٦٣ـ ٢٦٥ رقم٣٥٩ وص٣٨١ رقم ٥٣٢. السلوك ج١/ ق١/ ١٧٢. البداية والنهاية ١٣/ ٦٧. الوفيات لابن قنفذ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ رقم ٦١٦. كشف الظنون ١١١، ٦٠٥، ٨١١، ١٨٠٠، ١٨٠١. هدية العارفين ١/ ٨٠٧. دائرة المعارف الإسلامية ٦/ ٤٩٩. معجم المؤلفين ٨/ ٢٧. الأعلام ٥/ ١٠٤.

وكان قد ندبه الأمير أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد المؤمن لكشف أحوال القضاة والولاة عَلَى البلاد، ثقة بعدالته وأمانته، فتوفي فِيْ تلك السفرة فِيْ دولة الأمير محمد بن يعقوب قبل السنة العاشرة والستمائة، والله أعلم بصحة ذلك. وكانَ نحويًا / ٢٣٠ب/ حاذقًا بصيراً بعلم العربية، إمام زمانه في معرفتها وإتقانها؛ وهو صاحب المقدمة الجزولية المشهورة في علم الأعراب التي سارت وانتشرت في الآفاق، واستجادها أهل هذا الشأن، واستحسنوها غاية الإستحسان، وشهدوا لمصنفها بالتبريز والسبق على أبناء جنسه واستخاروها على مصنفات القُدامى من النحاة، وكُتبت بها النسخ لكونها فريدة في معناها. وكانت وفاته في حدود سنة خمس وستمائة بهسكورة من بلد مراكش.

أنشدني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الفقيه المدرس الحنفي بمحروسة حلب، بمنزله المعمور في سنة أربع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو الحسن يحيى بن معطي بن عبد النور المغربي النحوي، قال: أنشدني أبو موسى لنفسه، يذكر فضل شيخ من العلماء، وكان رجلاً صالحًا يعرف بأبي العباس الفقيه:

[من السريع]

أَقُولُ قَولاً مَالَهُ مُنْكِرُ ... إلاَّ امْرُؤٌ أَحْمَقُ مُسْتَكْبِرُ:

إِنَّ أَبَا العَبَّاسِ ممَّنْ بِهِ ... يُسْتَنْزَلُ الرِّزْقُ وَيُسْتَمْطَرُ

/ ٢٣١أ/ بَقيَّةٌ مِنْ سَلَفٍ صَالِحٍ ... كَانَ كَمَا كَانُوا فَمَا يَكْدُرُ

كُنْتُ لَعَمْرِيْ إِنْ جَرَى ذِكْرُهُ ... أَظُنُّهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يُذْكَرُ

فَاليَومَ لاَ أَرْتَابُ فِيْ فَضْلِهِ ... صَدَّقَ عِنْدِيْ الخَبَرَ المُخْبِرُ

جَالَسْتُ مِنْهُ الشَّمْسَ فِيْ قُدْرَةٍ ... وَأَبْحُراً فِيْ العِلْمِ لاَ تُعْبَرُ

هَمَّ بَنُو الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ ... فِيْ العِلْمِ وَالتَّقْوَى فَلَم يَقْدِرُوْا

أَبْصَرَ مَا لَمْ يُبْصِرُوا بَعْدَمَا ... شَارَكَهُمْ فِيْ كُلِّ مَا أَبْصَرُوا

[٥٥٧]

عيسى بنُ المُعَلّى بنِ مسلمةَ، أبو إبراهيمَ الرافقيُّ[١].

الشيخُ الأديبُ الفاضلُ النحويُّ.

كان له مكتب قد فتحه يعلم فيه الصبيان الخط، ويؤدبهم بالعربية والأدب، وله عدّة تصانيف منها «تبيين الغموض في علم العروض»، وكتاب «المنتخب من لغة العرب»، وكتاب «الجامع في شرح الكافي في معرفة القوافي»، وكتاب «تحفة المجالس وغبطة النديم والمؤانس» ألّفه للملك الظاهر صاحب حلب عمله على ألسنة الشعراء المتقدمين. / ٢٣١ب/ ومن ذكر من الفتيان والقيان المجيدين، وكتاب «الإقناع في الرسائل» وصنّف في النّحو كتابًا لطيفًا سماه «المَعُونة» وشرحه بكتاب آخر سماه «القرينة في شرح كتاب المَعُونة».

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث ربيع الآخر من سنة خمس وستمائة، وصار ديوان شعره في مجلدتين كبيرتين، مشروحًا افتتحه بخطبة من إنشائه، ورتبه أبوابًا يشتمل على ستة أبواب «باب في المديح والافتحارات»، «باب في الزهديات والمسائل الفقهية والأحاجي النحوية»، «باب في . . . . الصلات»، «باب في الاعتذارات والشكر على ابتداء الحسنات»، «باب التشوقات وما يكتب في المراسلات»، «باب المودات في الآداب والمعاني المختلفات»، «باب في الأحاجي وما فيه من اللغز والأحاجي».

ولم يكن شعره رقيقًا مطبوعًا بل مرذولاً ظاهرَ التعجرف، بادي الركاكة لكثرة ما يستعمل فيه من الألفاظ الحوشية تبنى عليه الرثاثة. وكان خبيراً باللغة العربية، عالمًا بأخبار العرب وأمثالها ووقائعها، ذا فضائل جمّة / ٢٣٢أ/ وآداب كثيرة وعلم واسع.

---

(١) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/ ٢٣٩ رقم ١٨٨٣. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٨٤ رقم ٢٥٧. إنباه الرواة ٢/ ٣٨٠. تلخيص ابن مكتوم/ ورقة ١٨١. معجم الأدباء ٥/ ٢١٤٣ رقم ٨٨٣.
ترجم المؤلف لولده (إبراهيم بن عيسى) في الجزء الأول برقم ٢١.

ومن شعره ما كتبه إلى صديق له، يعتذر إليه من انقطاعه عن عيادته:

[من المتقارب]

أُعيذُكَ مِنْ أَلَمٍ حَادثٍ يَكُونُ لجسْمكَ يَوْماً مَهيضَا
وَلاَزلْتَ عُمْرَكَ فِيْ صِحَّةٍ تَنَالُ الثَّنَاءَ الطَّوِيْلَ العَرِيْضَا
وَلَيْسَ انْقطَاعِي عَنْ أَنْ أَراكَ إِلاَّ كَمَنْ لاَ يَوَدُّ الفُرُوْضَا
بَلَى إِنَّ قَوْماً رَأَوْا قَبْلَنَا بِأَنْ لاَ يَعُوْدُ مَرِيْضٌ مَرِيْضَا

وقال في غلام أزرق: [من المتقارب]

لَقَدْ لاَمَنِي فِيْ هَوَى أَغْيَدٍ أُنَاسٌ لمعْنَاهُ مَا حَقَّقُوا
وَقَالُوا: بمُقْلَتِهِ زُرْقَةٌ فَذَمُّوهُ عِنْدِيْ وَلَمْ يَصْدُقُوا
وَهَلْ يَبْلُغُ المَشْرَفِيُّ مراداً وَمَا مَتْنُهُ أَزْرَقُ
وَمِنْ صِفَةِ المَاءِ إِنْ قِيْلَ فِيْهِ أَزْرَقُ فِيْ لَوْنِهِ مُشْرِقُ
وَلَوْنُ السَّمَاءِ إِذَا كَانَ فِيْ العُيُوْنِ فَمَنْ حَقِّهَا تُعْشَقُ
فَلَسْتُ أُبَالِيْ بِلَوْمِ الأَنَامِ وَلَوْ أَرْعَدُوا فِيْهِ أو أَبْرَقُوا

وقال في غلام ضرير: [من البسيط]

قَالُوا: عَشقْتَ ضَرِيْراً قُلْتُ: وَيْحكُمُ لاَ تَعْذلُوْنِيْ عَلَى عِشْقِ الأَضِرَّاءِ
/ ٢٣٢ب/ لَوْ كَانَ يُبْصِرُ لَمْ آمَنْ مَلاَلَتَهُ قُرْبِي وَدَانَ يَرَى رَأْياً سِوَى رَائِيَ
مَاذَا انْتِفَاعِيْ بِعَيْنَيْهِ وَفِيْ فَمِهِ وَوَجْنَتَيْهِ دَوَاءٌ لِيْ مِنَ الدَّاءِ

وقال: [من المجتث]

قُلْ لِلأَحِبَّةِ هَا قَدْ جِئْنَا فَهَلْ تَقْبَلُونَا
يَا هَاجِرِيْنَا إِلَى كَمْ يَكُوْنُ مَا تَعْدُوْنَا
يَا وَاجِدِيْنَ عَلَيْنَا مَا آنَ أَنْ تَرْحَمُوْنَا
جِئْنَا نُحَاوِلُ قُرْباً مِنْكُمْ فَلاَ تُبْعِدُوْنَا
وَقَدْ وَقَفْنَا عَلَى بَابِكُمْ فَلاَ تَطْرُدُوْنَا
مَا تَرْحَمُون كَئِيْباً بِحُبِّكُمْ مَفْتُوْنَا

وقوله أيضًا: [من الطويل]

أَلاَ رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ أَرْضَاهُ رَبُّهُ وَحَلاَّهُ فِي جَنَّاتِهِ بِجَوَاهِرِ
فَأَلْبَسَهُ فِي الخُلْدِ مِنْ كُلِّ حُلَّةٍ تَرَاهَا عَلَيْهِ زِينَةً لِلنَّوَاظِرِ
وَكَمْ مِنْ زَرِيِّ الحَالِ أَصْبَحَ ظَاهِراً يُحَلَّى بِهَا مِنْ عَسْجَدٍ بِأَسَاوِرِ
وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ فِي قَرَارِ جَهَنَّمٍ بِوَجْهٍ عَبُوسٍ أَسْوَدِ اللَّوْنِ بَاسِرِ
أَقَامَ بِهَا يَلْقَى هَوَاناً وَذِلَّةً وَأَخْلَدَهُ فِيهَا ذُنُوبُ الكَبَائِرِ

/ ٢٣٣أ/ وقال: [من مجزوء الرجز]

صَاحَ غُرَابُ بَيْنِهِمْ فَبِتُّ أَبْكِي أَسَفَا
وَلَسْتُ أَشْكُو مِنْ أَحِبَّائِي سِوَى طُولِ الجَفَا
مَا ضَرَّ مَنْ عَذَّبَنَا بِهَجْرِهِ لَوْ عَطَفَا
مَنْ لِي بِعَيْشٍ كَدَّرَتْهُ الحَادِثَاتُ لَوْ صَفَا
مَا بَالُكُمْ لاَ تَقْبَلُونَ مَنْ أَتَى مُعْتَرِفَا
هَلاَّ رَحِمْتُمْ مَنْ عَلَى أَبْوَابِكُمْ قَدْ وَقَفَا
أَمَا تَرَوْنَ جِسْمَهُ لِهَجْرِكُمْ قَدْ دَنِفَا
صَافُوهُ إِذْ عَادَ كَمَا تَهْوَوْنَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا

وقوله: [من الخفيف]

يَا أُخَيَّ هَكَذَا تَكُونُ العِبَادَهْ لاَ تُرَادُ الدُّنْيَا بِهَا وَالزِّيَادَهْ
لاَ تُرِدْ غَيْرَ وَجْهِهِ بِالعِبَادَاتِ وَلاَ غَيْرَهَا بِعَدْلِكَ عَادَهْ
لاَ تَرُمْ طَالِبَ السِّيَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَرُمْ فِي الجِنَانِ تِلْكَ السِّيَادَهْ
صَلِّ فَوْقَ التُّرَابِ لاَ تَحْسَبَنَّ الزُّهْدَ بَسْطَ الصِّقَاعِ وَالسَّجَّادَهْ
وَدَعِ الكِبْرَ وَالرِّئَاسَةَ وَالمَالَ لِيَشْقَى بِجَمْعِهِ مَنْ أَرَادَهْ
/ ٢٣٣ب/ زَوِّدِ النَّفْسَ بِالبَقِيَّةِ فَالرَّاحِلُ يَبْغِي لِنَفْسِهِ . . . .
لاَ تُرِدْ غَيْرَ وَجْهِ رَبِّكَ بِالأَعْمَالِ حَتَّى تَنَالَ مِنْهُ الإِرَادَهْ
فَاللَّبِيبُ الأَرِيبُ مَنْ يَتْرُكُ الدُّنْيَا وَيَبْغِي لِمَا أَحَبَّ مَعَادَهْ
مَا السَّعِيدُ الَّذِي تَرَاهُ كَثِيرَ المَالِ بَلْ فِي التُّقَى تَكُونُ السَّعَادَهْ

وقوله: [من المجتث]

لاَ تُكْثِـــرَنَّ كَـــلاَمـــاً فَـــالصَّمْـــتُ فِيْـــهِ السَّـــلاَمَـــهْ
كَـــمْ مِـــنْ كَـــلاَمٍ كَثِيْـــرٍ جَنَـــى عَلَيْـــكَ نَـــدَامَـــهْ

وقال يصف التقويم: [من الوافر]

أَرَى التَّقْـــوِيْـــمَ ذَا عِلْـــمٍ جَلِيْـــلٍ يَـــرُوْقُ لِكُـــلِّ ذِيْ فَهْـــمٍ جَلِيْـــلِ
إِذَا طَلَّعْـــتَ فِيْـــهِ وَكُنْـــتَ حَبْـــراً بِمَعْـــرِفَـــةِ الطُّلُـــوْعِ مِـــنَ الأُفُـــوْلِ
عَلِمْـــتَ بِسَيْـــرَةِ الأَفْـــلاَكِ مِنْـــهُ مَـــوَاقِيْـــتَ الإِقَـــامَـــةِ وَالـــرَّحِيْـــلِ
وَتَـــدْبِيْـــرَ الأُمُـــوْرِ مُحَقَّقَـــاتٍ بِعَـــاقِبَـــةِ القَبِيْـــحِ مِـــنَ الجَمِيْـــلِ
وَأَقْـــرَبُ مَـــا يُفَـــادُ المَـــرْءُ مِنْـــهُ عَلَـــى الأَيَّـــامِ مَعْـــرِفَـــةُ الفُصُـــوْلِ
وَأَعْيَـــادُ اليَهُـــوْدِ مَـــعَ النَّصَـــارَى وَقَـــدْ يَعْـــزُبْـــنَ عَـــنْ عَقْـــلِ الجَهُـــوْلِ
/ ٢٣٤أ/ كَثِيـــرُ النَّفْـــعِ تَحْسَبُـــهُ قَلِيْـــلاً فَيَـــا حُسْـــنَ الكَثِيْـــرِ مِـــنَ القَلِيْـــلِ

وقال يصف حماماً: [من الخفيف]

قَـــدْ رَأَيْنَـــا مِـــنْ لُطْـــفِ صُنْـــعِ البَـــارِيْ مَنْـــزِلاً فِـــيْ نِهَـــايَـــةِ الإِخْتِصَـــارِ
فِيْـــهِ مِثْـــلُ السَّعِيْـــرِ مِـــنْ سَـــوْرَةِ النَّـــارِ تَلَظَّـــى مِـــنْ جَـــاحِـــمٍ نَـــوَّارِ
وَجَحِيْمَـــاً جَنَيْـــتُ مِنْـــهُ نَعِيْمَـــاً فِـــيْ غُـــدُوٍّ.... بِـــابْتِكَـــارِ
أَرْضُـــهُ مَـــرْمَـــرٌ تَـــزِلُّ بِـــهِ الأَقْـــدَامُ مَحْفُـــوْفَـــةً بِمَـــاءٍ جَـــارِيْ
مَنْـــزِلاً طَـــابَ ظِلُّـــهُ بِسَمَـــاءٍ رُفِعَـــتْ فَهْـــيَ نُـــزْهَـــةُ الأَبْصَـــارِ
تَنْظُـــرُ اللَّيْـــلَ وَالكَـــوَاكِـــبَ مِنْـــهُ طَـــالِعَـــاتٍ مِـــنْ جَـــوِّهِ بِـــالنَّهَـــارِ
وَحْشَتَـــيْ أَنْ أُزَارَ مِنْـــهُ وَمَـــا كِـــدْتُ أَرَاهُ يَخْلُـــو مِـــنَ الـــزُّوَّارِ
مَـــا سَمِعْنَـــا مِـــنْ قَبْلِـــهِ بِنَعِيْـــمٍ فِـــيْ جَحِيْـــمٍ وَجَنَّـــةٍ فِـــيْ نَـــارِ

[٥٥٨]

عيسى بنُ مُحمّد بن أيوبَ بن شاذي بن مروانَ بن يعقوبَ، الملكُ المعظمُ، أبو الفضائلِ بنُ الملكِ العَادلِ أبي بكرٍ[1].

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/ ٢١٢ رقم ٢١٧١. الكامل في التأريخ ١٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢. وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦ رقم ٤٨٨. نهاية الأرب ٢٩/ ١٤٣ ـ ١٤٧. العبر ٥/ ١٠٠. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٢٠ ـ ١٢٢ رقم ٨٣. تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤٨. التاريخ المنصوري ١٥٣. ذيل الروضتين ٢٥. =

صاحب دمشقَ.

كان أشدَّ أخوته بأسًا، وأقواهم جأشًا، له السياسة والشجاعة والشهامة /٢٣٤ب/ والصرامة، ذا همّة عالية وحزم شديد.

وحدّثته نفسه بتملك البلاد فعاث في بعضها، وسلط عليها العرب فقطعوا الطرق وأخافوا السبيل، وذهبت بسببه الأموال والأنفس، فتقلدها في عنقه، ولقي الله تعالى بها. وامتدت يده في الظلم والمصادرات، وظلم جماعة ووصل جوره وظلمه إلى خلق كثير، فأخذه الله ـ تعالى ـ في أغفل حاله حيث لم يشعر. وصار رهنًا بعمله.

وتعصّب على مذهب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وعلى الائمة على مذهبه للحنفية، وقرب الأطراف، وأبعد الأماثل، ودرس من فقه الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وناظر الفقهاء وتكلّم معهم في المسائل الخلافية. وكان يقرّب العلماء وأهل الأدب ويباحثهم، ويقبل عليهم ويكرمهم. ونظم شعراً كثيراً، ودوّن شعره ومُعظمه في الإفتخار ووصف نفسه بالفروسية والإقدام والحروب والوغى.

وتوفي بدمشق يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة. وكانت ولادته سنة ست وسبعين وخمسمائة.

أنشدني منقد بن سالم /٢٣٥أ/ بن رافع الدمشقي الشاعر، قال: أنشدني الملك

= مفرّج الكروب ٤/٢٠٨ ـ ٢٢٤. أخبار الأيوبيين لابن العميد ١٣٧. الدر المطلوب ٢٨٧ ـ ٢٨٨. المختصر في أخبار البشر ٣/١٣٨. الجواهر المضية ١/ ٤٠٢. البداية والنهاية ١٣/ ١٢١ ـ ١٢٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٠٣ رقم ٢٠٧. تأريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٤٣ ـ ٢٤٤. تأريخ الزمان له ٢٦٢. زبدة الحلب ٣/ ٢٠١. دول الإسلام ٢/ ١٣١. مآثر الإنافة ٢/ ٧٥، ٨١، ٨٤. شذرات الذهب ٥/ ١١٥ ـ ١١٦. مرآة الزمان ٨/ ٦٤٤ ـ ٦٥٢. مرآة الجنان ٤/ ٥٧ ـ ٥٨. تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥١. ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ٣٣٢ و٣٣٤. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨. تاج التراجم لابن قطلوبغا ٤٩. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٨. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٥٧. أمراء دمشق في الإسلام ٦٢ رقم ١٩٨، وص١٥٠. العسجد المسبوك ٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩. الذهب المسبوك للمقريزي ٧٣ ـ ٧٦. السلوك له ج١/ ق١/ ٢٢٤. حسن المحاضرة ١/ ٢١٩. تأريخ ابن أسباط، تحقيق التدمري ١/ ٢٩١. الطبقات السنية ٢/ ورقة ٩٨٣ ـ ٩٨٤. الفوائد البهية للكنوي ١٥١ ـ ١٥٣. ترويح القلوب ٥٨. شفاء القلوب ٢٧٦ ـ ٢٩٠، وغيرها.

سيرته وأخباره منتشرة في معظم الكتب التأريخية المستوعبة لعصره.

المعظم لنفسه: [من الكامل]

وَمُوَرَّدِ الوَجَنَاتِ أَغْيَدَ خَالُهُ ... بِالحُسْنِ مِنْ مَاءِ المَلاَحَةِ عَمَّهُ
كَحَلَ الجُفُونَ وَكَرَّ فِي لَحَظَاتِهَا ... غُنْجًا فَقُلْتُ: سَقَى الحُسَامَ وَسَمَّهُ

وأنشدني أبو الطليق معتوق بن أبي بكر بن سعد الشاعر الخزاعي، قال أنشدني الملك المعظم لنفسه: [من الطويل]

نَزَلْنَا ضُمَيْرًا وَالجِيَادُ ضَوَامِرٌ ... وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُهَا
فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ شَوْقًا إِلَيْكُمُ ... وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَفِيضَ غُرُوبُهَا[1]

وقال أيضًا: [من المنسرح]

نَاوَلَنِي فِي الدُّجَى كَوَجْنَتِهِ ... ظَبْيٌ سَبَانِي بِحُسْنِ طُرَّتِهِ
لَوْ بَشَرٌ يَسْجُدُ الأَنَامُ لَهُ ... يَوْمًا سَجَدْنَا لِحُسْنِ صُورَتِهِ
سُكْرِيَ ثَلاثًا مِنْ خَمْرِ رَاحَتِهِ ... وَخَمْرِ فِيهِ وَخَمْرِ مُقْلَتِهِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

الجِسْمُ مُذْ هَجَرَ الحَبِيبُ سَقِيمُ ... وَالجَفْنُ مِنْ فَيْضِ الدُّمُوعِ كَلِيمُ
يَا مَنْ جَفَا بَعْدَ الوِصَالِ فَقُلْتُ مَنْ ... يَهْوَاهُ مِنْ أَلَمِ الفِرَاقِ سَلِيمُ

/ ٢٣٥ب/[2].

/ ٢٣٦أ/ بِي مِنْكَ مَا لَوْ أَنَّ عُشْرَ عَشِيرِهِ ... بِالخَلْقِ لَمْ يَحيَوا وَأَنْتَ عَلِيمُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى رُضَابِ سَلْسَلٍ ... مِسْكٍ كَأَنَّ مِزَاجَهُ تَسْنِيمُ

[٥٥٩]

عيسى بنُ مُحمّد القمراويُّ.

مشارف رأس العين[3].

---

(١) الغُرُوب: مفردها غرب، وهو الدلو.
(٢) هذه الصفحة بياض في الأصل، وبهامشها كُتب: «هذا البياض سهو».
(٣) رأس العين: وهو رأس عين الخابور، مدينة كبيرة من مدن الجزيرة، بين حرّان ودُنَيْسِر، وفيها عيون كثيرة. انظر: معجم البلدان/ مادة (رأس).

أنشدني القاضي أبو القاسم الحنفي، قال: أنشدني عيسى بن محمد لنفسه:

[من الطويل]

إذَا كَانَ فِيْ وَسْطِ الحَشَا مُسْتَقَرُّكُمْ ... وَالعَيْنُ مِنْكُمْ حَظُّهَا وَنَصِيبُهَا

فَمَا ثَمَّ هِجْرَانٌ وَلاَ ثَمَّ جَفْوَةٌ ... فَدَامَتْ لَنَا هَذِي اللَّيَالِي وَطِيبُهَا

[٥٦٠]

عيسى بنُ محفوظِ بنِ الطيِّبِ، أبو الفضلِ الأصفهانيُّ الطَّرْقيُّ.

من ناحية أصفهانَ[١] ـ النحويُّ الأديبُ.

أخذ النّحو عن المفيد القاشاني، والرفيع اللبناني. وكان أستاذاً في الآداب بصيراً بها، وله تصانيف ومن تصانيفه كتاب «شرح اليميني العتبي».

وكان مع تفرّده بعلم الأدب والعربية، ناقص العقل ذا غفلة وبله يعتريه في كل وقت.

/٢٣٦ب/ وتوفي بأصبهان عاشر المحرم سنة خمس عشرة وستمائة، عن ثلاث وستين سنة.

أنشدني أبو القاسم محمد بن ثابت بن غانم بن عبديل الأصفهاني، قال: أنشدني عيسى بن محفوظ الطرقي لنفسه: [من الكامل]

فِيْ كُلِّ جَارِحَةٍ هَوَاكَ يَبِيْنُ ... كُلِّي بِكُلِّكَ .... رَهِيْنُ

أَعْدَدْتُ حُبَّكَ لِلْبَقَاءِ فَغَيْرُهُ ... شَخْصٌ تَمَاسَكَ مَاؤُهُ وَالطِّيْنُ

الجِسْمُ يَبْلَى وَالحَيَاةُ وَدِيْعَةٌ ... وَالرُّوْحُ تَذْهَبُ وَالفُؤَادُ يَبِيْنُ

قَالُوا: تَمَاسَكْ بِالذَّكَاءِ فَإِنَّهُ ... كُلٌّ بِمَذْخُوْرِ الحَيَاةِ ضَنِيْنُ

وَمُفَلَّجِ الأَسْنَانِ فِيْ حَلَقَاتِهِ ... وَعْدٌ إِذَا رُمْتَ الوَفَاءَ يَمِيْنُ

لَمْ يَتَّسِمْ إِلاَ وَأَنْشَدَ دُوْنَهُ ... نَظَرِي إِلَى لَمْعُ الوَمِيْضِ حَنِيْنُ

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (طَرْق).

هَـذَا هُـوَ . . . . الَّـذِيْ يَبْقَـى مَعِـيْ   إنْ عُطِّلَـتْ دَارٌ وَخَـفَّ قَطِيْـنُ

وأنشدني، قال: أنشدني الطرقي لنفسه: [من البسيط]

هَـبْ أنَّ سِرِّي بفَيْـض الـدَّمْعِ مَا انْتَشَرَا   وَهَـاتِـفَ البَـانِ مَـا أمْلَـى لَـهُ الخَبَـرَا
وَالبَـرْقَ مَا شَبَّ نَـارَ الـوَجْـد فِـيْ خَلَـدِيْ   وَالـرَّوْضَ مَـا أطْـرَبَتْنِـي رِيْحُـهُ سَحَـرَا
مَـاذَا أقُـوْلُ وَقَـدْ زُمَّـتْ جِمَـالُهُـمُ   تَكَـادُ زَفْـرَةُ صَـدْرِيْ تَفْلِـقُ الحَجَـرَا

ووجدت له قوله من قصيدة: [من الطويل]

/ ٢٣٧أ/ تَـرَنُّـمُ وُرْقٍ أيْكُهَـا مُتَشَـابِـكُ   وَرَنَّـةُ بَـاكِـيْ المُـزْن والبَـرْقُ ضَـاحِـكُ
وَأنْفَـاسُ صُبْـحٍ دُوْنَ نَفْثَـةِ نَـاسِـمٍ   إلَيْهِـنَّ يَهْفُـو صَبْـرِيَ المُتَمَـاسِـكُ
يَـذُوْبُ كَملْـحٍ فِـيْ قَـرَارَةِ غَـامِـرٍ   إذَا سَـالَ دَمْعِـيْ قَلْبِـيَ المُتَهَـالِـكُ
إنْ اسْتَعْبَـدَ الأطْمَـاعُ نَفْسـاً خَسِيْسَـةً   فَمَـا لِـيْ إلاَّ حُـبٌّ ظَمْيَـاءَ مَـالِـكُ

[٥٦١]

عيسى بنُ محمد بن موسى بن محمد بن عبد اللَّه بنِ إبراهيمَ بنِ خليلٍ الحميريُّ الأَندلسيُّ التاكُرُنِّيُّ أبو الرَوح(١).

وتاكَرْنا من أعمال قرطبة(٢).

قدم إربل في شوال سنة سبع وعشرين وستمائة للاستجداء، ولم أكن ذلك الوقت مقيمًا بها. كتب عنه جماعة من أهلها. وكان يروي شيئًا من أشعار الأندلسيين، وله عناية بحفظها وأنساب قائليها. ثم سافر عنها إلى مدينة آمد فلم يمكث بها إلاَّ مُدّة قريبة.

وكانت وفاته بارزن من ديار بكر في سنة تسع وعشرين وستمائة عائداً من آمد، كذلك أخبرني البدر أبو الوفاء الحسن بن علي بن الموصلي الكاتب بحلب المحروسة.

---

(١) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٢٢ ـ ٤٣٠، وفيه نسبه: «أبو الروح، عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن خليل الحميري». نفح الطيب ٢/ ٨٧.
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (تاكرنى).

/ ٢٣٧ب/ وله أشعار أنشدني منها الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي، قال: أنشدني أبو الفرج عيسى ابن محمد لنفسه(١): [من الطويل]

سَلامٌ لِسَاعَاتِ التَّلاقِي فِي الهَوَى ... مَحَلاًّ وَأَيَّامُ الشَّبَابِ مِنَ العُمْرِ
أَخُصُّ بِهِ مَعْنَى الكَمَالِ وَشَخْصَهُ ... وَسَبَّاقَ غَايَاتِ الفَضَائِلِ والفَخْرِ
أَبَا البَرَكَاتِ الأَلْمَعِيَّ الَّذِيْ غَدَا ... لَهُ شَرَفٌ يُرْبِي عَلَى الشَّمْسِ وَالبَدْرِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه(٢): [من البسيط]

يَا رُبَّ أُضْحِيَةٍ سَوْدَاءَ حَالِكَةٍ ... لَمْ تَرْعَ فِيْ البِيْدِ إلاَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَا
تَخَالُ بَاطِنَهَا فِيْ اللَّوْنِ ظَاهِرَهَا ... فَهْيَ العُدَاةُ لِزَنْجِيٍّ إذَا كَفَرَا

وأنشدني، قال: أنشدني قوله(٣): [من الكامل]

يَا قَلْبُ مَالَكَ لاَ تُفِيْقُ مِنَ الهَوَى ... أَوَمَا يَقَرُّ بِكَ الزَّمَانَ قَرَارُ
أَلِكُلِّ ذِي وَجْهٍ جَمِيْلٍ حَنَّةٌ ... وَلِكُلِّ عَهْدٍ سَالِفٍ تَذْكَارُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه(٤): [من البسيط]

إنْ أَوْدَعَ الطِّرْسَ مَاوَشَّاهُ خَاطِرُهُ ... أَبْدَى لِعَيْنَيْكَ أَزْهَاراً وَأَسْحَارَا
وَإنْ تَهَدَّدَ فِيْهِ أَوْ يَعِدْ كَرَمَاً ... بَثَّ البَرِيَّةَ آجَالاً وَأَعْمَارَا

[٥٦٢]

عيسى بنُ أقبوري بن عليٍّ / ٢٣٨أ/ بن عليِّ بنِ بكتكينَ بنِ محمد، الأميرُ أبو سعيد

وهو إبن أخي الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي ـ رضي الله عنه ـ له شعر ضعيف.

أنشدني أبو علي محمد بن علي بن سلار الإربلي الكردي الهذباني، قال:

---

(١) الأبيات في تأريخ إربل ١/ ٤٣٠.
(٢) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٤٢٣.
(٣) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٤٢٤.
(٤) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٤٢٣.

أنشدني الأمير عيسى بن أقبوري لنفسه: [من مجزوء الكامل]

دُنْيَا أَرَاكَ وزهوكي سِجْنًا لِمَنْ فِيهِ فَضِيلَهْ
سُحْقًا لِزَهْوِ جَمَالِكَ الفَانِي وَحُلَّتِكَ الرَّذِيلَهْ
إِذْ لَا تَدُومِي لَا تَكُونِي فِي التَّحَكُّمِ مُسْتَطِيلَهْ
يَكْفِي الوَرَى مِنْ حِلْمِكَ المَوْتُ الَّذِي مَا فِيهِ حِيلَهْ

وأنشد أبو نصر أحمد بن إسماعيل بن أحمد الإربلي، قال: أنشدني الأمير عيسى لنفسه: [من البسيط]

يَاذَا الَّذِيْ قَالَ قَوْلاً صَادِقًا وَوَفَى وَأَفْخَرَ النَّاسِ قَدْراً حَيْثُمَا وَقَفَا
إِنْ كَانَ لِلْصَّبْرِ حَدٌّ فِيْ نِهَايَتِهِ حَدُّ النِّهَايَةِ فِيْ الصَّبْرِ الجَمِيْلِ كَفَى
لَا زَالَ بَابُكَ لِلْرَّاجِيْنَ مُلْتَجَأً فَضْلُ عَزْمِكَ لِلْمَعْنَى بِهِ كَنَفَا
مَا لَاحَ صُبْحٌ وَأَضْحَتْ فِيْ .... شَمْسٌ وَأَمْسَى ظَلَامُ اللَّيْلِ مُنْعَكِفَا

[٥٦٣]

/ ٢٣٨ب/ عيسى بنُ الفضل بن بشر بن عيسى بن مواهب، أبو الفتح، المعروف بابنِ البَحرِيِّ النَصرانيُّ الموصَليُّ.

كانت ولادته بالموصل في ذي القعدة من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة. وتوفي بمدينة إربل ليلة الثلاثاء التي صباحها اليوم التاسع من المحرم من سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

انتقل إلى مدينة إربل، وخدم الأمير قرطايا بن عبد الله المظفري؛ فحين قبض عليه الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي ـ رضي الله عنه ـ حبس في جملة أصحابه وحاشيته. ثم أخرج فتولى الإشراف بالديوان ثم عزل عن ذلك، وصار عارض الجيش وتمكن من الدولة تمكنًا لم يتمكنه أحد من أبناء زمانه.

وكان خبيثًا رديء الباطن فيه شراسة خلق مع تهوّر وإقدام على الأمور. وكان يحفظ جملة من أشعار المتأخرين؛ معتنيًا بفن النثر. وله شعر كثير ولم يكن عنده شيء من الأدب؛ فلذلك جُلّ شعره يوجد فيه لحن فاحش.

أنشدني الصاحب الوزير / ٢٣٩أ/ شرف الدين أبو البركات المستوفي باربل، قال: أنشدني أبو الفتح بن البحري لنفسه: [من البسيط]

إنْ غبْتُ عَنْكُمْ فلي رُوْحٌ بِرَبْعكُمُ مَوْقُوفَةٌ بيْنَ إخلَاص وَأشْوَاق
وَإنْ دَهتْني مِنَ الأيَّام نَائبَةٌ فَلَيْسَ غَيرُكُم يَاسَادتي وَاقي
وَإنْ جَفَوْتُمْ فَمالي عَنْكُمْ عوَضٌ وَإنْ نَسيْتُمْ فَظَنِّي فيكُمُ بَاقي

وأنشدني أيضًا، قال: كتب إلي عيسى بن البحري من الحبس، وأنشدنيه بعد ذلك: [من البسيط]

يَاسَادَةً أشْرَقَتْ لُطفًا خَلائقُهُمْ أنْتُمْ وُجُوْدٌ وكُلُّ غَيرُكُمْ عَدَمُ
مَانَالَ مِنْ عَبْدكُمْ سِجْنٌ أضَرَّ بهِ مَانَالَ منْهُ أَلِيْمُ الشَّوْقِ نَحْوكُمُ

وأنشدني، قال: كتب إلي أيضًا لنفسه: [من الطويل]

وَعَدْتُكُمُ وَعْداً وَمَا كُنْتُ مُضْمِراً وَفَاءً بهِ إذْ لَمْ أكُنْ قُلْتُ عَنْ جِدّ
وكَمْ مَرَّةٍ وَعْدَ الكَذُوْب وَعَدْتُكُمْ فَمِنْ بَعْدَهَا لا تُلْزِمُوني بالوَعْد

وقال الصاحب أبو البركات فأجبته: [من الطويل]

وُقيتَ الرَّدَى مَا ردَّهَا فيكَ خِبْرَةٌ فَيُحْمَلُ هَزْلُ الوَعْد منْكَ عَلَى الجدِّ
كَذلكَ مَا زَالَتْ وُعُوْدُكَ كُلُّهَا عَلَى سَائرِ العلاَّتِ كَابِيَةَ الزَّنْد
/ ٢٣٩ب/ مَتَى فُهْتَ مُضْطراً بِوَعْدٍ مُسَوِّفٍ فَعَجِّلْتَ عَقْدَ الحَلْفِ مِنْ أوَّلِ العَهْد

وأنشدني الحسن بن علي بن شماس، قال: أنشدني عيسى بن البحري لنفسه: [من المتقارب]

عَلَى الهَمِّ أنْفَقْتُ شَرْخَ الشَّبَاب وَفيْ النَّائبَات رَمَانيْ الزَّمَانُ
وَفي كُلِّ يَوْم حمَايَ يُبَاحُ وَمَاليَ يُصَابُ وَنَفْسيْ تُهَانُ
فَيَارَبِّ قَدْ طَالَ وَقْعُ الأذَى أمَاليَ مِنْ صَرْفِ دَهْريْ أمَانُ

[٥٦٤]

عيسى بنُ سلامةَ بن سليم ـ بفتح السين ـ بن عبد الوارث بنِ عليِّ بنِ سليمانَ بَنِ عبدِ الرحمنِ، أبو موسى الحضرميّ الحميري.

كانت ولادته بصقلية سنة سبعين وخمسمائة، ونشأ بالاسكندرية، وحفظ القرآن

العزيز. وكان فقيهًا أصوليًا محدثًا قارئًا؛ لقيته باربل في شهر رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة.

وأنشدني لنفسه، وذكر أنه أول شعر قاله في صباه: [من الوافر]

إلَى كَمْ ذَا الخُمُولُ وَأَيُّ عَيْشٍ ... يَطِيبُ لِمَنْ يُصَاحِبُهُ الخُمُولُ

/٢٤٠أ/ بُلِيتُ بِمَعْشَرٍ سَفِهُوا حُلُومًا ... وَإِنْ سَفِهُوا فَعَالُهُمُ جَهُولُ

مُعَاشِرُهُمْ يُذَمُّ مَا ارْتَضَاهُ ... مَعَاشِرُهُمْ فَكُثْرُهُمُ قَلِيلُ

فَحَظِّي إِذْ أُمَاسِهُمُ مَهِيضٌ ... وَعَيْشِي إِذْ أُمَاشِهُمُ مَحِيلُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

وَإِذَا ابْتَلَاكَ بِفَاقَةٍ زَمَنٌ فَلَا ... تَرْفَعْ بِهَا إِلَّا إِلَى سُلْطَانِ

فَنَدَى المُلُوكِ وَرِفْدُهُمْ لِمُؤَمِّلٍ ... أَسْنَى وَأَشْرَفُ مِنْ نَدَى الأُخْوَانِ

أُخْوَانُ دَهْرِكَ رُبَّمَا مَنُّوا وَمَا ... تَرْضَى المُلُوكُ سَجِيَّةَ المَنَّانِ

[٥٦٥]

عيسى بنُ سنجرَ بن بَهرامَ بن جبرائيلَ بن خمارتكينَ بن طاشتكينَ، أبو الفضلَ الإربليُّ المَعروفُ بالحاجَريِّ(١).

وعرف بذلك لأنه يكثر «حاجر» في شعره، قلّما يخلو له قصيدة إلاّ ويعرّض

---

(١) الحاجري: نسبة إلى حاجر وهي بليدة بالحجاز، لم يكن الحاجري منها، بل لكونه استعملها في شعره كثيراً، نُسب إليها. انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٥٠١.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٥٠١ ـ ٥٠٥. شذرات الذهب ٥/ ١٥٦. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١. العسجد المسبوك ٢/ ٤٦٨. البداية والنهاية ١٣/ ١٤٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١١٧ رقم ١١٥. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٤. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ رقم ٢٣٢. كشف الظنون ٧٨٣، ٨٠٤. هدية العارفين ١/ ٨٠٩. ديوان الإسلام ٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠ رقم ٧٧٣. الأعلام ٥/ ١٠٣. معجم المؤلفين ٨/ ٢٥.

له ديوان شعر صغير طبع مرتان: الأولى حجرية سنة ١٢٨٠هـ، والثانية بمصر سنة ١٣٠٥ وله مخطوطات كثيرة في مكتبات العالم، عنوانه: «بلبل الغرام الكاشف عن لثام الإنسجام» صنعه عمر بن محمد بن عمر بن الحسن الدمشقي.

كتب د. ناظم رشيد شيخو «حسام الدين الحاجري الإربلي، حياته وشعره» في مجلة آداب المستنصرية ـ الجامعة المستنصرية ـ بغداد ع١٠/ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، ص٢٥١ ـ ٢٧٩.

بذكره فيها.

وهو شاب من أبناء الأتراك باربل وقدماء أجنادهم. وكان جنديًا ثم صار بعد ذلك صُوفيًا. وهو ذو مفاكهة ومحاضرة، جيد القريحة في الشعر. وله أشياء حسنة / ٢٤٠ب/ في الغزل والهجاء، ومعان يجيد استنباطها بلا رأس مال له في النحو، ولاقرأ منه شيئًا إلاَّ تأتيه طبعًا.

لقيته باربل سنة خمس وعشرين وستمائة؛ وتأكدت بيننا صحبة. وخبرت أنه قتل يوم الخميس ثالث شوال باربل سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

بَدَا فَأَرَانَا الظَّبْيَ وَالغُصْنَ وَالبَدْرَا فَتَبّاً لِقَلْبٍ لاَ يَبِيتُ بِهِ مُغْرَى

نَبِيٌّ جَمَالٍ كُلُّ مَا فِيهِ مُعْجِزٌ مِنَ الحُسْنِ لَكِنْ وَجْهُهُ الآيَةُ الكُبْرَى

أَقَامَ بِلاَلُ الخَالِ مِنْ فَوْقِ خَدِّهِ يُرَاقِبُ مِنْ لألاَءِ غُرَّتِهِ الفَجْرَا

سَرَى طَيْفُهُ لَيْلاً إِلَيَّ مُجَدِّداً عُهُوْدَ الهَوَى يَا حَبَّذَا لَيْلَةُ الإِسْرَا

تَرَفَّعَ عَنْ حَدِّ المَلاَحَةِ رُتْبَةً فَأجملت فعلاً . . . .

أَعَاذِلُ هَلْ أَبصَرْتَ مِنْ قَبْلُ خَدِّهِ وَسَالِفِهِ نَاراً حَوَتْ جَنَّةً خَضْرَا

مِنَ التُّرْكِ لَمْ يَتْرُكْ لِقَلْبِيْ تَجَلُّداً فُتُوْرٌ بِعَيْنَيْهِ المِرَاضِ وَلاَ صَبْرَا

أُغَالِطُ أُخْوَانِيْ إِذَا ذَكَرُوا لَهُ حَدِيْثاً كَأَنِّيْ لاَ أُحِبُّ لَهُ ذِكْرَا

وَأُصْغِيْ إِذَا جَاءُوا بِغَيْرِ حَدِيْثِهِ بِسَمْعِيْ وَلَكِنِّيْ أَذُوْبُ بِهِ فِكْرَا

سَقَانِيْ بِعَيْنَيْهِ المُدَامَ وَكَأْسَهُ فَلَمْ أَدْرِ أَيُّ الرَّاحِ أَعْقَبَنِيْ سُكْرَا

/ ٢٤١أ/ أَرَى العَدْلَ مَعْرُوْفاً بِكِسْرَى فَكَمْ تَرَى ظُلِمْتُ بِأَجْفَانٍ شَهِدْتُ بِهَا كِسْرَا

كَأَنَّا تَعَادَيْنَا السَّقَامَ لِحَاجَةٍ فَأَمْرَضَنِيْ جِسْمَاً وَأَنْحَلْتُهُ خَصْرَا

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

يَا وَاحِدَ الحُسْنِ إِرْحَمْ وَاحِدَ الكَمَدِ حَاشَاكَ مِنْ حُرَقٍ يُصْلَى بِهَا كَبِدِيْ

فِيْ كُلِّ جَارِحَةٍ مِنِّيْ لِسَانُ هَوَىً يَشْكُو إِلَيْكَ رَسِيْسَ الوَجْدِ وَالكَمَدِ

وَاطُوْلَ سُقْمِيْ وَفِيْ فِيْكَ الشِّفَاءُ وَيَا ظُلْمِيْ وَأَنْتَ أَمِيرُ الحُسْنِ فِيْ البَلَدِ

إِنْ كَانَ تَعْذِيْبُ قَلْبِيْ فِيْكَ أَوْ تَلَفِيْ مِمَّا يَسُرُّكَ يَا كُلَّ المُنَى فَزِدِ

أَنْتَ الَّذِي مَا بَدَتْ لِلْعَيْنِ صُورَتُهُ ... إِلَّا وَعَوَّذْتُهُ بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
كَمْ مِنْ أَسِيرِ غَرَامٍ لَا فَكَاكَ لَهُ ... لِمُقْلَتَيْكَ وَمَقْتُولٍ بِلَا قَوَدَ
رُوحِي الْفِدَاءُ لِظَبْيٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ ... وَأَعْجَبُ الْأَمْرِ ظَبْيٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ
كَيْفَ السَّلَامَةُ لِي مِمَّنْ مَحَاسِنُهُ ... جَاءَتْ لِقَتْلِي بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُدَدِ
الطَّرْفُ بِالنَّبْلِ وَالْقَدُّ الْمُرَنَّحُ بِالْخَطِّيِّ وَالسَّالِفُ الْمَصْقُولُ بِالزَّرَدِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

صَنَمٌ عَلَيْهِ لِلْمَلَاحَةِ رَوْنَقُ ... رَيَّانُ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ مُقَرْطَقُ
كَالرُّمْحِ فَتَّاكُ الطَّعِينَةِ قَدُّهُ ... لَكِنَّ نَاظِرَهُ السِّنَانُ الْأَزْرَقُ
/ ٢٤١ب/ نَادَمْتُهُ وَالْعَيْشُ بُرْدٌ نَعِيمُهُ ... ضَافٍ وَشَمْلُ الْحَادِثَاتِ مُفَرَّقُ
وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ تُدَارُ وَبَيْنَنَا ... عَتَبٌ تَكَادُ بِهِ الْمَسَامِعُ تَغْرَقُ
فِي لَيْلَةٍ سَمَحَ الزَّمَانُ بِطِيبِهَا ... لَيْلًا وَنَشْرُ الْقُرْبِ مِنْهَا يَعْبَقُ
مَا خِلْتُ قَبْلَ تَمَتُّعِي بِنَعِيمِهَا ... أَنَّ اعْتِرَاضَاتِ الْأَمَانِي تَصْدُقُ
لِلَّهِ أَيُّ لُبَانَةٍ قَضَّيْتُهَا ... لَوْ لَمْ يُنَغِّصْهَا الصَّبَاحُ الْمُشْرِقُ
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ إِذَا عَايَنْتُهُ ... لَمْ أَدْرِ مِنْ دَهَشٍ بِمَاذَا أَنْطِقُ
مَا لِابْنِ مُقْلَةَ صَادُ مُقْلَتِهِ وَلَا ... نُونٌ كَنُونَيْ حَاجِبَيْهِ مُعْرَقُ
لَامُ الْعِذَارِ مُحَقَّقٌ فِي خَدِّهِ ... لَكِنَّ وَاوَ الصُّدْغِ مِنْهُ مُعَلَّقُ
بَيْنَ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَاتِ وَطَرْفِهِ ... عَهْدٌ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَمَوْثِقُ

وأنشدني لنفسه من مبدأ قصيدة: [من الطويل]

لَوَى جِيدَهُ كَالظَّبْيِ عَنَّ لِسِرْبِهِ ... وَأَقْسَمَ تِيهًا لَا يَرِقُّ لِصَبِّهِ
حَبِيبٌ لَهُ عِنْدَ الْعِتَابِ تَعَذُّرُ الْبَرِيِّ وَلِي ذُلُّ الْمُقِرِّ بِذَنْبِهِ
إِذَا رَاءَنِي أَوْدَى بِقَلْبِي فَرَحَةً ... فَأُذْهَلُ عَنْ فَوْزِي بِلَذَّةِ قُرْبِهِ
أُعَانِقُهُ وَالطَّرْفُ يَفْتِكُ فِي دَمِي ... فَدَيْتُ حَبِيبًا سِلْمُهُ مِثْلُ حَرْبِهِ
وَكَيْفَ أَرَى لِي فِي هَوَاهُ تَخَلُّصًا ... وَآخِرُ وَجْدِي فِيهِ أَوَّلُ حُبِّهِ
/ ٢٤٢أ/ وَبِي سَقَمٌ مِنْ جَفْنِ عَيْنَيْهِ بَعْضُهُ ... عَيَاءٌ لِبُقْرَاطَ وَعَجْزٌ لِطِبِّهِ
أَلَا يَا أَمِيرَ الْحُسْنِ هَلْ أَنْتَ كَاشِفٌ ... ظُلَامَةَ شَاكٍ نَهْبُ طَرْفِكَ سَلْبُهُ
هَوَاكَ الَّذِي لَمْ يُبْقِ مِنْهُ بَقِيَّةً ... يُعَرِّفُهُ كَيْفَ الْخَلَاصُ لِقَلْبِهِ

كَأنَّ دُمُوعِي مِنْ لُمَاكَ مُجَاجَةٌ ... فَمَا رَاقَ لِي مُذْ ذُقْتُهُ غَيْرُ شُرْبِهِ
وَمُعْتَدِلٍ أَغْنَاهُ عَنْ حَمْلِ رُمْحِهِ القَوَامُ وَغُنْجُ الطَّرْفِ عَنْ سَلِّ عَضْبِهِ
أَوَدُّ لِخَدِّي أَنْ يَكُونَ تُرَابَهُ ... إِذَا مَرَّ يَثْنِي عِطْفَهُ بَيْنَ تُرْبِهِ
وَلَمَّا اعْتَنَقْنَا لِلْوَدَاعِ بِحَاجِرٍ ... وَقَدْ أَزْمَعَ الحَادِي المَسِيْرَ بِرَكْبِهِ
تَمَنَّيْتُ لَوْ أَجْدَى التَّمَنِّي وَقْفَةً ... أُشَاهِدُ قَلْبِي كَيْفَ يَقْضِي بِنَحْبِهِ
وَنَشْرٍ يَضُوعُ المِسْكُ مِنْ نَفَحَاتِهِ ... يُخَبِّرُ عَنْ بَانِ الغُوَيْرِ وَكُثْبِهِ
شَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا أُجِنُّ فَرَقَّ لِي ... فَيَا بَرْدَ مَسْرَاهُ وَطِيبَ مَهَبِّهِ
أَلَا إِنَّ بِالجَرْعَاءِ لَوْ تَعْلَمُ الصَّبَا ... لَأَكْرَمُ مَنْ هَامَ الفُؤَادُ بِحُبِّهِ
سَلَامٌ عَلَى الوَادِي الَّذِي تَسْكُنُونَهُ ... وَإِنْ كُنْتَ لَا أَحْظَى بِسَاكِنِ شِعْبِهِ
كَأَنَّ وَمِيضَ البَرْقِ مِنْ هَضَبَاتِهِ ... تَعَمَّدَ قَلْبِي فَاسْتَطَارَ بِلُبِّهِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الكامل]

أَنَا وَالأَحِبَّةُ مُنْجِدٌ وَمُغَوِّرُ ... فَعَلَامَ لَا أَحْنُو وَلَا أَتَذَكَّرُ
/ ٢٤٢ب/ لِبُكَايَ هَذَا اليَوْمَ صُنْتُ مَدَامِعِي ... وَكَذَا العَزِيزُ لِكُلِّ خَطْبٍ يُذْخَرُ
يَا سَاكِنِي وَادِي العَقِيقِ فَدَتْكُمُ ... عَيْنٌ مَدَامِعُهَا عَقِيقٌ أَحْمَرُ
بِنْتُمْ فَمَا اسْتَعْذَبْتُ بَعْدَ حَدِيثِكُمْ ... لَفْظًا وَلَمْ يَحْسُنْ لِعَيْنِي مَنْظَرُ
لَيْتَ اللَّيَالِي بِالحِمَى رَجَعَتْ لَنَا ... وَلَهَا مِنَ . . . . مَا تخبر
وَصَبًا تَأَرَّجَ نَشْرُهَا مِنْ حَاجِرٍ ... أَنْفَاسُهَا كَالمِسْكِ بَلْ هِيَ أَعْطَرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

بِنَفْسِي وَرُوحِي ذَلِكَ العَارِضُ الَّذِي ... غَدَا عَنْبَرًا فَوْقَ السَّوَالِفِ سَائِلَا
دَرَى خَدُّهُ أَنِّي أُجِنُّ مِنَ الأَسَى ... فَأَظْهَرَ لِي قَبْلَ الجُنُونِ السَّلَاسِلَا

وأنشدني قوله أيضًا[1]: [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ ... يَغْدُو الوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ ... كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

(١) البيتان في الوفيات ٣/ ٥٠٢.

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الخفيف]

قُلْتُ لَمَّا تَصَفَّرَتْ وَجْنَتَاهُ ... مَرَضًا تَحْتَ خُضْرَةِ العَارِضَيْنِ

ذَهَبُ الخَدِّ وَاسْمُهُ إِرْبِليٌّ ... فَلِهَذَا بَدَا بِسِلْسِلَتَيْنِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الخفيف]

/٢٤٣أ/ قُلْتُ لَمَّا بَدَا وَأَعْرَضَ عَنِّي: ... هَكَذَا مَنْ هَوَاكَ يَلْقَى الهَوَانَا

قَالَ: أَنْتَ العَزِيْزُ بَلْ ذَاكَ كَيْ لَا ... يَفْهَمَ الكَاشِحُوْنَ مِنَّا هَوَانَا

وأنشدني لنفسه: [من الرمل]

كَيْفَ حَرَّمْتَ عَلَى الطَّرْفِ الوَسَنْ ... مَا كَذَا مَنْ فَرَضَ العِشْقَ وَسَنْ

يَا غَزَالاً حَلَفَتْ مُقْلَتُهُ ... أَنَّهَا تَشْهَرُ أَسْيَافَ الفِتَنْ

قُلْ لِخَدَّيْكَ مَتَى كَانَ الحَيَا ... بِجَحِيْمِ النَّارِ رَبْعًا وَوَطَنْ

كَلَفًا كَلَّفْتَنِيْهِ مُظْهِراً ... مِنْ صَبَابَاتِ غَرَامِيْ كُلَّ فَنْ

مُذْ هَوِيْنَاكَ عَلِمْنَا أَنَّ فِي ... مَرْكَزِ الإِسْلَامِ عُبَّادَ الوَثَنْ

وأنشدني أيضًا قوله: [من السريع]

بِمُهْجَتِي الظَّبْيُ الَّذِيْ حُسْنُهُ ... تَحَارُ فِي مَعْنَاهُ بَلْقِيْسُ

لَا تَحْسَبُوا أَنَّ عُيُوْنَ المَهَا ... أَحْسَنُ مِنْ عَيْنَيْهِ بَلْ قِيْسُوا

وأنشدني من شعره أيضًا: [من الكامل]

وَافَى شَبِيْهُ الغُصْنِ يَخْطِرُ مَائِلاً ... ثَمِلَ القَوَامِ فَدَيْتُهُ مِنْ خَاطِرِ

لَا شَيْءَ أَبْلَغُ فِيْ هَوَاهُ مِنَ الرَّدَى ... يَا نَفْسُ دُوْنَكِ فَاعْسِفِيْهِ وَخَاطِرِيْ

وأنشدني لنفسه/ ٢٤٣ب/ في إنسان يعرف بزبالة بن مقدار النميري. وكان قصيراً من الرجال: [من الكامل]

لَبِسَ ابْنُ مِقْدَارَ الزَّبَالَةُ فَرْوَةً ... حَسْنَاءَ تُنْعَتُ بِالجَمَالِ وَتُوْصَفُ

فَعَذَرْتُهُ إِذْ ظَلَّ.... بِهَا ... جُعْسُ المُخَنَّثِ بِالحَرِيْرِ مُلَفَّفُ

وقال فيه أيضًا: [من الخفيف]

قَالَ ثَوْبُ الشُّجَاعِ وَهْوَ جَمِيْلٌ ... تَعْشَقُ العَيْنُ نَظْرَةً مِنْهُ عِشْقَا

صِـرْتُ فِـي فَـرْوَةِ النُّمَيْـرِيِّ سِجْفًـا ... كَيْـفَ لاَ أَسْتَلِـذُّ قَـرْضًـا وَخَـرْقَـا
لَـوْ أَرَادَ الـزَّمَـانُ تَعْظِيـمَ قَـدْرِي ... لَـمْ يَـدَعْنِـي عَلَـى الـزَّبَـالَـةِ مُلْقَـى

وله فيه، وقد شتمه شخص اسمه بلدق. وكان فراشًا: [من مخلّع البسيط]

بِلْـدُقُ بِـالقَـذْفِ مُسْتَطِيـلٌ ... عَلَـى النُّمَيْـرِيِّ لاَ مَحَـالَـهْ
وَلَيْـسَ فِـي ذَا عَلَيْـهِ عَيْـبٌ ... فَـرَّاشُ دَارٍ رَأَى زَبَـالَـهْ

وقال؛ وأنشدنيه أيضًا: [من الطويل]

أَيَـا مَـوْلاَيَ قَـدْ فَصَّلْـتَ لِـيْ العَـامَ فَـرْوَةً ... لأَلْقَـى بِهَـا فِـيْ ظِـلِّ خِـدْمَتِـكَ القُـرَّا
وَقَـدْ عَـارَنِـي فِيْهَـا لَتُنْجِـزَ سَبْعَـةً ... هُـوِيَّتُـهُ تَعْمَـى يَـدَيْـكَ بِهَـا أُخْـرَى
/٢٤٤أ/ عِشَـاءٌ وَخَيَّـاطٌ وَفَـرْوٌ وَقُنْـدُرٌ ... وَسَمُّـورَةٌ سَـوْدَا وَجُـودُكَ والفِـرَا[(١)]

وكتب إلى الأمير شمس الدين أبي الفضائل باتكين المستنصري[(٢)]، وكان يومئذ متوليًا مدينة إربل قبل قتله، وكان قد أحس بأنه يقتل[(٣)]: [من الكامل]

أَشْكُـوكَ يَـامَلِـكَ البَسِيْطَـةِ حَـالَـةً ... لَـمْ تُبْـقِ رُعْبًـا فِـيَّ عُضْـواً سَـاكِنَـا
إِنْ تَسْتَبِـحْ إِبِلَـيْ لَقِيْطَـةُ مَعْشَـرٍ ... مِمَّـنْ أُؤَمِّـلُ غَيْـرَ حَـاشَـاكَ مَـازِنَـا
يَـالَلْعَجَـائِـبِ كَيْـفَ يُصْبِـحُ خَـائِفًـا ... مَـنْ بَـاتَ فِـيْ حَـرَمِ الخِـلاَفَـةِ قَـاطِنَـا

---

(١) القندر والقندس: حيوان تتخذ منه الفراء.

(٢) باتكين بن عبد الله الرومي: من العلماء الشعراء، كان مملوكًا لعائشة بنت الخليفة المستنجد بالله، وخدم في الجيش، وسلّمت إليه البصرة، ولما ملك الخليفة المستنصر بالله إربل سنة ٦٣٠هـ نقله إلى إربل واليًا عليها، ودخلها المغول سنة ٦٣٥هـ بعد حرب وحصار، فغادرها إلى بغداد، ولزم داره إلى أن توفي سنة ٦٤٠هـ. «الحوادث الجامعة ١٨، ١٨٣».

(٣) الأبيات في الوفيات ٣/ ٥٠٤.

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٥٦٦]

عبَّاسُ بنُ بزوان بن طرخان بن بزوان بن أحمدَ بنِ محمد بن المعمرِ، أبو الفضلَ الشيبانيُّ، إَربليُّ الوالدِ، موصليُّ المولدِ[١].

عُنِيَ بطلب الحديث وسماعه، وسمع بمدينة السلام من أصحاب أبي القاسم السمرقندي وغيرهم من هذه الطبقة، وأدرك الأسانيد العالية. وهو حسن القراءة / ٢٤٤ب/ للحديث طيّب الصَّوت، ضيّق الحال، فقير لا يملك شيئًا من الدنيا.

رويت عنه قطعة من أناشيده، وربما يقع له غرض من الأغراض فينظم في ذلك أبياتًا، وألف كتابًا «إسلام الصحابة الأعلام ومن له ولد منهم في الإسلام» في نحو مجلدين؛ وهو كتاب حسن في فنه. وكانت ولادته في المحرم سنة تسعين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه من قصيدة أولها[٢]: [من الكامل]

هَلْ أَنْتَ بَعْدَ الظَّاعنينَ صَبُورُ ... هَيْهَاتَ صَبْرُكَ وَالفُؤَادُ عَقيْرُ

عَهْدِيْ بِدَمْعكَ وَهْوَ قَبْلَ فِرَاقِهِمْ ... خَوفًا مِنَ البَيْنِ المُشتِّ غَزِيْرُ

فَالأنَ حُقَّ لَكَ البُكَاءُ وَإِنَّنِيْ ... لَكَ لَوْ بَكَيْتَ دَمًا إِذَنْ لَعَذِيْرُ

إِنَّ المُحبَّ إِذَا نَأَى مَحْبُوبُهُ ... اَوْصَدَّ عَنْهُ بِالحمَامِ جَدِيْرُ

لِلَّهِ دَرُّ الحُبِّ لَوْلاهُ لَمَا ... قَنَصَ الأُسُوْدَ بِلَحْظِه يَعْفُوْرُ

وَلَمَا غَدَا قَلْبِيْ أَسِيْرَ مَلُولَةٍ ... إِلَّا مِنَ الهجْرَانِ لَيْسَ تَحُوْرُ

يَا مُغْرَمًا بَلِّغْ تَحِيَّةَ مُشْئِمٍ ... اَهْلَ الحَرِيْمِ فُدِيْتَ حَيْثُ تَسِيْرُ

وَاسْأَلْ مَهَاةً بِالصَّرِيْمِ كِنَاسُهَا ... أَبدًا هُنَاكَ عَلَى القُلُوب تُغِيْرُ

مَا حَالُ قَلْبِيَ مَا الَّذِيْ فَعَلَتْ بِهِ ... وَاْشفَعْ إِلَيْهَا فِيْهِ فَهْوَ أَسِيْرُ

---

(١) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٥٢.

(٢) الأبيات الأربعة الأولى والأربعة الأخيرة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٢.

/٢٤٥أ/ وَاسْتَجدْ لي منْهَا الرُّقَادَ وَقُلْ لَهَا ... مِنْ بَعْدِ لَثْمِ الأَرْضِ فَهْيَ نَفُورُ
يَامَنْ كَسَتْ شَمْسَ الضُّحَى مَنْ نُورِهَا ... فَلِذَاكَ لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهَا نُورُ
وَأَعَارَتِ الهنْديَّ فَتْكَ لحَاظهَا ... فَلِذَاكَ تَحْكُمُ فِي الطُّلَى وَتُجُورُ
لاَ تَسْمَعِي قَوْلَ الوُشَاة فَإِنَّهُ ... حَسَدٌ عَلَيْكِ لِمَنْ يُحِبُّكِ زُوْرُ
مَارُمْتُ أَنْ تَهَبِي لِعَيْنَيَّ الكَرَى ... إلاَ عَسَى طَيْفُ الخَيَالِ يَزُوْرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

ذَرِ الدُّنْيَا وَلاَ تَغْتَرَّ فيهَا ... بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ وَوُدَادِ خِلِّ
وَكُنْ فَرْداً تَعِشْ فيهَا حَميْداً ... وَلاَ تَرْكَنْ إلَى وَلَدٍ وَأَهْلِ
فَفِي الأَوْلاَدِ مَتْعَبَةٌ، وَنَقْصٌ ... وَعِزُّ الأَهْلِ مَقْرُوْنٌ بِذُلِّ

[٥٦٧]

عرفةُ بنُ بركةَ بنِ إبراهيمَ بنِ عرفةَ الموصليُّ.

شاب من أهل الموصل، صرف فكره إلى نظم الشعر فقال فيه قصائد ومقطعات.

أنشدني لنفسه: [من المقتضب]

قَدْ شَفَى بِزَوْرَتِهِ ... مُسْكِرِي بِرِيْقَتِهِ
زَارَ وَالرَّقِيْبُ عَلَى ... غَفْلَةٍ بِرَقْدَتِهِ
/٢٤٥ب/ هَادِياً لَنَا قَمَراً ... دُوْنَ لَيْلِ طُرَّتِهِ
حَبَّذَا المُلِمُّ وَيَا ... مَرْحَباً بِطَلْعَتِهِ
مَنْ إذَا أَضَاءَ لَنَا ... مِنْ رِيَاضِ وَجْنَتِهِ
وَالمُدَامُ يَمْزِجُهَا ... مِنْ رَحِيْقِ رِيْقَتِهِ
وَالعَبِيْرُ يَعْبَقُ مِنْ ... طَيِّبَاتِ نَكْهَتِهِ
فِي الجِبَالِ قَدْ حَبَكَ المِسْكَ وَسْطَ طِيْنَتِهِ
خِلْتُ شَخْصَهُ مَلَكاً ... إذْ بَدَا بِجَنَّتِهِ
لَوْ رَآهُ حَاسِدُهُ ... مَا أَبَى لِسَجْدَتِهِ
دُوْنَ حُبِّهِ عَجَبٌ ... حِرْتُ دُوْنَ قِصَّتِهِ
كُلَّمَا خَلَوْتُ بِهِ ... زِدْتُ فِي مَحَبَّتِهِ

قَــالَ لِــيْ يُعَــاهِــدُنِــيْ ... مُــوثِقــاً بِعُهْــدَتِــه
إِنَّنِــيْ أَسِيْــرُ هَــوًى ... قَــادَنِــيْ بِقَبْضَتِــه
رَاغِبــاً وَهَــا أَنَــا فِــيْ الحُــبِّ طَــوْعُ دَعْــوَتِــه
لاَ أَحُــوْلُ عَــنْ قَسَــمٍ ... لاَ وَحَــقِّ كِلْمَتِــه

وأنشدني من شعره: [من المتقارب]

/٢٤٦أ/ إِلَــى كَــمْ تُعَــذِّبُ قَلْبِي الكَئِيْبَا ... وَتَضْــرِمُ حَشْــوَ حَشَــايَ اللَّهِيْبَا
وَتُسْــرِفُ فِــيْ الهَجْــرِ مَــا هَكَــذَا ... فَعَــالُ الَّــذِيْ يَسْتَمِيْــلُ القُلُــوْبَــا
فَكَــمْ مِــنْ فَعَــالٍ قِبَــاحٍ تُــرَى ... يُفَــارِقُ فِيْهَــا الحَبِيْــبُ الحَبِيْبَــا
فَــوَجْــدِيْ قَــرِيْبــاً سَيَلْقَــى السُلُــوَّ ... كَــذَاكَ وَحُسْنُــكَ يَمْضِــيْ قَــرِيْبَــا

[٥٦٨]

عَرَبشاه بنُ أبي الحسنِ الاربليُّ.

الإمام العلامة الفقيه الشافعي، المتفنن في كل علم وفضل. وهو أوحد عصره لا يجاريه أحد في علمه ومعرفته.

أنشدني الحكيم أبو سفيان بن عبد الخالق الأناذي الفخري، قال: انشدني الإمام عربشاه لنفسه: [من الطويل]

أَإِيْمَــاضُ بَــرْقٍ بِــالعَقِيْــقِ أَنَــارَا ... أَمِ الحَــيُّ أَذْكَــى فِــيْ المَنَــازِلِ نَــارَا
أَمِ الكَــاعِــبُ الحَسْنَــاءُ حَلَّتْ بِــذِيْ النَّقَــا ... فَحَلَّــتْ عَــنِ الــوَجْــهِ المُنِيْــرِ خِمَــارَا
أَمِ الحَــرْبُ شَبَّــتْ بَيْــنَ كَلْــبٍ وَعَــامِــرٍ ... بِبَيْــدَاءَ سَلُّــوا فِــيْ الغُبَــارِ غِــرَارا

/ ٢٤٦ب/[1].

/ ٢٤٧أ/[2].

(١) بياض في الأصل.
(٢) بياض في الأصل.



/٢٤٧ب/

حرف الغين

ذكر من اسمه غازي

[٥٦٩]

غازي بنُ محمود بن أبي بكر بن المرزبان بن نعمةَ، أبو المظفرِ، الأرمويُّ الأصلِ، الإربَليُّ المولدِ والمنشأ.

رجل من أهل إربل ذو مداعبة وكياسة، مطبوع خفيف الروح، وله أشعار محشوة مجونًا وهزلاً.

انشدني لنفسه بإربل سنة خمس وعشرين وستمائة، وذكر لي أن مولده سنة خمس وسبعين وخمسمائة. وخبرت أنه توفي بحلب سابع عشري رمضان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

أَلَــمَّ بِــهِ طَيْــفٌ مَتَــى زَارَ يُغْنِــهِ ... سُحَيْراً وَقَدْ خَاطَ الكَرَى فَتْقَ جَفْنِهِ
مُحِبٌّ مَتَى هَبَّتْ لَهُ مِنْ دِيَارِكُمْ ... نَسِيمٌ أَذَاعَ الحُبُّ مَكْنُونَ حُزْنِهِ
تَأَهَّبَ عَنْكُمْ لِلرَّحِيْلِ وَدَمْعُهُ ... عَلَى خَدِّهِ قَدْ خَدَّ سَاحَةَ صَحْنِهِ
رَمَتْهُ صُرُوْفُ الدَّهْرِ سَهْمًا أَصَابَهُ ... وَلَمْ يُغْنِهِ تِلْقَاؤُهُ بِمِجَنِّهِ
أَجِيْرانَنَا بِالأَجْرَعِ الفَرْدِ صَبُّكُمْ ... صَبُورٌ عَلَى خَوْفِ الزَّمَانِ وَأَمْنِهِ
/٢٤٨آ/ يُؤَمِّلُ عَوْدًا أَنْ يَرَاكُمْ بِعَيْنِهِ ... عَلَى بَابِ سَلْعٍ أَوْ يَعِيكُمْ بِأُذْنِهِ

وأنشدني لنفسه. وكان يلقب الرضي: [من السريع]

قَالُوا: رَضِيُّ الدِّيْنِ، قُلْتُ: اسْكُتُوا ... لاَ تَذْكُرُوا الأَلْقَابَ مَا بَيْنَنَا
ذَا لَقَبٌ مَا كَانَ إِلاَّ عَلَى ... نَحْسٍ وَإِلاَّ فَانْظُرُوْنِي أَنَا

وأنشدني أيضًا لنفسه في إنسان، يلقب أيضًا الرضي. وكان يتولى الأشراف على الرباط: [من الخفيف]

أَيُّهَا الكَاتِبُ الَّذِي اتَّخَذُوْهُ ... مُشْرِفًا لِلرِّبَاطِ مِنْ تِسْعِ رَهْطِ
إِنَّ دِيْنًا أَنَا وَأَنْتَ رَضِيَّاهُ لَدِيْنٌ ... طُوْلَ المَدَى فِيْ سُخْطِ

وأنشد أيضًا فيه وقد صار كاتبًا بدكان الصنع بإربل: [من مجزوء الكامل]

مَا مُتُّ منْكَ بحَسْرَةٍ حَتَّى رَأَيْتُكَ رَاكِبَا
مُتَحَكِّمًا مُتَأَمِّراً تُدْعَى الرَّضِيَّ الكَاتِبَا
وَعَلَى يَمِيْنِكَ كَاتِبًا وَعَلَى شِمَالِكَ حَاجِبًا
وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يُهْرَعُوْنَ مُسَائِلاً وَمُجَاوِبَا
/٢٤٨ب/ لَمَّا تَوَلَّيْتَ الرِّبَاطَ وَجَدْتَ مَالاً سَائِبَا
فَسَلَكْتَ فِيْهِ مَذَاهِبًا وَقَضَيْتَ مِنْهُ مَآرِبَا
فَمَتَى أَرَاكَ مُذَلَّلاً وَمُكَبَّلاً وَمُحَاسَبَا
وَالدَّهْرُ عَنْ قَوْسِ الأَذَى يَرْمِيْكَ سَهْمًا صَائِبَا

ومنها:

يَا دَوْلَةً فِيْ ظِلِّهَا تَضْحَى الأُسُوْدُ ثَعَالِبَا
مَا زِلْتَ بِيْ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبَا

[٥٧٠]

غازي بنُ يوسفَ بن أيوبَ بن شاذي بن مروان بن يعقوبَ، السلطانُ الملكُ الظاهرُ، أبو الحارثِ بنُ السلطانِ المَلكِ الناصرِ أبي المظفرِ ـ صاحب حلب [(١)] ـ.

كانت ولادته بآخر [يوم] في رمضان سنة ثماني وستين وخمسمائة وتوفي بحلب يوم الإثنين تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن بقلعتها، وبقي

(١) ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/ ٦ ـ ١٠. ذيل الروضتين ٩٤ ـ ٩٥. مفرج الكروب ٢/ ١٧٨، ٣/ ٢٣٧. مرآة الزمان ٨/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠. السلوك ١/ ١/ ١٨٥. الكامل لابن الأثير ١٢/ ١٢٩. العبر للذهبي ٥/ ٤٦. شذرات الذهب ٥/ ٥٥ ـ ٥٦. النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٦ ـ ٢١٨. التكملة للمنذري ٢/ ٣٦٨ رقم ١٤٦٩. تاريخ ابن العبري ٢٣١. مجمع الآداب ٢/ ٤٤٦ رقم ١٧٨١ ولقبه غياث الدين. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٩ رقم ١٥٤. المختصر لأبي الفدا ٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤. البداية والنهاية ١٣/ ٧١. تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠) وفيه: «أبو منصور التكريتي المصري». عقد الجمان للعيني ١٧/ الورقة ٣٥٥ ـ ٣٥٧.
سيرته وأخباره منتشرة في معظم الكتب التأريخية المستوعبة لعصره.

بها إلى العَشْر الوسطى من شعبان سنة عشرين وستمائة. وكان موته /٢٤٩أ/ بأمراض اجتمعت عليه وسنطاريا، وحمى باطنة وماثرة، وحمى نوبة، وعسر بول.

ثم نقل إلى المدرسة التي أنشأها مولاه طغرل ابو سعيد الطاهري ـ رحمه الله تعالى ـ تحت القلعة المنصورة. ودخل حلب حين أعطاه إياها أبوه الملك الناصر يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وطلع إلى قلعتها في وقته. وكان الوالي حينئذ من قبل عمه الملك العادل أبي بكر صارم الدين برغش.

وكان سامي الهمة في الأمور السلطانية، وتدبير الملك والدولة والسياسة في الرعية، يأخذ نفسه بالعدل والإنصاف، محسنًا إلى العلماء والفضلاء، كثير البر والمعروف إلى الشعراء، ذكيًا متيقظًا، منصفًا شديد الحزم بعيداً عن الظلم، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحنفي الحلبي العقيلي ـ أيده الله تعالى ـ بداره في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة، قال: قرأت بخط الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب في رقعة بيتين كتبهما للنقيب أبي غانم الحلبي: [من البسيط]

/٢٤٩ب/ هَـذَا النَّقِيـبُ الَّـذِيْ أَضْحَـتْ مَنَـاقِبُـهُ ... بَيْـنَ البَـرِيَّـةِ مِثْـلَ الأَنْجُـمِ الـزُّهُـرِ
لاَزَالَ يَـرفُـلُ فِـيْ أَيَّـامِ دَوْلَتِنَـا ... فِـيْ حُلَّـةِ الجُـوْدِ مَحْـرُوْسًـا مِـنَ الغِيَـرِ

وتحتهما بخط الوزير موفق الدين خالد بن القيسراني: هذا خط مولانا السلطان الملك الظاهر، ولفظه في مملوك دولته النقيب أبي غانم.

[٥٧١]

غازي بنُ مودود بن الخضرِ بنِ سودكينَ، أبو المظفرِ الحمويُّ، المعروفُ بابنِ الَطفَسيِّ.

منسوب إلى طفس مدينة من أعمال حوران شرقيها من مدن الشام.

من أبناء الجند، ورد إربل وتعلق بخدمة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين

كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ وولاه حينئذ بشتدر[1] وأعمالها، فبقي بها مدة فلم تطب له، فكتب إلى الصاحب أبي البركات المبارك بن أحمد المستوفي ـ رحمه الله ـ وكان يومئذ يتولى الإستيفاء بالديوان المظفري المعظمي يذم مقامه ببشتدر، ويشكو إليه مما لقيه من /٢٥٠أ/ من الفار والعقارب والبراغيث والعقارق، وأنْشدنيها سنة خمس وعشرين وستمائة بمنزله بمحروسة إربل: [من مجزوء الكامل]

بِالسَّيِّدِ الشَّرَفِ اسْتَجِيْـ ـرُ مِنَ المُقَامِ بشتدر
الصَّاحِبِ المَوْلَى الوَزِيْـ ـرِ وَمَنْ بِهِ الخَلْقُ افْتَخَرْ
الصَّائِبِ الرَّأْيِ المُؤَ يَّدِ فِيْ الأُمُوْرِ إِذَا نَظَرْ
المَاجِدِ المَوْلَى الَّذِيْ إِنْعَامُهُ عَمَّ البَشَرْ
مَنْ جُوْدُهُ يُغْنِيكَ عَنْ فَأَهْلِ البَدَاوَةِ وَالحَضَرْ
وَنَدَى يَدَيْهِ يَحَارُ مِنْ ايجادها صَوْبُ المَطَرْ
لَمْ أَخْشَ مِنْ رَيْبِ المَنُوْنِ وَلاَ مَفَرَّ مِنَ القَدَرْ
أَأَخَافُ مِنْ كَيْدِ العَدُوِّ وَأَنْتَ كَنْزِي المُدَّخَرْ
فَالعَبْدُ يَشْرَحُ قِصَّةً حَقًا تُؤَرَّخُ فِيْ السِّيَرْ
الفَأْرُ يَضْوِيْ دَائِبًا مِنْ جُوْعِهِ لاَ مِنْ بَطَرْ
وَعَقَارِبٌ صُغْرٌ يَطَا يَرُ سُمُّهَا مِثْلَ الشَّرَرْ
وَبَرَاغِثٌ يَعْبَثْنَ بِيْ فَكَأَنَّهَا وَخْزُ الإِبَرْ
وَعَقَارِقٌ يَنْعَبْنَ مِنْ وَقْتِ العِشَاءِ إِلَى السَّحَرْ
/٢٥٠ب/ هَذَا وَلاَ تَخْتٌ لَدَيَّ فَأَيْنَ مِنْهُنَّ المَفَرْ؟
فَامْنُنْ وَجُدْ لَوْ أَنَّهُ حَرْفٌ أَنَالُ بِهِ الظَّفَرْ!
حَتَّى أُقَبِّلَ رَاحَةً تَقْبِيْلُهَا يَجْلُو البَصَرْ
وَأَعُوْدَ فَالأَطْفَالُ يَنْتَظِرُوْنَ عَوْدِي فِيْ الأَثَرْ[2]

/٢٥٢أ/[3].

(١) كذا، أو «ببشتدر» وكلاهما غير معروفتين.
(٢) بعد هذا يأتي بياض في الأصل.
(٣) هذه الصفحة بياض في الأصل.

/ ٢٥١ب/

حرف الفاء

ذكر من اسمه الفتح

[٥٧٢]

الفتحُ بنُ تميمٍ الهاشميُّ الحمويُّ.

أنشدني هذه القصيدة المولى القاضي الصدر السعيد بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد ـ أيده الله تعالى ـ عن ناظمها الفتح بن تميم الهاشمي الحموي: [من البسيط]

يَـا رَبْـعُ أَهْلُـكَ بَعْـدَ البَيْـنِ مَـا فَعَلُـوا ... وَأَيَّ مَنْـزِلَـةٍ بَعْـدَ الحِمَـى نَـزَلُـوا

سَـارُوْا بِقَلْبِـيْ أَسِيـراً فِـيْ رِحَـالِهِـمُ ... لَمَّـا اسْتَقَلَّـتْ بِهِـنَّ الأَيْنُـقُ الـذُّلُـلُ

لاَ يُبْعِـدِ اللهُ أَحْبَـابِـيْ الَّـذِيْـنَ هُـمُ ... غَيْثِي المُلِثُّ وَرَوْضِي المُخْصِبُ الخَضِلُ

وَسَـاحِـرِ الطَّـرْفِ يَقْضِـيْ العَـاشِقُـونَ بِـهِ ... نَحْبـاً وَيَحْيَـا عَلَيْـهِ اللُّـوْمُ وَالعَـذَلُ

فِـيْ خُلْقِـهِ تَـرَفٌ فِـيْ خَلْقِـهِ صَلَـفٌ ... فِـيْ عِطْفِـهِ هَيَـفٌ فِـيْ رِدْفِـهِ ثِقَـلُ

إِذَا بَـدَا ظَلْـتُ مِـنْ فَـرْطِ الغَـرَامِ جَوًى ... كَـأَنَّنِـيْ مِـنْ صِـدَامِ شَـارِبٌ ثَمِـلُ

سَقَـى دِمَشْـقَ وَأَيَّـامـاً بِهَـا سَلَفَـتْ ... إِنْ لَـمْ تُصِبْهَـا دُمُـوعِـيْ مُسْبِـلٌ هَطِـلُ

/ ٢٥٢أ/ حَيْثُ الرِّيَاضُ بِهَا النُّوَّارُ مُبْتَسِمٌ ... وَالغَيْـثُ بَـاكٍ بِـدَمْـعٍ مَـا لَـهُ مُقَـلُ

وَلِلسَّـوَاجِـعِ تَـرْجِيْـعٌ يُهَيِّـجُ جَـوًى ... وَلِلْجَـدَاوِلِ فِـيْ أَقْطَـارِهَـا جَـدَلُ

كَـأَنَّ جُـوْدَ بَهَـاءِ الـدِّيْـنِ بَـاكَـرَهَـا ... حَتَّـى تَـرَوَّضَ مِنْهَـا السَّهْـلُ وَالجَبَـلُ

نَـدْبٌ لَـهُ الجَـدُّ وَالمَجْـدُ الأَثِيْـلُ إِذَا ... تَفَـاخَـرَ النَّـاسُ ثُـمَّ العِلْـمُ وَالعَمَـلُ

مَـا زَالَ يَخْطُـبُ مِنَّـا المَـدْحَ نَـائِلُـهُ ... حَتَّـى تَنَـافَـسَ فِيْـهِ المَـدْحُ وَالغَـزَلُ

أَعْيَـتْ عَلَـى كُـلِّ مَـدَّاحٍ فَضَـائِلُـهُ ... مِـنْ أَنْ يُحِيْـطَ بِهَـا التَّفْصِيْـلُ وَالجُمَـلُ

بِـالجِـدِّ مُتَّشِـحٌ وَالجُـوْدِ مُنْتَطِـقٌ ... وَالفَضْـلِ مُتَّـزِرٌ وَالعَـدْلِ مُشْتَمِـلُ

تُثْنِـيْ البِـلاَدُ وَأَهْلُـوْهَـا عَلَيْـهِ كَمَـا ... تُثْنِـيْ الـرِّيَـاضُ سَقَـاهَـا العَـارِضُ الهَطِـلُ

كَـمْ قَـائِـلٍ زُرْ فَتَـى الخَشَّـابِ إِنَّ لَـهُ ... مَـوَاهِبـاً صَـحَّ فِيْهَـا الظَّـنُّ وَالأَمَـلُ

جُـوْدٌ يُبَخِّـلُ جُـوْدَ المُعْصِـرَاتِ نَـدًى ... يَظَـلُّ مُتَّصِـلاً وَالغَيْـثُ مُنْفَصِـلُ

وَعَـزْمَـةٌ لاَ يُـرَى فـيْ جـدِّهَـا لَعِـبٌ ... طُـوْلَ الـزَّمَـانِ وَلاَ فـيْ حَـدِّهَـا مَلَـلُ

تُـرِيْـكَ أرَاؤُهُ لَيْـلَ الخُطُـوْبِ ضُحَـى ... فَمَـا بِـآرَائِـهِ زَيْـغٌ وَلاَ مَيَـلُ

مَنَـاقِـبٌ أَضْحَـتِ الأَيَّـامُ مُشْـرِقَـةً ... بِهِـنَّ حَـالِيَـةً أَجْيَـادُهَـا العُطُـلُ

أَبَـا مُحَمَّـدَ سُـدْتَ النَّـاسَ قَـاطِبَـةً ... فَضْـلاً بِـهِ فـيْ البَـرَايَـا يُضْـرَبُ المَثَـلُ

أَجْـرَيْـتَ فـيْ كُـلِّ قُطْـرٍ بَحْـرَ مَكْـرُمَـةٍ ... عَـذْبـاً تَضِيْـقُ بِـهِ الأَقْطَـارُ وَالسُّبُـلُ

/٢٥٢ب/ أَسْرَعْتَ فِيْ صُنْعِكَ الخَيْرَاتِ مُبْتَدِئاً ... وَمِـنْ عَـوَائِـدِكَ الإِسْـرَاعُ وَالعَجَـلُ

وَقَـدْ أَقَمْـتَ صَفَـى الأَيَّـامِ فَـاعْتَـدَلَـتْ ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا ظَـنَّ قَـوْمٌ لَيْـسَ تَعْتَـدِلُ[1]

إِيَّـاكَ يَعْنِـيْ أَبْـنُ أَوْسٍ فـيْ مَقَـالَتِـهِ ... إِذْ قَـالَ حَقـاً وَبَعْـضُ القَـوْلِ مُنْتَحَـلُ[2]

(يَـدِيْ لِمَـنْ شَـاءَ رَهْـنٌ لَـمْ يَـذُقْ جُـرَعـاً ... مِنْ رَاحَتَيْكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالعَسَلُ)[3]

أَنْـتَ المُـؤَمَّـلُ دُوْنَ النَّـاسِ كُلِّهِـمُ ... عَلَـى عَطَـايَـاكَ بَعْـدَ اللّـهِ نَتَّكِـلُ

[٥٧٣]

الفتحُ بنُ عبد الله بن محمد بن عليٍّ بن هبة الله بن عبد السلامِ بنِ عبدِ الله بنِ يحيى، أبو الفرجِ بنُ أبي منصورٍ البَغدَادِيُّ[4].

كانت ولادته ببغداد يوم عاشوراء سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. وتوفي بها في المحرّم سنة أربع وعشرين وستمائة، وصُلي عليه بجامع القصر، ودفن من الغد في مقابر قريش.

---

(١) الصَّفى: الميل.

(٢) ابن أوس: أبو تمّام، حبيب بن أوس الطائي، شاعر متمرس، مات سنة ٢٣١هـ.

(٣) البيت لأبي تمام. انظر: شرح ديوانه لحاوي ص٤٢١.

(٤) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/ ١٩٧ رقم ٢١٤٣. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٩. المختصر المحتاج إليه ٣/ ١٥٧ ـ ١٥٩ رقم ١١٠١. نثر الجمان ٢/ الورقة ١٠ ـ ١١. مجمع الآداب ٢/ ٢٣٨ رقم ١٣٩٦ ولقبه عميد الدين. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٠٦ ـ ٢٠٨ رقم ٢٥٩. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤ رقم ١٥٥. دول الإسلام ٢/ ١٣١. العسجد المسبوك للخزرجي ٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣١. شذرات الذهب ٥/ ١١٦. المعين في طبقات المحدثين ١٩١ رقم ٢٠٣١. العبر ٥/ ١٠٠ ـ ١٠١. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٨. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٥٧.

وكان من أبناء المحدّثين الكتاب، وكتب الحديث ورواه هو وأبوه وجدّه وأبو جدّه.

سمع الحديث على مشايخ بغداد: كأبي عبدالله الطرائفي، وأبي غالب بن الداية، وجدّه أبي الفتح محمد بن / ٢٥٣أ/ علي بن هبة الله، والقاضي علي بن الحسين الزينبي؛ وهو آخر من حدّث عنه فيها بعلم، وأبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، وأبي القاسم هبة الله بن الحسين بن علي الحاسب، وأبي الفضل أحمد بن طاهر بن سعيد المديني، وسعيد بن أحمد بن الحسن بن البناء، وأبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري وغيرهم.

وكان يتولّى النظر بطريق خراسان في زمن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ـ رضي الله عنه ـ وكان يرجع إلى فطنة وأدب وسلامة قريحة في قرض الشعر، ويحفظ القرآن، ويحكي الحكايات في مواضعها وعُمِّر حتى تفرّد بشيوخ يروي عنهم؛ كتب عنه أبو الحسن محمد بن أحمد القطيعي.

وكان مشتهراً بالميل إلى التشيّع على مذهب الإمامية، وكفّ بصره في آخر عمره؛ وفي ذلك يقول، وكتبه إلى الإمام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه[1] ـ:

[من الكامل]

مَـوْلاَيَ عَبْـدُكَ قَـدْ أَضَـرَّ وَقَـدْ غَـدَا ... فِـيْ قَعْـرِ مَنْـزِلِـهِ طَـرِيْحـاً كَـالحَجَـرْ

لاَ يَسْتَطِيْـعُ السَّعْـيَ فِيْمَـا فَـاتَـهُ ... لِمُصَـابِـهِ بِـالعَيْـنِ مَـعْ وَهْـنِ الكِبَـرْ

وَالعَبْـدُ عَبْـدُكَ شَـاكِـرٌ لِمُصَـابِـهِ ... إِذْ كَـانَ مِـنْ دُوْنِ البَصِيْـرَةِ بِـالبَصَـرْ

فَـامْنُـنْ أَمِيْـرَ المُـؤْمِنِيْـنَ بِبِـرِّهِ ... وَاجْبُـرْهُ يَـا خَيْـرَ الـوَرَى فَقَـدِ انْكَسَـرْ

/ ٢٥٣ب/ فَـالنَّـاسُ كُلُّهُـمُ لِبِـرِّكَ عَيْلَـةٌ ... وَلِمِثْـلِ هَـذَا اليَـوْمِ بِـرُّكَ يُـدَّخَـرْ

فَـالمَـوْتُ أَهْـوَنُ مِـنْ تَقَلُّـدِ مِنَّـةٍ ... لِسِـوَى أَيَـادِيْـكَ الشَّـرِيْفَـةِ ذِي الغُـرَرْ

لاَ زَالَ أَمْـرُكَ فِـيْ البَـرِيَّـةِ نَـافِـذاً ... أَبَـداً وَفِـيْ الأَرَضِيْـنَ يَـا خَيْـرَ البَشَـرْ

وقال في عماه أيضًا: [من الطويل]

---

(١) البيتان ١ ـ ٢ في تأريخ الإسلام.

سَئِمتُ حَيَاتِي بَعْدَ فَقْدِيْ لِنَاظِرِيْ ... وَصِرْتُ أرَى الأَشْيَاءَ بِاللَّمْسِ وَالسَّمْعِ
أسِيْرٌ لِمَنْ يَقْتَادُنِي غَيْرَ حَاجَتِيْ ... لَهُ الحُكْمُ فِيْ ضُرِّيْ وَإنْ شَاءَ فِي نَفْعِيْ
وَلَمْ يُبْقِ وَهْنُ الشَّيْبِ مِنِّي بَقِيَّةً ... لِدَفْعِ أذَى عَنِّي إذَا مَسَّ أوْ مَنْعِ
أقُوْمُ إذَا رُمْتُ القِيَامَ لِحَاجَتِيْ ... عَلَى أرْبَعٍ تُلْوَى مِنَ الضَّعْفِ كَالشَّمْعِ
أُقَضِّي نَهَارِيْ وَاللَّيَالِيْ تَرَقُّبًا ... لِدَاعِي الفَنَا مُصْغٍ إلَى قَوْلِهِ سَمْعِي
نَدِيمِيَ أحْزَانِيْ عَلَى مَا اقْتَرَفْتُهُ ... مِنَ الذَّنْبِ فِيْ جَهْلِيْ وَسِرِّيَ مِنْ دَمْعِي
فَيَا رَبِّ جُدْ لِيَ مِنْكَ لُطْفًا بِرَحْمَةٍ ... أفُوْزُ بِهَا يَا مَالِكَ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

يَا مَنْ شَكَانِيْ فَلَمْ أنَمْ جَزَعًا ... أدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ مُقْتَبِلاَ
يَا لَيْتَ مَا تَشْتَكِيْهِ مِنْ ألَمٍ ... يَكُوْنُ بِيْ أوْ إلَيَّ مُنْتَقِلاَ

وأنشدني الشريف أبو نصر: / ١٢٥٤/ محمد بن أبي طاهر الهاشمي، قال: أنشدني أبو الفرج لنفسه: [من البسيط]

أقُوْلُ لِلنَّفْسِ إذْ هَمَّتْ بِمَسْألَةٍ ... لِغَيْرِ خَالِقِهَا فِي العُسْرِ وَالعَدَمِ
كُفِّي فَلَوْ مُتُّ صَبْرًا لَمْ أكُنْ سَمِحًا ... بِمَاءِ وَجْهِيْ لِمَخْلُوقٍ مِنَ الأُمَمِ
لَكِنَّنِيْ أسْألُ المُغْنِيْ لَهُمْ كَرَمًا ... عَنِّي بِأنْ يُغْنِيَنِي عَنْهُمْ غِنَى كَرَمِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

وَلَقَدْ وَدِدْتُ بِأنْ أرَاكَ فَأجْتَلِيْ ... أنْوَارَ وَجْهِكَ فَهْوَ بَدْرٌ مُشْرِقٌ
لَكِنَّ أوْقَاتَ اللِّقَاءِ عَزِيْزَةٌ ... اللَّهُ يَحْرِمُهَا العِبَادَ وَيَرْزُقُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

مَالِيْ رَجَاءٌ سِوَى نُعْمَاكَ مِنْ أحَدٍ ... فِيْ سَائِرِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَلاَ أمَلُ
فَأنْعِمْ بِتَحْقِيقِهِ نَقْدًا بِلاَ عِدَةٍ ... فَالوَقْتُ سَيْفٌ وَمَا فِي الحَالِ مُحْتَمَلُ
وَانْهَضْ إلَى النَّصْرِ فَالأعْدَاءُ لاَ سَلِمُوا ... بِصَارِمِ الخَوْفِ مِنْ لُقْيَاكَ قَدْ قُتِلُوا

وقال أيضًا: [من الطويل]

إذَا أنَا لاَ أحْظَى بِقُرْبِ مُحَمَّدٍ ... فَمَوْتِي عِنْدِيْ وَالحَيَاةُ سَوَاءُ
فَتًى هُوَ ذُخْرِيْ فِي الحَيَاةِ وَعِنْدَمَا ... أمُوْتُ فَلِيَ آبَاؤُهُ شُفَعَاءُ

/ ٢٥٤ب/ قال أبو الحسن القطيعي، أنشدني أبو الفرج الفتح بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبد السلام لنفسه، وكتب بها إلى المستضيء بأمر الله. يستقيل من خدمته بالتركات[1]: [من البسيط]

يَا ابْنَ الخَلائِفِ مِنْ آلِ النَّبِيِّ وَمَنْ ... يَفُوقُ عِلْماً وَنُسْكاً سَائِرَ النَّاسِ
يَا مُسْتَضِيئاً بِأَمْرِ اللّهِ مُقْتَدِياً ... يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسِ
يَا مَنْ إِذَا رُمْتُ أَمْراً عَزَّ مَطْلَبُهُ ... فَاجَا بِهِ مُنْعِماً مِنْ غَيْرِ إِحْبَاسِ
وَإِنْ دَجَى زَمَنِي فِي مُقْلَتَيْ أَمَلِي ... سَعَيْتُ مِنْ جُودِهِ فِيهِ بِمِقْبَاسِ
أَشْكُو إِلَيْكَ مَعَاشِيْ إِنَّهُ كَدِرٌ ... مَا بَيْنَ نَاعٍ وَحَفَّارٍ لأَرْمَاسِ
مُذْ صِرْتُ فِيهِ جَفَانِي النَّاسُ كُلُّهُمُ ... وَأَنْكَرَتْنِي تَصَارِيفِي وَأَجْنَاسِي
إِذَا مَرَرْتُ بِقَوْمٍ سَاءَهُمْ نَظَرِي ... كَأَنَّنِي أَعْوَرٌ وَالبُومُ جُلاَّسِي
يَذُمُّنِي مِنْهُمُ مَنْ لَمْ أُلِمَّ بِهِ ... يَقُولُ بِالظَّنِّ: هَذَا قَلْبُهُ قَاسِي
تَأْتِي إِلَيَّ صَبَاحاً كُلُّ نَاحِيَةٍ ... يَضِيقُ مِنْ كَرْبِهَا صَدْرِي وَأَنْفَاسِي
فَآهِ مِنْ حَالَتِي، ضُرٌّ بُلِيتُ بِهَا ... سَوَادُ بَخْتِي وَشَيْبُ الشَّعْرِ فِي رَاسِي
وَبَحْرُ جُودِكَ يُنْجِينِي وَيُنْقِذُنِي ... مِنْ بَحْرِهِمْ وَأَفْكَارٍ وَوَسْوَاسِ
/ ٢٥٥أ/ بَقِيتَ مَالِكَ أَهْلِ الأَرْضِ قَاطِبَةً ... تُفْنِي الأَعَادِيْ شَدِيدَ البَطْشِ وَالبَاسِ
فِي دَوْلَةٍ وَهَبَ اللّهُ الخُلُودَ لَهَا ... كَأَنَّ أَيَّامَهَا أَوْقَاتُ أَعْرَاسِ

وكتب إليه أيضاً في المعنى: [من الوافر]

إِمَامَ العَصْرِ يَا خَيْرَ البَرَايَا ... تَهَنَّ بِمَقْدَمِ العَامِ الجَدِيدِ
تَهَنَّ بِهِ فَقَدْ وَافَى بِبُشْرَى ... لِمُلْكِكَ بِالتَّأَبُّدِ وَالخُلُودِ
وَإِنْ كَانَ الهَنَاءُ بِهِ حَقِيقاً ... إِذَا مَا كُنْتَ ذَا عُمْرٍ مَدِيدِ
رَمَاهُ الحَظُّ فِي التَّرِكَاتِ رُغْماً ... بِلا رِزْقٍ وَلا عَيْشٍ رَغِيدِ
يُصَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ بِالرَّزَايَا ... وَيَلْعَنُ لَعْنَ عَادٍ أَوْ ثَمُودِ
بَقِيتَ عَلَى الإِمَامَةِ وَالرَّعَايَا ... بَقَاءَ النَّجْمِ فِي فَلَكِ السُّعُودِ

(١) بعض أبياتها في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٧٤.

[٥٧٤]

الفتحُ بنُ موسى بن حمّاد بنِ عليٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ اسماعيلَ، أبو نصرٍ الأمويُّ الأندلسيُّ.

من أهلِ الجزيرةِ الخضراءِ أصلاً[١].

ومولده بقصر كتامة بين فاس وسلا[٢] في الثالث عشر من شوال سنة أربع وثمانين وخمسمائة، كذلك أخبرني من لفظه.

فقيه شافعي المذهب، أصولي عالم له معرفة /٢٥٥ب/ بالنحو والعروض، ونظر في علم الحكمة والمنطق. قرأ المقدمة الجزولية على مصنفها قراءة إتقان وفهم، ونظم كتاب «المفصل» لأبي القاسم الزمخشري أرجوزة، وعمل كتاب «الإشارات» لأبي علي بن سينا شعراً، ونظم كتابًا في العروض لطيفًا. ورحل إلى مدينة السلام سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وسمع بها الحديث على أبي الفضل الداهري وغيره.

نزل برأس عين، وتولى بها تدريس المدرسة النظامية على الفرق الأربع، ثم فوض إليه امر ديوانها. شاهدته بإربل في شوال سنة خمس وعشرين وستمائة في محبة فلك الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن علي المسيري المصري. وكان حينئذ قد وردها رسولاً.

أنشدني لنفسه يمدح إربل ويصفها: [من الكامل]

يَا إرْبِلُ مَا أنْتَ إلاَّ جَنَّةٌ ... خُصَّتْ بأكْرَمِ جِيْرَةٍ وَقَرَارِ
لَوْ لَمْ تَكُوْنِي جَنَّةَ الدُّنْيَا لَمَا ... كَانَ الصِّرَاطُ إلَيْكِ بَيْتَ النَّارِ
سُلْطَانُهَا المَلِكُ المُعَظَّمُ قَدْرُهُ ... فِي قَلْبِ كُلِّ مُعَظَّمٍ جَبَّارِ
يَكْفِيْهِ عِنْدَ اللهِ وَهْيَ عَظِيْمَةٌ ... تَعْظِيْمُ مَوْلِدِ أحْمَدَ المُخْتَارِ
/٢٥٦أ/ فَلْيَحْمَدَنَّ إذَا التَّقَى بِمُحَمَّدٍ ... آثَارَ مَا أوْلاَهُ مِنْ آثَارِ

---

(١) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس. انظر: معجم البلدان/ مادة (الجزيرة الخضراء).
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (قصر كتامة).

وهذه الخطبة من إنشائها، وتلاها بالقصيدة الدالية يمدح بها القاضي زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن الأسدي الحلبي، قاضي حلب ـ رحمه الله ـ وذلك حين أنفذ رسولاً إلى الديار المصرية إلى السلطان الملك الكامل ـ رحمه الله ـ:

«الحمد لله الذي كشف عن الأمة ظلمة الغمة، وأفاض عليهم ما استفاض من سوابغ النعمة وسوائغ النعمة، ومد عليهم من جلال العصمة وكمال النعمة وظلال الرحمة رواقًا فيأهم من أماني أمانه ظلا ظليلا و﴿خَلَقَ المَوتَ وَالحَيَاةَ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاً﴾[١] وقضى لخلقه أجلين؛ اجلاً اخترامیًا مسمى عنده، وأجلاً مستفاداً بتقديره مؤجلاً فأمات وأحيا بالأجلين: الإخترامي، والمستفاد دولاً وخولاً ﴿سُنَّةَ الله الَّتِي قَد خَلَت مِن قَبلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبدِيلاً﴾[٢].

اخترم النفس النفيسة الملكية الملكة العزيزة ـ قدس الله روحها ـ /٢٥٦ب/ ونور ضريحها ـ لأجلها المحتوم، والحق جزءها الحقيقي، الموجود بالجزء المجازي، لا بل بحر المعدوم. وكأن تصورات المحن، وتصديقات الأحن، تلبس المجهول بالمعلوم، وتتخاذل العزائم الإنسانية ﴿وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾[٣].

فصدعت العزائم الصاحبية القاضوية الدينية الأسدية الأسديَّة عن أنوار الهداية، وسطعت آيات آياتها ببوارق سوابق الحمامة والدعاية، وأشارت العناية الصريحة بما هو اهله من الاختصاص باصطفاء العناية، فبعث رسولاً كريمًا كفيلاً بسعادته، ان يبلغ ما شاء املاً وسؤلاً. فنهض ـ أيده الله ـ بأعباء الرسالة نهوضًا واجبًا، وأثبت أسباب الملك الصلاحي بسبب موانعه عنه فكان بحكمية المتقابلين موجبًا وسالبًا. وأسفر صباح سفارته عن صلاح بشارته، ونجاح رسالته آيبًا وذاهبًا، فقال: ﴿إِنِّي عَبدُ الله آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَينَ مَا كُنتُ﴾[٤] وبعثني رسولاً.

فآمن من سبقت له الحسنى من رأى رايات صدقه الباهرة، وصنفت موارد وسعود

---

(١) سورة الملك: الآية ٢.
(٢) سورة الفتح: الآية ٢٣.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٩..
(٤) سورة مريم: الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

الرعايا بتسخير الله له ملوكًا، قبلت إشارته وامتثلت / ٢٥٧أ/ أوامره، وأسبغ الله على الكافة بحسن تدبيره، وحسنى تقديره، نعمه الباطنة والظاهرة، وهدى به سواء السبيل ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾[1] فألف الله به الكلمة على احسن نظام وأثبت أساس، واستقر به أمراء من الرعية، .... عنهم لباس البأس، وتكفل تأييد الملك وتأبيده في خير أمة أخرجت للناس، ولسان حال الملوك يقول: وكفى به قائلاً، وبكافله كفيلاً».

وهذه القصيدة: [من البسيط]

مَـا شئْـتَ يَـادَهْـرُ فَـاصْنَـعْ غَيْـرَ مُقْتَصِـد ... وَعَــدٍّ عَــنْ قَصْــد مَقْصُــوْدِيْ وَلاَ تَعُــد
وَاسْتَجْلِـبِ العُـذْرَ عَـنْ عُـذْرٍ وَفَيْـتَ بِـه ... وَخُــذْ أَمَــانَـكَ عَـنْ خَـوْفٍ يَـداً بِيَـد
فَقَـدْ حَلَلْـتَ حمًـى لَـوْ يَسْتَجِيـرُ بِـه ... حمَى كُلَيْب لاَضْحَى فِيْ حمَى الأَسَدِيْ
الصَّاحب الصَّدْرَ زَيْن الدِّيْن مَنْ بَلَغَتْ ... بِـه عُـلاً أَمَـداً أَرْبَـى عَلَـى أَمَـد
قَـاضِـيْ القُضَـاةِ الَّـذِيْ أَضْحَـتْ مَنَاقِبُهُ ... مُـؤَسَّسَـات مـنَ التَّقْـوَى عَلَـى عَمَـد
يَهْـدِيْ عُقُـوْلَ الـوَرَى مِـنْ علمـه عَلَـمٌ ... أَنَـافَ فَـوْقَ شَنَـاخِيْـب النُّهَـى الجُـدُد
تُضِـيءُ أَنْـوَارُهُ مِـنْ نَـارِ فِكْـرَتِـه ... فَتَنْجَلِـيْ الحكَـمُ القُـدْسِيَّـةُ المَـدَد
وَتَسْتَقِـلُّ أَيَـادِيْـه وَإِنْ كَثُـرَتْ ... فَكَـمْ أَيَـادٍ لَـهُ عنْـدَ الـوَرَى وَيَـد
/ ٢٥٧ب/ صَدْرٌ أَقَامَ قَنَاةَ المُلْك عَـنْ أَوَدٍ ... فِـيْ صَـدْرِهَـا فَـانْثَنَـتْ عَـنْ ذَلـكَ الأَوَد
نَـائِـيْ المَحَـلِّ تَـرَاهُ مِـنْ تَـوَاضُعِـه ... لِلْخَلْـق فِـيْ صَبَـب مِـنْ ذَلـكَ الصُّعُـد
سَدَّ الثُّغُـوْرَ وَقَـدْ سُـدَّتْ مَسَـالكُهَـا ... عَـنِ العُقُـوْلِ بِـرَأْيٍ صَـائِـب سَـدَد
وَمَهَّـدَ المُلْـكَ حَتَّـى أَصْبَحَـتْ حَلَـبٌ ... فِيْ دَرِّ ضَرْعِ المُنَى لِلْـوَفْـد فِـيْ الصَّفَـد
مَضَـى لمصْـرَ فَـأَمْضَـى مِـنْ عَـزَائمـه ... بِيْضـاً تَقُـدُّ قُلُـوْبَ الأُسْـد فِـيْ الـزَّرَد
بَـدَتْ لَهُـمْ مُعجِـزَاتٌ مِـنْ مَنَـاقِبـه ... فَـأَرْسَلُـوْهُ لَهَـا فِـيْ طَـالِـعِ السُّعُـد
فَقَـامَ بِـالحَـقِّ لاَ يَلْـوِيْ مُنَـاصَحَـةً ... فِيْمَـا تُنَـالُ بِـه الأُخْـرَى عَلَـى أَحَـد
فَـآمَنَـتْ بِهُـدَاهُ أُمَّـةٌ سَبَقَـتْ ... لَهَـا مِـنَ اللـه حُسْنَـى الفَـوْزِ وَالـرَّشَـد
فَـاسْتَـوْسَـقَ المُلْـكُ وَانْجَـابَـتْ بِهِمَّتِـه ... دُجَـى الخُطُـوبِ وَدَامَ المُلْـكُ لِـلأَبَـد

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٤.

وَعَاشَ مَنْ كَانَ يَخْشَى المَوْتَ فِيْ حَلَبٍ ... وَمَاتَ أَعْدَاؤُهُ مِنْ شِدَّةِ الكَمَدِ
وَكَانَ أَكْبَرَ عِيْدٍ يَوْمُ مَقْدَمِهِ ... مُهَنَّأً بِالمُنَى فِيْ النَّفْسِ وَالوَلَدِ
تَبَاشَرَ النَّاسُ فِيْ لُقْيَاهُ وَاحْتَشَدُوا ... لَهُ بِأَجْمَلِ مَا يُلْقَى مِنَ الحَشَدِ
قُلْ لِلْمُحَدِّثِ عَنْ أَخْبَارِ سُؤْدَدِهِ ... حَدِّثْ حَدِيْثاً صَحِيْحاً عَالِيَ السَّنَدِ
وَانْثُرْ عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ مِنْ مِدَحِيَ ... فِيْهِ بَدِيْعَ نِظَامِ اللُّؤْلُؤِ البَدَدَ
وَقَابِلِ العَالَمَ العُلْوِيَ أَجْمَعَهُ ... مِنْهُ بِكُلِّيِّ فَضْلٍ فِيْهِ مُتَّحِدِ
/٢٥٨أ/ وَعَفِّرِ الوَجْهَ فِيْ نَادِيْهِ إِنَّ بِهِ ... مِسْكِيَّ تُرْبٍ بِهِ يُشْفَى مِنَ الرَّمَدِ
وَرَاجِعِ الفِكْرَ وَارْجِعْ عَنْ مَهَابَتِهِ ... حَسِيْرَ طَرْفِكَ وَالحَظْ لَحْظَ مُتَّئِدِ
تَلْحَظْ جَلاَلَ جَنَابٍ تَقْشَعِرُّ لَهُ ... جُلُوْدُ كُلِّ عَظِيْمِ الجَأْشِ وَالجَلَدِ
وَهِمَّةً ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ ... عَنْ حَمْلِهَا وَسَطَا الصَّمْصَامَةَ الفَرَدِ[1]
وَقَاضِياً أَحْكَمَتْ أَحْكَامُهُ حِكَماً ... جَلَّتْ فَجَلَّتْ ظَلاَمَ الظُّلْمِ وَالفَنَدِ
مُؤَيِّداً حُكْمَ دِيْنِ اللهِ مُجْتَهِداً ... فِيْهِ بِمَا يَرْتَضِيْهِ كُلُّ مُجْتَهِدِ
يَاذَا الَّذِيْ صِيْغَ مِنْ طِيْبٍ وَمِنْ زُبُدٍ ... وَغَيْرُهُ صِيْغَ مِنْ طِيْنٍ وَمِنْ زَبَدِ
تَبَارَكَ اللهُ مَا أَوْلاَكَ مِنْ رَجُلٍ ... بِفَضْلِ مَا حُزْتَ مِنْ سَمْتٍ وَمِنْ رَشَدِ
كَمِ اجْتَهَدْنَا عَلَى عَيْبٍ نُعِيْذُ بِهِ ... كَمَالَ مَجْدِكَ مِنْ عَيْنٍ فَلَمْ نَجِدِ
لَفْظُ الفَضِيْلَةِ لَمْ تُوْضَعْ حَقِيْقَتُهُ ... إِلاَّ عَلَيْكَ فَمَنْ يَنْقُلْهُ لَمْ يُفِدِ
وَحُلَّةُ المَجْدِ مُذْ أُلْبِسْتَهَا يَفَعاً ... سَاوَتْ عُلاَكَ فَلَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
أُعِيْذُ يَاوَاحِدَ الدُّنْيَا وَصَاحِبَهَا ... فَضْلاً خُصِصْتَ بِهِ بِالوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَنِلْتَ فِيْ قُرَّتِيْ عَيْنِ الفَضَائِلِ مَا ... تَخْتَارُ مِنْ أَمَلٍ يَبْقَى مَدَى المُدَدِ
فَفِيْ الكَمَالِ كَمَالٌ جَلَّ مُبْدِعُهُ ... وَفِيْ البَهَاءِ بَهَاءٌ غَيْرُ مُنْتَقَدِ

فلله حركةُ أوجبتْ سكونَ ما انزعج من الخواطر، وبركةُ ردتْ /٢٥٨ب/ سحائب الفتن وهي قواطر مواطر، وهمّة أسدية قامت مقام القَنا والقنابل، والبواتك البواتر حين كادت ترجف الأرض والجبال ﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾[2] فغلب

---

(١) الفرد: الذي لا نظير له.

(٢) سورة المزمل: الآية ١٤.

بحمد الله على ما أراده من إصلاح الدولة الصلاحية. وكان من حزب الله غالبًا، واحكم ما حكم به من مصالح النصائح شاهداً وغائبًا، وقضى للغائب وعليه كان قضاءً نافذاً واجبًا. والقاضي إذا قضى للغائب وعليه كان قضاؤه جائزاً مقبولاً».

وأنشدني لنفسه مهنيًا الملك الأشرف بفتح دمياط من قصيدة أوَّلها: [من البسيط]

اللَّـهُ أكبَـرُ هَـذي أكبَـرُ الـرُّتَـبِ ... شَـاهَـتْ لَهَـا أوْجُـهُ الأوْثَـانِ والصُّلُـبِ
وَحَصْحَصَ الحَـقُّ وَانْجَـابَـتْ غَيَـاهِبُـهُ ... وَاجْتُـثَّ دَابِـرُ أهْـلِ الشِّـرْكِ وَالـرِّيَـبِ
وَصَـدَّقَـتْ عَـزَمَـاتُ السَّيْـفِ مَـا كَتَبَـتْ ... أيْـدِي الغُيُـوبِ مِـنَ الأنْبَـاءِ فِـي الكُتُـبِ
كَـادَتْ تَنُـوبُ بنـي الإسْـلَامِ نَـائِبَـةٌ ... مِـنَ الفِـرَنْـجِ فَكَـادَتْهُـمْ يَـدُ النُّـوَبِ
مِـنْ بَعْـدِ مَـا شَـامَ أهْـلَ الشَّـامِ قَـاطِبَـةً ... مِنْهُـمْ بِمِصْـرَ بُـرُوقَ الأيْـنِ وَالـوَصَـبِ
وَغَـادَرُوا ثَغْـرَ دِمْيَـاطَ وَبَـرْزَخَـهُ ... تَبْكِـي عَلَيْـهِ جُفُـونُ الـدِّيْـنِ وَالحَسَـبِ
/ ١٢٥٩أ/ طَمَّـتْ عَلَيْهِـمْ سِجَـالٌ مِنْـكَ زَاخِـرَةٌ ... فَلَجَّجَـتْ بِهِـمُ فِـي لُجَّـةِ العَطَـبِ
غَضِبْـتَ لِلَّـهِ يَـا مُـوْسَـى وَمَـا عَلِمُـوا ... بِـأنَّ رُضْـوَانَـهُ فِـي ذَلِـكَ الغَضَـبُ
وَأجَّجَـتْ يَـدُكَ البَيْضَـاءُ بَيْنَهُـمْ ... نَـاراً فَكَـانُـوا لَهَـا مِـنْ جُمْلَـةِ الحَطَـبِ
هُـمُ الفَـرَاشُ فَمَهْمَـا ألْهَبَـتْ لَهَبًـا ... أنْـوَارُهَـا سَقَطُـوا فِـي ذَلِـكَ اللَّهَـبِ
يَـا لَلْعَجَـائِـبِ! عِيْسَـى وَهْـوَ عِنْـدَهُـمُ ... رَبٌّ دَعَـاهُـمْ إلَـى التَّقْـوَى فَلَـمْ يُجَـبِ
وَلَـمْ يَـزَلْ وَهْـوَ رُوحُ القُـدْسِ يُنْـذِرُهُـمْ ... آيَـاتِ مُـوْسَـى وَمَـا فِيْهَـا مِـنَ العَجَـبِ
فَجَـاءَ عِيْسَـى رَسُـوْلاً مِـنْ مُحَمَّـدِهِ ... إلَـى أبِـي الفَتْـحِ مُـوْسَـى البَطْـشِ وَالـرَّهَـبِ
عِلْمًـا بِـأنَّ اليَـدَ البَيْضَـاءَ مَـا بَـرِحَـتْ ... تُبْـدِي لِمُـوْسَـى بِمِصْـرَ آيَـةَ العَجَـبِ
فَجَـاءَ مُـوْسَـى لِـدِمْيَـاطَ عَلَـى قَـدَرٍ ... وَالنَّصْـرُ يَقْـدُمُـهُ فِـي جَحْفَـلٍ لَجِـبِ
وَحَـالَ مَـا بَيْـنَ دِمْيَـاطَ وَبَيْنَهُـمُ ... بِكُـلِّ مُـرْتَقِـبٍ لِلْهَـوْلِ مُـرْتَكِـبِ
بِكُـلِّ قَلْـبٍ كَـأنَّ السُّمْـرَ أضْلُعَـهُ ... لَـمْ يَهْـفُ قَلْـبٌ لَـهُ يَـوْمًـا وَلَـمْ يَجِـبِ
فَجَـاءَ فِـرْعَـوْنُ عَكَّـا خَـائِفًـا وَجِـلاً ... يَبْغِـي إمَـامًـا يُنَجِّيهِـمْ مِـنَ الـرُّعُـبِ
مُسْتَيْقِنِيْـنَ بِـأنَّ اللَّـهَ خَـاذِلُهُـمْ ... وَأنَّ مَـرْجِعَهُـمْ لِلسَّيْـفِ وَالهَـرَبِ
وَأيْـنَ يَهْـرَبُ مِـنْ مُـوْسَـى وَفِـي يَـدِهِ الـدُّنْيَـا جَمِيْعًـا وَحَبْـلُ اللَّـهِ فِـي الطَّلَـبِ
فَسَلَّمُـوهَـا وَمَـا جَـادُوا بِهَـا كَـرَمًـا ... لَكِنَّهُـمْ فَـدَوا المَسْلُـوبَ بِالسَّلَـبِ

[٥٧٥]

/ ٢٥٩ب/ الفتح بن عليّ بن محمّد بن الفتح بن أحمد بن هبة اللّه بن عليّ أبو إبراهيم بن أبي الحسن البنداري، الكاتب الأصفهاني المنشيء، نزيل دمشق(١).

أخبرني أنَّه ولد بأصبهان في منتصف شعبان سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة. من أبناء الرؤساء الأصفهانيين وأشراف أماثلها وأرباب النعم والجلالة.

وأبو إبراهيم هذا صدر نبيل، ذو قدر جليل، من أصحاب الهيئات والمروءات في أموره واعتراف بأقدار الناس مع سكون وعقل، ووفور أدب وفضل، وتواضع مبين، ودين مبين، وصلاح وسداد.

سمع الحديث الكثير في بلده، وقرأ فقهًا وأدبًا، وله اليد الطُولي في الكتابة الإنشائية بالفارسية والعربية. فارق وطنه وقدم دمشق في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة في أيام الملك المعظم شرف الدين أبي الفتح عيسى بن أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق.

وصنّف عدّة تصانيف، واختصر منها كتاب «نجوم الهدى وأعلام التُّقى» في أسماء العلماء الشافعية، مجلد. / ٢٦٠أ/ وكتاب «سنا البرق» اختصره من كتاب العماد الكاتب المسمى «البرق الشامي»، واختصر كتاب «خَريدة القصر» وسمّاه «وشاح الخريدة وطراز الجريدة»، واختصر كتاب «نصرة الفترة» سماهُ «نخبة النصرة» في وزراء الملوك السلجوقية، وكتاب «منتهى الآمال من كتاب الاكمال» لابن ماكولا مختصر منه. وكتاب «التذكرة الأشرفية والصناعة الطبية»، وديوانا نظمه ونثره بالفارسية والعربية، وعرّب كتاب «شاه نامه» ونقله إلى العربي وأهداه إلى الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله ـ واختصر كتاب «الأنساب» لأبي سعد السمعاني، ولقبه

(١) في هامش الأصل: «وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وستمائة».
ترجمته في: تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٩٩ رقم ٢٣٠، وفيه: «توفي في سابع ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وستمائة» ذيل الروضتين ١٧٥. الأعلام ٥/ ١٣٤. مجلة العرفان ٣٢/ ٥٠.

«بكتاب اللباب في الأنساب»، وكتاب نقله في ترجمة أخبار ملوك العجم خمس مجلدات عمله للملك المعظم عيسى بن أبي بكر.

لقيته بدمشق في سنة أربعين وستمائة، فرأيتُ منه رئيسًا كافيًا، وحبراً كاملاً ـ فأكرمني وأفضل عليّ وأحسن إليّ، فبلّغه اللّٰه تعالى أمنيته، وهو أحد الكتاب المترسلين بدولة الملك الصالح أبي الفداء إسماعيل / ٢٦٠ب/ بن أبي بكر بن أيوب.

وأنشدني لنفسه في أواخر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة، وقد نزل تبوك :ـ [من البسيط]

لمَّا نَزَلْنَا تَبُوكَ انْتَابَنِي طَرَبٌ ... حَتَّى لَقَدْ خلتُ بِي مَسًّا مِنَ اللَّمَمِ
فَظلْتُ أُلْصِقُ خَدِّي بِالثَّرَى كَمَداً ... وَأَمْتَرِي مُنْشِداً مِنْ دَمْعِيَ السَّجِمِ
لِمْ لاَ أَدُوسُ بِرَاْسِيَ تُرْبَ مَنْزِلَةٍ ... قَدْ دَاسَهَا خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ بِالقَدَمِ
يَا أَرْضَ طَيْبَةَ لاَ زَالَتْ مُرَفْرِفَةً ... عَلَيْكِ أَجْنِحَةُ الأَنْوَاءِ بِالدِّيَمِ
لِلَّهِ تُرْبُكِ أَنَّى ضَمَّ فِي جَدَثٍ ... بَحْرَ الفَضَائِلِ والإِفْضَالِ وَالكَرَمِ
جُعِلْتِ هَالَةَ بَدْرٍ يَسْتَضِيءُ بِهِ ... أَهْلُ البَسِيطَةِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
لَوِ اسْتَطَاعَتْ بِلاَدُ الأَرْضِ أَجْمَعُهَا ... سَعَيْنَ نَحْوَكَ لِلإِجْلاَلِ عَنْ أَمَمِ

وأنشدني لنفسه، وقد أراد أن يزور النبي ـ صلى اللّٰه عليه وسلم ـ من الشام فلم يقدّر له ذلك في تلك السنة:

إِشْتَقْتُ طَيْبَةَ أَعْوَامًا فَإِذْ قَرُبَتْ ... مِنِّي مَسَالِكُهَا أَقْصَانِيَ القَدَرُ
وَكُنْتُ كَالحَائِمِ الحَيْرَانِ حِينَ دَنَتْ ... مِنْهُ مَوَارِدُهُ أَوْدَى بِهِ الصَّدَرُ
قَدْ كِدْتُ أُدْرِكُ صَفْوَ العَيْشِ مُغْتَبِطًا ... لَكِنْ أَبَى ذَاكَ دَهْرٌ كُلُّهُ كَدَرُ

/ ٢٦١أ/ وقال فيه ـ صلى اللّٰه عليه وسلم ـ وأنشدنيه : [من الطويل]

نَبِيَّ الهُدَى لَوْلاَ عَلاَئِقُ شِقْوَةٍ ... عَلِقْنَ بِذَيْلِي مَا تَرَكْتُ مَزَارَكَا
نَعَمْ عَفْوُكَ الفَضْفَاضُ ضَافٍ إِزَارُهُ ... فَأَسْبِلْ عَلَى التَّقْصِيرِ مِنِّي إِزَارَكَا

وأنشدنيه حين تشرف بزيارة إبراهيم الخليل ـ صلوات اللّٰه عليه ـ سنة سبع عشرة وستمائة: [من الطويل]

أَيَا رَافِعًا لِلْحَقِّ شُمَّ قَوَاعِدٍ ... بِهَا شَادَ مِنْ أَرْكَانِ بُنْيَانِهِ الدِّينُ

نَشَرْتَ عَلَى الآفَاقِ نُوراً مِنَ الهُدَى وَآدَمُ فِي طَيِّ الثَّرَى بَعْدُ مَكْنُونُ
وَأَظْهَرْتَ لِلأَبْصَارِ بَدْرَ . . . . الوَرَى فَلاَ حَمَأٌ فِيمَا تَرُوقُ وَلاَ طِينُ
نَعَمْ طِينُكَ النُّورُ المُبِينُ وَإِنَّهُ بِمَاءٍ مِنَ الوَادِي المُقَدَّسِ مَعْجُونُ
أَتَاكَ خَلِيلُ اللَّهِ تَذْرِفُ عَيْنُهُ خَلِيلٌ كَصَادٍ وِرْدُهُ الكَافُ وَالنُّونُ
تَشَفَّعْ إِلَى الرَّحْمَانِ يُطْلِقْ رَحْمَةً فَهَا هُوَ فِي حَبْسِ الجَرَائِمِ مَسْجُونُ
عَلَيْكَ سَلاَمُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَلاَحَ هِلاَلٌ مِثْلَ مَا اعْوَجَّ عُرْجُونُ
نَعَمْ وَعَلَى أَوْلاَدِكَ الغُرِّ بَعْدَهُ صَلاَةٌ لَهَا صَوْتُ المَلاَئِكِ تَأْمِينُ

وأنشدني لنفسه في القاضي بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بعد منصرفه من مصر: [من الطويل]

/ ٢٦١ب/ لَقَدْ سُرَّ سِرُّ الشَّافِعِيِّ وَأَشْرَقَتْ أَسِرَّتُهُ بِشْرِ الوَجْهِ ابْنِ رَافِعِ
وَأَبْهَجَهُ مِنْهُ زِيَارَةُ مَاجِدٍ لأَشْتَاتِ أَبْكَارِ الفَضَائِلِ جَامِعِ
فَنَاوَاهُ مِنْ دُونِ الصَّفَائِحِ مُعْلِناً نِدَاءً وَعَاهُ القَلْبُ قَبْلَ المَسَامِعِ
لَكَ الخَيْرُ مِنْ ضَيْفٍ أَتَانِيَ مُسَلِّماً وَمِنْ زَائِرٍ نَائِي المَنَازِلِ شَاسِعِ
بِعِلْمِكَ ذِكْرِي فِي المَحَافِلِ شَائِعٌ لِسَعْيِكَ قَدْ أُنْشِرْتُ بَيْنَ المَجَامِعِ
أَنَرْتَ مَنَارَ الحَقِّ بَعْدِيَ فِي الوَرَى بِبُرْهَانِ فَضْلٍ سَاطِعِ النُّورِ صَادِعِ
وَصَيَّرْتَ مَا بَيْنَ المَذَاهِبِ مَذْهَبِي كَشَرْعِ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ الشَّرَائِعِ
فَلاَ زِلْتَ ذَا قَدْرٍ يَعِزُّ مَنَالُهُ وَلاَ زِلْتَ ذَا فَضْلٍ عَلَى الخَلْقِ وَاسِعِ
وَهَذَا خِطَابٌ عَنْهُ أَفْصَحَ حَالُهُ لِكُلِّ أَخِي فَهْمٍ مِنَ الحَقِّ سَامِعِ
وَيَكْفِيكَ مَا بَيْنَ الأَنَامِ دُعَاؤُهُ وَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْلَى الشَّوَافِعِ

وأنشدني لنفسه لمّا نزل السلطان الملك الأشرف بعين الفارسية متوجهًا إلى البلاد الشرقية: [من الوافر]

وَلَمَّا إِنْ رَحَلْنَا مِنْ دِمَشْقٍ وَخَيَّمْنَا بِعَيْنِ الفَارِسِيَّهْ
تَقَدَّمَ مِنْ مَهَابَتِنَا سَرِيعاً إِلَى أَعْدَائِنَا أَلْفَا سَرِيَّهْ

/ ٢٦٢أ/ وأنشدني أيضًا وكتبه إلى الملك: [من الوافر]

أَيَا مَلِكاً رَحِيبَ البَاعِ سَمْحاً حَطَطْتُ بِبَابِهِ العَالِي رِحَالِي

لَقَدْ قَرَّتْ غَدَاةَ رَأَتْكَ عَيْنِي ... وَفَازَتْ مِنْ لِقَائِكَ بِاكْتِحَالِ
رَعَاكَ اللَّهُ مِنْ مِدْرَارِ فَضْلٍ ... بِوَصْفِ عُلاهُ جِيدُ الفَضْلِ حَالِي
أُؤَمِّلُ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ ... عَلَى نُعْمَاكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُسْمَى وَتُصْبِحَ مَالِكًا ... رِقَابَ قُلُوبِ الخَلْقِ فِي الأَرْضِ قَاطِبَهْ
فَأَوْسِعْهُمُ لُطْفًا وَبِشْرًا وَلَا تَكُنْ ... عَبُوسَ المُحَيَّا كَالِحَ الوَجْهِ قَاطِبَهْ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

أَيَا مَلِكًا مُلُوكُ الأَرْضِ طُرًّا ... لَهُمْ بِنَوَالِهِ فِي الأَرْضِ أُسْوَهْ
إِذَا قِسْنَا بِحَارَ الأَرْضِ كُلًّا ... إِلَى جَدْوَاكَ كَانَتْ مِثْلَ حُسْوَهْ
عَزَمْتُ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى دِمَشْقٍ ... وَأَرْجُو مِنْ نَدَاكَ الغَمْرِ كُسْوَهْ
وَقَدْ هَجَمَتْ جُيُوشُ البَرْدِ تَتْرَى ... وَغَادَرَتِ الرِّجَالَ الغُلْبَ نُسْوَهْ
بِمَيْمَنَةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَقَلْبٍ ... عَلَيْنَا لَمْ يَزَلْ يَزْدَادُ قَسْوَهْ
وَإِنْ لَمْ تَكْسُنِي شَيْئًا فَأَيْقِنْ ... بِأَنِّي لَسْتُ أَلْحَقُ أَرْضَ. . . .

/ ٢٦٢ب/ وأنشدني أيضًا من شعره: [من الكامل]

لَا تَحْمِلَنَّ أَمَانَةً فَلَرُبَّمَا ... لَعِبَتْ بِحَامِلِهَا يَدُ الإِتْلَافِ
قَدْ أَوْدَعَ الصَّدَفَ السَّحَائِبُ قَطْرَةً ... وَبِهَا تُشَقُّ خَوَاطِرُ الأَصْدَافِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الوافر]

إِذَا مَا النَّائِبَاتُ غَزَتْكَ يَوْمًا ... وَهَمَّتْ بِالحَوَادِثِ أَنْ تَدُوسَكْ
فَعُذْ بِاللَّهِ مُتَّكِلًا عَلَيْهِ ... وَلَا تَنْزِعْ مِنَ التَّقْوَى لَبُوسَكْ
وَلَا تَقْصِدْ مِنَ الأُمَرَاءِ إِلَّا ... عِمَادَ الدِّينِ دَاوُدَ بْنَ مُوسَكْ
هُوَ المَوْلَى الَّذِي إِنْ نَابَ خَطْبٌ ... يُفَرِّجُ عَنْكَ بِالإِفْضَالِ بُؤْسَكْ

وأنشدني أيضًا من شعره في غرض: [من الكامل]

وَحَنَتْنِيَ الأَيَّامُ لَمَّا أَثْقَلَتْ ... ظَهْرِي عَلَى جِلْدِي بِفَادِحِ هَمِّهَا
فَالظَّهْرُ قَوْسٌ وَالعَصَا وَتَرٌ لَهَا ... وَكَلَامِيَ المُسْتَدُّ صَائِبُ سَهْمِهَا

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

كَرِيمُ المُحَيَّا أَبْلَجُ الوَجْهِ مَاجِدٌ ... زَكَتْ مِنْهُ أَرْضٌ فِي السَّعَادَةِ أَعْرَاقُ
طَلاَقَتُهُ تَجْرِي سَحَائِبَ أَنْعُمٍ ... بِهَا قُسِمَتْ بَيْنَ الخَلاَئِقِ أَرْزَاقُ

وأنشدني له: [من الكامل]

/٢٦٣أ/ ذُوْ الفَضْلِ لاَيَعْدُوْهُ نَقْصُ حُظُوْظِهِ ... وَأُوْلُو التَّنَاقُصِ حَظُّهُمْ مُتَنَاسِقُ
مِثْلَ اليَمِيْنِ تَرَاهُ عَيْنُكَ عَاطِلاً ... وَعَلَى الشِّمَالِ يُرَى الطِّرَازُ الرَّائِقُ

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

يَا مَنْ نَأَى فَدُمُوْعِي فِيْهِ مُطْلَقَةٌ ... وَالقَلْبُ فِي أَسْرِ أَشْجَانٍ وَأَشْوَاقِ
أَبْقَيْتَ مِنِّي عَلَى طُوْلِ المَدَى رَنَقًا ... لَكِنْ فِرَاقُكَ مَا أَبْقَى عَلَى البَاقِي
فَالآنَ لَمْ يَبْقَ لِي عَيْنٌ وَلاَ أَثَرٌ ... سِوَى رَجَاءِ التَّلاَقِي مِنْ إِخْفَاقِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

تَبًّا لِدَهْرٍ ظُلْمُهُ كَظَلاَمِهِ ... مَا إِنْ يَزَالُ يَجُوْرُ فِي أَحْكَامِهِ
مُتَلَوِّنٌ كَالْغُوْلِ يَلْبَسُ دَائِمًا ... فِيْنَا لَيَالِيْهِ عَلَى أَيَّامِهِ
يَسْتَنْزِلُ العُصْمَ العَوَاقِلَ مِثْلَمَا ... يَسْتَخْرِجُ الضِّرْغَامَ مِنْ آجَامِهِ
فَيُذِلُّ هَذَا لِلْكِلاَبِ نَوَائِحًا ... وَيَشُكُّ ذَاكَ بِنَبْلِهِ وَسِهَامِهِ
بَيْنَا العُقَابُ تَرَاهُ عَيْنُكَ فِي السَّمَا ... إِذْ حَطَّهُ بِنِبَالِهِ مَنْ رَامَهُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَيْكَ وَذَاكِرٌ ... مَدَى الدَّهْرِ عَهْداً كَانَ لِلشَّمْلِ يَجْمَعُ
تُمَثِّلُكَ الذِّكْرَى لِعَيْنِي سَاهِراً ... وَطَيْفُكَ يَأْتِيْنِي إِذَا العَيْنُ تَهْجَعُ

/ ٢٦٣ب/ وأنشدني لنفسه في القوس مُلغزاً: [من الوافر]

أَلاَ يَا عَالِمًا لَمْ تَلْقَ عَيْنٌ ... وَلَنْ تَلْقَى مَدَى الدُّنْيَا قَرِيْنَهْ
حَلَلْتَ المُشْكِلاَتِ بِنُوْرِ ذِهْنٍ ... أَشِعَّتُهُ كَدُنْيَا مُسْتَبِيْنَهْ
فَمَا مَحْنِيَّةُ الأَضْلاَعِ تُطْوَى ... جَوَانِحُهَا عَلَى حَسَكِ الضَّغِيْنَهْ
إِذَا صَحَّفْتَهَا فَهِيَ اسْمُ جَمْعٍ ... لِوَاحِدَةٍ بِهَا دُعِيَتْ مَدِيْنَهْ

وأنشدني من قوله: [من الطويل]

ذَكَرْتُكُمُ فَاهْتَزَّ عِطْفِي كَأَنَّمَا ... أُدِيْرَتْ بِذِكْرَاكُمْ عَلَيَّ شَمُوْلُ

وَعَاوَدَ عُودِيْ رَوْنَقٌ وَنَضَارَةٌ وَقَدْ مَسَّهُ بَعْدَ الفِرَاقِ ذُبُوْلُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أرَى لِيَ عَوْدَةٌ إِلَيْكُمْ وَهَلْ لِيْ بِالعَقِيْقِ نُزُوْلُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة أوّلها: [من السريع]

قَدْ زُمَّتِ العِيْسُ وَخَفَّ القَطِيْنْ فَأَيْنَ يَا نَفْسُ البُكَا وَالرَّنِيْنْ
مَضَوا وَأَبْقَوا بَعْدَهُمْ صَابِراً إِنِّي إذاً فِي حُسْنِ عَهْدِيْ ضَنِيْنْ
هَيْهَاتَ أَيْنَ الصَّبْرُ مِنْ عَاشِقٍ مَا إنْ لَهُ غَيْرُ الأَسَى مِنْ قَرِيْنْ
يَبِيْتُ مَوْقُوْذَ الحَشَا سَاهِراً بِلَيْلَةٍ فِي الطُّوْلِ تَحْكِيْ سِنِيْنْ
يَدٌ عَلَى القَلْبِ وَأُخْرَى عَلَى الرَّأْسِ حَلِيْفُ لِلْجَوَى وَالحَنِيْنْ
/ ٢٦٤أ/ يُذْرِيْ دُمُوْعاً لَوْجَرَى فَيْضُهَا ظَلَّ الوَرَى مَا بَيْنَ مَاءٍ وَطِيْنْ
لِلَّهِ بَيْضَاءُ هَضِيْمُ الحَشَا أَصْبَحَ قَلْبِيْ بِهَوَاهَا رَهِيْنْ
ذَاتُ نِطَاقٍ خَصْرُهَا تَحْتَهُ يُشْبِهُ شَكّاً قَدْ حَوَاهُ يَقِيْنْ
تُدِيْرُ عَيْنَيْ رَشَأٍ أَغْيَدٍ يُصْمِيْ بِسَهْمِ اللَّحْظِ أُسْدَ العَرِيْنْ
يَرِقُّ لِيْ صُمُّ الصَّفَا رَحْمَةً وَقَلْبُهَا ذُوْ قَسْوَةٍ مَا يَلِيْنْ

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٥٧٦]

الفاخرُ بنُ عليِّ بنِ رافعِ بنِ فضائلَ بنِ عليِّ بنِ حمزةَ بنِ أحمدَ بنِ حمزةَ بنَ عليِّ بنَ أحمدَ بنِ موسى بنَ إبراهيمَ بنَ موسى بنَ جعفر بن محمد بَن عليِّ بنَ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ـ عَليهم السَلاَم ـ أبوَ المَجدِ العلوَيُّ الموسَويّ .

كانت ولادته سُحرة اليوم الثامن عشر من شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ببغداد في الكرخ بين السورين، وبقي إلى سنة عشرين وستمائة. سكن الحلة السيفية. وكان يرد بغداد، وينشد في الهناءات مدائح الإمام الناصر لدين اللّه أبي العباس أحمد / ٢٦٤ب/ ـ رضي الله عنه ـ وكان شاعراً له ذكر ونباهة بالشعر.

أنشدني الشريف الجليل فخر الدين أبو الوفاء عبيد اللّه بن علي بن زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني الموصلي بها ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني الشريفُ أبو المجد الفاخر لنفسه: [من مخلّع البسيط]

إذَا رَأيْتَ امْرَأً وَضيعاً ... قَدْ رَفَعَ الدَّهْرُ مِنْ مَكَانِهْ
فَكُنْ سَميعاً لَهُ مُطيعاً ... مُعَظِّماً مِنْ صَغيْرِ شَانِهْ
وَامْشِ مَعَ الدَّهْرِ كَيْفَ أرْخَى ... بمَشْيِهِ الدَّهْرُ فِي عنَانِهْ
فَقَدْ سَمِعْنَا بِأنَّ كِسْرَى ... قَالَ قَدِيْماً لتَرْجُمَانِهْ
إذَا زَمَانُ السِّبَاعِ وَلَّى ... فَارْقُصْ لَدَى القِرْدِ فِي زَمَانِهْ

وقال من قصيدة، قالها في الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه[1] ـ: [من الطويل]

/ ٢٦٥أ/ بكَفِّكَ للتَّدْبيرِ أرْقَشُ دُوْنَهُ ... صُدُوْرُ المَوَاضِيْ البيضِ وَالأَسَلُ السُّمْرُ
يُشَتِّتُ شَمْلَ المَالِ بِالبَذْلِ وَالعَطَا ... وَيجْمَعُ أشْتَاتَ البَلاَغَةِ فِيْ سَطْرِ

---

(١) بعد هذا بياض بمقدار ٤ أسطر، ثم تأتي الأبيات الشعرية.

إذَا مَا انْتَضَى الصَّمْصَامَ بُهْمَةُ مَعْرَكٍ نَبَتْ شفرَتَاهُ وَهْوَ فِي طِرْسِهِ يَجْرِي(١)

وله في مبدأ قصيدة يرثى بها بعض الدارجين: [من البسيط]

صَفْوُ الحَيَاةِ وَإِنْ طَالَ المَدَى كَدَرُ وَحَادِثُ المَوْتِ لاَ يُبْقِي وَلاَ يَذَرُ
وَلاَ يَزَالُ لِسَانُ الدَّهْرِ يُنْذِرُنَا لَوْ أَثَّرَتْ عِنْدَنَا الآيَاتُ وَالنُّذُرُ

ووجدت من شعره قصيدة بخط يده، يمدح بها النقيب مجد الدين أبا جعفر أحمد بن زيد بن محمد بن عبد الله الحسيني الموصلي: [من الكامل]

لاَ غَرْوَ انْ وَصَلَ المَلُولُ القَاطِعُ وَدَنَا بِمَنْ بَعُدَ المَزَارُ الشَّاسِعُ
كَمْ فُرْقَةٍ جَلَبَ السُّرُورَ وَرَاءَهَا مِنْ بَعْدِ وَشْكِ البَيْنِ شَمْلٌ جَامِعُ
وَلَرُبَّمَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمَا مَضَى وَتَعُودُ رَاجِعَةً بِذَاكَ رَوَاجِعُ
وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الدِّيَارِ فَنَازَعَتْ إِلَيْهَا .... بِالحَنِينِ نَوَازِعُ
/ ٢٦٥ب/ وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ لَمَّا اسْتَعْجَمَتْ فِيْهَا مَصَايِفُ أَقْفَرَتْ وَمَرَابِعُ
لَوْلاَ تَذَكُّرُ سَاكِنِيهَا لَمْ تَفِضْ مِنْ مُقْلَتَيَّ عَلَى الدِّيَارِ مَدَامِعُ
يَا عَاذِلِي كَيْفَ المَلاَمُ وَلَيْسَ لِي سَمْعٌ لِعَذْلِكَ فِي الأَحِبَّةِ سَامِعُ
عَزَّ اللِّقَاءُ فَمَا المُحِبُّ بِطَارِقٍ مِنْهُمْ يَزُورُ وَلاَ بِقُرْبٍ طَامِعُ
.... بِزَوْرَتِهَا عَلَيْكَ مُتَيَّمٌ تَحْنُو عَلَى الزَّفَرَاتِ مِنْهُ أَضَالِعُ
قَالُوا: أَتَقْنَعُ بِالخَيَالِ؟ فَقُلْتُ مَنْ فَرْطِ الغَرَامِ: نَعَمْ بِهِ أَنَا قَانِعُ
مَا كَانَ أَشْفَى لِلْغَلِيلِ خَيَالُهَا لَوْ كَانَ لِلْمُشْتَاقِ طَرْفٌ هَاجِعُ
وَلَقَدْ لَقِيتُ مِنَ الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ مَا لَوْ بِأَيْسَرِهِ يُصَابُ مُتَالِعُ(٢)
فَمَا .... سَيْلَ النَّقَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الرِّيَاحِ زَعَازِعُ
مَنْ مُخْبِرِي أَنَا وَالخُطُوبَ إِلَى مَتَى تَفْنَى حُرُوبٌ بَيْنَنَا وَوَقَائِعُ
يَا لَلرِّجَالِ أَلاَ كَرِيمٌ مَاجِدٌ يَقْتَادُهُ مُسْتَصْحِبٌ فَيُطَاوِعُ
عَلِيَّ لاَنَ سَقَطَ الرَّجَاءُ وَعَزَّ مَنْ يُدْعَى إِلَى أُكْرُومَةٍ فَيُسَارِعُ

(١) البهمة: الشجاع.
(٢) متالع: جبل.

فَإِلَى ٱبْنِ زَيْدٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ... تُحْدَى بَنَاتُ . . وَهْيَ خَوَاضِعُ[(١)]

مَنْ لا بِكُمْ بِأَنْ نَلُوذَ بِظِلِّهِ ... مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْرِ خَطْبٌ صَارِعُ

وَإِذَا عَلِقْتَ بِذِمَّةٍ مِنْ جُودِهِ ... فَلَكَ الأَمَانُ بِأَنْ يَرُوعَكَ رائِعُ

/٢٦٦أ/ مِنْ سَيِّدٍ عِتْقُ النِّقَابَةِ قَدْرُهُ ... بِالشَّمْسِ مُتَّصِلٌ وَفِيهِ تَوَاضُعُ

عَذْبُ المَوَاهِبِ لا تُكَدِّرُ أَنْعُمٌ ... بِالْمَنِّ مِنْهُ وَلا تُذَمُّ صَنَائِعُ

وَمُحَسَّدٍ يُرْمَى بِأَعْرَاضِ العِدَا ... حَسَداً لَهُ وَاللَّهُ عَنْهُ يُدَافِعُ

أَجْرَى بِرِفْعَتِهِ الإِلَهُ قَضَاءَهُ ... فَجَرَى السُّعُودُ لَهُ بِهَا وَالطَّالِعُ

وَعِنَايَةُ اللَّهِ الَّتِي . . . . فِي العَالَمِينَ بِهَا مُذَاعٌ شَائِعُ

فَمَا يَدُلُّ عَلَى سَرِيرَةِ رَبِّهِ ... فِيهِ وَعَرْنِينُ المُعَانِدِ جَادِعُ

فَلِمَنْ يُوَالِيهِ الثَّوَابُ المُقْتَنَى ... وَلِمَنْ يُعَادِيهِ العِقَابُ الوَاقِعُ

إِنْ سَالَمَتْ أَقْلَامُهُ وَقَعَ الرِّضَا ... أَوْ حَارَبَتْ فَالمَوْتُ مِنْهُ جَازِعُ

تَنْبُو السُّيُوفُ لَهَا وَهُنَّ قَوَاطِعٌ ... وَتُقَصَّفُ المُرَّانُ وَهْيَ شَوَارِعُ

فَكَأَنَّمَا فِيهَا الرَّدَى مُتَعَلِّقٌ ... وَكَأَنَّمَا فِيهَا النَّدَى مُتَدَافِعُ

سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ مَجْداً لَمْ يَكُنْ ... لَكَ فِيهِ مَجْدَ الدِّينِ قَطُّ مُنَازِعُ

مَجْداً تَرَكْتَ بِهِ الحَسُودَ وَلَيْلُهُ ... لَيْلُ السَّلِيمِ عَرَاهُ سُمٌّ نَاقِعُ

حَتَّى يَقُولَ وَبَيْنَ أَثْنَاءِ الحَشَا ... مِنْهُ التِيَاعٌ فِي الجَوَانِحِ لَاذِعُ:

يَا مَنْ إِلَيْهِ حَيَاتُنَا وَمَمَاتُنَا ... وَلَهُ التَّفَضُّلُ وَالعَطَاءُ الوَاسِعُ

مَنْ يَمْنَعُ المَرْزُوقَ إِنْ أَعْطَيْتَهُ ... وَمَنِ الَّذِي يُعْطِي وَأَنْتَ المَانِعُ

/٢٦٦ب/ فَلَمْ يَكُفَّ مَجْدَ الدِّينِ أَسْبَابَ الرَّدَى ... إِلَّا اليَقِينُ وَبِرُّهُ المُتَتَابِعُ

يَا ٱبْنَ الأَئِمَّةِ كَيْفَ يُجْحَدُ فَضْلُكُمْ ... بَيْنَ البَرِيَّةِ وَهْوَ نُورٌ سَاطِعُ

أَنْتُمْ نُجُومُ سَمَاءِ كُلِّ فَضِيلَةٍ ... زُهْرُ السَّمَاءِ تَغِيبُ وَهْيَ طَوَالِعُ

فَلَقَدْ زَرَعْتَ مَعِي الجَمِيلَ وَرُبَّمَا ... حَمِدَ النَّمَا عِنْدَ الحَصَادِ الزَّارِعُ

وَحَفِظْتَ حُرّاً لا ٱفْتِقَادُكَ عِنْدَهُ ... مَنٌّ عَلَيْهِ وَلَا جَمِيلُكَ ضَائِعُ

فَتَهَنَّ بِالعِيدِ المُبَارَكِ إِنَّهُ ... يَوْمٌ جَلِيلٌ مِثْلُ عِرْضِكَ نَاصِعُ

---

(١) النقاط بياض في الأصل.

وَإِذَا الجَمَالُ عَدَتْهُ أَسْبَابُ الرَّدَى ... فَالعِيدُ عِنْدَكَ كُلَّ يَوْمٍ رَاجِعُ
فَاللَّهُ يُولِيهِ السَّلامَةَ إِنَّهُ ... كَفٌّ وَمُنْتَجَعٌ وَحِصْنٌ مَانِعُ
فَاسْعَدْ بِطَلْعَتِهِ وَنُورِ جَبِينِهِ ... فَالسَّعْدُ وَالإِقْبَالُ مِنْهُ طَالِعُ
فَهُوَ الشَّفِيعُ إِلَيْكَ فِي إِنْجَازِ مَا ... أَبْغِي فَلاَ عَدِمَ القَبُولَ الشَّافِعُ

[٥٧٧]

فتيانُ بنُ عليٍّ بنِ فتيانَ بنِ ثمالٍ، أبو محمدٍ الأسديُّ الشاغوريُّ الدمشقيُّ النحويُّ[١].

أصلُهُ من بانياسَ، الأديبُ الشاعرُ.

أخذ العلم بالعربية والنحو عن أبي نزار الحسن بن صافي البغدادي الملقب / ٢٦٧أ/ بمَلك النّحاة ـ وبعده على أبي اليُمن زيد بن الحسن الكنديّ البغداديّ. وكان من الشعراء وذَوي الآداب، عارفًا بعلم اللغة والإعراب، لبيبًا عاقلاً، أديبًا كاملاً، ذا سَمْت حسن وديانة. وكان يعلّم الصبيان بدمشق فترك التعليم، وتصدّى لإقراء النّحو والآداب والعربية، واستفاد منه خلق كثير، واشتهر شعره وشاع في الأقطار، واستملحه أولو العلم واستجادوه لحسن ديباجته، وملاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه.

أخبرني أبو عبدالله محمد بن محمود بن النجار البغداديّ بها، قال: سألت فتيان بن علي الأسدي عن ولادته، فقال: ولدتُ في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببانياس. وتوفي بدمشق يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم من سنة خمس عشرة وستمائة ـ رحمه الله تعالى ـ.

أنشدني الخطيب عبد الرحمن بن منصور بن جامع الدمشقيّ أبو محمد، قال: أنشدني فتيان لنفسه: [من الخفيف]

---

(١) ترجمته في: بغية الوعاء ٢/ ٢٤٣. وفيات الأعيان ٤/ ٢٤ ـ ٢٦. خريدة القصر ـ قسم الشام ١/ ٢٤٧. معجم البلدان ٣/ ٦٣، مادة (شاغور). مطالع البدور ١/ ٢٨. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦. شذرات الذهب ٥/ ٦٣ ـ ٦٤. التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٤٢١ رقم ١٥٧٨. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤ رقم ٩٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠). مطالع البدور للغزولي ١/ ٢٨.
له ديوان شعر حققه أحمد الجندي، صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

إسْقنـــيْ مـــنْ مُعتَّقَـــات الكُـــرُوْم بنْـتَ كَـرْم تُفْنـي جُيُـوْش هُمُــومـــيْ
إسْقَنَـــيْ عَـــانســـًا ألَـــذَّ مَـــنَ الشَّهْــد وكَـــالمسْــك عَـــرفُهَـــا مـــنْ شَميْـــم
/ ٢٦٧ب/ إسْقنَـــي القَهْـــوَةَ الَّتـــيْ أنْـــزَل اللّـــهُ فيْهَـــا الآيَـــات بـــالتَّحْـــرِيْـــم
عتَّقَتْهَــــا حَــــوًّا لآدَم لمَّـــــا هَبَـطَ الأرْضَ فـيْ الـزَّمَـان القَـديْـم
إسْقنيْهَـــا صـــرْفـــًا علَـــى نَغَـــم الأوْتَـــار مـــنْ مُطْلَـــق وَمـــنْ مَـــزْمُـــوْم
إسْقَنَيْهَـــا حَتَّـــى تَـــرَانـــيَ لَا أفْـــرُقُ بَيْـــنَ المُعْـــوَج والمُسْتَقيْـــم
صيـــدنـــانيـــةً كسَـــا وَجْهَهَـــا المَـــزْجُ حَبَـــابـــًا كَـــاللـــؤْلُـــؤ المَنْظُـــوْم
مـــنْ يَـــدَيْ شَـــادن أغَـــنَّ غضيْـــض الطَّـــرْف أحْـــوَى يَـــرْنُـــوْ بطَـــرْف سَقيْـــم
وَفَتَـــاة كَـــالبَـــدْر أبهَـــى مَـــنَ الشَّمْـــس سَبَتْنَـــيْ بكَشْحهَـــا المَهْضُـــوْم
بنْـــتُ سَبْـــعٍ وأرْبَـــعٍ وَثَـــلَاثٍ تُخْجـــلُ البُـــدْرَ مَـــنْ بَنَـــات الـــرُّوْم

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه بجامع دمشق سنة ثلاث عشرة وستمائة:

[من الطويل]

سَـلَامٌ عَلَيْكُـمْ لَسْـتُ أنْسَـى عُهُـوْدُكُـمْ فَحَاشَـاكُـمُ أنْ تَنْقُضُـوا فـيْ الهَـوَى عَهْـديْ
حَنيْنـيْ إلَـى أكْنَـاف جلِّـقَ زَائـدٌ كَمَـا حَنَّـت الأعْـرَاقُ قَـدْمـًا إلَـى نَجْـد
وَمَـنْ بَعْـدكُـمْ مَـا الحَـالُ عنْـديْ بصَـالـحٍ ألَا أخْبِـرُوْنَـيْ كَيْـفَ حَـالُكُـمُ بَعْـديْ

وقال ابتداء قصيدة: /٢٦٨أ/ وأنشدنيه الحافظ أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي ـ أدام الله سعادته[١] ـ: [من الرجز]

نَـوْحُ الحَمَـام الـوُرْق فـيْ أوْرَاقهَـا دَلَّ أخَـا الشَّـوْق عَلَـى أشْـوَاقهَـا
فَـأظْهَـرَ الـدَّمْـعَ وَأخْفَـى زَفْـرَةً خَـافَ عَلَـى البَـانَـات مـنْ إحْـرَاقهَـا[٢]
فَـاعْجَـبْ لَهَـا شَـاكيَـةً بَـاكيَـةً لَـمْ تَسْلُـك الـدُّمُـوْعُ فـيْ آمَـاقهَـا[٣]
لَـوْ بَكَـت الـوُرْقُ ببَعْـض دَمْعـه امْتَحَـت الأطْـوَاقَ مـنْ أعْنَـاقهَـا[٤]

---

(١) القصيدة في ديوانه ص٢٨٧ ـ ٢٨٩ قوامها ١٥ بيتًا، تختلف بعض ألفاظها، وفي أبياتها تفاوت وزيادة ونقصان، وفيه أنه قالها يمدح الأمير بدر الدين مَوْدود بن المبارك والي دمشق.
(٢) في الأصل: «خاف على البان» وما أثبتنا من الديوان، والبانات: جمع بانة، وهي شجرة معروفة.
(٣) آماق: جمع مُوق، ومَأق وهو طرف العين.
(٤) امتحت: قلعت.

مَـا أَفْـرَقَـتْ مُهْجَتُـهُ مِـنَ الجَـوَى ... لكِنَّـهُ أَشْفَـى عَلَـى فِـرَاقِهَـا

ومنها قوله:

سَقَـى دِمَشْـقَ اللّـهُ غَيْثـاً مُحْسِبـاً ... مِـن مُسْتَهِـلٍّ دِيْمَـةٍ دَفَّـاقِهَـا[1]

مَـدِيْنَـةٌ لَيْـسَ يُضَـاهَـى حُسْنُهَـا ... فِـي سَـائِـرِ الـدُّنْيَـا وَلاَ آفَـاقِهَـا

تَـوَدُّ زَوْرَاءُ العِـرَاقِ أَنَّهـا ... مِنْهَـا وَلاَ تُعْـزَى إلَـى عِـرَاقِهَـا

أَهْـدَتْ لَنَـا يَـدُ الـرَّبِيْـعِ حُلَّـةً ... بَـدِيْعَـةَ التَّفْـوِيْـفِ مِـنْ خَـلاَّقِهَـا

بَنَفْسَـجٌ مِثْـلُ الخُـدُوْدِ أُدْمِيَـتْ بِـالقَـرْصِ وَالتَّجْمِيْـشِ مِـنْ عُشَّـاقِهَـا

وَنَـرْجِـسٌ أَحْـدَاقُـهُ رَانِيَـةٌ ... عَـنْ مُقَـلِ الغِيْـدِ وَعَـنْ أَحْـدَاقِهَـا

/ ٢٦٨ب/ قَـدْ رَتَـعَ الـرَّبِيْـعُ فِـي رُبُـوعِهَـا ... وَسِيْقَـتِ المُنَـى إلَـى أَسْـوَاقِهَـا

لاَ تَسْـأَمُ العُيُـوْنُ وَالأُنُـوفُ مِـنْ ... رُؤْيَتِهَـا يَـوْمـاً وَلاَ انْتِشَـاقِهَـا

بِعَـدْلِ فَخْـرِ الـدِّيْـنِ قَـرَّ أَهْلُهَـا ... عَيْنـاً وَزَادَ اللّـهُ فِـي أَرْزَاقِهَـا

زَوَّجَهَـا الأَمْـنَ وَنَـاهِيْـكَ بِـهِ ... بَعْـلاً فَطِيْـبُ العَيْـشِ مِـنْ صَـدَاقِهَـا

وأنشدني الفصيح أبو بكر الجزري الشاعر، قال: أنشدني فتيان بن علي لنفسه[2]: [من مخلّع البسيط]

المَلِـكُ الأَمْجَـدُ الَّـذِي شَهِـدَتْ ... لَـهُ مُلُـوكُ الأَنَـامِ بِـالفَضْـلِ

أَصْبَـحَ فِـي السَّـامِـرِيِّ مُعْتَقِـداً ... مَـا اعْتَقَـدَ السَّـامِـرِيُّ فِـي العِجْـلِ

وَالسَّـامِـرِيُّـونَ كَـالبَـرَامِـكِ فِـي النُّبْـلِ فَـأَيْـنَ الـرَّشِيْـدُ لِلقَتْـلِ[3]

وقال يمدح أبا حامد محمد بن محمد الكاتب الأصفهاني، ويصف كتابه الذي ألّفه وسماه «خريدة القصر وجريدة العصر» وأنشد فيه الحافظ أبو عبدالله محمد بن محمود ابن الحسن ـ أيده الله تعالى[4] ـ: [من البسيط]

/ ٢٦٩أ/ نَعَشْـتَ قَـوْمـاً وَكَـانُـوا قَبْـلُ قَـدْ دُثِـرُوا ... لَـوْلاَ عُـلاَكَ فَطَـابَ الـوِرْدُ وَالصَّـدَرُ

---

(١) مُحْسِب: من أحسب فلانًا أعطاه وأرضاه وكفاه، حتى يقول: حسبي، وأحسب أيضًا: أكثر من العطاء أو غيره، والديمة: المطر، الدافق: من الدفق الكثير الغزير.

(٢) الأبيات في ديوانه ص٣٥٩ وفيه أنه قالها في الملك الأمجد.

(٣) يشير إلى مقتل البرامكة من قبل هارون الرشيد.

(٤) القصيدة في ديوانه ص١٩٧ ـ ١٩٩ قوامها ٢٨ بيتًا وفيها بعض الاختلاف في اللفظ والتسلسل.

أَحْيَيْتَ شِعْرَهُمُ مِنْ بَعْدِ مِيتَتِهِ ... قِدْماً فَقَدْ شَعَرُوا قِدْماً وَمَا شَعَرُوا
أَقْسَمْتُ مَا رَوْضَةٌ مُخْضَرَّةٌ أُنُفٌ ... بَاتَتْ تَسُحُّ عَلَى أَقْطَارِهَا القُطُرُ
ذُبَابُهَا هَزِجٌ نُوَّارُهَا أَرِجٌ ... نَبَاتُهَا بَهِجٌ مُسْتَحْسَنٌ عَطِرُ
كَأَنَّ فَارَاتِ مِسْكٍ وَسْطَهَا فُرِيَتْ ... فَنَشْرُهَا بِأَمَانِي النَّفْسِ مُنْتَشِرُ
شَقَّ النَّسِيمُ عَلَى رِفْقٍ شَقَائِقَهَا ... فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ لَكِنَّهُ هَدَرُ
قُضْبُ الزَّبَرْجَدِ مِنْهَا حُمِّلَتْ صَدَفَ اليَاقُوتِ فِيهَا فَتِيتُ المِسْكِ لَا الدُّرَرُ
أَحْدَاقُ نُرْجِسِهَا تَرْنُو فَأَدْمُعُهَا ... فِيهَا تَرَقْرَقُ أَحْيَاناً وَتَنْحَدِرُ
وَلِلأَقَاحِي ثُغُورُ الغِيدِ بَاسِمَةٌ ... شِيكَتْ بِإِسْحِلَةٍ أَنْيَابُهَا الأُشُرُ[(١)]
تُرِيكَ حُسْنَ سَمَاءٍ وَهْيَ مُصْحِيَةٌ ... وَالأَنْجُمَ الزُّهْرَ فِيهَا ذَلِكَ الزَّهَرُ
تَبْدُو بِهَا طُرَرٌ مِنْ تَحْتِهَا غُرَرٌ ... يَا حَبَّذَا طُرَرُ الأَزْهَارِ وَالغُرَرُ
يَوْماً بِأَحْسَنَ مِنْ خَطِّ العِمَادِ إِذَا أَقْلَامُهُ نُشِرَتْ عَنْ حِبْرِهَا الحِبَرُ
وَلَا العُقُودِ بِأَجْيَادِ العَقَائِلِ كَالدُّمَى فَمُنْتَظِمٌ مِنْهَا وَمُنْتَثِرُ
عَلَى تَرَائِبَ كَافُورٍ يُزَيِّنُهَا ... حِقَاقُ عَاجٍ عَلَيْهَا عَاجَتِ الفِكَرُ[(٢)]
تِلْكَ اللَّآلِي تَرُوقُ النَّاظِرِينَ فَمَا ... يَسُومُهَا سَأَماً مِنْ حُسْنِهَا النَّظَرُ[(٣)]
/٢٦٩ب/ يَوْماً بِأَحْسَنَ مِنْ نَظْمِ العِمَادِ وَلَا ... مِنْ نَثْرِهِ فِيهِ ذُو العَصْرِ يَفْتَخِرُ
أَضْحَتْ صِعَابُ المَعَانِي عِنْدَهُ ذُلُلاً ... تَحْوِي دَقَائِقَهَا مِنْ لَفْظِهِ الدُّرَرُ
كَأَنَّمَا لَفْظُهُ السِّحْرُ الحَلَالُ أَوِ المَاءُ الزُّلَالُ النُّقَاخُ الطَّيِّبُ الخَصِرُ[(٤)]
شِيبَتْ بِهِ قَهْوَةٌ حَمْرَاءُ صَافِيَةٌ ... عُصَارُهَا غُيِّرَتْ مِنْ دُونِهِ العُصُرُ[(٥)]
وَلَا السَّحَائِبُ بِالأَنْدَاءِ صَائِبَةٌ ... فَجُودُهَا غَدِقُ الشُّؤْبُوبِ مُنْهَمِرُ[(٦)]

---

(١) شاك: وقع في الشوك، وادخل شوكة في جسمه، وشيكَ أيضًا دخل الشوك في جسمه. والإِسْحِل: شجر تتخذ منه المساويك، والإِسْحِلة، المسواك، والأُشُر: الأسنان المحزَّزة.

(٢) عاج: مال إلى.

(٣) يسوم: يكلف.

(٤) النقاخ: البارد، والخصر: البارد أيضًا.

(٥) العُصَار: والعُصَارة والعصير من الشيء: ما تحلَّبَ منه إذا عَصَرتَهُ، والعُصُر: تعني العصر، أي الزمن، وشيبت: خلطت، مزجت.

(٦) الجود: الهطال، الكريم السخي. الغَدَق: الفيّاض. الشؤبوب: الدفعة من المطر.

حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ مِنْ بَعْدِمَا هَمَعَتْ ... أَثْنَى عَلَيْهَا نَبَاتُ الأَرْضِ وَالشَّجَرُ(١)
يَوْمًا بِأَغْزَرَ مِنْ كَفِّ العِمَادِ نَدًى ... وَكُلُّ أُنْمُلَةٍ مِنْ كَفِّهِ نَهَرُ
فَلِلْغَمَائِمِ تَقْطِيبٌ إِذَا انْبَجَسَتْ ... وَبِشْرُهُ دُونَهُ عِنْدَ النَّدَى القَمَرُ
مَا ابْنُ العَمِيدِ وَلَا عَبْدُ الحَمِيدِ وَلَا ... الصَّابِي بِأَحْسَنَ ذِكْرًا مِنْهُ إِنْ ذُكِرُوا(٢)
وَلَوْ يُنَاظِرُهُ فِي الفِقْهِ أَسْعَدُ لَمْ ... يُسْعَدْ وَأَحْصَرَهُ عَنْ نُطْقِهِ الحَصَرُ(٣)
هَذَا وَمَحْتِدُهُ مَا إِنْ يُسَاجِلُهُ ... خَلْقٌ إِذَا الصِّيدُ فِي نَادِي العُلَا افْتَخَرُوا
أَصِخْ مُحَمَّدُ إِنِّي جِدُّ مُعْتَذِرٍ ... إِنَّ المُقَصِّرَ فِيمَا قَالَ يَعْتَذِرُ
يَا ابْنَ الكِرَامِ الأُلَى سَارَتْ مَكَارِمُهُمْ ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنْهَا البَدْوُ وَالحَضَرُ
رَاوُوقُ حِلْمِكَ فِيمَا أَنْتَ تَسْمَعُهُ ... يُبْدِي الجَمِيلَ وَفِيهِ الغَثُّ يَسْتَتِرُ(٤)

وقال أيضًا: [من المتقارب]

/ ٢٧٠أ/ أَهِيمُ غَرَامًا بِآرَامِ رَامَهْ ... وَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ بِهَا مُسْتَهَامَهْ
وَأَصْبُو إِلَى أَثْلَاثِ الحِمَى ... إِذَا مَا تَغَنَّتْ سُحَيْرًا حَمَامَهْ
وَلَوْلَا غَرِيبٌ بِنَجْدٍ لَمَا ... أَطَعْتُ النَّوَى وَعَصَيْتُ المَلَامَهْ
حَذَارِ حَذَارِ فَأَجْفَانُهُنَّ ظُبًا مَا لِمَكْلُومِهَا مِنْ سَلَامَهْ
وَكَمْ غَادَةٍ إِنْ نَضَتْ بُرْقُعًا ... حَكَتْ لَكَ شَمْسًا بَدَتْ مِنْ غَمَامَهْ
وَإِنْ بَسَمَتْ لَاحَ مِنْ ثَغْرِهَا ... لِعَاشِقِهَا ضَوْءُ بَرْقٍ قَشَامَهْ
إِذَا مَا تَثَنَّتْ شَكَا خَصْرُهَا ... إِلَى رِدْفِهَا جَوْرَهُ وَالظُّلَامَهْ

وقال أيضًا(٥): [من المنسرح]

إِقْدَحْ زِنَادَ السُّرُورِ بِالقَدَحِ ... وَالمَحْ بِهِ مَا تَشَاءُ مِنْ مُلَحِ
صَهْبَاءُ قُلْ لِلَّذِي تَجَنَّبَهَا ... صَهْ بَاءَ بِالإِثْمِ تَارِكُ القَدَحِ

وأنشدني أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني الصفار الدمشقي

---

(١) همع: هطل.
(٢) ابن العميد، وعبد الحميد، والصابي: كلهم كتّاب مشهورون.
(٣) أسعد: لعله أسعد بن محمود بن خلف الأصبهاني، كان شيخ الشافعية بأصفهان وهو فقيه مشهور.
(٤) الراووق: آلة ترويق الماء أو الخمر.
(٥) البيتان في ديوانه ص٩١.

بها في أوائل المحرم سنة أربعين وستمائة، قال: انشدني أبو محمد فتيان بن علي لنفسه[١]:

[من البسيط]

إنْشُرْ حَدِيثًا قَدِيمًا كُنْتَ تَطْوِيهِ ... وَأَبْدِ ذِكْرَ حَبِيبٍ أَنْتَ تُخْفِيهِ

/٢٧٠ب/ وَلاَ تُعَرِّضْ وَصَرِّحْ لاَ بتَوْرِيَةٍ ... وَلاَ تُعَرِّضْ وَصَحِّحْ لاَ بتَمْوِيهِ[٢]

إنَّ الحَبِيبَ الَّذِيْ هَامَ الفُؤَادُ بِهِ ... هَامٍ لَهُ دَمْعُ عُيْنِي إذْ أُسَمِّيهِ[٣]

فَلِلأُقَاحِ وَلِلتُّفَّاحِ مَبْسِمُهُ ... وَخَدُّهُ وَامْتِيَاحِي الخَمْرَ مِنْ فِيهِ[٤]

مَنْ مُنصِفِيْ مِنْ بَدِيعِ الحُسْنِ مُعْتَدِلِ القَوَامِ أَحْوَى كَحِيلِ الطَّرْفِ شَاجِيهِ[٥]

ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ لَمْ تَتْرُكْ مَحَاسِنُهُ ... شَيْئًا مِنَ الحُسْنِ إلاَّ وَهْيَ تَحْوِيهِ

وَاهًا لَهُ كُلَّمَا ارْتَجَّتْ أَسَافِلُهُ ... وَآهِ مِنْهُ إذَا اهْتَزَّتْ أَعَالِيهِ

يَا لَلْرِجَالِ لِظَبْيٍ صَائِدٍ أَسَدًا ... قَاسِي الفُؤَادِ عَلَى صَبٍّ يُقَاسِيهِ

يَجْنِي عَلَيَّ فَأَسْتَحْلِي جِنَايَتَهُ ... وَمَا أَمَرَّ وَمَا أَحْلَى تَجَنِّيهِ

شَبَّهْتُهُ وَقَوَامُ الغُصْنِ يَخْطِفُهُ ... وَمَنْ لَوَاحِظِهِ وَرْدٌ يُحَاكِيهِ

مِنْ صُدْغِهِ صَوْلَجَانٌ خَدُّهُ كُرَةٌ ... وَالخَالُ حَبَّةُ قَلْبِي لاَ أُخَلِّيهِ[٦]

بِسَهْمِ نَاظِرِهِ [عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهِ ... يرمي فؤادي على عَمْدٍ فَيُصْمِيهِ]

[ولَسْتُ أَنْظُرُهُ][٧] إلاَّ مُخَالَسَةً ... أَكَادُ مِنْ لُطْفِهِ بِاللَّحْظِ أُدْمِيهِ

وَمَا تَأَمَّلْتُ وَجْدِيْ فِي مَحَاسِنِهِ ... إلاَّ تَأَمَّلْتُ وَجْدِيْ مِنْ مَسَاوِيهِ[٨]

---

(١) من قصيدة في ديوانه ص٥٨٦ ـ ٥٩٤ قوامها ٨٦ بيتًا، في مدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف.

(٢) التعريض: هو التلميح، والتورية: أن يطلق لفظ له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد، فيراد البعيد منهما ويورّي عنه بالقريب، كما تسمى التورية إيهامًا، وموَّه: مزج الحق بالباطل، زخرف.

(٣) هام: من همى يهمي: يتساقط.

(٤) إمتاح: من ماح الماء ميحًا: أي أن يستقي وهو في قعر البئر، ومتح متحًا: أن يملأ الدلو وهو على رأس البئر.

(٥) الأحوى: من الحُوَّة: سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد، والشاجي: من الشجو وهو الطرب ـ ضد الحزن ـ.

(٦) الصولجان: «جوكان بالفارسية» عصا معقوفة يضرب بها فارس كرة في ميدان لهذه اللعبة. والخال: العلامة التي تظهر في وجه الإنسان (شامة).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وأكملناه من ديوانه.

(٨) وجدي: الأولى، الحب. والثانية: الحزن.

مَتَى تَحَرَّجْتُ مِنْ شُرْبِ المُدَامِ شَدَا ... فَدَسَّ فِي أُذُنِي خَمْراً تَغَنِّيه

يَا مَنْ يَلُومُ أَعِدْ ذِكْرَ الحَبِيبِ فَمَا ... يُنْسِيهِ شَيءٌ بَلِ الأَيَّامُ تُنْسِيه

وَاذْكُرْ دِمَشْقَ فَإِنَّ اللّهَ فَضَّلَهَا ... عَلَى البِلَادِ بِمَا لَا يُمْتَرَى فِيه[(١)]

/ ٢٧١أ/ زَهَتْ بِجَامِعِهَا وَالنَّسْرِ مُمْتَطِيًا قَوَادِمَ النَّسْرِ تَتْلُوهَا خَوَافِيه[(٢)]

فَقَدْ أَنَافَتْ عَلَى الجَوْزَاءِ قُبَّتُهُ ... تُبْدِي الهِلَالَ الَّذِي لَا شَيءَ يُخْفِيه

شَكَّتْ بِسَفُّودِهَا جَوْزَ الهِلَالِ وَقَدْ ... نَحَتْ بِهِ نَحْوَ قَلْبِ الحُوتِ تَشْوِيه[(٣)]

وَبَابُ جَيْرُونَ قَدْ فَارَتْ بِسَاحَتِهِ ... فَوَّارَةٌ هِيَ ظِئْرُ الجَدْيِ تَرْوِيه[(٤)]

يَا حَبَّذَا جَنَّةٌ بَابُ البَرِيدِ بِهَا ... وَالحُسْنُ قَدْ حُشِيَتْ مِنْهُ حَوَاشِيه[(٥)]

فَالمَرْجُ فَالنَّهْرُ فَالقَصْرُ المُنِيفُ عَلَى الـ ... ـقُصُورِ فَالشَّرَفُ الأَعْلَى مَثَانِيه[(٦)]

فَالجِسْرُ جِسْرُ ابْنِ شَوَّاشٍ فَنَيْرَبُهَا ... تَحْلُو مَعَانِيهِ مَا تَخْلُو مَغَانِيه[(٧)]

كَأَنَّ فِي رَأْسِ عِلِّيِّينَ رَبْوَتَهَا ... يَجْرِي بِهَا كَوْثَرٌ سُبْحَانَ مُجْرِيه[(٨)]

كَأَنَّ مِشْمِشَهَا فِي دَوْحِهِ ثَمَرُ الجِنَانِ يَجْنِيهِ مِنْهَا كَفُّ جَانِيه

كَأَنَّمَا كُلُّ غُصْنٍ مِنْهُ ذُو كَرَمٍ ... لَمْ تَخْلُ فِي النَّاسِ أَيْدٍ مِنْ أَيَادِيه

بِهَا الهَزَارَاتُ تَشْدُو فِي مَنَابِرِ بَانَاتٍ فَنَحْنُ بِمَا تَأْتِيهِ فِي التِّيه

كَأَنَّ نَايَ زُنَامٍ فِي مَنَاقِرِهَا ... وَعُودَ إِسْحَاقَ يَتْلُوهُ مَثَانِيه[(٩)]

---

(١) يمترى فيه: يُجادلُ فيه، من ماراه مماراةً ومراءً.

(٢) جامع دمشق: هو جامع بني أمية المعروف، والنسر: هي قبة الجامع المسماة: قبة النسر.

(٣) جَوْز الهلال: وسطه، والسَفُّود: حديدة يشوى عليها اللحم.

(٤) باب جيرون: من أبواب دمشق، والفوارة التي أشار إليها الشاعر هي «النوفرة» وهذا الحي من دمشق يسمى بها. والجَدْي هو الذكر من ولد المَعَز في السنة الأولى. والجدي أيضًا: نجم إلى جنيب القطب، ولعل القصد منه هنا مكان بعينه.

(٥) باب البريد: محلة معروفة بدمشق إلى جوار جامع بني أمية.

(٦) المرج: هو المرج الأخضر أو مربط الجيش الكائن إلى الغرب من دمشق، والنهر: هو بردى أو أحد فروعه، والقصر المنيف: هو قصر كان يشرف على المرج، والشرف الأعلى: من متنزهات دمشق.

(٧) جسر ابن شواش: أحد الجسور الموجودة بدمشق وهو من منازه المدينة. انظر: «معجم البلدان».

(٨) علّيُّون: جمع علّيّ: اسم ديوان الملائكة، أو أعلى منه، أو هي الجنة. والربوة: متنزه دمشق المعروف.

(٩) زَنام: عازف النَاي المشهور زمن العباسيين، وإسحاق: هو الموصلي الموسيقي الشهير زمن هارون الرشيد.

كَـأَنَّ فِـيْ كُـلِّ عُـوْدٍ عُـوْدُ غَـانِيَـةٍ ... بِصَـدْرِهَـا مِنْـهُ مَـوْلُـودٌ تُنَـاغِيْـهِ[١]

تِلْـكَ المَـرَابِـعُ لَا حُـزْوَى وَكَـاظِمَـةٌ ... وَلَا العَقِيْـقُ بَـوَادِيْـهِ، بِـوَادِيْـهِ[٢]

أَقَـلُّ شِعْـبٍ تَـرَاهُ فِـيْ دِمَشْـقَ يُـوَافِـيْ شِعْـبَ بَـوَّانَ وَافِـي الفَخْـرِ وَالتِّيْـهِ[٣]

/ ٢٧١ب/ كَمْ يَوْمِ سَبْتٍ بَدِيْعٍ فِيْ دِمَشْقَ أَتَى ... بِـالحُسْـنِ مِـنْ يُـوْسُـفَ الصِّـدِّيْـقِ يَجْلِيْـهِ

إِذَا تَـأَمَّلْتَهَـا مِـنْ كُـلِّ نَـاحِيَـةٍ ... دَعَتْـكَ لِلْعَجَـبِ البَـادِيْ دَوَاعِيْـهِ

بِهَـا الجَـوَاسِـقُ أَمْثَالُ الكَـوَاكِـبِ فِـيْ ... نَحْـرِ البَسَـاتِيْـنِ تَعْلُـوْهَـا صَـوَارِيْـهِ

وأنشدني الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن يوسف التميمي البقفي بها في سنة أربعين وستمائة، قال: أنشدني الشهاب فتيان لنفسه[٤]:

فِـــيْ حُبِّـكَ صِـرْتُ كَـالخِـلَالِ ... والصبـــر فليـــس مـــن خِـــلَالِـــي

واصِـلْ مَـنْ حَـازَ كُـلَّ حُـزْنٍ ... يَـا حَـائِـزَ جُمْلَـةِ الجَمَـالِ

العَـاذِلُ عَـادَ لِـيْ عَـذِيْـرِيْ ... وَالقَلْـبُ عَـنِ السُّلُـوِّ سَـالِـيْ

عَـذِّبْ بِسِـوَى الصُّـدُوْدِ قَلْبِـيْ ... يَـا مُنْيَتَـهُ فَمَـا أُبَـالِـيْ

شَـرْبُـوْشُـكَ يَـا صَبِـيُّ مِنْـهُ ... تَنْكِيْـسُ عَمَـائِـمِ الـرِّجَـالِ

هَـذَا الحَـالِـي بِكُـلِّ حُسْـنٍ ... مَـا أَعْجَـبَ فِـيْ هَـوَاهُ حَـالِـيْ

غُصْـنٌ فِـيْ الحِقْـفِ تَحْـتَ بَـدْرٍ ... فَيَـرْنُـو عَـنْ مُقْلَتَـيْ غَـزَالِ

يَـرْمِـيْ عَـنْ قَـوْسِ حَـاجِبَيْـهِ ... مِـنْ لَحْـظِ الطَّـرْفِ بِـالنِّبَـالِ

/ ٢٧٢أ/ لَأُمَتِّـعَ فِـيْ هَـوَاهُ قَلْبِـيْ ... مَـا عِشْـتُ بِلَـذَّةِ الـوِصَـالِ

إِنْ كُنْـتَ عَلَـى الـرُّقَّـادِ أَبْكِـيْ ... إِلَّا شَـوْقًـا إِلَـى الخَيَـالِ

وأنشدني بهاء الدين أبو العلاء رافع بن شجاع بن رافع بن محمد الدمشقي

---

(١) عود: الأولى، يعني الغصن، والثانية: آلة العزف المعروفة.
(٢) العقيق: واد بالمدينة.
(٣) شعب بوانٍ: هو أحد متنزهات الدنيا.
(٤) القصيدة في ديوانه ص٣٤٩ قوامها ١١ بيتًا.

السُلمي بظاهر مدينة الموصل في شهر صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة[(١)]:

[من المتدارك]

أَنَا بِالغِزْلَانِ وَبِالغَزَلِ عَنْ عَذْلِ العَاذِلِ فِي شُغُلِ
مَا تَفْعَلُ بِيضُ الهِنْدِ بِنَا مَا تَفْعَلُهُ سُودُ المُقَلِ[(٢)]
بِأَبِي وَسْنَانُ أَغَنُّ كَحِيلُ الطَّرْفِ غَنِيٌّ عَنْ كُحُلِ
رَشَأٌ أَحْوَرُ عَيْنِيهِ لنَا جَادَتْ بِالخَمْرِ وَبِالعَسَلِ
مَنْ كَانَ الخَمْرُ جَنَى فَمِهِ لَمْ لَا يَمْشِي مَشْيَ الثَّمِلِ
يَمْشِي فَيَكَادُ يُقَدُّ الخَصْرُ لِيَثْنِيهِ ثِقَلُ الكَفَلِ
وَتَغَارُ عُقُودُ الدُّرِّ إِذَا مَا افْتَرَّ عَنَ الثَّغْرِ الرَّتِلِ[(٣)]
أَتَقَاضَاهُ فَيُمَاطِلُنِي ظُلْماً بِدُنُوِّي وَهْوَ مَلِي[(٤)]
أَغْمِدْ فِي الحَرْبِ السَّيْفَ فَمِنْ لَحَظَاتِكَ يُشْهَرُ سَيْفُ عَلِي[(٥)]
/ ٢٧٢ب/ سَأُؤَذِّنُ فِي حُبِّيكَ جِهَاراً حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ
يَا ظَالِمُ حِينَ عَلَيَّ وَلِي لِمْ لَا أَصْبَحْتَ عَلَيَّ وَلِي
يَا بَدْرَ دُجَى مطلعه لِسُوَيْدَا القَلْبِ فَلَمْ يَغَلِ[(٦)]
آهاً مِنْ هَجْرِكَ وَالإِعْرَاضِ وَمِنْ طُولِ صُدُودِكَ وَالمَلَلِ

أنشدني الرئيس الأجل سديد الدولة أبو سعيد بن أبي الحسن بن أبي سعيد السامري الدمشقي، بمنزله بحلب يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني الشهاب فتيان لنفسه بدمشق سنة تسع وستمائة، وأنشدنيها أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني الدمشقي بها في أوائل المحرم سنة

---

(١) من قصيدة في ديوانه ص٣٢٤ ـ ٣٢٨ قوامها ٤٤ بيتًا في مدح الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك الناصر يوسف بن أيوب.
(٢) بيض الهند: السيوف.
(٣) الرتل: المتناسق.
(٤) مَلي: من مليء، هو القدير، الغني، جمعه: ملاء.
(٥) سيف علي بن أبي طالب المعروف بـ (ذو الفقار).
(٦) يَغل: يتوارى من وَغَلَ.

أربعين وستمائة، قال: أنشدني فتيان لنفسه[١]: [من الخفيف]

أَظُبـاً جُـرِّدَتْ لَنَـا مِـنْ جُفُـوْنْ ... أَمْ ظِبَـاءٌ رَنَـوْنَ أَمْ حُـوْرُ عِيْـنِ[٢]

أَمْ وُجُـوْهٌ وَاجَهْتَنَـا أَمْ شُمُـوسٌ ... فِـيْ غُصُـوْنٍ بَيْـنَ اعْتِـدَالٍ وَلِيْـنِ

كُـلُّ فَتَّـانَـةٍ تُقَلِّـبُ هَـارُوْتَ وَمَـارُوْتَ بَيْـنَ سِحْـرِ الجُفُـوْنِ

/٢٧٣أ/ مِـنْ بَنَـاتِ التُّـرْكِ الـرَّوَاجِـحِ أَكْفَـالاً وَلَكِنَّهُـنَّ خُمْـصُ البُطُـوْنِ[٣]

هَتَفَـتْ بِـيْ صَبَـابَتِـي بِصَبَـايَـا ... مُصْبِيَـاتٍ بِـالـدَّلِّ أَهْـلَ الـدِّيـنِ[٤]

يَـا نَـدِيْمَـيَّ أَمَـا تَـرَى خُطَبَـاءَ الـوَرْدِ تَـرْقَـى مَنَـابِـراً مِـنْ غُصُـوْنِ

وَهُـمُ قَـائِلُـوْنَ حَيَّهَـلاً بِـالـرَّاحِ مِـنْ مَعْرِبَـوْنَ أَمْ حَلْبَـوْنِ[٥]

قَهْـوَةٌ تَطْـرُدُ الهُمُـوْمَ عَـنِ القَلْـبِ وَتَـأْتِـي بِفَـرْحَـةِ المَحْـزُوْنِ

وَكَـأَنَّ الحَبَـابَ ثَغْـرُ حَبِيْـبٍ ... ذِيْ ابْتِسَـامٍ عَـنْ لُـؤْلُـؤٍ مَكْنُـوْنِ

صَـاغَـهُ الخَـالِـقُ الَّـذِي إِنْ يُـرِدْ شَيْئـاً يَكُـنْ مِنْـهُ بَيْـنَ كَـافٍ وَنُـوْنِ[٦]

هَـاتِ بِكْـراً تَمَخَّضَـتْ بِجَنِيْـنِ ... الـسُّكْـرِ لِلّـهِ دَرُّهُ مِـنْ جَنِيْـنِ[٧]

إِنَّ عُمْـرَ الـوَرْدِ الأَنِيْـقِ قَصِيْـرٌ ... فَـاغْنَمُـوا قَبْـلَ الحَيْـنِ طِيْـبَ الحِيْـنِ

بَيْـنَ عُـوْدٍ وَبَيْـنَ نَـايٍ وَجَنْـكٍ ... وَطَبِيْـبِ القَـانُـونِ بِـالقَـانُـوْنِ[٨]

مَـنْ مُجِيْـرِيْ مِـنْ جَـوْرِ أَحْـوَرَ أَحْـوَى ... عِنْـدَ بَـابِ القَنَـاةِ مِـنْ جَيْـرُوْنِ[٩]

لَـوْ تَـرَانِـيْ وَشَعْـرُهُ بِيَسَـارِيْ ... وَالحُمَيَّـا مَمْـزُوْجَـةٌ بِيَمِيْنِـي

لَـرَأَيْـتَ الشُّجَـاعَ وَالشَّمْـسَ وَالـدِّرْيَـاقَ وَالـرِّيْـمَ صَيْـدَ لَيْـثِ العَـرِيْـنِ[١٠]

---

(١) من قصيدة في ديوانه ص ٥٢١ ـ ٥٢٣ قوامها ٢٢ بيتًا.
(٢) ظبى: جمع ظُبَة، وهي رأس السيف.
(٣) الخمص: الرقاق، جمع خمصاء.
(٤) مصبيات: تجذب إليها بالعشق، والدَّلّ: الدلال.
(٥) معربون: هي معربا المعروفة اليوم إلى الشمال الغربي من دمشق، وحلبون إلى جوارها.
(٦) أي كلمة (كن).
(٧) تمخَّضت: من المخاض وهو ما يسبق الولادة.
(٨) طبيب القانون: يشير هنا إلى كتاب ابن سينا الشهير بـ (القانون).
(٩) الأحور: الذي يبدو بياض عينيه واضحًا. الأحوى: الأسمر. جيرون: أحد أبواب دمشق.
(١٠) الشجاع: الأفعى. الدرياق: ما يستعمل للشفاء من سم الأفاعي.

وهْوَ كَالجَارِ بَيْتَ بَيْتَ وَلَكِنْ بَانَ عَنِّي كَالرَّمْلِ مِنْ يَبْرِيْنِ(١)
وَلَقَدْ هَاجَتِ النَّوَاقِسُ بِالدَّيْرِ جَنَانِي فَقُمْتُ كَالمَجْنُوْنِ
/ ٢٧٣ب/ وَالشَّحَارِيْرُ كَالرَّهَابِيْنِ يَتْلُوْنَ الزَّبُورَ البَدِيعَةَ التَّلْحِيْنِ
وَصَفِيْرُ الصُّفْرِيِّ يَشْدُو بِشَدْوٍ مُعْرِبٍ عَنْ صَبَابَةٍ وَحَنِيْنِ
وَالهَزَارَاتُ وَالبَلَابِلُ وَالوُرْقُ عَلَى الدَّوْحِ بَادِيَاتُ الشُّجُوْنِ
وَإِذَا العَنْدَلِيْبُ صَاحَ ظَنَنَّاهُ تَلَا المُحْكَمَاتِ مِنْ يَاسِيْنِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه(٢): [من البسيط]

التُرْكُ إِنْ لَبِسُوا يَوْمًا تَرَائِكَهُمْ عَلَى الدُّرُوْعِ وَأَلْقَوا بِالشَّرَابِيْشِ(٣)
أَلْفَيتَ أُسْداً عَلَى الأَعْدَاءِ وَاثِبَةً إِذَا انْحَنَوا فِي قَرَابِيْسِ الأَكَارِيْشِ(٤)
تَلْقَى مَلَائِكَةً قَدْ أُرْسِلَتْ شُهُبًا عَلَى العَفَارِيْتِ مِنْ أُفْقِ التَّرَاكِيْشِ(٥)
بُدُوْرَ تَمٍّ تَمَطَّى فِيْ الأَهِلَّةِ تَرْمِيْ بِالكَوَاكِبِ لَا العِيْدَانِ بِالرِّيْشِ(٦)
شَامُوا جَدَاوِلَ لَمَّا اسْتَلأَمُوا غُدْرًا فَأَوْقَدُوا بِمِيَاهِ نَارَ شَارِيْشِ(٧)
عَادُوا أَجَادِلَ دَجْنٍ صَيْدُهَا أُسُدٌ مُرَدَّفِيْنَ بِهَا فَوْقَ الكَبَابِيْشِ(٨)
أَبْصَارُ أَعْدَائِهِمْ تَعْشَى بِنُوْرِهِمُ أَنَّى تَرَى الشَّمْسَ أَبْصَارُ الخَفَافِيْشِ
مَتَى دَنَوا وَمَتَى افْتَرُّوا جَنَوا وَحَبُوا بِالسِّحْرِ مِنْ بَابِلٍ وَالدُّرِّ مِنْ كَيْشِ(٩)

---

(١) بيتَ بيتَ: اسم مركب يعربه النحاة: مبني على فتح الجزئين، مثل صباحَ صباحَ، مساءَ مساءَ. يبرين: اسم مكان في الجزيرة العربية.
(٢) من قصيدة في ديوانه ص٢٤٣ ـ ٢٤٥ قوامها ١٣ بيتًا، في مدح الملك الأشرف مظفر الدين.
(٣) التريكة: بيضة الحديد. والشرابيش: جمع شربوش وهو لباس للرأس، القلنسوة.
(٤) القربوس: عند العامة خشبة صغيرة في مقدمة السرج، أو إنحناء السرج في مقدمته وآخرته وهما قربوسان في الفصيح.
(٥) التراكيش: جمع تركاش وهي كنانة الهامة «فارسية».
(٦) العيدان والريش: كناية عن الرماح والسهام.
(٧) شاموا: رأوا. استلأم: لبس اللامة وهي الدرع. العُذْر: جمع عُذْرة وهي سمة في موضع العذار.
(٨) الأجادل: جمع أجدل وهو الصقر، والدجن: الليل والمطر. مردَّف: أي متبوع، من ردفه أي تبعه، وأردفه معه إي أركبه معه. والرديف الراكب خلف الراكب. الكبش: من آلات الحرب يتخذ لهدم الأسوار.
(٩) كيش: اسم بلد.

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه بالتاريخ المقدم[(١)]: [من الوافر]

/ ٢٧٤أ/ بِكُمْ قَلْبِي عَلِيلٌ مَا يَبِلُّ ... بِهِ مِنْكُمْ غَلِيلٌ مَا يُبَلُّ
فَطَرْفِي كَاتِبٌ وَالطِّرْسُ خَدِّي ... وَأَشْوَاقِي تُمَلُّ وَمَا تَمَلُّ
وَأَحْبَابِي اسْتَقَلُّوا مَا أُلاقِي ... مِنَ البُرَحَاءِ فِيهِمْ فَاسْتَقَلُّوا
هُمُ فِي القَلْبِ حَلُّوا حِينَ سَارُوا ... وَهُمْ عَقَدُوا الهَوَى والصَّبْرَ حَلُّوا
وَمِنْ أَجْفَانِهِنَّ السُّودِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ لِلسُّيُوفِ البِيضِ سَلُّوا
فَأَيُّ حَشًا هُنَالِكَ نَجَا سَلِيمًا ... وَأَيِّ دَمٍ هُنَالِكَ مَا أَطَلُّوا
رَأَوا قَتْلِي بِبَيْنِهِمُ حَلالاً ... وَلا وَاللَّهِ قَتْلِي مَا يَحِلُّ
كَفَى حَزَنًا بِأَنَّ الوَجْدَ نَامٍ ... بِقَلْبِي وَالتَّجَلُّدُ مُضْمَحِلُّ
وَفِي حُبِّيهِمُ قَدَمِي اسْتَقَامَتْ ... وَآلَتْ لا تَزُولُ وَلا تَزِلُّ
وَلَمَّا أَنْ رَأَوا مِنَّا نُفُوسًا ... تَظَلُّ مِنَ المَآقِي تَسْتَهِلُّ
سَقَوا مِنْ نَرْجِسِ الأَلْحَاظِ وَرْدًا ... فَفِي وَرْدِ الخُدُودِ الدَّمْعُ طَلُّ
لَقَدْ كُنْتُ العَزِيزَ وَفِي هَوَاهُمْ ... ذَلَلْتُ وَكُلُّ مَنْ يَهْوَى يَذِلُّ
أَلا يَا حَبَّذَا أَعْلامُ نَجْدٍ ... وَوَادِي الخِيفِ وَالبَانُ المُطِلُّ
مَنَازِلُ لا أَلَمَّ بِهِنَّ مَحْلٌ ... فَهُنَّ لِمَنْ كَلِفْتُ بِهِ مَحَلُّ
وَمَمْلُوكٌ لَهُ فِي التُّرْكِ آلٌ ... يَرُوعُ وَجُنْدُهُ لَمْ يُرْعَ إِلُّ
يَدِلُّ وَمَنْ يَكُنْ فِي الحُسْنِ فَرْدًا بِلا شَبَهٍ لَهُ لِمْ لا يَدِلُّ
هِلالُ السَّرْجِ يُطْلِعُ مِنْهُ شَمْسًا ... عَلَيْنَا فَرْعُهُ المُسْوَدُّ ظِلُّ
وَتُصْمِي قَوْسُ حَاجِبِهِ بِنَبْلِ اللَّوَاحِظِ عَاشِقِيهِ وَلا يُوَلُّوا
إِذَا خَطَفَ القَنَاةَ فَذَاكَ رُمْحٌ ... بِرُمْحٍ فِي الكَرِيهَةِ مُشْمَعِلُّ[(٢)]
وَإِنْ هَزَّ الحُسَامَ يَكُنْ حُسَامًا ... تُفَلُّ بِهِ الجُيُوشُ وَلا يُفَلُّ
وَمِنْ ضِيقِ اللِّثَامِ يُرَى هِلالاً ... بِهِ للهِ إِذْ يَبْدُو نُهِلُّ
ذُؤَابَتُهُ بِهَا ذَابَتْ قُلُوبٌ ... وَفَوْقَ السَّرْجِ مِنْهَا صَالَ صِلُّ[(٣)]

(١) من قصيدة في ديوانه ص٣٥٢ ـ ٣٥٤ قوامها ٣٠ بيتًا.
(٢) إشمَعَلَّ الرجل إشمعْلالاً: جدَّ في المُضي، والإبلُ: مضت مسرعة.
(٣) الصِلُّ: الأفعى.

فَمَا أَغْنَاهُ عِنْدِيْ عَنْ سِلَاحٍ ... فَفِيْ حَمْلِ السِّلَاحِ عَلَيْهِ كَلُّ
يَخُوضُ مِنَ الْمُفَاضَةِ فِيْ غَدِيْرٍ ... تَسَلْسَلَ مِنْهُ لِيْ بَالٌ مُدِلُّ[(١)]
وَلَكِنَّ الْهِزَبْرَ يُرَى شَتِيْمَاً ... أَزَلَّ وَلَا أُمَيْلِحُ لَا أَزَلُّ[(٢)]
هُوَ الصَّنَمُ الَّذِيْ لَوْلَا تُقَائِي ... إِلهِي لَمْ أَزَلْ فِيْهِ أَضِلُّ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يمدح المهّذب الحكيم يوسف بن أبي سعيد الإسرائيلي السامري ـ وزير صاحب بعلبك ـ الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شهنشاه: [من السريع]

/ ٢٧٥أ/ يَا عَاذِلِيْ كُنْ فِيْ الْهَوَى عَاذِرِيْ ... وَعَدِّ عَنْ شِقْشِقَةِ الْهَادِرِ
هَيْهَاتَ أَنْ يَسْتَمِعَ الْعَذْلَ فِيْ ... لَيْلَاهُ مَجْنُوْنُ بَنِيْ عَامِرِ
مَا اللَّيْلُ لِيْ مِنْ سَهَرِيْ مُؤْمِنٌ ... يَا صِدْقَ مَنْ سَمَّاهُ بِالْكَافِرِ
أَحْسَنُ مَا يُسْمَعُ مِنْ سَامِرٍ ... فِيْ الدَّهْرِ مَدْحِيْ يُوْسُفَ السَّامِرِيْ
مُهَذَّبِ الدِّيْنِ الَّذِيْ وَجْهُهُ ... أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ
لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ يَوْمَاً عَلَى الْمَشْهُوْرِ مِنْ إِحْسَانِهِ الْغَامِرِ
وَلَا كَمَنْ يَنْصُرُ مِنْ خَاذِلٍ ... وَلَا كَمَنْ يَخْذُلُ مِنْ نَاصِرِ
إِحْسَانُهُ بَادٍ بِنَا حَاضِرٌ ... يُعْرَفُ فِيْ الْبَادِيْ وَفِيْ الْحَاضِرِ
إِنْ جَاءَهُ شَاكٍ مَضَى شَاكِرَاً ... فَكَمْ لَهُ فِيْ الْخَلْقِ مِنْ شَاكِرِ
فِيْ حِفْظِهِ مَا جَاءَ عَنْ شَارِعٍ ... وَفَيْلَسُوْفٍ وَامْرِيءٍ شَاعِرِ
فَسَخَّرَ اللَّهُ بِنَيْلِ الْمُنَى ... لَهُ مُسَيِّرَ الْفَلَكِ الدَّائِرِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه في يوم بارد[(٣)]: [من البسيط]

قَدْ أَجْمَدَ الْخَمْرَ كَانُوْنٌ بِكُلِّ قَدَحٍ ... وَأَخْمَدَ الْجَمْرَ فِيْ الْكَانُوْنِ حِيْنَ قَدَحْ
يَا جَنَّةَ الزَّبْدَانِيْ أَنْتِ مُسْفِرَةٌ ... عَنْ حُسْنِ وَجْهٍ إِذَا وَجْهُ الزَّمَانِ كَلَحْ

---

(١) المُفاضة: الدرع تشبه بالماء في زردها. المُدِلُّ: المتكبر المدعي.
(٢) الشتيم: الأسد العابس. أزلُّ: الخفيف الوركين.
(٣) الأبيات من قطعة في ديوانه ص٩٤ قوامها ٥ أبيات، وفيه أنه قالها وقد كان مقيمًا بالزبداني، وهي قرية بين دمشق وبعلبك، كثيرة الأشجار والمياه. وفي الوفيات ٤/ ٢٥. وسير أعلام النبلاء، ثلاثة أبيات منها.

/ ٢٧٥ب/ فَالثَّلْجُ قُطْنٌ عليكَ السُّحْبُ تَحْلُجُهُ — والجَـوُّ نَـدَّافُـهُ والقَـوسُ قَـوسُ قُـزَحْ
مَتَى نُجِلُّ فيكَ طَرف الطَّرْفِ مِنْ مَرَحٍ — قَضَّيْتَـهُ لمحـًا نَـأْتـِي بِحُسْـنِ مُلَـحْ

[٥٧٨]

فرامرزُ بنُ محمود بن محمد بنِ أبي المعالي بن بايدار بن إسماعيلَ بن خجَستَ الديلَميِّ، أبو سعد بن أبي الثناء، الأصبهانيُّ الأصْلِ.

كانت ولادته بالموصل سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة، وتوفي بها يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الأولى سنة سبع عشرة وستمائة. ودُفن قِبْلِيِّها ظاهر البلد بمقبرة عنار.

وكان من أكبر بيت بالموصل؛ وجدُّه أبو عبدالله محمد بن أبي المعالي الأصفهاني، كان سفيراً لبني أتابك. يُنفذ رسولاً إلى بلاد العجم.

وفرامرز قرأ طرفًا من الفقه والأدب وأغري بالشعر. وكان له فيه عارضة وجودة طبع، وقال منه جملة وافرة.

رأيته بالموصل مراراً ولم أعلق عنه شيئًا من قبله. وكان شابًا أسمر اللون ربعة، شديداً قويًا في نفسه، يشيل الأحجار الثقال ويعالج / ٢٧٦أ/ بها. وكان معاشراً كيسًا حسن الصحبة، يخالط أهل الخلاعة والمتطربين في الحانات. وانقطع إلى الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ورزق منه حظوة.

أنشدني الأمير مظفر بن محمود بن محمد، قال: أنشدني أخي فرامرز لنفسه:

[من البسيط]

منَّـا السَّـلامُ عَلَيكُـمْ وَالتَّحيَـاتُ — يَـا مَـنْ دُمُـوعِـي لِمَسْرَاهُـمْ غَـزِيرَاتُ
بِنْتُـمْ فَبَـانَ اصْطِبَـارِي بَعْـدَ بَيْنِكُـمُ — وَاعْتَـادَنِـي بَعْـدَمَـا الأَفْـرَاحُ تَـرْحَـاتُ
كُـلُّ الحَـوَاسِـدِ قَـدْ نَـالُـوا الَّـذِي طَلَبُـوا — إذْ هُـمْ لِهَجْـرِكُـمُ للصـب شُمَّـاتُ
مَلَكْتُـمُ فَـاعْـدِلُـوا فينا فَقَـدْ وَرَدَتْ — فِـي أَجْـرِ ذِي العَـدْلِ أَخْبَـارٌ وآيَـاتُ

وَاهْدُوا لنا الوَصْلَ أَوْ بالطَّيف يَطْرقُنا فللخَيال إلى العُشَّاق سُلْطَاتُ

وَيْلاهُ لا خَبَرٌ بالوَصْلِ يُطْرِبُني وكَمْ لصَدِّكُمُ عندي صَبَابَاتُ

هَزَمْتُمُ جَيْشَ صَبْري مُذْ بَدَتْ لكُمُ بَلْ للتباعُدِ أعْلامٌ ورَاياتُ

كَمْ صحْتُ وا شُؤمَ حَظّي هَلْ يَعُودُ لَنا ذاكَ الزَّمانُ . . . .

هَذا زَمَاني انقضَى في الهَجْرِ واحَرَبا تُرَى تَرَى لِلَيالي الوَصْلِ أَوْقَاتُ

ونقلتُ من خطه قوله من قصيدة: [من الكامل]

/ ٢٧٦ب/ زَمَنُ الشَّبَاب مَطيَّةُ اللَّذَات وَنَظيرُهُ زَمَنُ الرَّبيْعِ الآتي

ظَهَرَتْ عَوارِضُ نَبْتِه كَعَوارِض مُخْضَرَّةٍ في حُمْرَةِ الوَجَنَات

وَتَزَخْرَفَتْ فيْه الرِّيَاضُ بحُلَّةٍ مِنْ نَسْجِ رَاحَاتِ الحَيَا الهَطِلاَت

بَكَت السَّماءُ فَأَضْحَكَتْ نُوَّارَها عَنْ ثَغْرِ أَشْنَبَ طَيِّبِ النَّكَهَات

وَتَرَنَّمَتْ أَطْيَارُهَا وَتَرَنَّحَتْ أَغْصَانُهَا طَرَباً عَلَى النَّغَمَات

فَعَلَيْكَ في العَصْرَيْنِ بنْتَ مَعَاصِرٍ يَحْنُو. . . . بهَا عَلَى الحَانَات

وَاسْتَجْلِهَا رَاحَاتِهَا المَرِحَات تُسْتَهْدَى إلَى الأَرْوَاح بالرَّاحَات

بَيْضَاءَ سَاطعَةَ الشُّعَاعِ وَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ ظُهُورُ النُّوْرِ فِي الجَنَّات

يَسْعَى بهَا رَشَأٌ أَغَنُّ مُذَكَّرُ الأَوْصَاف وَهْوَ مُؤَنَّثُ الحَرَكَات

كَالمَاء رِقَّةُ جِسْمِه، وَالغُصْن في. . . . . . . ، وَالظَّبْي في اللَّفَتَات

وَالبَدْر يَحْمِلُ أَنْجُماً أَفْلاَكُهَا الطَّاسَاتُ وَالأَبْرَاجُ في الكَاسَات

فَإذَا رَنَا في كُلِّ طَاس خِلْتَهُ قَمَراً مَطَالِعُهُ مِنَ الهَالاَت

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آسَاداً الشَّرَى لَوْلاَهُ خَائفَةٌ مِنَ الظَّبَيَات

لَوْ شَاءَ أَسْكَرَ قَبْلَ مَزْجِ مُدَامِه بكَلاَمِه وَبنَرْجِس اللَّحَظَات

وبمَاء غُرٍّ كَاللآلي جُمِّعَتْ في صَحْفَةِ اليَاقُوْت مُفْتَرِقَات

/ ٢٧٧أ/ فَتَنَهْنُهَا مَا دَامَ غُصْنُكَ يَانعاً نَضِراً وَعَنْكَ الدَّهْرُ. . . والغَفَلاَت

وَالجَوُّ أَزْرَقُ وَالسَّحَابُ مُكَوْفَرٌ وَالنَّبْتُ أَغْيَدُ وَالزَّمَانُ مُوَاتي

[٥٧٩]
فضلانُ بن أبي الفرجِ بنِ فضلانَ، أبو الطيِّبِ الذميُّ الواسطيُّ الضريرُ[١].

كان شاعراً فطنًا يجيد نظم الشعر في القصائد والمقطعات. وكان مع ضرره ذكيًا لطيف الحس حسن الخاطر يلعب بالشطرنج بقلبه فلا يكاد يغلبه أحد. خرج عن العراق إلى بلاد الشام وانقطع خبره هناك.

أنشدني الصاحب الوزير شرف الدين أبو البركات المستوفي ـ أدام الله سعادته ـ قال: أنشدني أبو الطيب لنفسه يمدح عليًا ـ عليه السلام ـ ويذكر إذمامه لليهود:

[من الرجز]

إنْ عَادَ لِيْ مِنَ الشَّبَابِ مَا فَرَطْ ... عَادَ بِكُمْ عَيْشِيَ وَهْوَ مُغْتَبِطْ

لِلّهِ أَيَّامُ الصِّبَا لآلِئًا ... لَوْلاَ امْتِنَاعُ نَثْرِهَا أَنْ يُلْتَقَطْ

وَسَائِرِيْنَ مَا عَلَتْ قِبَابُهُمْ ... يَوْمَ النَّوَى إلاَّ وَجَدِّيْ قَدْ هَبَطْ

/ ٢٧٧ب/ أَيَّانَ . . . . البينِ مَعْ ... كُلِّ عقَالٍ لمَطَايَاهُمْ نُشِطْ

تَحَمَّلُوا مِنْ حَوْمَلٍ وَجَاذَبُوا ... سِقْطَ اللِّوَى وَالقُرْصُ غَرْبًا مَا سَقَطْ

حَتَّى إذَا مِيْطَ بُرَى مَطِيِّهِمْ ... وَحَلَّلَ الرَّكْبُ عُرَى الرَّحْلِ وَحَطْ

وَمَدَّ دَاجِيْهِ الهَزِيْعَ وَغَطَا ... شَبَابَهُ مِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ الشَّمَطْ[٢]

قُمْتُ قَصِيْرَ الخُطُوَاتِ خَائِفًا ... أَنْ يَنْظُرَ الحِبُّ مَشِيْبِيْ قَدْ وَخَطْ

أَقُوْلُ: هَبْ لِيْ قُبْلَةً أُحْيِي بِهَا ... مَا شَطَّتِ الدَّارُ، فَقَالَ: ذَا شَطَطْ

ومنها في مديحه ـ صلوات الله عليه وسلم ـ:

وَقَائِلٍ تَمْدَحُهُ وَلَسْتَ مِنْ ... مِلَّتِهِ مَا ذَاكَ مِنِّي بِفَرَطْ

هَذَا حَبَانَا عَرَبِيَّ ذِمَّةٍ ... مِنْ بَعْدِ فَتْكِ الرُّوْمِ فِيْنَا وَالنَّبَطْ

---

(١) كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص١٠ ـ ١١.

(٢) غَطَا: سَتَرَ.

وَكَيْــفَ لاَ نَنْظِــمُ مَــا عِشْنَــا كَــذَا الــ ـعُقُــودَ مِــن دُرِّ ثَنَــاهُ وَالسَّمْــطْ؟

وكتب إلى بوّاب معاملة قوسان يستمحيهم ويتقاضهم برسم له عليهم من التمر فأنفذوه له تمراً عتيقًا مسوسًا، فلما حضر بين يديه ولمسه وجده نوى لا يصلح لشيء، قد أكله السوس، فقال: [من الخفيف]

/٢٧٨/ لَمْ يُرْبِنِيْ فِعْلُ المُجِيْزِيْنَ شِعْرِيْ بِتُمُــوْرٍ كَثِيْــرَةِ التَّسْــوِيْــس
بَــلْ تَعَجَّبْــتُ كَيْــفَ خَلَّــصَ نَظْمِــي لِلْقَــوَافِــيْ هَــذَا النَّــوَى مِــنْ...

وقال أيضًا: [من البسيط]

أَصْبَحْــتُ أَرْجُــو أُنَــاسًــا لاَ رَجَــاءَ بِهِــمْ بِـالـلُّـؤْمِ وَالشُّحِّ مِـنْ قَبْـلِ الـوُجُـوْدِ غُـذُوا
أُجَـازُ كِـذْبًـا عَلَـى كِـذْبِـيْ بِمَـدْحِهِـمُ كَـأَنَّمَـا مِـنْ مَـدِيْحِـيْ الـوَعْـدُ مُتَّخَـذُ
فَــلا تصفــو قطبــًا شعــري مجــردة وَفَــوْقَ هَــامِ العَطَــايَــا مِنْهُــمُ...
أَقُــوْلُ زُوْراً فَــأُجْــزَى زُوْرَ فِعْلِهِــمْ فَيَــرْجِعُــوْنَ وَمَــا أَعْطَــوا وَلاَ أَخَــذُوا

[٥٨٠]

فخارُ بن معد بن فخار بن أحمدَ بن محمد بن محمد بن الحسين الملقبَ شيتي بَن إبراهيمَ المجابَ بن محَمدَ الصالَح بَن الإمامَ موسىَ بن جعفرَ بن محمد بن علَيٍّ بَن الحسَين بن علَيٍّ بن أبيَ طالب ـ صَلواتَ الله عليهَم أجمعين ـ أبو عبدَ الحَميدِ العَلويَّ الموسَويُّ الحِليُّ[(١)].

من أهلِ الحلة المزيدية.

قرأ الأدب على عميد الرؤساء أبي منصور هبة الله بن أيوب اللغوي[(٢)]. وتخرج

---

(١) ترجمته في: روضات الجنات ٤٨٧. عمدة الطالب ٢١٦. الأعلام ٥/ ١٣٧ وفيه: «شمس الدين أبو علي، فاضل إمامي، من أهل الحائر في العراق، صنّف «الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ـ ط» وأرسله إلى ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة، وكان معاصراً له، فكتب على ظهره: ما يؤذن بمدح أبي طالب من غير أن يصرح بإسلامه. وكان ابن أبي الحديد لا يقول بإسلام أبي طالب.
ولصاحب الترجمة كتب أخرى منها: «الروضة» في الفضائل والمعجزات.

(٢) هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب، أبو منصور، يعرف بعميد الرؤساء، أديب فاضل =

عليه. وكان شاعراً جليلاً فاضلاً من سادات / ٢٧٨ب/ أهله نباهة وأدبًا.

ومن شعره يرثي شيخه أبا منصور الذي تقدّم ذكره. وكانت وفاته سنة عشر وستمائة:

[من الكامل]

أَوْدَى ابنُ أَيُّوبَ وَغَادَرَ جَذْوَةً ... فِي الصَّدْرِ مِنِّيَ مَا تَنِي تَتَلَهَّبُ

قَدْ قُلْتُ لِلنَّاعِيْ غَدَاةَ نَعَاهُ لِيْ ... مَاذَا نَعَيْتَ لَنَا بِفِيكَ الإِثْلَبُ[1]

فَلأَبْكِيَنَّ عَلَى امْرِىءٍ [وَ] كَأَنَّهُ ... مَاتَ المُبَرِّدُ وَالخَلِيلُ وَثَعْلَبُ

= نحوي لغوي شاعر، شيخ وقته، ومتصدّر بلده، أخذ عنه أهل تلك البلاد الأدب، وأخذ هو عن أبي الحسن علي بن عبد الرحيم الرقّي المعروف بابن العصّار وغيره. نظم ونثر، وكان يلقب بوجه الدويبة، وسمع المقامات من ابن النّقور، وروى. مات سنة عشر وستمائة.

ترجمته في: معجم الأدباء ١٩/ ٢٦٤. بغية الوعاة ٢/ ٣٢٢.

(١) الأثلب: التراب.

ذكر من اسمه الفضل

[٥٨١]

الفضلُ بنُ أحمدَ بن أسعد بن أحمدَ بنِ عبدِ الرزاقِ بنِ بكران، أبو المفاخرِ بنُ أبي الفضلِ المَزدقانيُّ.

وقد تقدّم شعر والده الوزير(١).

وأبو المفاخر دمشقي المولد والمنشأ. لقيته باربل في أوائل المحرم سنة ستٍّ وعشرين وستمائة، مستجديًا مليكها المعظم مظفر الدين أبا سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ ومؤملاً جدواه؛ فبرّه وأنعم عليه كعادته على المسترفدين الذين يردون حضرته من كل قطب. وذكر لي أنَّه /٢٧٩أ/ حفظ كتاب اللّه العظيم، وسمع الحديث على أبي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي.

ثم أنشدني لنفسه يمدح الملك المعظم مظفر الدين وكان قد بنى بظاهر دمشق جامعًا:

[من الخفيف]

ضَاعَفَ اللّهُ أجْرَ خَيْرِ الأنَامِ مَلِكٍ سَرَّ مِلَّةَ الإسْلاَمِ

مَنْ بَنى جَامِعًا بِهِ جَمَعَ اللّهُ لأهْلِ التَّوْحِيْدِ كُلَّ مَرَامِ

سَامِيًا مِثْلَ ذِكْرِهِ فَاقَ كُلَّ الخَلْقِ فِيْ فَضْلِهِ رَفِيْهًا سَامِيْ

مُبْهِجًا شَامِخًا شَرِيْفًا مُنِيفًا فِيْهِ قَدْ تَمَّ فَضْلُ أرْضِ الشَّامِ

وَبِهِ سَيِّدٌ حَوَى العَمَلَ المَبْرُوْرَ وَالعِلْمَ فَهْوَ خَيْرُ إمَامِ

هُوَ شَيْخُ الإسْلاَمِ دُنْيًا وَعِلْمًا وَسِوَاهُ يُعَدُّ فِيْ الأنْعَامِ

ظَفِرُوا مِنْ مُظَفَّرِ الدِّيْنِ بِالآمَالِ أهْلُ العُلُومِ وَالأحْكَامِ

مَلِكٌ صَاغَهُ الإلَهُ مِنَ الإحْسَانِ وَالمَكْرُمَاتِ وَالإكْرَامِ

زُيِّنَ الدِّيْنُ مِنْ فَعَالِ أبِنِ زَيْنِ الدِّيْنِ بِالمَأْثُرَاتِ وَالإنْعَامِ

---

(١) (أحمد بن أسعد بن أحمد . . . .) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ٤٣.

سَارَ أَهْلُ الوُجُودِ شَرْقًا وَغَرْبًا ... بِالمَعَالِي وَبِالعَطَايَا الجِسَامِ
زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَعُلُوّاً ... مَا تَغَنَّتْ فِي الأَيْكِ وُرْقُ الحَمَامِ

[٥٨٢]

الفضلُ بنُ عبد المطلب / ٢٧٩ب/ بن الفضل بن عبد المطلب بن الحسين بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو المعالي بنُ أبي هاشم الصالحيّ العباسيّ.

من أهلِ حلب.

الشريف الحسيب النبيل النسيب، مقدم أصحاب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وكبيرهم في وقته ورئيسهم وخطيرهم.

كانت ولادته في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بحلب. وتوفي بها يوم الجمعة تاسع عشر ذي القعدة سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة، ودُفن في مقام إبراهيم الخليل ـ صلوات الله عليه ـ قبليَ المدينة.

اشتغل في عنفوان شبابه بفقه أبي حنيفة على والده وعلى غيره. وسمع منه الحديث النبوي، وقرأ أصول الدين والمذهب والخلاف. وكان كاملاً في العلوم الدينية؛ وله يد باسطة في علم العربية والأدب مع قرض الشعر وضاعة الإنشاء، والاستظهار لكتاب الله تعالى وتفسيره. وبرع في كل فضل ودرّس مكان والده بالمدرسة التي أنشأها الملك العادل نور الدين / ٢٨٠أ/ أبو القاسم محمود بن زنكي بن أقسنقر ـ رحمة الله تعالى ـ المعروفة بالحلاويين، وهي غربي المسجد الجامع.

وكان فصيحًا في إلقاء الدرس على الفقهاء، ولم يزل يدرّس بها الفقه إلى أن درج ـ رحمه الله تعالى ـ وكان رجلاً من الرجال موصوفًا بالفضل والنوال، كثير الخير والمعروف، جواداً حليمًا أريحيا ذا مُرؤة ظاهرة، وأخلاق حميدة. أكرم الناس في زمانه نفسًا، وأوسعهم صدراً، وأعلاهم همّة، وأجملهم حشمة، يشار إليه في الوجاهة

والرياسة، ويقصده الناس لجوده وسخائه، فلا يبخل عليهم بجاهه ولا ماله. ولما مات بيعت تركته فلم تف بما كان عليه من الدَّين؛ لأنه ما كان يردّ سائلاً ولا يخيِّب آملاً.

وكان مع ذلك قريبًا من الملك الظاهر أثير الدين يرسله في الرسائل إلى السلاطين والملوك في ذلك الوقت، فيؤدي الرسالة كما يرضي مخدومه، ويستوفي العبارة أحسن استيفاء. وكان ذكيًا شهمًا في نفسه لم يُجبْ أحداً يفضل عليه بل يجازيه أضعاف ذلك.

يداخل الأمراء المقدمين ويزاحمهم في الرفعة ويشاركهم. وكان متجملاً في ملبوسه وزيِّه وهيأته، يصنع الملابس الفلاخرة، ويتأنق فيها / ٢٨٠ب/ غاية التأنق، فاللّه تعالى يرحمه ويبرد مضجعه ويجازيه بالخير على مروءته ومن كان فيه مروءة.

أنشدني الشيخ العدل زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن عبد الواحد النصيبي بحلب، قال: أنشدني أبو المعالي بن أبي هاشم لنفسه:

[من السريع]

مَنْ لِيْ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَغْيَدٍ ... يَصَّيَّدُ الأُسْدَ بِالْحَاظِ رِيْمْ
دَبَّتْ عِذَارُهُ فَقُلْتُ: انْظُرُواً ... صُوْرَةَ بَدْرٍ فَوْقَ غُصْنٍ قَوِيْمْ
يَنْتَهِبُ الشَّعْرُ سَنَى وَجْهِهِ ... فَالصُّبْحُ فِيْ فَيْضَةِ لَيْلٍ بَهِيْمْ
مَا رُمْتُ قَطْفَ الْوَرْدِ مِنْ خَدِّهِ ... فِيْ غَسَقِ اللَّيْلِ بِقَلْبٍ سَلِيْمْ
إِلاَّ ثَنَى عَقْرَبُ أَصْدَاغِهِ ... فَبِتُّ مِنْ وَجْدِيْ بِغَيْرِ السَّلِيْمْ

وأنشدني نجم الدين، قال: أنشدني تاج الدين أبو المعالي الفضل بن الافتخار لنفسه: [من السريع]

قَدْ قُلْتُ لِلْعَاذِلِ إِذْ لاَمَنِيْ ... وَأَوْجُهُ الأَعْذَارِ لِيْ لاَئِحَهْ
هَيْهَاتَ أَنْ أُفْلِتَ مِنْ قَانِصٍ ... يَصِيْدُ بِالجَارِحِ وَالجَارِحَهْ

[٥٨٣]

الفَضْلُ بنُ الحَسَن بن هبة الله / ٢٨١أ/ بن محمد بن عمرَ، الحلبيُّ مولداً ومنَشأً، المَوصليُّ والداً وأصلًا، المَعروفُ بابنِ دهن الحصا(١).

وقد تقدم شعر والده أبو عبدِ الله بنُ أبي عليٍّ في موضعه(٢).

كان طبيبًا فاضلاً ذا نعمة واسعة، وجاه بسيط، وتقدّم عند السلطان الملك العزيز أبي المظفر محمد بن غازي بن يوسف. وصار طبيبه وحظي لديه. واكتسب مالاً جزيلاً. وكان شابًا حسنًا متواضعًا جميل الخطاب.

توفي يوم الأربعاء الثالث عشر من المحرم سنة ستٍّ وثلاثين وستمائة. وكانت ولادته على ما أخبرني ـ من لفظة ـ في سنة أربع وتسعين وخمسمائة. وكان يُلِمُّ بقول الشعر وينظم منه أبياتًا:

أنشدني لنفسه في الرّقة، وكتبه لي بخط يده: [من الطويل]

تـأَمَّلَ طَـرْفـي طَيْفَـهُ حَيْـثُ زَارَنـي ... فَـأَصْبَـحَ مَـنْ أَهْـوَى وَفـيْ خَـدِّهِ دَمُ
فَقُلْـتُ لَـهُ: مَـاذَا بِخَـدِّكَ؟ فَـانْثَنَـى ... يُجَـاوِبُنـي مُسْتَعْتِبـاً أَنْـتَ تَعْلَـمُ!!
أَتَـاكَ خَيَـالِـيْ زَائِـراً فَنَظَـرْتَـهُ ... فَهَـا وَجْنَتـي مِـنْ لَحْـظِ طُرْفِـكَ تُحْجَـمُ

[٥٨٤]

الفضلُ بنُ يحيى بن عبد اللّه / ٢٨١ب/ بن جعفر بن زيد بن محمد بن أحمدَ بنَ محمَد بنَ الحسين بن إسحاقَ بَن جعفرَ بنَ محمدَ بنَ عليٍّ بنَ الحسيَن بَنِ عليِّ بَنِ أَبي طالب، الشريفُ أبو القَاسَم بنُ أَبي جعفرٍ العلَويُّ الحُسَيْنيُّ الإسحاقيُّ(٣).

ولد بحلب ونشأ بالموصل، وسمع بحلب عمه أبا غانم مصعب بن عبد اللّه،

(١) في هامش الأصل: «ينعت بضياء الدين رحمه الله».
(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الثاني المفقود.
(٣) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٤/ ٧٤ وفيه: «الفضل بن يحيى بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد. . . إلخ» توفي «سنة أربع وعشرين وستمائة».

وبالموصل النقيب أبا الفتح محمد بن محمد بن عبيد الله العلوي الحسيني. روى أناشيد عن المذكورين. وروى عن الطاهر أبي طالب عبد الله ـ نقيب الطالبيين ـ والشيخ أبي محمد الحسن بن عبيدة النحوي، ومحيي الدين أبي حامد محمد بن محمد الشهرزوري.

وكان مولده بحلب في شهر رمضان سنة ثماني وأربعين وخمسمائة، فقدم بغداد وسكنها، وتولّى بها حجابة الباب في الأيام الناصرية، وعزل في سنة ثماني وستمائة، ثم لم يزل معزولاً ملازمًا بيته إلى أنْ تُوفي يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة من سنة خمس وعشرين وستمائة.

واجتمعتُ به مراراً بالكرخ وكتبت عنه أناشيد رواها لي عن نفر من المذكورين. وكان شيخًا حسنًا عنده بشر وسكون. وسألته. هل قلت شيئًا من الشعر؟، قال: ما قلتُ شيئًا، وأنكر ذلك. ثم بعد /٢٨٢أ/ عشر سنين، اجتمعت بالقاضي كمال الدين، فأنشدني له هذين البيتين بروايته عن ولده عنه؛ ولمّا وردت بغداد في سنة تسع وثلاثين وستمائة، واجتمعت بولده أبي علي المظفر فاستنشدته البيتين، فأنشدنيهما عن والده.

أنشدني أبو علي المظفر [بن الفضل] بن يحيى الحسيني، قال: أنشدني والدي لنفسه ولم أسمع له غير هذين البيتين: [من الخفيف]

لا تَغُـرَّنَّـكَ الحَيَـاةُ فَمَـا أَنْـتَ مِـنَ المَـوْتِ بِـأُبَنَـيَّ سَلِيـمُ
وَاحْتَـرِسْ مَـا اسْتَطَعْـتَ مِـنْ كُـلِّ.... يَعُـوْدُ وَهُـوْ حَمِيـمُ

[٥٨٥]

الفضلُ بنُ سالم بن مرشد بن سالم بن عبد الجبار بن محمّد بن المهذّب بن عليّ بن المهذّب بن محمد بن همام بن عامر بن عامر بن محارب بن نعيم بن عديٍّ بن عمرو بن عديّ بن الساطع ـ وهو النعمانُ ـ بن عبد غطفانَ بن عمرو بن سريج بن جذيمةَ بن تيم اللات ـ وهو مجمع تنوخ ـ بن أسد بن وبرةَ بن تغلبَ بن حلوان بن عمرانَ بن الحافِ بن قضاعةَ ـ وقضاعةُ لقبٌ واسمه عمرو ـ بن مالك بن

مرّةَ بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ / ٢٨٢ب/ بن يشجبَ بنِ يعرُبَ بنِ قحطَانَ، أبو البركاتِ التنوخيُّ الكاتبُ(١).

من أهلِ معرّةِ النعمان وأكبرِ بيتٍ بها في الآداب والشعرِ وغيرِ ذلك من فنون العلوم.

كان كاتبًا حسن الإنشاء أقام بحلب مُدَّة يخدم سلطانها الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ ثم تجهز إلى حماة وخدم صاحبها وحظى عنده.

لقيه القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي، وروى عنه بيتين من الشعر. وحدّثني القاضي الإمام أبو القاسم السابق ذكره ـ أدام الله تأييده ـ قال: توجه أبو البركات الكاتب رسولاً قاصداً دمشق إلى الملك الأشرف شاه ارمن أبي الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ عن صاحب حماة، فكتب إليه ابن عمّه أبو الفتح إسماعيل بن محمد بن المهذب بيتًا رآه في النوم وهو: ـ

فَعِنْدِيَ شَوْقٌ لَيْسَ يُحْمَلُ بَعْضُهُ ... وَيَعْجِزُ عَنْهُ كَاتِبٌ وَرَسُوْلْ

فأجابه أبو البركات بهذه الأبيات: [من الطويل]

/ ٢٨٣أ/ غَرَامِيْ لَهُ شَرْحٌ إِلَيْكَ يَطُوْلُ ... وَوُدِّيْ صَحِيْحٌ لَيْسَ عَنْكَ يَحُوْلُ

إِذَا رُمْتُ صَبْراً تَعْتَرِيْهِ صَبَابَةٌ ... فَتُذْهِبُهُ عُنْفًا لَهُ وَتُزِيْلُ

رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ ... أَلاَ هَلْ إِلَيْهَا رَجْعَةٌ وَوُصُوْلُ

وَأَذْكُرُ تَاجَ الدِّيْنِ فِيْ كُلِّ مَشْهَدٍ ... وَأُنْشِدُ بَيْتًا قَالَهُ فَأَقُوْلُ:

فَعِنْدِيَ شَوْقٌ لَيْسَ يُحْمَلُ بَعْضُهُ ... وَيَعْجِزُ عَنْهُ كَاتِبٌ وَرَسُوْلُ

وكتب تحته: مملوكه الكاتب والرسول وهو عاجز.

وَهَلْ لِيْ إِلَى لُقْيَاهُ مِنْ أَرْضِ جِلَّقٍ ... سَبِيْلٌ فَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ سَبِيْلُ

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٤/ ٤٢ ـ ٤٧.

[٥٨٦]

فاضلُ بنُ راجي اللّهِ المصريُّ.

من فضلاء ديار مصر وشعرائها. ومن شعره قوله: [من الوافر]

وَفِي الشَّطْرَنْجِ تَقْدِمَةٌ لِشَاه ... عَلَى مَا فِيهِ مِنْ فَرَسٍ وَفِيلِ
كَذَاكَ الدَّهْرُ يَرْفَعُ كُلَّ نَذْلٍ ... وَيَخْفِضُ صَاحِبَ المَجْدِ الأَثِيلِ

[٥٨٧]

فضلُ اللّهِ بنُ المباركِ بنِ عبدِ الباقي بنِ المباركِ، أبو الرضا بنُ أبي الخيرِ الواسطيُّ.

/ ٢٨٣ب/ من[1] قرية من قرى واسط يقال لها قرية عبد الله.

من بيت فضل وعلم، وأخذ شيئًا من فقه وأدب؛ وله شعر حسن. وكان ذكيًا فطنًا.

أنشدني أبو محمد الحسن بن علي الضرير الواسطي، قال: أنشدني فضل الله لنفسه من قطعة: [من الرجز]

بِحَقِّ هَاتِيكَ العُهُودِ بَيْنَنَا ... وَالخَلَوَاتِ وَالمَوَدَّاتِ الأُوَلْ
وَحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ وَالإِلْفِ الَّذِيْ ... مَا كَانَ فِيْ اثْنَيْنِ سِوَانَا يَعْتَدِلْ
وَسِرِّكَ المُوْدَعِ مِنِّي مُهْجَتِيْ ... لَوْ أَنَّ رُوْحِي نُقِلَتْ لَمْ يَنْتَقِلْ
وَمُجْتَنَى مُحَادَثَاتٍ بَيْنَنَا ... أَلَذَّ مِنْ رَشْفِ العُقَارِ وَالقُبَلْ
وَخُلَسٍ مِنْ فَرَطَاتِ لَذَّةٍ ... أَغْمَضَ عَنَّا الدَّهْرُ فِيْهَا وَغَفَلْ
وَعَيْشِنَا الرَّغْدِ الَّذِيْ مَوْرِدُهُ ... طَابَ لَدَيْنَا النَّهْلُ مِنْهُ وَالعَلَلْ
كَيْفَ تَنَاسَيْتَ مَوَدَّاتِ الصِّبَا ... وَحُلْتَ عَنْ عُهُوْدِهَا وَلَمْ أَحُلْ
وَالمُقَلُ المُسْتَحْسَنَاتُ مِنْكُمُ ... مَا بَالُهَا تَخَازَرَتْ تِلْكَ المُقَلْ

---

(١) في الأصل: «هي» وما صوبناه حسب السياق.

[٥٨٨]

الفصيحُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ السلامِ بنِ عطا بنِ إبراهيمَ بنِ محمدٍ العِجْلِيُّ[(١)].

من أهل سورة من أعمال الحلة/ ٢٨٤أ/ المزيدية.

لقيه أبو الحسن القطيعي ببغداد، واستنشده من شعره، وقال: سألته عن مولده، فقال: ولدت في سنة خمس وخمسين وخمسمائة[(٢)]؛ وأنشده لنفسه[(٣)]: [من البسيط]

هَذِي الدِّيَارُ وَهَذَا الضَّالُ وَالسَّلَمُ ... وحَيْثُ كَانَتْ قِبَابُ الحَيِّ وَالخِيَمُ
يَا صَاحِبَيَّ قِفَا بِي فِي مَنَازِلِهِمْ ... نَبْكِ الدِّيَارَ الَّتِي كُنَّا بِهَا وَهُمُ
وَأَيُّ عُذْرٍ لِقَلْبٍ لا يُحَرِّكُهُ ... طَيْفُ الأَسَى، ولَدَمْعٍ لَيْسَ يَنْسَجِمُ
لَيْتَ الأَحِبَّةَ إِذْ جَدَّ الفِرَاقُ بِهِمْ ... بِمَا المُحِبُّونَ فِيهِ بَعْدَهُمْ عَلِمُوا
بَانُوا فَكَمْ دَمْعَةٍ فِي إِثْرِ مَبْسَمِهِم ... تَجْرِي وَكَمْ لَوْعَةٍ فِي الصَّدْرِ تَضْطَرِمُ
يَلُومُ صَرْفَ النَّوَى فِيمَا بِنَا صَنَعَتْ ... وَاللَّوْمُ أَوْلَى بِهِ الوَخَّادَةُ الرُّسُمُ
لَمْ تَخْلُ لَوْلا المَطَايَا وَهْيَ آهِلَةٌ ... دَارٌ وَلا شَتَّ شَمْلٌ وَهْوَ مُلْتَئِمُ

[٥٨٩]

فارسُ بنُ سنان بنِ أبي عليٍّ الذهبيُّ الحلبيُّ.

شاعر من الشعراء الحلبيين، من طبقة سعيد بن عبد الله الحريري في الشعر ومعاصره. وكان شابًا جنديًا في خدمة الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب ـ صاحب حلب ـ. وله عدّة قصائد مدح بها / ٢٨٤ب/ الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب ـ رحمه الله تعالى ـ.

وحدّثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة بحلب ـ أسعدهُ الله بطاعته ـ قال: كان فارسًا شابًا، وتوفي في سنة سبع وستمائة بميافارقين عائداً منها،

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٤/ ١٥.
(٢) في هامش الأصل: «وتوفي ببغداد في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة تسع عشر وستمائة».
(٣) القطعة في الوافي ٢٤/ ١٥.

وقد توجه قاصداً إليها.

أدركته وسمعته ينشد السلطان الملك الظاهر ـ رحمه اللّه ـ قصائد من شعره. وهو القائل في الكمال عمر بن أبي صالح بن العجمي لمّا غضب عليه السلطان الملك الظاهر في مجلسة بمحضر من أكابر حلب، وسيّره إلى السجن، بسبب سوء أدبه في قضية تتعلق بمجلس الحكم، طعن فيها على الصاحب قاضي القضاة بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الموصلي الأسدي ـ رحمه الله تعالى ـ: [من السريع]

قَالُوا: غَدَاً فِيْ حَلَبٍ شُهْرَةٌ ... عُمَيْرَةُ الطَّاغِيْ بِهَا المُلْحِدُ

فَالنَّتْفُ فِيْ لِحْيَتِهِ مُبْرِقٌ ... وَالصَّفْعُ فِيْ قِمَّتِهِ مُرْعِدُ

وَمَا سَمِعْنَا قَطُّ مِنْ قَبْلِهَا ... عُمَيْرَةٌ تُصْفَعُ بَلْ تُجْلَدُ

قال القاضي الإمام أبو القاسم / ٢٨٥أ/ ـ أيده الله تعالى ـ وأنشدينها على غير هذا الوجه: [من المتقارب]

وَقَالُوا: عُمَيْرَةُ قَدْ أَحْضَرُوْهُ ... لِكَيْ يَصْفَعُوْهُ أَلاَ فَاشْهَدُوا

.... فِيْ مَحْفِلٍ شَخْصُهُ ... بِحَرٍ وَفِيْ الطَّوْق مِنْهُ يَدُ

وَكَفٌّ إِلَى رَأْسِهِ مُبْرِقٌ ... وَنَعْلٌ إِلَى قبهِ مُرْعِدُ

فَقُلْتُ: عَلَى أَيِّمَا حَالَةٍ ... لَقَدْ غَيَّرَ الدَّهْرُ مَا يُعْهَدُ

وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ قَبْلِهَا ... عُمَيْرَةَ يُصْفَعُ بَلْ يُجْلَدُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

أُخْفِيْ الهَوَى وَلَهُ عَلَيَّ شَوَاهِدُ ... وَأُوَفِّرُ العَبَرَاتِ وَهْيَ شَوَارِدُ

وَأَرُوْمُ مِنْهُ تَخَلُّصًا فَيَقُوْدُنِيْ ... قَوْدَ الحَبِيْبِ مِنَ الصَّبَابَةِ قَائِدُ

وَمَتَى يُفَكُّ إِسَارُ عَانٍ مَالَهُ ... عَوْنٌ سِوَى زَفَرَاتِهِ وَمُسَاعِدُ

أَمْ هَلْ مَتَى يُشْفَى غَلِيْلُ مُتَيَّمٍ ... عَزَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّفَاءِ مَوَارِدُ

أَوَلَيْسَ غَبْنًا أَنْ أَهِيْمَ بِمَوْرِدٍ ... عُوْدُ الأَرَاكَةِ مِنْهُ دُوْنِيْ وَارِدُ

وَبِمُهْجَتِيْ رَشَأٌ نَصَبْتُ حَبَائِلِيْ ... لأَصِيْدَهُ فَارْتَدَّ وَهْوَ الصَّائِدُ

ظَبْيٌ تُقِرُّ بِقَتْلَتِيْ وَجَنَاتُهُ ... وَجُفُوْنُهُ لِفُتُوْرِهِنَّ جَوَاحِدُ

/ ٢٨٥ب/ إِنْ مَاجَ رِدْفًا قُلْتُ: حِقْفٌ مَائِجٌ ... أَوْ مَادَ عِطْفًا قُلْتُ: غُصْنٌ مَائِدُ

وَأَغَنَّ تَخْجَلُ سَافِراً أَوْ عَاطِناً مِنْهُ الغَزَالَةُ وَالغَزَالُ الجَائِدُ
لَحَظَاتُ عَيْنَيْهِ أُسُودٌ إِنْ رَنَا وَإِذَا لَوَى أَصْدَاغَهُ فَأَسَاوِدُ
مَا حَلَّ عَقْدَ عَزَائِمِي لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مُقْلَتَيْهِ لِسِحْرِ بَابِلَ عَاقِدُ
أَبْكَى جُفُونِي وَهْوَ مِنِّي ضَاحِكٌ وَأَطَارَ نَوْمِي وَهْوَ عَنِّي رَاقِدُ
وَأَضَاعَ قَلْبِي فِي الهَوَى فَنَشَدْتُهُ وَلَقَدْ أَرَى بِيَدَيْهِ مَا أَنَا نَاشِدُ
صَنَمٌ بِهِ انْحَلَّتْ عَزَائِمُ ذِي التُّقَى وَلَكَمْ قَدِ انْعَقَدَتْ عَلَيْهِ عَقَائِدُ
يَبْدُو فَيَشْهَدُ مَنْ رَآهُ بِأَنَّهُ فِي الخَلْقِ مَعْبُودٌ وَأَنِّي عَابِدُ
سَكْرَانُ خَمْرَةِ رِيقِهِ فَكَمِ اغْتَدَى وَهْوَ المُفِيقُ لَهُ عَلَيَّ عَرَابِدُ
فَعَلَتْ شَمَائِلُهُ فَعَالَ شَمُولِهِ إِنَّ الشَّمَائِلَ وَالشَّمُولَ لَوَاحِدُ
وَلَرُبَّ وَانٍ بَاتَ يُنْهِضُ عَزْمَتِي وَاللَّيْلُ حَيْثُ النَّجْمُ طَافٍ رَاكِدُ
وَيَقُولُ دُونَكَ وَالسُّرَى فَلَطَالَمَا نَجَحَتْ مَطَالِبُ بِالسُّرَى وَمَقَاصِدُ
فَلَئِنْ نَهَضْتَ فَإِنَّ حَظَّكَ نَاهِضٌ وَلَئِنْ قَعَدْتَ فَإِنَّ حَظَّكَ قَاعِدُ
فَجُبِ البِلَادَ عَسَاكَ تَلْقَى مَاجِداً تَضْحَى وَأَنْتَ بِهِ لِقَصْدِكَ وَاجِدُ
وَيَكُفُّ عَنْكَ أَكُفَّ دَهْرِكَ كَفُّ يَطُولُ بِهَا عَلَيْهِ وَسَاعِدُ
/٢٨٦أ/ فَأَجَبْتُ كَيْفَ أَبِينُ عَنْ أَرْضٍ لَهَا مِنِّي طَرِيفُ هَوًى وَشَوْقٌ تَالِدُ
أَرْضٍ غِيَاثُ الدِّينِ فِيهَا جُنَّتِي وَأَبُو مُحَمَّدٍ الجَوَادُ المَاجِدُ
الشَّامِخُ الرُّتُبَاتِ وَفْرُ عَطَائِهِ دَانٍ وَنَيْلُ عَلَائِهِ مُتَبَاعِدُ
ذُو الجُودِ لَوْ يَحْكِي نَدَى يَدِهِ الحَيَا لَمْ تَبْدُ فِيهِ بَوَارِقٌ وَرَوَاعِدُ
وَأَخُو الخَلَائِقِ سَهْلَةً لِعُفَاتِهِ وَلِمَنْ يُعَادِيهِ سُطَاهُ شَدَائِدُ
وَالمَكْرُمَاتُ عَلَى الظَّلَامِ كَوَاكِبٌ مِنْهَا وَفِي جِيدِ الزَّمَانِ قَلَائِدُ
وَالمَجْدُ أَنْسَى النَّاسَ مَا أَنْسَاهُمُ مَنْ أَوَّلِيهِمْ جَدُّهُ وَالوَالِدُ
أَعْلَى ذُرَاهُ وَسَادَ لَمَّا شَادَهُ فَلَنِعْمَ سَائِدُهُ وَنِعْمَ الشَّائِدُ
سَامٍ إِلَى الشَّرَفِ الأَثِيلِ بِجُودِهِ وَالجُودُ لِلشَّرَفِ الأَثِيلِ مَصَائِدُ
وَبِمَنْطِقٍ لَوْ شَاءَ حَازَ بِلَفْظِهِ مِنْهُ مَعَانِي القَوْلِ وَهْيَ بَدَائِدُ
يُنْسِي الأَمَانِيَّ النُّفُوسَ فَتَنْثَنِي مِنْهَا إِلَيْهِ أَزِمَّةٌ وَمَقَاوِدُ
فَيَخَالُهُ العَجْلَانُ مَا هُوَ طَالِبٌ وَيَخَالُهُ الظَّمْآنُ مَا هُوَ وَارِدُ

لَفْظٌ إلى كُلِّ القُلُوبِ مُحَبَّبٌ فَكَأَنَّمَا هُوَ لِلْقُلُوبِ عَقَائِدُ
حِكَمٌ تُغَادِرُ كُلَّ وَاجِدِ حِكْمَةٍ مَا دُونَ مَبْلَغِهَا كَمَنْ هُوَ فَاقِدُ
/ ٢٨٦ب/ وَمُشَمِّرٌ أَغْفَى السُّعَاةُ وَطَرْفُهُ سَاهٍ إلى طَلَبِ المَعَالِي شَاهِدُ
يَقِظٌ يَبِينُ النَّوْمُ مِنْ يَقَظَاتِهِ [عَنْ مَا يَكُونُ] غَدَاهُ أَوْ هُوَ كَابِدُ
وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ أَدِلَّةُ فَضْلِهِ فَأَقَرَّ مُعْتَرِفًا بِهِنَّ الجَاحِدُ
فِي رُتْبَةٍ كَذُكَاءَ إلَّا أَنَّهُ فِيمَا لَدَيْهِ مِنَ الذَّكَاءِ عُطَارِدُ
عُذْرًا بَهَاءَ الدِّينِ يَا مَنْ فَضْلُهُ أَبَدًا يُنِيرُ وَكُلُّ فَضْلٍ خَامِدُ
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَيْسَ يَبْلُغُ بَعْضَ مَا أَوْلَيْتَ مَا أَنَا مِنْ ثَنَائِكَ قَاصِدُ
وَاصْفَحْ إذَا لَمْ يَحْوِ وَصْفَكَ خَاطِرٌ لِهُمُومِهِ خَابٍ وَفِكْرٌ جَامِدُ
وَاغْفِرْ إذَا كَلَّتْ لَدَيْكَ قَرَائِحِي إنَّ السُّيُوفَ تَكِلُّ وَهْيَ حَدَائِدُ
وَتَهَنَّ بِالعِيدِ الَّذِي أَيَّامُهُ أَبَدًا عَلَيْكَ بِمَا تَشَاءُ عَوَائِدُ

/ ٢٨٧أ/

حرف القاف

ذكر من اسمه القاسم

[٥٩٠]

القاسمُ بنُ القاسمِ بنِ عمرَ بنِ منصورٍ، أبو محمدٍ الواسطيُّ(١).

كان مولده بواسط العراق سنة خمسين وخمسمائة في ذي الحجة، ومات بحلب في يوم الخميس رابع ربيع الأوّل سنة ستٍّ وعشرين وستمائة بظاهرها، ودفن قِبليها في بستان كان له بمقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

كان أديبًا نحويًا لغويًا فاضلاً أريبًا، مصنفًا له تصانيف في الأدب حسان، ومعرفة بهذا الشأن. قرأ النحو بواسط وبغداد على أبي الخير مصدق بن شبيب بن الحسين الواسطي، ودرس اللغة على الرئيس عميد الرؤساء أبي منصور بن أيوب الحلي، وقرأ القرآن الكريم على أبي بكر الباقلاني بواسط، ثم على الشيخ علي بن هيّاب الجماجمي.

وسمع كثيراً من كتب اللغة والنحو والحديث على جماعة يطول شرحهم منهم: أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المندائي، / ٢٨٧ب/ وأبو الحسن علي بن

---

(١) في هامش الأصل: «ينعت بكمال الدين ـ رحمه الله ـ».
ترجمته في: فوات الوفياتَ ٢/ ٢٥٨ ـ ٢٦٢. إنباه الرواة ٣/ ٣١. الوافي بالوفيات ٢٤/ ١٤٨ ـ ١٤٩، وفيه: «ولد سنة خمس وخمسمائة». طبقات السلمي ص٤٤٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٦٠ رقم ٣٦٦. حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٠. شذرات الذهب ٥/ ١٢٨. بغية الوعاة ٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ رقم ١٩٣٠، وفيه وفاته في ليلة الخميس ثامن ربيع الأول. معجم الأدباء ٦/ ٢٢١٧ ـ ٢٢٢٧. معجم المؤلفين ٨/ ١١١. كشف الظنون ٤١٢، ١٥٦٣، ١٧٨٩. هدية العارفين ١/ ٨٢٩.
جمع شعره وحققه: زايد خالد مقابلة وشفيق محمد الرتب، ونشر في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ـ جامعة مؤتة ـ الأردن، ع٤ المجلد ١٣/ ١٩٩٨م، ص٨٧ ـ ١٣٤.

أحمد بن الحسين بن المبارك بن نَغُوبَا، وسمع عليه المقامات عن أبي محمد الحريري.

وانتقل أبو محمد من بغداد إلى حلب سنة تسع وثمانين وخمسمائة، فأقام بها يقرىء العلوم ويفيد أهلها: نحواً، ولغة، وضروب علوم الأدب. وصنّف بها تصانيف عدّة منها: كتاب «شرح اللُّمع» لأبي الفتح بن جني، وكتاب «شرح التصريف الملوكي» لابن جني، وكتاب «فعلت وأفعلت» بمعنى على حروف المعجم، وكتاب في اللغة لم يتمه، وكتاب «شرح المقامات» على حروف المعجم ترتيب كتاب العزيزي، وكتاب «شرح المقامات» آخر على ترتيب آخر، وكتاب «الخطب»، وكتاب رسالة أخذ فيها على الرشد أبي محمد عبد الرحمن بن النابلسي الشاعر في قصيدة نظمها في الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ـ رضي الله عنه ـ وأشعار في فنون مختلفة.

ذكره الصاحب الوزير أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم في تاريخ النحويين /٢٨٨أ/ من تصنيفه، وظلم فضله وبخسه حقَّه؛ ثم قال: أولاً كان من أهل واسط. وكان كيّالاً بها، ولقي أدباء أهلها وأخذ عنهم طرفًا قريبًا من النحو، وقال شعراً هو أجود من شعر النحاة، وقصد به الناس وارتزق منه أكثر أوقاته، وانتقل إلى حلب وأقام بمدرسة الحلاويين، يرتزق على طلب فقه أبي حنيفة. ثم قرّر له على إقراء العربية رزقٌ في جامعها فأقرأ جماعة ما فيهم من جاد ولا ساد. وكان نحوه عجيبًا في نزارته، واعجابه به يسقط منه فيما يحترز منه الأطفال المبتدئون.

ثم أورد له خبراً في قضية جرت له أعرضت عنها. وكان كثير الإعجاب بنفسه، يرى أنّه لم يُوف حقّه فلا يزال شاكيًا متأوّهًا متعنتًا على القضاء والقدر. وكان مع هذا مذموم الطريقة والاستهتار بشرب الخمر، واتخاذ علوج ليسوا بحسان الخلق. يتحشر في محاشر ردية من محلل الفسوق، ويخالط جماعة على ذلك ـ نعوذ بالله من النظر إليهم ـ.

وفي آخر أمره سافر إلى الجهة الشمالية يروم تصدراً وارتزاقًا من بيت قليج أرسلان، /٢٨٨ب/ فلم يقدر له على ذلك، وعاد إلى حلب متلافيًا العيشة، الذي كان قديمًا فلم تحصل له فسألني النظر في حاله مع عتب كان يبلغني عنه فصرفته في باب

الخان السلطاني يرتزق برزق، فلم يزل قانعًا به إلى أنْ تُوفي، ولقد كان له شيء كما قيل وهبه لغلامين له ـ نعوذ بالله من النظر إليهما ـ.

وصنَّف شرحًا لديوان المتنبي، غاية أمره أنَّه اختاره من شرح الواحدي وأضاف إليه من مصنف ابن وكيع في سرقات المتنبي.

أنشدني أبو عبدالله محمد بن فضلون الفقيه العَقري، قال: انشدني أبو محمد لنفسه[(١)]: [من الخفيف]

لاَ تُـردْ مـنْ خيـار دَهْـركَ خَيْـراً فَبَعيْـدٌ مـنَ السَّـرَاب الشَّـرَابُ
رَوْنَـقٌ كَـالحَبَـاب يَعْلُـو عَلَـى الكَـأس وَلَكـنْ فَـوْقَ الحَبَـابَ الحُبَـابُ[(٢)]
عَـذُبـتْ فـيْ اَللِّقَـاء اَلْسنَـةُ القَـوْمِ وَلَكـنْ تَحْـتَ العـذَاب العَـذَابُ

وأنشدني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني أبو محمد القاسم بن القاسم الواسطي باربل سنة ثمان وتسعين /٢٨٩أ/ وخمسمائة يتشوّق وسطًا: [من الطويل]

وَلمَّـا تَـدَاعَـى بـالفـرَاق عَشيَّـةً غُـرَابُ النَّـوَى مـنْ وَاسـط وَدَعَـانـيْ
وَلَـمْ يُقْـضَ مـنْ تَـوْديْعكُـمْ لـيَ حَسْـرَةٌ وَإنْ كُنْـتُ مَـالَـيْ بـالفـرَاق يَـدَان
تَمَنَّيْـتُ خَفَّـاقَ النَّسيْـم لَعَلَّـهُ يُعَلِّـلُ قَلْبـاً دَائـمَ الخَفَقَـان
فَـلاَ عَيْـشَ لـيْ أوْ تَجْمَـعَ الـدارُ بَيْنَنَـا وَيَسْمَـحَ لـيْ بـالقُـرْب منـك زَمَـانـيْ
سَـلاَم كَنَشْـرِ الـرَّوْضِ رَقَّ نَسيْمُـهُ عَلَـى أرْبَـعٍ تَـزْهُـو بكُـمْ وَمَغَـانـيْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

فَـدَتْـكَ العُـلاَ إنَّ وَعْـدَ الكَـريْـم دَيْـنٌ وَطَـالبُـهُ كَـالغَـريْـمِ
وَحَـاجَـةُ مثْلـيْ مـنَ المَكْـرَمـاتِ وَمَـا للْمَكَـارِمِ غَيْـرُ الكَـرِيْـمِ

---

(١) الأبيات في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٣. والوافي ٢٤/ ٣٥١، والفوات ٢/ ٢٦١. وعقود الجمان للزركشي ٦٤٢.

(٢) الرونق: الجمال، الحَبَاب: الفقاقيع التي تطفوا على وجه الماء أو الخمر.
الحُبَاب: الحيّة.

وقوله[١]: [من الطويل]

وَمَــالِـيْ إِلَــى العَلْيَــاء ذَنْــبٌ عَملتُــهُ ... وَلاَ أنَــا عَــنْ كَسْــبِ المَحَــامِـدِ بــاعِـدُ
وَلَكِنَّنِــيْ لَمَّــا نَهَضْــتُ إِلَــى العُــلا ... بِــأَسْبَــابِهَــا لَــمْ يُجْـدِ فِــيْ الجَـدِّ قَـاعِـدُ

وأنشدني القاضي الإمام الصدر السعيد كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة بحلب ـ حرس الله مدته ـ قال: أنشدني الشيخ العالم أبو محمد القاسم بن القاسم الواسطي / ٢٨٩ب/ في شهر شعبان سنة سبع وستمائة لنفسه بحلب يمدح السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رحمه الله[٢] ـ: [من الطويل]

وَقَفْنَا عَلَى حكْمِ الهَوَى نُعْلِنُ الشَّكْوَى ... بِـأَلْفَـاظِ دَمْـعٍ تَفْضَـحُ السِّـرَّ وَالنَّجْـوَى
وَكَـانَـتْ لَنَـا دَعْـوَى مِـنَ الصَّبْـرِ قَبْلَهَـا ... وَلَكِـنْ دُمُـوْعُ العَيْـنِ أَبطَلَـت الـدَّعْـوَى
وَقَـدْ كُنْـتُ قَبْـلَ البَيْـنِ جَلْـداً تَهُـزُّنِـيْ ... تَبَارِيْـحُ شَـوْقٍ سرُّهَـا فِـيْ الحَشَـا يُطـوى
وَأَحْمِـلُ ثِقْـلَ الـوَجْـدِ وَالـرَّبْـعُ آهِـلٌ ... وَلَكِـنْ إِذَا مَـا الـرَّبْـعُ أَقْـوَى فَـلاَ أَقْـوَى
وَلِـيْ وَقْفَـةٌ بَيْـنَ الحُمُـول تَقَسَّمَـتْ ... فُـؤَادِيَ أَقْسَـامُ النَّـوَى بَيْنَهُـمْ تُنْـوَى
ذَوَيْـتُ بِهَـا وَاهْتَـزَّ غُصْنِـيْ وَرُبَّمَـا ... يَعُـوْدُ اهْتِـزَازُ الغُصْـنِ مِنْ بَعْـدِهَـا يَـذْوَى
وَمَـا سَـاعَـةُ التَّـوْدِيْـعِ إِلاَّ بَغِيْضَـةٌ ... وَلَكِنَّهَـا تُهْـوَى لِتَقْبِيْـلِ مَـنْ يُهْـوَى
وَفِـيْ الحُلَّـةِ الحَمْـرَاءِ ظَبْـيٌ كِنَـاسُـهُ ... فُـؤَادِيْ فَـلاَ يَبْـرِيْـنَ يَـرْعَـى وَلاَ حُـزْوَى
تَخَيَّـرَهُ رَوْضَـاً أَرِيْضَـاً وَمَـوْرِداً ... نَمِيْـراً فَمَـا تَغْشَـاهُ رَيَّـا وَلاَ أَرْوَى
لَـهُ فَتَكَـاتٌ بِـالحِجَـى بَـابِلِيَّـةٌ ... أَحَـادِيْثُهَـا عَـنْ جَفْنِـهِ فِـيْ الـوَرَى تُـرْوَى
نَـوَافِـثُ فِـيْ الأَلْبَـابِ سِحْـراً وَنَشْـوَةً ... إِذَا خَطَـرَتْ فِـيْ خَـاطِـرٍ أَنْشَـأَتْ بَلْـوَى
/ ٢٩٠أ/ فَلاَ تُنْكِرُوا خَمْراً حَوَتْهُ لِحَاظُهُ ... مِنَ الأَشْنَبِ المَعْسُوْلِ وَالمَبْسِمِ الأَحْوَى
وَمَا ضَعْفُ جِسْمِيْ مِنْ ضِعَافِ جُفُوْنِهِ ... وَلَكِنَّهَـا تَقْـوَى فَتَسْطُـو أَنَـا الأَقْـوَى
وَلَـمْ أَرَ خَمْـراً قَبْلَهَـا فِـيْ كُـؤُوْسِهَـا ... تُخَـامِـرُ أَلْبَـابَ الـرِّجَـالِ فَتُسْتَهْـوَى
كَـأَنَّ غِيَـاثَ الـدِّيْـنِ غَـازِيْ بْـنَ يُـوْسُـفٍ ... أَسَـرَّ إِلَيْهَـا مِـنْ خَـلاَئِقِـهِ نَجْـوَى

---

(١) البيت الأول في معجم الأدباء ٥/ ٨١٢٢.
(٢) أبيات منها في: إعلام النبلاء بتأريخ حلب الشهباء ٤/ ٥٤٣.

دَعِ الشَّمْسَ وَاسْتَطْلِعْ شُمُوسَ صِفَاتِهِ ... تَجِدْ عِنْدَ تَمْيِيزِ النُّهَى أَنَّهَا أَضْوَا
فَمُسْتَحْسَنُ الأَعْطَافِ يُغْنِي عَنِ الغِنَى ... وَمُسْتَعْذَبُ الأَلْفَاظِ يُسْلِي عَنِ السَّلْوَى
أَخُو الرُّشْدِ يُسْتَغْوَى لِمَجْدٍ وَسُؤْدَدٍ ... وَيَا رُشْدَ مَنْ بِالمَجْدِ وَالسُّؤْدَدِ اسْتَغْوَى
لَقَدْ سَادَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ طَالِبًا عُلاً ... وَجَادَ إِلَى أَنْ لَمْ يَدَعْ طَالِبًا جَدْوَى
وَبَرَّزَ فِي فِقْهِ المَعَالِي بِعِلْمِهِ ... فَمَنْ عِنْدَهُ فِي مُشْكِلاَتِ العُلاَ الفَتْوَى
رَمَى مَقْتَلَ الآمَالِ بِالمَالِ فَانْتَدَى ... نَدَاهُ وَقَدْ أَصْمَى الرَّمَايَا وَمَا أَشْوَى(١)
نَدًى فَاقَ فِي الآفَاقِ حَتَّى لَوَانَّهُ ... سَحَابٌ أرانا الحرث فِي مَوْضِعِ الإروا(٢)
وَمَا ضَرَّنَا أَنْ تَبْخَلَ السُّحْبُ دُونَهُ ... وَمِنْ سُحْبِ كَفَّيْهِ لَنَا أَكْرَمُ المَثْوَى
شَكَوْنَا فَأَعْدَانَا عَلَى الدَّهْرِ نَصْرُهُ ... وَعُدْنَا فَلاَ دَعْوَى عَلَيْنَا وَلاَ عَدْوَى
بِجَأْشٍ تَضِيقُ الأَرْضُ عَنْ جَيْشِ عَزْمِهِ ... إِذَا مَادَ لاَ يَرْضَى لأَرْكَانِهِ رَضْوَى
يَخِفُّ إِلَى دَاعِي الطِّعَانِ كَأَنَّهُ ... عُقَابٌ رَأَتْ صَيْداً وَأَفْلَتَهَا المَهْوَى
/٢٩٠ب/ فَيَسْتَخْرِجُ الأَرْوَاحَ عَامِلُ رُمْحِهِ ... وَيَلْوِي دُيُونَ الثَّأْرِ لِلبَاسِلِ الأَلْوَى
وَيَبْسُطُ مِنْ فَوْقِ البَسِيطَةِ قَبْضَةً ... نفوس عداً كَانَتْ بِأَنْفَاسِهَا تروى
وَيَسْقِي القَنَا قَانِي النَّجِيعِ كَأَنَّمَا ... يَرَى العَارَ أَنْ يُرْوَى السِّنَانُ وَلاَ تُرْوَى
وَمَا صَدَرَتْ مِنْ رِيِّهَا عَنْ صُدُورِهِمْ ... ثَعَالِبُهَا إِلاَّ عَوَى الذِّئْبُ وَاسْتَعْوَى(٣)
فَلِلْمَجْدِ مَا أَبْنَى وَلِلْمَالِ مَا أَفْنَى ... وَلِلْحَمْدِ مَا أَقْنَى وَلِلشُّكْرِ مَا أَحْوَى
مَنَاقِبُ مُسْتَقْصًى عَلَى المَجْدِ مَا انْثَنَى ... عَنِ السَّعْيِ حَتَّى جَاوَزَ الغَايَةَ القُصْوَى
لَهَا أَثَرٌ فِي المَأْثُرَاتِ كَأَنَّهَا ... مَوَاسِمُ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ بِهَا تُكْوَى
فَلَوْلاَ مَعَانٍ فِيهِ لِلْمَدْحِ أَوْضَحَتْ ... مَعَانِيَ القَوَافِي مَا عَرَفْنَا لَهَا فَحْوَى
وَلَوْلاَ المَغَانِي الغَانِيَاتُ بِمَدْحِهِ ... عَفَا مَنْزِلُ التَّقْوَى وَرَبْعُ الهُدَى أَقْوَى(٤)
فَلاَ بَرِحَتْ أَيَّامُنَا بِدَوَامِهِ ... مُهَيْمِنَةً لِلْمُلْكِ وَالدِّينِ وَالتَّقْوَى

---

(١) ما أشوى: لم يصب منها مقتلاً.
(٢) الإروا: الجدب.
(٣) ثعالبها: أطراف الرماح. وفي الكلمة تورية.
(٤) أقوى: خلا.

ومن موشحاته(١):

أيُّ عَنْبَـرِيَّـه فِـيْ غَـلاَئِـلِ الغَلَـسِ مِـنْ زَبَـرْجَـدِيَـه تُنْبِـهُ النَّفَـسِ

***

جَـادَهَـا الغَمَـامُ فَـانْتَشَـى لَهَـا الـزَّهَـرْ

[وابتـدا الكمـامُ أعينـاً بهـا سَهَـرْ](٢)

وَشَـدَا الحَمَـامُ حيْـنَ صَفَّـقَ النَّهَـرْ

وَارْتَـدَتْ عَشِيَّـه كَمَـلاَبِسِ العَـرُوْسِ حُلَـلاً سُنْـدُسِيَّـه مَـا دَنَـتْ مِـنَ الـدَّنَـسِ

***

/ ٢٩١أ/ فَـامْـلأ الكُـؤُوْسَـا فضَـةً مِـنَ الـذَّهَـبْ

وَاجْلُهَـا عَـرُوْسَـا تُـوِّجَـتْ مِـنَ الشُّهُـبْ

تُطْلِـعُ الشُّمُـوْسَـا فِـيْ سَنًـى مِـنَ اللَّهَـبْ

فَلَهَـا مَـزِيَّـه فِـيْ الـدُّجَـى عَلَـى القَبَـسِ بِحُلًـى شَهِيَّـه كَمَحَـاسِـنِ اللَّعَـسِ

***

مُخْبِـرٌ سَنَـاهَـا عَـنْ تَطَـايُـرِ الشَّـرَرْ

فَـازَ مَـنْ جَنَـاهَـا مِـنْ قَـلاَئِـدِ الـدُّرَرْ

فَـإِذَا تَنَـاهَـى فِـيْ الخَـلاَئِـقِ الغُـرَرْ

قُلْـتُ ظَـاهِـرِيَّـه أُظْهِـرَت لِمُلْتَمِـسِ مِـنْ عُـلاً أَبِيَّـه مَـا تُغَـالُ بِـالخَلَـسِ

***

أخرى(٣):

فِـيْ زَهْـرَةٍ وَطِيْـبْ بُسْتَـانِـي مِـنْ أَوْجُـهِ المِـلاَحْ

---

(١) الموشحة في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٤. والوافي بالوفيات ٢٤/ ٤، وأعلام النبلاء بتأريخ حلب الشهباء ٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٢..

(٢) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل أتممناه من معجم الأدباء.

(٣) الموشحة في الفوات ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢. معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٣ ـ ٢٢٢٤. الوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٢٢٣ ـ ٢٢٢٤. عقود الجمان للزركشي ص٦٤٢. وفي أعلام النبلاء ٤/ ٣٤١ بعض منها. تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ص٤٩٨.

أجْلُو عَلَى القَضِيْبِ رَيْحَانِي وَالوَرْدَ وَالأَقَاحْ

***

مَا رَوْضَةُ الرَّبِيْعِ فِي حُلَّةِ الكَمَالْ
تَزْهُو عَلَى رَبِيْعٍ مَرَّتْ بِهِ الشَّمَالْ
فِي الحُسْنِ كَالبَدِيْعِ بِالحُسْنِ وَالجَمَالْ
نَاهِيْكَ مِنْ حَبِيْبِ نَشْوَانْ بِالدَّلِّ وَهْوَ صَاحْ
/ ٢٩١ب/ إِنْ قُلْتُ وَالَهِيْبِي حَيَّانِي مِنْ رِيْقِهِ بِرَاحْ

***

كَمْ بِتُّ وَالكُؤُوْسُ تُجْلَى مِنَ الدِّنَانْ
كَأَنَّهَا عَرُوْسُ زُفَّتْ مِنَ الجِنَانْ
تَبْدُو لَنَا الشُّمُوسُ مِنْهَا عَلَى البَنَانْ
لَمْ أَخْشَ مِنْ رَقِيْبِ يَنْهَانِيْ الهَوَى إِلَى الصَّبَاحْ
مَعْ شَادِنٍ رَبِيْبِ فَتَّانْ زَنْدِيْ لَهُ وِشَاحْ

***

خَيْلُ الصِّبَا بِرَكْضِيْ تَجْرِيْ مَعَ الغُوَاهْ
فِيْ سُنَّتِيْ وَفَرْضِيْ لَا أَبْتَغِيْ سِوَاهْ
وَحُجَّتِيْ لِعِرْضِيْ مَا تَنْقُلُ الرُّوَاهْ
عَنْ عَالِمٍ لَبِيْبِ أَفْتَانِي إِنَّ الهَوَى مُبَاحْ
وَالرَّشْفَ مِنْ شَنِيبِ رَيَّانْ مَا فِيْهِ مِنْ جُنَاحْ

***

أخرى:

سَلَّتْ لَنَا الغِزْلَانْ صَوَارِمَ الأَجْفَانْ مِنَ العُيُوْنْ
وَاهْتَزَّتِ الأَغْصَانْ وَارْتَجَّتِ الكُثْبَانْ تَحْتَ الغُصُوْنْ

***

فَكَيْفَ لِلْصَّبِّ وَأَيُّمَا قَلْبِ يَرْجُو الخَلَاصْ

/ ٢٩٢أ/ مِنْ أَعْيُنِ السِّرْبِ وَأَسْهُمِ الحبِّ وَلاَ مَنَاصْ
وَحَاكِمُ الحُبِّ عَنْ شَرْعِهِ يُنْبِي أَنْ لاَ قِصَاصْ
نَصْرُ الهَوَى خُذْلاَنْ لِيُنَاصِرَ الشُّجْعَانْ فَتَسْتَكِيْن
لِلنَّاظِرِ الوَسْنَانْ(١) وَالوَيْلُ لِلإِنْسَانْ مِنَ الجُفُوْنْ

***

هَارُوْتُهَا نَفْثَا فِي عُقَدِ الصَّبْرِ مَا يَأْتَلِي
وَزَادَهُ خُبْثَا مَا فِيْهِ مِنْ خُبْرِ بِالمُقْتَلِ
يَرْثِي وَلاَ يُرْثَى بِالتِّيْهِ وَالكِبْرِ وَيَبْتَلِي
مَا أَقْتَلَ الإِنْسَانْ قَتَالُهُ فَتَّانْ لِلْعَاشِقِيْنْ
كَأَنَّمَا العَيْنَانْ حَبَائِلُ الشَّيْطَانْ إِلَى المَنُوْنْ

***

فَالأَحْوَرُ الأَحْوَى(٢) بِطَرْفِهِ السَّاجِي إِذَا رَنَا
يَسْتَضْعِفُ الأَقْوَى فِي لَيْلِهِ الدَّاجِي عَلَى الضَّنَى
يَا وَيْحَ مَنْ يَهْوَى فِي يَأْسِهِ رَاجِي وَبِالمُنَى
يَسْلُو عَنِ السُّلْوَانْ وَيَهْجُرِ الهِجْرَانْ عَسَى يَهُوْنْ
صَاحِي الجَوَى سَكْرَانْ تُبْدِي لَهُ الأَشْجَانْ حَرَّ الأَنِيْنْ

***

أَسْرَفْتَ فِي الغَدْرِ يَا مُنْيَةَ النَّفْسِ وَالمُنْتَهَى
/ ٢٩٢ب/ وَطَلْعَةَ البَدْرِ وَنُزْهَةَ الإِنْسِ وَالمُلْتَهَى
وَبَيْضَةَ الخِدْرِ وَرَوْضَةَ الأُنْسِ وَالمُشْتَهَى
وَقِيْلَ لِي بُسْتَانْ أَزْهَارُهُ أَلْوَانْ لِلنَّاظِرِيْنْ
النَّرْجَسُ الرَّيَّانْ وَالوَرْدُ وَالرَّيْحَانْ وَاليَاسَمِيْنْ

***

(١) الوسنان: فاتر الطرف.
(٢) الأحوى: ذو الشفة يخالط حمرتها سواد. الساجي: فاتر الطرف ساكنه.

حَـديْقَـــةٌ فيْهَـــا مِــنْ خَــدِّكَ التَّفَـاحْ مَــــا يُقْطَـــــفُ
وَالنَّـــــار يُطْفيْهَــــا مِــنَ الــرُّضَـابِ الــراحْ وَالقَــــرْقَــــفُ[1]
وَكَيْــــفَ يُخْفيْهَــــا وَمِسْكُهَـــا فَيَّــــاحْ إذْ يُــــرْشَـــفُ
وَالــدُّرُّ وَالمَــرْجَـانْ مِــنْ حَبَـبِ الأَسْنَـانْ عِقْـــدٌ ثَميْــنْ
عَلَــى قَضيْــبِ البَــانْ بِصَــدْرِه رُمَّــانْ فِــي كُــلِّ حِيْــنْ

***

يَكْفيْــكَ مِــنْ وَجْــدِيْ وَفَــرْطِ وَسْــوَاسِــيْ مَــــا تَعْلَـــمُ
وَهَـــانَ مَـــا عِنْــدِيْ مِــنْ حَــرِّ أَنْفَـاسِـيْ لَــــوْ أَسْلَــمُ
وَالفَتْـــكُ مَـــا يُجْــدِي فِــيْ قَلْبِــكَ القَـاسِـيْ وَالمُسْلِــــمُ
يَخْشَــى مِــنَ الــرَّحْمَــنْ وَسَطْــوَةِ السُّلطَــانْ فِــيْ الظَّـــالِمِيْنْ
/ ٢٩٣أ/ المُطْعِـمُ المِطْعَـانْ وَالمُنْجِــدُ المِعْــوَانْ عَلِـــيّ المُعِيْـــنْ[2]

أخرى: ـ

مَـا تَفْعَـلُ السِّهَـامُ مَـا تَفْعَـلُ الحَـدَقْ تُصْمِـي القُلُـوْبَ رَشْقَـا وَالجِلْـدُ مَـا انْخَـرَقْ

***

لِـــيْ شَــادِنٌ رَبِيْــبْ فِــيْ جَفْنِـــهِ وَطَــــفْ
أَرْدَافُــــهُ كَثِيْــــبْ وَالخَصْــــرُ مُخْتَطَــــفْ
وَعِطْفُـــهُ الــرَّطِيْــبْ إنْ مَـــالَ وَانْعَطَــــفْ

رَاقَـتْ لَنَـا المُـدَامْ مِـنْ كَـأْسِـهِ النَقِـق وَخِلْـتُ مِنْـهُ شَـرْقَـا فِـي كَفِّـهِ شَفَـقْ

***

فِـــيْ وَجْهِـــهِ المُفَــدَّى آسٌ وَجُلَّنَــــــــــارْ
وَزَانَ مِنْــــهُ خَــــدَّا مَــــاءٌ بِـــــهِ وَنَــــارْ
صُبْـــحٌ إذَا تَبَــــدَّى يَعْلُــــوْ لَـــــهُ مَنَــــارْ

بَــدْرٌ لَــهُ تَمَــامْ فِــيْ فَـرْعِــهِ غَسَــقْ نَظْمَـا بِــهِ فَنُسْقَـى مِــنْ ثَغْـرِهِ النَّسَـقْ

(١) القرقف: الخمر.
(٢) علي: لعله الوزير أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، وهو من ممدوحي الشاعر. وقد ترجم له المؤلف في هذا الجزء برقم ٤٥٤.

***

قَدْ أمْرَضَ المُعَنَّى ... أَلْحَاظُهُ المِرَاضْ
وَفِي السَّوَادِ مَعْنًى ... يُزْهَى بِهِ البَيَاضْ
وَالقَدُّ إنْ تَثَنَّى ... أوْ كَانَ فِي الرِّيَاضْ
/٢٩٣ب/ غَنَّى بِهِ الحَمَامْ واكتن فِي الوَرَقْ ... يَا حُسْنَ ذَاكَ خُلْقا سَبْحَانَ مَنْ خَلَقْ

***

يَا مَنْ بِهِ يَلُوذْ ... حَاذِرْ مِنَ الرَّدَى
فَسَهْمُهُ نَفُوذْ ... مَا يَقْبَلُ الفِدَا
يَنْضُو لِمَنْ يَعُوذْ ... سَيْفًا مُجَرَّدا
فِي خَدِّهِ الحُسَامْ لِلْفَتْكِ مُمْتَشَقْ ... يَزْدَادُ مِنْهُ عِشْقَا لِلْقَتْلِ إِنْ رَمَقْ

***

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

أَيُّ عُيُونٍ هُنَّهْ ... أَمْضَى مِنَ الأَسِنَّهْ
تَرْشُقُنَا بِأَسْهُمٍ ... لا تُتَّقَى بِجُنَّهْ
فَتَسْتَبِيحُ مُهَجًا ... فِي الحُجْبِ مُسْتَكِنَّهْ
ضَعَائِفٌ قَدْ جَعَلَتْ ... قَتْلَ النُّفُوسِ سُنَّهْ
لَيْتَ الغَوَانِي لَعِبَتْ ... أَيْدِي الهَوَى بِهِنَّهْ
فَغَيَّرَتْ وَرْدَ الخُدُودْ بِهَا رَهُنَّهْ
فَكَمْ جَنَتْ مِنْ زَفْرَةٍ ... مَوْصُولَةٍ بِأَنَّهْ
جَنَّةُ حُسْنٍ رَتَعَتْ ... أَلْحَاظُنَا فِيهِنَّهْ
/٢٩٤أ/ فَأَوْرَثَتْ قُلُوبَنَا ... نَارَ لَظًى مُكْتَنَّهْ
فَمَنْ رَأَى نَارَ جَحِيمٍ نَشَأَتْ عَنْ جَنَّهْ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أَقُولُ لِمَعْشَرٍ حَمِدُوا الفَا ... وَذَابَتْ مِنْ حُقُودِهِمُ الصُّدُورُ
تُعَبِّسُ فِي وُجُوهِهِمُ المَعَالِي ... إِذَا ابْتَسَمَتْ لِغَيْرِهِمُ الثُّغُورُ
وَمَوْتَى فِي الحَيَاةِ بِغَيْرِ دَفْنٍ ... جُسُومُهُمُ لأَنْفُسِهِمْ قُبُورُ

يُغَطُّونَ الصَّبَاحَ بِكُلِّ كَفٍّ ... لَهَا دُوْنَ العُلاَ بَاعٌ قَصِيْرُ
وَيُبْدُوْنَ الطَّلاَقَةَ مِنْ وُجُوْهٍ ... كَمَا بَرَقَتْ لِرَائِيْهَا الصُّخُوْرُ
سَعَى لِلْمَجْدِ سَعْيَ النَّمْلِ يَعْلُو ... عَلَى الدُّوْلاَبِ وَهْوَ بِهِ يَدُوْرُ
فَكَانَ صُعُوْدُهُمْ فِيْهِ نُزُوْلاً ... كَمَا لِنَشَاطِهِمْ فِيْهِ فُتُوْرُ
طِلاَبُكُمُ العُلاَ زُوْرٌ بَعِيْدٌ ... لأَنَّ الأَكْرَمَ القَاضِي وَزِيْرُ

وقال أيضًا، وأنشدنيه عنه أبو عبدالله الحافظ(١): [من الكامل]

دِيْبَاجُ وَجْهِكَ بِالعِذَارِ مُطَرَّزُ ... بَرَزَتْ مَحَاسِنُهُ وَأَنْتَ مُبَرِّزُ
وَبَدَتْ عَلَى غُصْنِ الصِّبَا لَكَ رَوْضَةٌ ... وَالغُصْنُ يَنْبُتُ فِي الرِّيَاضِ وَيُغْرَزُ
/٢٩٤ب/ وَجَنَتْ عَلَى وَجَنَاتِ خَدِّكَ حُمْرَةٌ ... خَجِلَ الشَّقِيْقُ بِهَا وَحَارَ القِرْمِزُ
لَوْ كُنْتَ مُدَّعِيًا نُبُوَّةَ يُوْسُفٍ ... لَقَضَى القِيَاسُ بِأَنَّ حُسْنَكَ مُعْجِزُ
[أَوْ كَانَ عَطْفُكَ مِثْلَ عِطْفِكَ لَيِّنًا ... مَا كَانَ مِنْكَ تَمَنُّعٌ وَتَعَزُّزُ](٢)

وله في إبن النابلسي الشاعر، ويلقب مَدْلَوَيه(٣): [من مجزوء الكامل]

لاَ تَعْجَبَنَّ لِمُدْلَوَيْـ ... ـهِ إِذَا بَدَا شِبْهَ المَرِيْضِ
قَدْ ذَابَ مِنْ بَخَرٍ بِفِيْـ ... ـهِ بَدَا مِنَ الخُلُقِ البَغِيْضِ
وَتَكَسَّرَتْ أَسْنَانُهُ ... بِالعَضِّ فِي جَعْسِ القَرِيْضِ
وَتَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُ ... عَرَضًا بِتَقْطِيْعِ العَرُوْضِ

وله فيه أيضًا يهجوه(٤): [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ تَأَمَّلَ مُدْلَوَيْهِ وَشَكَّ فِيْمَا يُسْقِمُهُ

---

(١) الأبيات الأربعة الأولى في الفوات ٢/ ٢٥٩. معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢١. عقود الجمان للزركشي ٦٤٢. أعلام النبلاء ٤/ ٩٣٣. والبيت الأول منه في الوافي ٢٤/ ١٤٩.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) الأبيات في الفوات ٢/ ٢٦٠. معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٢. الوافي ٢٤/ ٢٥١. أعلام النبلاء ٤/ ٩٣٣ ـ ٩٤٣ والبيتان ٣ و٤ في عقود الجمان للزركشي ٦٤٢.

ومدلويه: هو عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن المفرج بن بكّار، ترجم له المؤلف في الجزء الثالث برقم ٢٧٥.

(٤) الأبيات في الفوات ٢/ ٢٦٠. معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٢. الوافي ٢٤/ ١٥٢. أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٠.

أُنْظُرْ إلَى بَخَرٍ بفيْهِ وَمَا أُظُنُّكَ تَفْهَمُهْ
لاَ تَحْسَبَنَّ بِأَنَّهُ نَفَسٌ يُغَيِّرُهُ فَمُهْ
لَكنَّمَا أَنْفَاسُهُ نَتَنَتْ بشِعْرٍ يَنْظِمُهُ

وأنشدني الصاحب مؤيد الدين أبو نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن القفطي ـ أدام الله سعادته ـ / ٢٩٥أ/ قال: أنشدني القاسم بن القاسم الواسطي لنفسه:

[من مجزوء الرمل]

حُقُّ دُوْدِ القَزِّ يَبْنِي فَوْقَهُ ثُمَّ يَمُوْتُ[١]
بَعْدَمَا سَدَّى وَقَدْ صَارَ يُسَدِّيْ العَنْكَبُوْتُ

وقال من قصيدة[٢]: [من الخفيف]

زَهَرُ الحُسْنِ غَيْرُ زَهْرِ الرِّيَاضِ مِنْهُ لِلْغُصْنِ حُمْرَةٌ فِيْ بَيَاضِ
قَدْ حَمَى وَرْدَهُ وَنَرْجِسَهُ الغَضَّ سُيُوفٌ مِنَ الجُفُوْنِ مَوَاضِيْ
فَإذَا مَا اجْتَنَيْتَ بِاللَّحْظِ فَاحْذَرْ مَا جَنَتْ صِحَّةُ العُيُوْنِ المِرَاضِ
فَلَهَا فِيْ القُلُوبِ فَتْكَةُ بَاغٍ رُوِيَتْ عَنْهُ فَتْكَةُ البَرَّاضِ[٣]
وَإذَا مَا رَمَتْ سِهَامًا مِنَ الهُدْبِ رَمَيْنَ السِّهَامَ بِالأَغْرَاضِ
وَاغْتَنِمْ بَهْجَةَ الزَّمَانِ وَقَابِلْ شَمْسَ أَيَّامِهِ الطِّوَالِ العِرَاضِ
بِشُمُوْسِ الكُؤُوْسِ تَحْتَ نُجُوْمٍ فِيْ طُلُوْعٍ مِنْ أُفْقِهَا وَانْقِضَاضِ
وَاجْلُ مِنْ جَوْهَرِ الدِّنَانِ عَرُوْسًا لَطُفَتْ عَنْ جَوَاهِرِ الأَعْرَاضِ
كُلَّمَا أُبْرِزَتْ أَرَتْكَ لَهَا وَجْهَ انْبِسَاطٍ يُعْطِيْكَ وَجْهَ انْقِبَاضِ
فَعَلَى الأُفْقِ لِلْغَمَامِ مُلاَءٌ طَرَّزَتْهَا البُرُوْقُ بِالإِيْمَاضِ

---

(١) الحُقُّ: بيت العنكبوت.

(٢) القصيدة كاملة في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢١ ـ ٢٢٢٢. أعلام النبلاء ٤/ ٩٣٣. وفي الفوات ٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠. وفي الوافي ٢٤/ ١٥١ ـ ١٥٢ عشرة أبيات منها مع اختلاف في الترتيب والألفاظ. والبيتان ١ و ٢ في عقود الجمان للزركشي ص٦٤٢.

(٣) فتكة البراض: مضرب مثل، والبراض: هو البراض بن قيس الكناني، أحد فُتَّاك العرب، وبسبب فتكه قامت حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان، لأنه قتل عروة بن الرحال القيسي، حين أجار عروة القافلة للنعمان بن المنذر.

/ ٢٩٥ب/ وَكَأَنَّ الرُّعُودَ أَرْزَامُ نُوقٍ ... فُصِلَتْ دُونَهَا بَنَاتُ المَخَاضِ
أَوْ صَهِيلُ الجِيَادِ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ تَسْرِي بِالجَحْفَلِ النَّهَاضِ

وقال أيضًا؛ وأنشدنيها المولى القاضي الإمام بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بمحروسة حلب ـ أيده الله تعالى ـ: [من الطويل]

فَوَا أَسَفَا مَاتَ الكِرَامُ وَعُطِّلَتْ ... شَرَائِعُ سُنَّتْ لِلْعُلاَ وَالمَكَارِمِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رَسْمِ النَّدَى وَطُلُولِهِ ... سِوَى ذِكْرِ مَنْ عَهْدِهِ المُتَقَادِمِ
سَأَنْدُبُهُ مَا عِشْتُ جُهْدِي وَإِنْ أَمُتْ ... أَقَمْتُ بِأَشْعَارِي صُفُوفَ المَآتِمِ

وله قصيدة يمدح بها[1]: [من البسيط]

جِدُّ الصِّبَا فِي أَبَاطِيلِ الهَوَى لَعِبُ ... وَرَاحَةُ اللَّهْوِ فِي حُكْمِ النُّهَى تَعَبُ
وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ مَجْدٍ يُؤَثِّلُهُ ... مَنْ أَبْعَدَتْهُ مَرَامِي العَزْمِ وَالطَّلَبِ
وَقَارُهَا كَظَلاَمِ اللَّيْلِ حَامِلَةً ... أَهِلَّةً طَلَعَتْ مِنْ بَيْنِهَا الشُّهُبُ
مُنْقَضَّةً مِنْ سَمَاءِ النَّقْعِ فِي أُفُقٍ ... شَيْطَانُهُ بِغَمَامِ الدِّرْعِ مُحْتَجِبُ
وَاسْوَدَّ وَجْهُ الضُّحَى مِمَّا أَثَارَ بِهِ ... وَأَشْرَقَ الأَبْيَضَانِ الوَجْهُ وَالنَّسَبُ
/ ٢٩٦أ/ فِي مَوْقِفٍ يَسْلُبُ الأَرْوَاحَ سَالِبُهَا ... حَيْثُ المَوَاضِي قَوَاضٍ وَالقَنَا سُلُبُ
لاَ يُرْهَبُ المَرْءُ مَا لَمْ تَبْدُ سَطْوَتُهُ ... لَوْلاَ السِّنَانُ اسْتَوَى الخَطِّيُّ وَالقُضُبُ
إِنَّ النُّهُوضَ إِلَى العَلْيَاءِ مَكْرُمَةٌ ... لَهَا التِذَاذَانِ: مَشْهُودٌ وَمُرْتَقَبُ
وَالْمُلْكُ صِنْفَانِ: مَحْصُولٌ وَمُلْتَمَسٌ ... وَالمَجْدُ نَوْعَانِ: مَوْرُوثٌ وَمُكْتَسَبُ
وَالنَّاسُ ضِدَّانِ: مَرْزُوقٌ وَمُحْتَرَمٌ ... تَحْتَ الخُمُولِ وَمَغْصُوبٌ وَمُغْتَصَبُ
وَالطَّاهِرُ النَّفْسِ لاَ تُرْضِيهِ مَرْتَبَةٌ ... فِي الأَرْضِ إِلاَّ إِذَا انْحَطَّتْ لَهُ الرُّتَبُ
وَالفَضْلُ كَسْبٌ فَمَنْ يَقْعُدْ لَهُ نَسَبٌ ... يَنْهَضْ بِهِ الأَفْضَلاَنِ: العِلْمُ وَالحَسَبُ
لِلَّهِ دَرُّ المَسَاعِي مَا اسْتُدِرَّ بِهَا ... خِلْفُ السِّيَادَةِ إِلاَّ أَمْكَنَ الحَلَبُ
وَحَبَّذَا هِمَّةٌ فِي العَزْمِ مَا انْتُدِبَتْ ... لِمُبْهَمِ الخَطْبِ إِلاَّ زَلَّتِ الحُجُبُ
وَمَوْطِنًا يُسْتَفَادُ العِزُّ مِنْهُ كَمَا ... أَفَادَتِ العِزَّ مِنْ سُلْطَانِهَا حَلَبُ

---

(١) القصيدة في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٥. أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٣ ـ ٣٤٣.

ومنها يقول:

مَـؤَيَّـدُ الـرَّأْيِ وَالـرَّايَـاتُ قَـدْ أَلِفَـتْ ... ذَوَائِـبَ القَـوْمِ مِـنْ رَايَـاتِـهِ العَـذَبُ

إِنْ نَـازَلُـوهُ وَقَـدْ حُـقَّ النِّـزَالُ فَمِـنْ ... أَنْصَـارِهِ الخَـاذِلاَنِ: الجُبْـنُ وَالـرُّعْـبُ

أَوْ كَـاتَبُـوهُ فَخَيْـلٌ مِـنْ كَتَـائِبِـهِ ... تُجِيبُ لاَ المُخْبِرَانِ: الـرُّسْلُ وَالكُتُـبُ

مُغَـاوِرٌ يُـذْهِـبُ الأَعْمَـارَ ذَابِلُـهُ ... فِـي غَـارَةِ الحَـرْبِ وَالأَمْـوَالُ تُنْتَهَـبُ

/٢٩٦ب/ فِي جَحْفَلٍ قَابَلُوا شَمْسَ النَّهَارِ عَلَى ... مِثْـلِ البِحَـارِ بِمِثْـلِ المَـوْجِ تَضْطَـرِبُ

حَتَّـى كَـأَنَّ شُعَـاعَ الشَّمْـسِ بَيْنَهُـمُ ... فَـوْقَ الـدُّرُوعِ عَلَـى غُـدْرَانِهَـا لَهَـبُ

مَـا أَنْكَـرَ الهَـامَ مِـنْ أَسْيَـافِـهِ ظُبَـةٌ ... وَإِنَّمَـا أَنْكَـرَتْ أَسْيَـافَـهُ القُـرُبُ

مَـا يَـدْفَـعُ الخَطْـبَ إِلاَّ كُـلُّ مُنْـدَفِـعٍ ... فِيْ مَدْحِهِ الأَفْصَحَانِ: الشِّعْرُ وَالخُطَبُ

وَمَـنْ إِذَا مَـا انْتَمَـى فِـي يَـوْمِ مُفْتَخَـرٍ ... أَطَـاعَـهُ العَـاصِيَـانِ العُجْـمُ وَالعَـرَبُ

وله من قصيدة أولها يمدح بها كمال الدين بن العديم[1]: [من الطويل]

أَفِـي البَـانِ إِنْ بَـانَ الخَلِيْـطُ مُخَبِّـرُ ... عَسَـى مَـا انْطَـوَى مِـنْ عَهْـدِ لَمْيَـاءَ يُنْشَـرُ

عَسَـى حَـرَكَـاتٌ فِـي اعْتِـدَالِ سُكُـونِهَـا ... أَحَـادِيْـثُ يَـرْوِيْهَـا النَّسِيْـمُ المُعَطَّـرُ

يَـوَدُّ ظَـلاَمُ اللَّيْـلِ وَهْـوَ مُمَسَّـكٌ ... لِـذَاذَتِهَـا وَالصُّبْـحُ وَهْـوَ مُـزَعْفَـرُ

أَحَـادِيْـثُ لَـوْ أَنَّ النُّجُـومَ تَمَتَّعَـتْ ... بِـأَسْـرَارِهَـا لَـمْ تَـدْرِ كَيْـفَ تُسَيَّـرُ

يَمُـوتُ بِهَـا دَاءُ الهَـوَى وَهْـوَ قَـاتِـلٌ ... وَيَحْيَـا بِهَـا مَيْـتُ الجَـوَى وَهْـوَ مُقْبَـرُ

فَيَـا لَنَسِيْـمٍ صِحَّتِـي فِـي اعْتِـلاَلِـهِ ... وَصَحْـوِيْ إِذَا مَـا مَـرَّ بِـيْ وَهْـوَ مُسْكِـرُ

كَـأَنَّ بِـهِ مَشْمُـوْلَـةً بَـابِلِيَّـةً ... صَفَـتْ وَهْـيَ مِـنْ غُصْـنِ الشَّمَـائِلِ تُعْصَـرُ

إِذَا نَشَـأَتْ مَـالَـتْ بِكَفِّـكَ نَشْـوَةً ... كَمَـا مَـالَ مَهْـزُوزٌ مِـنَ البَـانِ يمطـرُ

وقال يمدح الوزير /٢٩٧أ/ القاضي الأكرم أبا الحسن علي بن يوسف القفطي، ويلتمس منه أن يرتبه في خدمة[2]: [من المنسرح]

---

(١) القطعة في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٦. وبعض أبياتها في الفوات ٢/ ٢٦١. الوافي ٢٤/ ٣٥١. أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣، وفيها بعض الاختلاف.

(٢) القصيدة في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٢٦ ـ ٢٢٢٧. في ترجمة القفطي للواسطي يستثقله كثيراً ويورد أمثلة من جهله، ويراه امرءاً كثير الاعجاب بنفسه، مستهتراً بالخمر واتخاذ علوج ليسوا بحسان الخلق، وإنه يرتاد محالّ الفسوق. أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٥.

يَـا سَيِّـدِي قَـدْ رُمِيْـتُ مِـنْ زَمَنِـي ... بِحَـادِثٍ ضَـاقَ عَنْـهُ مُحْتَمَلِـي
وأنـتَ فِـي رُتْبَـةٍ إِذَا نَظَـرَتْ ... إِلَـيَّ صَـارَ الـزَّمَـانُ مِـنْ قِبَلِـي(١)
وَالنَّظْـمُ وَالنَّثْـرُ قَـدْ أَجَـدْتُهُمَـا ... فِيْـكَ فَـلاَ تَتْـرُكِ الإِجَـادَةَ لِـي
فَـدَاكَ قَـوْمٌ إِذَا وَقَفْـتُ بِهِـمْ ... رَأَيْتَنِـي وَاقِفـاً عَلَـى طَلَـلِ
تَشْغَـلُ أَمْـوَالُهُـمْ مَسَـاعِيَهُـمْ ... فَهُـمْ عَـنِ المَكْـرُمَـاتِ فِـي شُغُـلِ
تَحْمِـي حِمَـاهَـا أَعْـرَاضُهُـمْ فَـإِذَا ... مَـاتَـتْ حَمَـاهَـا سُـوْرٌ مِـنَ البَخَـلِ
مَعَـاوِلُ الـذَّمِّ فِيْـهِ عَـامِلَـةٌ ... إِعْمَـالَهَـا فِـي مَغَـايِـرِ الحِيَـلِ
نَعْلُـكَ تَـاجٌ إِذَا رَفَعْتَهُـمُ ... لِـرَأْسِ حَـافٍ مِنْهُـمْ وَمُنْتَعِـلِ
فَـاسْمَـعْ حَـدِيْثِـي فَلِـي مُغَـازَلَـةٌ ... تَبُـثُّ شَكْـوَايَ مَـوْضِـعَ الغَـزَلِ
قَـدْ كُنْـتُ فِـي رَاحَـةٍ مُكَمَّلَـةٍ ... أُحْيِـي المَعَـالِـي بِمَيِّـتِ الأَمَـلِ
أَرْفُـلُ فِـي عِـزَّةِ القَنَـاعَـةِ فِـيْ ... ذَيْـلٍ عَلَـى النَّـائِبَـاتِ مُنْسَـدِلِ
فَعِنْـدَمَـا طَـالَـتِ البَطَـالَـةُ لِـيْ ... وَصَـارَ لِـي حَـاجَـةٌ إِلَـى العَمَـلِ
فَقَـالَ نَـاسٌ نَبِّـهْ لَهَـا عُمَـراً ... فَقُلْـتُ: حَسْبِـي رَأْيُ الـوَزِيْـرِ عَلِـي(٢)
/ ٢٩٧ب/ قَـدْ بِـتُّ مِـنْ وَعْـدِهِ عَلَـى ثِقَـةٍ ... أَمِنْـتُ فِـي حَلْيِهَـا مِـنَ العَطَـلِ
فَـالأَكْـرَمُ ابْـنُ الكِـرَامِ لَـوْ سَبَقَـتْ ... وُعُـوْدُهُ بِـالشَّبَـابِ لَـمْ يَحُـلِ
يَفِـرُّ مِـنْ وَعْـدِهِ المِطَـالُ كَمَـا ... تَفِـرُّ آرَاؤُهُ مِـنَ الـزَّلَـلِ
أَخْـلاَقُـهُ حُلْـوَةُ المَـذَاقِ فَلَـوْ ... شَبَّهْتُهَـا مَـا ارْتَضَيْـتُ بِـالعَسَـلِ
بِمَنْطِـقٍ لَـوْ سَـرَتْ فَصَـاحَتُـهُ ... فِـي اللُّكْـنِ لاسْتَعْصَمَـتْ مِـنَ الخَطَـلِ(٣)
تَمُـجُّ أَقْـلاَمُـهُ إِذَا كَتَبَـتْ ... مَـاءَ المُنَـى مِـنْ أَسِنَّـةِ الأَسَـلِ
وَإِنْ سَطَـتْ فِـي مُلِمَّـةٍ نُسِيَـتْ ... صِفِّيْـنُ مِنْهَـا وَوَقْعَـةُ الجَمَـلِ
تَنْظِـمُ دُرّاً عَلَـى الطُّـرُوْسِ كَمَـا ... يُنَظِّـمُ دُرُّ الحُلِـيِّ فِـي الحُلَـلِ
مُبَيِّـنٌ عِلْمُـهُ لِسَـائِلِـهِ ... مَسَـائِـلاً أَشْكَلَـتْ عَلَـى الأُوَلِ

---

(١) في الأصل: «وإذا في رتبة. . .» وما أثبتناه من معجم الأدباء.
(٢) في معجم الأدباء: «يعني عمر بن الوبار أحد حجّاب أتابك طغرل شهاب الدين الخادم المستولي في أيامنا على حلب وقلعتها».
(٣) اللّكن: العيّ.

لِكُـلِّ عِلْـمٍ فِـي بَـابِـهِ عَلَـمٌ ... يَهْـدِيْ إِلَـى قُبْلَـةِ مِـنَ القُبَـلِ
أَيُّ جَمَـالٍ مَـا فِيْـهِ أَجْمَلُـهُ ... عَلَـى وُجُـوْهِ التَّفْصِيْـلِ وَالجُمَـلِ
جَـلَّ الَّـذِيْ أَظْهَـرَتْ بَـدَائِعُـهُ ... مِنْـهُ مَعَـانِـيْ الـرِّجَـالِ فِـيْ رَجُـلِ

[٥٩١]

القاسمُ بنُ الحسين بن أحمدَ /٢٦٨أ/ الخوارزميُّ النحويُّ الملقَّبُ صدرَ الأفاضِلِ(١).

كان بارعًا في علم العربية والآداب، مشاراً إليه في معرفة النحو والإعراب، ذا قريحة حاذقة، ونَحيزَة صادقة. أخذ النحو عن أبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزيّ، وعليه يعتمد في علمه.

وكان مشغوفًا بكتب الإمام أبي القاسم الزمخشري، كثير الميل إليها، والتحفظ منها. وله تصانيف كثيرة منها «التجميز في شرح المفصل» في نحو ثلاثة أجلاد، وكتاب «السبيكة» في شرحه أيضًا وسط، وشرحه أيضًا شرحًا صغيراً، وكتاب «شرح سقط الزند»، وكتاب «شرح الأنموذج» لأبي القاسم الزمخشري، وكتاب «التوضيح في شرح المقامات» وكتاب «بهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه» وكتاب «شرح المفرد والمؤلّف»، وكتاب «حلوة الرياحين في المحاضرات»، وكتاب «عجائب النحو»، وكتاب «السّر والإعراب» / ٢٩٨ب/ وكتاب «شرح الأبنية»، وكتاب «الزوايا والخبايا في النحو»، وكتاب «بدائع المُلَح»، وكتاب «شرح اليمين» للعقبي. وإلى غير ذلك من المصنفات، وشعر كثير ليس بالرائق المستحسن، يظهر فيه التعجرف والركالَة.

وكانت ولادته في الليلة التاسعة من شعبان سنة خمسين وخمسمائة، وقتل ثاني عشر ربيع الأوّل سنة سبع عشرة وستمائة. قتله التتر بخوارزم ـ رحمه الله تعالى ـ.

أنشدني المؤيد بن محمد. . . الخوارزميُّ، قال: أنشدنا أبو محمد لنفسه في

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٤/ ١١٩ ـ ١٢١ وفيه: «القاسم بن الحسين بن محمد. . .» ولد «سنة خمس وخمسين وخمسمائة». معجم الأدباء ٥/ ٢١٩١ ـ ٢١٩٨. بغية الوعاة ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣. تاج التراجم ٥٠ رقم ١٥٠.

الشيخ فخر الدين أبي الفضل الرازي ـ رحمه الله ـ: [من مجزوء الرمل]

قَدْ نَسِيْنَا قَدْ نَسِيْنَا ... حِكْمَةَ الشَّيْخِ ابنِ سِيْنَا
بِإمَامِ الرَّيِّ صِرْنَا ... مُذْ زَمَانٍ مُؤْيَسِيْنَا
إنَّنَا بِعْنَا حَصَاةً ... وَاشْتَرَيْنَا طُوْرَ سَيْنَا

وقال أيضًا[١]: [من الكامل]

يَا زُمْرَةَ الشُّعَرَاءِ دَعْوَةَ نَاصِحٍ ... لاَ تَأمُلُوا عِنْدَ الكِرَامِ سَمَاحَا
إنَّ الكِرَامَ بِأسْرِهِمْ قَدْ أغْلَقُوا ... بَابَ السَّمَاحِ وَضَيَّعُوا المِفْتَاحَا

/ ٢٩٩أ/ وله وقد سأله قاضي القضاة بخوارزم، أن ينظم له أبياتًا يكتبها على جدران دار له بناها[٢]: [من البسيط]

مَنْ كَانَ يَفْخَرُ بِالبُنْيَانِ وَالشُّرَفِ ... فَلَيْسَ فَخْرٌ بِغَيْرِ المَجْدِ وَالشَّرَفِ
مَا قِيْمَةُ الدَّارِ لَوْلاَ فَضْلُ سَاكِنِهَا ... وَأيُّ وَزْنٍ بِدُوْنِ الدُّرِّ لِلْصَدَفِ
إنْ كَانَ يُعْجِبُنِي خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ ... فَلَسْتُ أكْرَمَ نَجْلٍ مِنْ بَنِي خَلَفِ
قَدْ صَحَّ لِيْ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... رُوَايَةُ العَدْلِ وَالإنْصَافِ عَنْ سَلَفِي
إنِّي لِمِنْ مَعْشَرٍ كَانَتْ مَعَايِشُهُمْ ... بِالقَصْدِ أمَّا عَطَايَاهُمْ فَبِالسَّرَفِ
قَوْمٌ مَتَى طَلَعَتْ لَيْلاً مَآثِرُهُمْ ... رَأيْتَ بَدْرَ الدُّجَى فِي زِيٍّ مُنْخَسِفِ
بِدَوْلَةِ المَلِكِ المَيْمُوْنِ طَائِرُهُ ... أنَّى تَوَجَّهْتُ فَالإقْبَالُ مُكْتَنِفِي

وقال أيضًا[٣]: [من الطويل]

أيَا سَائِلِي عَنْ كُنْهِ عَلْيَاهُ إنَّهُ ... لأُعْطِيَ مَا لَمْ يُعْطَهُ الثَّقَلاَنِ
فَمَنْ يَرَهُ فِي مَنْزِلٍ فَكَأنَّمَا ... رَأى كُلَّ إنْسَانٍ وَكُلَّ مَكَانِ

وله في شيخ الإسلام الرشتاني، ورشتان من قرى مرغينان[٤]: [من الطويل]

/ ٢٩٩ب/ فَدَيْتُ إمَامًا صِيْغَ مِنْ عِزَّةِ النَّفْسِ ... أنَامِلُهُ وَالسُّحْبُ نَوْعَانِ مِنْ جِنْسِ

---

(١) البيتان في معجم الأدباء ٥/ ٢١٩٢، والوافي ٢٤/ ١١٩.
(٢) القطعة في معجم الأدباء ٥/ ٢١٩٢.
(٣) البيتان في معجم الأدباء ٥/ ٢١٩٢، والوافي ٢٤/ ١٢٠.
(٤) القطعة في معجم الأدباء ٥/ ٢١٩٢ ـ ٢١٩٣.

أَشَدُّ ارْتِيَاحاً نَحْوَ طَلْعَةِ مُعْتَفٍ ... مِنَ المفلسِ الحَاوِيْ المَدِيْنِ إِلَى الفَلْسِ

وَأَفْقَهُ فِي تَدْرِيْسِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ... وَأَجْوَدُ مِنْ كَعْبٍ وَأَخْطَبُ مِنْ قُسٍّ

مَنَاقِبُ لَوْ أَنَّ الحَرَابِيَّ مَرَّةً ... بَصُرْنَ بِهَا اسْتَنْكَفْنَ عَنْ خِدْمَةِ الشَّمْسِ

وَيَغْدُو عَلَى طَرْفٍ مِنَ الشُّقْرِ كُلَّمَا ... رَأَتْهُ إِمَاءُ الحَيِّ وافَتْهُ لِلْقَبْسِ

عَلَى سَابِحٍ مِنْ خَلْفِهِ الوَهْمُ طَالِعٌ ... وَأَهْوَنُ شَيءٍ عِنْدَهُ دَرْكُ الأَمْسِ

فَتًى سَارَ مِنْهُ خَلْفَهُ وَهْوَ فَاغِمٌ ... وَلا فَغْمَةُ المِسْكِ الخَرَائِدَ لِلْعُرْسِ

لَهُ الصَّفْوُ مِنْ وُدِّي وَإِخْوَتُهُ الأُلَى ... غَدَوا مِنْ سِهَامِ الرَّبْعِ لِلدِّيْنِ كَالتُّرْسِ

لِفِتْيَانِ صِدْقٍ مَا اقْتَنَوا طُوْلَ عُمْرِهِمْ ... سِوَى البَحْثِ وَالإِفْتَاءِ وَالوَعْظِ وَالدَّرْسِ

لأَرْبَعَةٍ شَادُوا العُلاَ بَعْدَ شَيْخِهِمْ ... فَقَدْ بُنِيَ الإِسْلاَمُ مِنْهُمْ عَلَى خَمْسِ

بِنُوْرٍ إِلَهِيٍّ عَلَيْهِمْ وَزُهْدِهِمْ ... وَعِلْمِهِمُ أَضْحَوا مَلاَئِكَةَ الإِنْسِ

فَعَاشُوا لِتَرْشِيْحِ الهُدَى وَيَرَاعُهُمْ ... بِصَائِبَةِ الأَحْكَامِ يَقْطُرُ فِي الطِّرْسِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

أَيَجْمُلُ مِنِّي نَحْوَ ذَيَّالِكَ الرَّشَا ... سَلاَماً لِصُدْغَيْهِ وَحَالِي مُشَوَّشَا

وَإِنِّي لِوَجْدِي أَسْتَضِيءُ لَدَى الحِمَى ... بِشُعْلَةِ أَنْفَاسِيْ إِذَا اللَّيْلُ أَغْطَشَا

/٣٠٠أ/ وَيَرْحَمُنِي العُذَّالُ حَتَّى يَقُولَ لِي ... أَمَوْقِدُ نَارٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ أَمْ حَشَا

وَهَلْ يَرِدُ الجَرْعَاءَ مِنِّي تَحِيَّةٌ ... عَلَى طَرَفَيْهَا رَوْنَقُ العَهْدِ قَدْ مَشَى

وَإِنِّي قَدْ كَتَمْتُ سِرِّيْ وَإِنَّمَا ... بِرُغْمِي صَوْبُ المَدْمَعَيْنِ بِهِ فَشَا

كَمَا أَنَّ صَدْرَ الشَّرْقِ أَخْفَى سَخَاءَهُ ... وَلَكِنَّهُ بِشْرُ الجَبِيْنِ بِهِ وَشَى

مَتَى جُحِدَتْ نُعْمَاهُ أَنْهَضَ جُوْدُهُ ... شُهُوداً مِنَ الإِحْسَانِ لاَ تَقْبَلُ الرُّشَا

وَإِنْ هَزَّهُ الإِطْرَاءُ ثُمَّ تَبَجَّسَتْ ... أَيَادِيْهِ لَمْ تُشْكَرْ لَهُ فَقَدِ انْتَشَا

أَيَلْحَقُهُ الوَهْمُ القَطُوْفُ إِذَا سَعَى ... لإِدْرَاكِ غَايَاتِ العُلاَ مُتَكَمِّشَا[(١)]

لَكَ المَنْهَلُ المِسْكِيُّ مَا زَالَ نَقْعُهُ ... يُعَلِّلُ صِلاًّ فِي يَمِيْنِكَ أَرْقَشَا

فَيَلْفِظُ فِي مُنْسَابِهِ وَلُعَابِهِ ... حُتُوْفاً وَأَرْزَاقاً عَلَى حَسْبِ مَا تَشَا

---

(١) الوهم: البعير الذلول. القطوف: الذي يبطىء.

وقال أيضًا[١]: [من الطويل]

سَرَى نَاشِداً أُنْسِي قَضِيبًا مِنَ الآسِ ... فَنَاوَلَنِي الصَّهْبَاءَ وَالشَّهْدَ فِي كَاسِ
وَأَرْشَدَنِي وَهْنًا لِتَقْبِيلِ خَالِهِ ... وَمِيضُ ثَنَايَاهُ وَشُعْلَةُ أَنْفَاسِي
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ يُلْقِي عَلَى حُرِّ خَدِّهِ ... مِنَ الطُّرَّةِ السَّوْدَاءِ ظُلمةُ أَنْفَاسِي
إِذاً لأَضَاءَ اللَّيْلَ حَتَّى انْجَلَتْ لَنَا ... هَوَاجِسُ تُخْفِيهِنَّ أَفْئِدَةُ النَّاسِ

وقال أيضًا[٢]: [من البسيط]

/ ٣٠٠ب/ سناجبينك مَهْمَا لاحَ في الظُّلَمِ ... بِتَنَاظُرِ طَالِعُ مِنْهُ فُسْحَةَ الكَرَمِ
إِنْ يَزْرَعِ النَّاسُ فِي أَخْلاقِهِمْ كَرَمًا ... فَالبَدْرُ مِنْ جُودِكَ الطنان بِالدِّيَمِ
تَبْدُو عَلَى أَشْقَرٍ خُضْرٍ حَوَافِرُهُ ... بَحْراً تَلاَطَمَ أَمْوَاجًا عَلَى ضَرَمِ
تَشَمُّ عِنْدَكَ صِيْدُ العُجْمِ لِخَلْخَةٍ ... مِنَ الرُّغَامِ بِآنَافٍ مِنَ القِمَمِ
كَادَتْ لِحُبِّكَ تَأْتِي وَهْيَ سَاعِيَةٌ ... عَلَى الرُّؤُوسِ بِدُوْنِ الرَّأْسِ وَالقَدَمِ
مَنْ ظَنَّ غَيْرَ نِظَامِ المُلْكِ ذَا كَرَمٍ ... نَادَى بِهِ لُؤْمُهُ «استسمنتَ ذا وَرَم»[٣]
أَفْدِيكَ ذَا مَنْظَرٍ بِالبِشْرِ مُلْتَحِفٍ ... عَنْ صُبْحِي اليُمْنِ وَالإِقْبَالِ مُبْتَسِمِ
يَدُ الجَلاَلِ وَشَتْ فِي لَوْحِ بَهْجَتِهِ ... «النَّاسُ مِنْ خَوَلِي وَالدَّهْرُ مِنْ خَدَمِي»
فَلَوْ أَنَافَ عَلَى هَامِ السُّهَا وَطَنِي ... لَمَا لَوَتْ نَحْوَهُ أَجْيَادَهَا هِمَمِي
على النِّدَا وَقَفَتْ أَيَّامُهُ وَعَلَى ... نَشْرِ المَحَامِدِ مِنْهُ أَلْسُنُ الأُمَمِ
مَا جِئْتُ أَخْدُمُهُ إِلاَّ وَقَدْ سَحَقَتْ ... يَدَا تَلَطُّفِهِ عِطْراً مِنَ الشِّيَمِ
رَفَّ النِّدَا نَحْوَهُ عِطْراً مُخَدَّرَةً ... لَوْلاهُ زُفَّتْ إِلَى كُفْءٍ مِنَ العَدَمِ
يُرِيْهِ شِعْرِي نُجُومَ اللَّيْلِ طَالِعَةً ... وَالنَّيِّرَيْنِ مَعًا فِي مَشْرِقِ الحُلُمِ
لاَ زَالَ مِثْلَ هِلاَلِ العِيدِ حَضْرَتُهُ ... فِي الحُسْنِ وَاليُمْنِ وَالإِقْبَالِ وَالنِّعَمِ
وَعَاشَ لِلْمُلْكِ يَحْمِيْهِ وَيَنْصُرُهُ ... فَالمُلْكُ مِنْ دُوْنِهِ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ
/ ٣٠١أ/ وَدَامَ كَاليَمِّ لِلْعَافِيْنَ مُلْتَطِمًا ... بَنَانُهُ وَهْوَ مَرْشُوفٌ بِكُلِّ فَمِ

---

(١) الأبيات في معجم الأدباء ٥/ ٢١٩٥.
(٢) القطعة في معجم الأدباء ٥/ ٢١٩٦ ـ ٢١٩٧.
(٣) هذا يرد مورد المثل. انظر: سرح العيون ٣٣٢.

[٥٩٢]

القاسمُ بنُ هبة الله بن محمد بنِ الحسين بن أبي الحديد، أبو المعالي بنُ أبي الحسينِ المدائنيُّ، القاضيَ الكاتب(١).

درس فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ببغداد والموصل، نظر في علوم الحكمة، وأتقن منها طرفًا جيداً، ولقي المشايخ واجتهد في طلب العلم، وتميّز وناظر حتى فاق أبناء زمانه، وقرأ الأصول وتكلم في المسائل الخلافية. وله شعر حسن.

وتقلّد القضاء بالمدائن في أيام أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ـ رضي الله عنه ـ ثم قدم بغداد من المدائن، فولاّه الإمام المستنصر بالله ـ رحمه الله ـ كتابة الإنشاء بالديوان العزيز ـ مجدّه الله تعالى ـ.

وكنتُ أتمنى لُقياه إلى أن وردت مدينة السلام في سنة تسع وثلاثين وستمائة، فلقيته بها بجامع القصر الشريف سلخ جمادى الأولى يوم الجمعة في العام المذكور، فوجدته من أطيب الناس مفاكهة، وأحسنهم محاضرة، وأكثرهم / ٣٠١ب/ بشراً، وأجملهم خطابًا؛ يجمع أدبًا ولطفًا ونُبلا وفضلاً وكيسًا. وذكر أنَّه ولد في جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة؛ وصنّف كتابًا سمّاه «الحاكم في اصطلاح العراقيين

---

(١) في هامش الأصل: كانت وفاته في سنة ست وخمسين وستمائة».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٤/ ١٧٠ ـ ١٧١ وفيه: «يسمى أيضًا أحمد...» وفي ٨/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ وفيه: «أحمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبي الحديد، توفي سنة ست وخمسين وستمائة». وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٢. ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٤ ـ ١٠٥. عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٣ ـ ١٦٧ وكلاهما نقلاً عن القلائد. فوات الوفيات ١/ ١٠ ـ ١١ رقم ٥. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٧٢ رقم ٢٦٥. الحوادث الجامعة ٣٣٦. صلة التكملة لوفيات النقلة مج٢/ الورقة ٤٤. البداية والنهاية ١٣/ ١٩٩. عقود الجمان للزركشي ٦٣. المختار من تأريخ ابن الجزري ٢٤٨ ـ ٢٤٩. تأريخ إربل ١/ ٢٣٤، ضمن ترجمة عمر الدنيسري. تذكرة الحفّاظ ٤/ ١٤٣٨. المنهل الصافي ٢/ ٢٥٣ رقم ٣٣٢، وفيه: «أحمد بن هبة الله...». الدليل الشافي ١/ ٩٤ رقم ٣٣٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص٢٧٩ ـ ٢٨١ رقم ٣٠٤. العبر ٥/ ٢٣٤. العسجد المسبوك ٢/ ٦٤١. شذرات الذهب ٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.
جمع شعره وحققه الأستاذ عباس هاني الجراخ ـخ.
ترجم المؤلف لأخيه (عبد الحميد بن هبة الله) في الجزء الرابع برقم ٣٧٨.

والخراسانيين في معرفة الجدل والمناظرة».

أنشدني أبو المعالي من شعره، ونقلته من خط يده[1]: [من البسيط]

اسْعَدْ بدَيْرِ سَعيدٍ أيُّهَا السَّاقِي ... وَامْزِجْ وَخُذْ وَاعْطِنِي مِنْ غَيْرِ اشْفَاق[2]

مِنْ خَنْدَرِيسٍ كَأَنِّي حِينَ أَشْرَبُهَا ... مَلْسُوعُ هَمٍّ تَحَسَّى كَأْسَ درياق

نَارٌ وَلكنَّهَا لِلْمَاءِ عَاشقَةٌ ... تَزْدَادُ مِنْ وَصْلِهِ ضَوْءاً بِإشْرَاقِ

شُجَّتْ فَأَلْبَسَتِ السَّاقِي بصبغتها ... ثَوْباً وَأَلْبَسْنَيه ذَلِكَ السَّاقِي[3]

تَجْرِي الكُؤُوسُ وَلاَ تَجْرِي مُحَادَثَةٌ ... مَعَ الَّذِيْ زَادَ فِيْ هَمِّي وَأَشْوَاقِي

لَمْ أَقْضِ فِيْ عُمُرِيْ المَاضِيْ هَوَى حَلَبٍ ... يَا لَيْتَ شَعْرِيْ فَهَلْ أَقْضِيْهِ فِي البَاقِيْ

وَذِيْ قَوَامٍ تَثَنَّى فِيْ غَلاَئِلِهِ ... مِثْلَ القَضِيْبِ تَثَنَّى بَيْنَ أَوْرَاق

نَظَمْتُ مِنْ غَزَلِي فِيْ حُسْنِ صُوْرَتِهِ ... عَقْداً تَقُومُ بِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَاقَ

يَا عَقْرَبَ الصُّدْغِ فِيْ الخَدِّ الأَسِيْلِ أَمَا ... لِمَنْ لَسَبْتَ شِفَاءٌ مِنكَ أَوْرَاقِيْ[4]

ونقلت من خطّه قوله: / ٣٠٢أ/ يمدح تاج الدين محمد بن الحسين الأرموي بحلب وأنشدنيه: [من الكامل]

لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عَاشقاً تَذْكَارُهُ ... لَخَبَتْ مِنَ القَلْبِ المُعَنَّى نَارُهُ

زَمَنَ الحمَى لاَ جَادَ غَيْرَ حمَاكَ لِيْ ... دَمْعٌ وَلاَ بَلَّ الثَّرَى مِدْرَارُهُ

أَيْنَ الشُّمُوسُ المُشْرِقَاتُ لَدَى الضُّحَى ... حُسْناً وَهُنَّ مِنَ الدُّجَى أَقْمَارُهُ

النَّاسِيَاتُ نُفُوسَهُنَّ وَإِنَّمَا ... أَوْدَى بِهِنَّ مِنَ الشَّبَابِ خُمَارُهُ

لاَ غَرْوَ أَنْ حَنَّ الغَرِيْبُ صَبَابَةً ... وَتَزَايَدَتْ لِفِرَاقِهِ أَوْطَارُهُ

مُتَقَسَّمُ الأَحْشَاءِ لاَ أَوْطَانُهُ ... هَذِيْ البِلاَدُ وَلاَ الدِّيَارُ دِيَارُهُ

وَمُهَفْهَفٍ كَالغُصْنِ تَعْطِفُهُ الصَّبَا ... وَسْنَانَ أَسْكَرَ طَرْفَهُ خُمَّارُهُ

يَا مُسْعِدِي عَلاَمَةً فِيْ حُبِّهِ ... جَهْلاً وَفِيْ إِسْعَادِهِ إِقْصَارُهُ

لَوْ لَمْ أَجِدْ عُذْراً صَحِيْحاً فِيْ الهَوَى ... لَوَفَى بِعُذْرِيَ فِيْ هَوَاهُ عِذَارُهُ

---

(١) الأبيات في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٥. وعيون التواريخ ٢٠/ ١٦٣.

(٢) دير سعيد: يقع غربي الموصل وهو قريب من دجلة.

(٣) في الأصل: «تصبغها». شُجَّتْ: مزجت.

(٤) لَسَبْتَ: لدغت.

وَجْهٌ لَوَاحِظُنَا مَجُوسُ زَمَانِهِ سَجَدَتْ لَهُ لَمَّا أَضَاءَتْ نَارُهُ
وَقَوَامُ غُصْنٍ مَا تَعَرَّضَ عَاشِقٌ إِلَّا رَأَى أَنَّ الصُّدُوْدَ شِعَارُهُ
عَرَفَتْ لَوَاحِظُكَ المَرِيْضَةُ مَقْتَلِي وَقَتِيلُ لَحْظِكَ لَيْسَ يُطْلَبُ ثَارُهُ
فَكَأَنَّ تَاجَ الدِّيْنِ أَوْدَعَ عِنْدَهَا حَمْلَ الغُيُوبِ فَإِنَّهَا أَسْرَارُهُ
/٣٠٢ب/ يَا ابْنَ الحُسَيْنِ لَقَدْ بَنَيْتَ لِفَارِسٍ مَجْداً يُنِيفُ عَلَى النُّجُومِ نِجَارُهُ

ونقلت من خطه أيضًا، وهو ما قاله بالموصل بدير ميخائيل، وأنشدنيه في التاريخ المذكور[1]: [من البسيط]

كُلُّ الوَرَى فِيْكَ حُسَّادِيْ وَعُذَّالِيْ يَا فَاقِدَ المِثْلِ مَا العُشَّاقُ أَمْثَالِيْ
بُكَايَ وَقْفٌ عَلَيْكُمْ بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ لَا لِلْوُقُوْفِ عَلَى رَبْعٍ وَأَطْلَالِ
رِضَا العَوَاذِلِ سُخْطِيْ فِيْ هَوَاكَ وَفِيْ وِفَاقِهِمْ خُلْفُ أَغْرَاضِيْ وَآمَالِيْ
يَا سَاكِنِيَّ دَيْرِ مِيْخَائِيْلَ لِيْ قَمَرٌ لَكِنَّهُ بَشَرٌ فِيْ شَكْلِ تِمْثَالِ
قَرِيْبُ دَارٍ بَعِيْدٌ فِيْ مَطَالِبِهِ غَرِيْبُ حُسْنٍ وَأَلْحَانٍ وَأَقْوَالِ
سَكِرْتُ مِنْ صَوْتِهِ لَمَّا أَشَارَ بِهِ مَا لَسْتُ أَسْكَرُ مِنْ صَهْبَاءَ جِرْيَالِ
مَا رُمْتُ إِمْسَاكَ نَفْسِيْ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ إِلَّا تَغَيَّرْتُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ
يَا لَيْتَنِيْ بِفَنَاءِ الدَّيْرِ لَسْتُ كَمَنْ يَقُوْلُ: يَا لَيْتَنِيْ بِالشِّيْحِ وَالضَّالِ
قَدْ صِرْتُ أُنْشِدُ بَيْتًا صَارَ لِيْ مَثَلًا لَوْلَا وِصَالُكَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِيْ:
(لَوِ اشْتَرَيْتُ بِعُمْرِيْ سَاعَةً سَلَفَتْ مِنْ عِيْشَتِيْ معكم مَا كَانَ بِالغَالِيْ)

وقال أيضًا وأنشدنيه[2]: [من البسيط]

/٣٠٣أ/ أُرْدُدْ لِثَامَكَ حَتَّى يُسْتَرَ اللَّعَسُ وَقِفْ لِيَبْعُدَ عَنْ أَعْطَافِكَ المَيَسُ
إِنِّي أَغَارُ عَلَى حُسْنٍ حُبِيْتَ بِهِ إِصَابَةَ العَيْنِ إِنَّ العَيْنَ تَخْتَلِسُ
يَا غَاصِبَ الخِشْفِ أَوْصَافًا مُكَمَّلَةً لَمْ يَبْقَ لِلْخِشْفِ إِلَّا السُّوْقُ وَالخَنَسُ
وَفَاضِحَ البَدْرِ إِنَّ البَدْرَ مُقْتَبِسٌ مِنَ الَّتِيْ هِيَ مِنْ خَدَّيْكَ تُقْتَبَسُ

---

(١) القصيدة في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦. وفي تأريخ الإسلام خمسة أبيات منها. انظر أيضًا: المختار من تأريخ ابن الجزري، وعيون التواريخ ٢٠/ ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) القصيدة في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٨ ـ ١٠٩ وفيه إنها في مدح تاج الدين محمد بن حسين الأرموي. وفي عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٦ ثمانية أبيات منها. شذرات الذهب ٥/ ٢٨١.

مُعَدَّلُ الخَلْقِ لاَ طُوْلٌ وَلاَ قِصَرٌ ... مُكَمَّلُ الخُلْقِ لاَ هَيْنٌ وَلاَ شَرِسُ
يُصحُّنِي حُبُّهُ طَوْراً وَيُمْرِضُنِي ... فَكَمْ أُبِلُ مِنَ البَلْوَى وَأُنْتَكَسُ
حَمَوْهُ عَنْ كُلِّ مَا يُشْفَى الغَلِيْلُ بِهِ ... حَتَّى عَلَى طَيْفِهِ مِنْ شَكْلِهِ حَرَسُ
قَدْ كُنْتُ أُبْصِرُ صُبْحاً فِيْ مَحَبَّتِهِ ... فَعَادَ وَهْوَ بِعَيْنَيَّ كُلُّهُ غَلَسُ
مَالِيْ وَلِلْحُبِّ يُلْهِيْ القَلْبَ عَنْ مِدَحٍ ... أَوْصَافُهَا فُصَحٌ أَضْدَادُهَا خُرُسُ
كَيْفَ الذُّهُوْلُ وَتَاجُ الدِّيْنِ خَيْرُ فَتًى ... خَيْرُ المَدِيْحِ لِخَيْرِ النَّاسِ يُلْتَمَسُ
حَبْرٌ تَفِيْضُ لَهُ نَفْسٌ بِهِمَّتِهَا ... لَمْ يَبْقَ لِلشَّرِّ لاَ رُوْحٌ وَلاَ نَفَسُ
نُوْرٌ تَلَقَّتْهُ نَفْسٌ مِنْكَ طَاهِرَةٌ ... لَوْلاَهُ لَمْ يَبْدُ فِيْنَا ذَلِكَ القَبَسُ
شَارَكْتَ فِيْ الرُّوْحِ عِيْسَى مَا اسْتَبَدَّ بِهَا ... كِلاَكُمَا فِيْ البَرَايَا رُوْحُهُ قُدُسُ
حَكَمْتَ فِيْ العَالَمِ العُلْوِيِّ عَنْ نَظَرٍ ... صَافٍ مِنَ الشَّكِّ مَا فِيْ فِكْرِهِ دَنَسُ
فَلَوْ رَأَى مِنْكَ جَالِيْنُوْسُ مُعْجِزَةً ... مَا قَالَ فِيْ الكُلِّ إِنَّ الأَمْرَ مُلْتَبِسُ
/٣٠٣ب/ وَكَادَ يُؤْمِنُ بُقْرَاطُ الحَكِيْمُ بِمَا ... يُلْقَى إِلَيْهِ وَلاَ يَرْتَابُ بِرْقِلَسُ
وَحَوْمَةٍ مُزِجَتْ شَكّاً جَوَانِبُهَا ... فَمَا دَرَى الحَبْرُ فِيْهَا كَيْفَ يَنْغَمِسُ
أَعْيَى الخَوَاطِرَ فِيْهَا حَادِثٌ جَلَلٌ ... وَاسْتَعْبَدَ النُّطْقَ فِيْ أَرْجَائِهَا الخَرَسُ
حَتَّى إِذَا جَاءَ تَاجُ الدِّيْنِ فَرَّجَهَا ... تُغْضِيْ البَيَادِقُ مَهْمَا عُدَّتِ الفَرَسُ

وقال أيضًا وأنشدنيه[1]: [من الخفيف]

مَرْحَباً بِالخَيَالِ إِذْ زَارَ وَهْناً ... وَشَفَى لَوْعَةَ المُحِبِّ المُعَنَّى
وَقَضَى حَاجَةً فَسَرَّ وَسَرَّى ... هَمَّ القَلْبِ عَنْ لُبَانَاتِ لُبْنَى
كُلَّمَا قُلْتُ: قَدْ تَسَلَّيْتُ عَنْهُ ... عَادَنِي طَيْفُهُ وَعَنَّ فَعَنَّى
شَادِنٌ لَوْ بَدَا يُفَاخِرُ بَدْراً ... أَخْجَلَ البَدْرَ بِالمَلاَحَةِ حُسْنَا
وَإِذَا مَا انْثَنَى رَأَيْتَ كَثِيْباً ... تَحْتَ بَنْدِ القَبَا يَحْمِلُ غُصْنَا
تَرَكَ الرُّمْحَ وَالحُسَامَ وَأَبْدَى ... سَيْفَ لَحْظٍ وَهَزَّ بِالقَدِّ لَدْنَا
لَيْلَةَ الدَّيْرِ حَيْثُ تَسْمَعُ لَحْناً ... حَسَنَ النَّظْمِ مَا يُقَارِبُ لَحْنَا
سَعِدَتْ لَيْلَةٌ رَأَيْتُ بِهَا الشَّمْـ ... ـسَ وَجُنْحُ الظَّلاَمِ يَنْجَابُ عَنَّا

(١) القصيدة في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٦ . وعيون التواريخ ٢٠/ ١٦٤ ـ ١٦٥ .

بَيْنَ صَرْعَى مَحَاجِرٍ وَعُيُونْ ... بَاتَ يُحْيِيْهِمُ إِذَا مَا تَغَنَّى
أَيُّهَا الشَّمْسُ مَنْ يَقُلْ فِيكَ مَعْنًى ... لَمْ يُصِبْ فِيكَ أَنْتَ كُلُّكَ مَعْنَى
/ ٣٠٤أ/ قَدْ تَمَنَّتْ جَوَارِحُ النَّاسِ طُرًّا ... أَنَّهَا صُيِّرَتْ لأَجْلِكَ أُذْنَا

وقال أيضًا وأنشدنيه[1]: [من الكامل]

لَحَظَاتُ طَرْفِكَ أَمْ شِفَارُ مُهَنَّدِ ... هَزَمَتْ جُيُوشَ تَصَبُّرِي وَتَجَلُّدِي
مَا رَنَّقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ سِنَةِ الكَرَى ... إِلَّا لِشِقْوَةِ عَاشِقٍ لَمْ يَرْقُدِ
عَجَبًا لِطَرْفِي لَا يَزَالُ يَعُومُ فِي ... مَاءِ المَلَاحَةِ وَهْوَ كَالعَطِشِ الصَّدِي
وَلِنُورِ وَجْهِكَ وَهْوَ قَدْ هَتَكَ الدُّجَى ... بِضِيَائِهِ إِذْ ضَلَّ فِيهِ المُهْتَدِي
يَا قَاسِمَ العُشَّاقِ مِنْ مُتَقَلْقِلٍ ... سَكَنَ الفِنَاءَ وَسَاكِنٍ مُسْتَسْعَدِ
تِهْ كَيْفَ شِئْتَ فَحُسْنُ وَجْهِكَ قَدْ غَدَا ... مُتَوَدِّدًا فِينَا بِغَيْرِ تَوَدُّدِ
أَهْوَى النَّحَافَةَ وَالشُّحُوبَ لِأَنَّنِي ... أَجِدُ النَّحَافَةَ مِنْ صِفَاتِ مُحَمَّدِ
كَالغُصْنِ فِي حِقْفٍ إِذَا جَرَتِ الصَّبَا ... . تَأَطُّرٍ وَتَأَوُّدِ
وَكَأَنَّ خَطَّ عِذَارِهِ فِي خَدِّهِ ... سَبَجٌ أُذِيبَ عَلَى صَفِيحَةِ عَسْجَدِ[2]

وقال أيضًا وأنشدنيه[3]: [من الكامل]

اللَّومُ فِيكَ لَجَاجَةٌ مِنْ عَاشِقٍ ... وَافَى يُخَادِعُنِي بِلَفْظِ العَاذِلِ
مَا كُنْتُ مَجْهُولًا لَدَيْهِ فَلَمْ أَقُلْ: ... أَمِطِ اللِّثَامَ عَنِ العِذَارِ السَّائِلِ

وقال، وأنشدنيه[4]: [من البسيط]

/ ٣٠٤ب/ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ فِي تَشْبِيهِ وَجْنَتِهِ ... لَمَّا أَحَاطَ بِهَا سَطْرٌ مِنَ الشَّعَرِ
كَالظِّلِّ فِي النُّورِ أَوْ كَالشَّمْسِ عَارَضَهَا ... خَطٌّ مِنَ الغَيْمِ أَوْ كَالمَحْوِ فِي القَمَرِ

وقال أيضًا وأنشدنيه: [من البسيط]

قَالُوا: عَلَى خَدِّهِ خَالٌ، فَقُلْتُ لَهُمْ: ... تَخْفَى الحَقَائِقُ فِي عَقْلِ المَجَانِينِ
تَكْوِينُ مُقْلَتِهِ صَادٌ وَحَاجِبُهُ ... نُونُ المَنَالِ وَهَذَا نُقْطَةُ النُّونِ

---

(١) في ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٦ ـ ١٠٧. وعيون التواريخ ٢٠ / ١٦٥ سبعة أبيات منها.
(٢) سبج: الخرز الأسود.
(٣) البيتان في ذيل مرآة الزمان ١/ ١١٠ ـ ١١١.
(٤) البيتان في الوافي ٨/ ٢٢٦. الفوات ١/ ١١. ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٨. عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٦.

وقال أيضًا وأنشدنيه[١]: [من الكامل]

يَـا هَـاجِـرِي لمَّـا رأى شَغَفِـي بِـه ... مَـا كَـانَ حَـقُّ مُتَيَّـمٍ أنْ يُهْجَـرَا
إنَّ الَّـذِي خَلَـقَ الغَـرَامَ هُـوَ الَّـذِي ... خَلَـقَ السُّلُـوَّ فَـلاَ يَغُـرُّكَ مَـا تَـرَى

وقال أيضًا وأنشدنيه[٢]: [من الكامل]

لَـوْ يَعْلَمُـونَ كَمَـا عَلِمْـتُ لَمَـا لَحَـوا ... فِـي حُبِّـه وَلأَقْصَـرُوا إقْصَـارَا
هَـلاَّ أُحَـدِّثُكُـمْ بِسِـرٍّ لَطِيفَـةٍ ... دَقَّـتْ إلَـى أنْ فَـاتَـتِ الأَبْصَـارَا
حَـادَتْ صِقَـالَ خُـدُوْدِه أصْـدَاغُـهُ ... فَتَمَثَّلَـتْ لِلنَّـاظِـرِيْـنَ عِـذَارَا

[٥٩٣]

القاسمُ بنُ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ النداء، أبو محمدٍ الجزريُّ[٣].

من بيت كبيرٍ بالجزيرة / ٣٠٥أ/ العُمريّة.

قلَّده الأمير معز الدين محمود بن سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر ـ صاحبها ـ وزارته، ففارقه وقصد حضرة الملك الأشرف شاه أرمن مظفر الدين موسى بن أبي بكر، وانضمّ إليه، وحظي عنده.

وكان قد قرأ فقها وأدبًا، وحفظ شيئًا من الأشعار وله يد في الكتابة والإنشاء وعمل الشعر.

أنشدني أبو الفضائل جعفر بن محمد بن أحمد الخسرسابوري، قال: أنشدني القاسم بن محمد لنفسه: [من الكامل]

إقْـدَحْ زِنَـادَ اللَّهْـوِ بِـالقَـدَّاحِ ... وَأضِـفْ إلَيْـهِ لَطَـائِـفَ الأَرْوَاحِ
هَـذَا الـرَّبِيْـعُ وَوَجْـهُ مَـنْ أحْبَبْتُـهُ ... فَـاشْـرَبْ عَلَـى الرَّيْحَـانِ صَفْـوَ الـرَّاحِ[٤]

---

(١) البيتان في ذيل مرآة الزمان ١/ ١١٠. عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٦.
(٢) الأبيات في الوافي ٨/ ٢٢٦. الفوات ١/ ١١. ذيل مرآة الزمان ١/ ١٠٨. عيون التواريخ ٢٠/ ١٦٥ـ١٦٦.
(٣) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٤/ ١٦٣ ـ ١٦٥ وفيه: «أبو القاسم بن محمد بن سعيد بن نَدِي. . . .».
(٤) البيتان من قطعة في الوافي ٢٤/ ١٦٤ قوامها ٩ أبيات.

[٥٩٤]

القاسمُ بنُ أحمدَ بن زيد بن محمّد بن محمّد بن زيد بن أحمدَ بن محمّد بن محمدَ بن عبد اللهَ بنَ عليٍّ بنَ عَبد اللهَ بنَ عليٍّ بنَ الحسينَ بنَ عليٍّ بنَ الحَسَينَ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ، أبو الحَسَينِ بنُ أبي جعفرٍ العلَويُّ الحسَينيّ الموصلّيّ.

أخبرني أنّه ولد في صفر سنة تسعين وخمسمائة بالموصل.

وهو من أبناء النقباء / ٣٠٥ب/ الأشراف، حفظ القرآن المجيد، وقال شعراً صالحًا.

أنشدني لنفسه يمدح مولانا وسيدنا الإمام المفترض الطاعة على كافة الأنام خليفة الله في العالمين المستنصر بالله أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور ـ صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ـ: [من البسيط]

حُطُّوا الرِّجَالَ فَهَذَا مُنْتَهى الطَّلَبِ ... وَهَاهُنَا مَعْدِنُ التَّمْجِيْدِ وَالحَسَبِ

أَرْضٌ غَدَتْ كَعْبَةَ القُصَّادِ مَا قُصِدَتْ ... إلاَّ وَأَعْقَبَتِ الإِفْضَالَ عَنْ كَثَبِ

سَمَتْ بِخَيْرِ إِمَامٍ لَيْسَ لِيْ وَزَرٌ ... سِوَاهُ كَلاَّ وَلاَ فِيْ غَيْرِهِ أَرَبِيْ[1]

وَمَنْ يَكُنْ بِإِمَامِ العَصْرِ مُعْتَصِمًا ... لَمْ يَخْشَ حَادِثَةَ الأَيَّامِ وَالنُّوَبِ

آلَيْتُ لَمْ تَثْنِنِيْ عَنْ قَصْدِهِ . . . . وَلَمْ أُغِبَّ بِرَقْمِ المَدْحِ فِيْ الكُتُبِ

مَا أَمَّهُ مِنْ مُخِفِّ المَالِ ذُوْ ضَرَعٍ ... إلاَّ وَأُوْقِرَ بِالإِعْزَازِ وَالنَّشَبِ

وَلاَ هَزَزْنَا لَهُ عَزْمًا لِمُعْضِلَةٍ ... إلاَّ وَنَفَّسَ عَنَّا أَعْظَمَ الكُرَبِ

وَلاَ رَجَوْنَا بِهِ مَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... إلاَّ بَلَغْنَا الَّذِيْ نَرْجُو وَلَمْ نَخِبِ

وَإِنْ تَغَرَّبَ عَنْ أَهْلٍ وَعَنْ وَطَنٍ ... بَاغِيْ مَعَالِيْهِ أَمْسَى غَيْرَ مُغْتَرِبِ

أَشْهَى إِلَيْهِ مِنَ الأَصْوَاتِ قَاطِبَةً ... صَوْتُ الوُفُوْدِ إِذَا أَمُّوهُ لِلْطَّلَبِ

صَبٌّ إِلَى المَكْرُمَاتِ الغُرِّ وَهْيَ لَهُ ... تِرْبٌ وَصَبٌّ إِلَى تِرْبٍ مِنَ العَجَبِ

(١) وزر: ملجأ.

/٣٠٦أ/ قَرَّتْ بِهِ العَيْنُ فَالدُّنْيَا بِهِ حَسُنَتْ ... وَالدِّينُ فَهْوَ مَتِينُ الرُّكْنِ وَالطُّنُبِ
مِنْ دَوْحَةِ المُصْطَفَى المُخْتَارِ مَنْبَتُهُ ... أَكْرِمْ بِذَلِكَ مِنْ أَصْلٍ وَمِنْ شُعَبِ
لَنْ تُقْبَلَ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ إِنْ عَرِيَتْ ... مِنْ ذِكْرِهِ وَهْوَ فِيهَا أَوْكَدُ السَّبَبِ
فَلْتَشْمَخِ الأَرْضُ وَلْتَفْخَرْ بِأَخْمَصِهِ ... عَلَى السَّمَاءِ وَمَا فِيهَا مِنَ الشُّهُبِ
وَخَصَّهُ اللهُ إِجْلالاً بِمَرْتَبَةٍ ... دَانَتْ لَهُ عُظَمَاءُ العُجْمِ وَالعَرَبِ
فَقَامَ فِينَا بِمَا جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ ... كَأَنَّ عَنَّا نَبِيُّ اللهِ لَمْ يَغِبِ
فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ قَدْ جَاءَتْ مَنَاقِبُهُ ... مَا جُهْدُ مَادِحِهِ بِالشِّعْرِ وَالخُطَبِ
وَإِنَّهُ قَدْ تَرَدَّى كُلَّ مَكْرُمَةٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْهَا ذَوُو الإِفْضَالِ وَالأَدَبِ
لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ بَأْسِ الإِمَامِ فَمَا ... تُغْنِي المَعَاقِلُ وَاللاَّجِي إِلَى العَرَبِ
وَهَكَذَا لِلَّذِي يَعْصِي أَوَامِرَهُ ... مَا إِنْ يَؤُولُ بِغَيْرِ الوَيْلِ وَالحَرَبِ
فَلَو أَرَادَ النُّجُومَ الزُّهْرَ أَدْرَكَهَا ... وَلَمْ تُطِقْ هَرَباً مِنْهُ مِنَ الرَّهَبِ
وَلَوْ رَأَتْهُ مُلُوكُ الأَرْضِ لاَسْتَبَقَتْ ... إِلَى السُّجُودِ لَهُ مِنْ شِدَّةِ الرُّعُبِ
يَا مَنْ عَلاَ قَدْرُهُ فَوْقَ السِّمَاكِ وَمَنْ ... حَازَ الفَخَارَ وَيَا ابْنَ السَّادَةِ النُّجُبِ
لَمْ أَرْضَ غَيْرَكَ مَرْجُوّاً أُؤَمِّلُهُ ... وَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ مَا أَوْلَيْتَ أَلْيَقَ بِي
رَفَعْتَ قَدْرِيَ بِعَطْفٍ مِنْكَ يَا أَمَلَ الرَّاجِي وَقَدْ كَانَ قَبْلَ اليَوْمِ فِي صَبَبِ
/٣٠٦ب/ فَمَا وَلاَئِيَ مَصْرُوفاً وَمُنْحَرِفاً ... إِلَى سِوَاكَ وَلاَ قَلْبِي بِمُنْقَلِبِ
أَمَّا الغِنَى فَهْوَ فِي دَارِ السَّلاَمِ وَفِي ... ظِلِّ الإِمَامِ العَظِيمِ الشَّأْنِ ذِي الحَسَبِ
أَصْبَتُّ فِي حُسْنِ ظَنِّي فِي عَوَاطِفِهِ ... لَكِنَّنِي مِثْلُهُ فِي الخَلْقِ لَمْ أُصِبِ
يَا مُغْلَقَ البِيدِ بِالإِدْلاَجِ مُجْتَهِداً ... لِكَيْ يَفُوزَ بِغُرٍّ غَيْرِ مُحْتَجِبِ
يَمِّمْ أَبَا جَعْفَرَ المَنْصُورَ تَلْقَ فَتًى ... مِلْءَ الصُّدُورِ كَرِيمَ الأَصْلِ وَالنَّسَبِ
مُعَظَّماً مُنِحَ التَّبْجِيلَ وَالشَّرَفَ الجَمَّ النَّبِيلَ وَأُعْطَى أَرْفَعَ الرُّتَبِ
وَهْوَ الرَّؤُوفُ يُقَضِّي العُمْرَتَيْنِ تُقًى ... وَبَيْنَ عَدْلٍ وَبِرٍّ مِنْهُ مُنْسَكِبِ
المُقْتَنِي الحَمْدَ وَالمُوفِي بِنَائِلِهِ ... عَلَى البِحَارِ وَمَنْ أَرْبَى عَلَى السُّحُبِ
وَوَسَّعَ الرِّزْقَ إِحْسَانٌ يُكَرِّرُهُ ... فَالضِّيقُ عَنِّي نَاءٍ غَيْرُ مُقْتَرِبِ
أَعْطَى وَوَاصَلَ حَتَّى قَلَّ ذُو أَمَلٍ ... وَزَادَ فَوْقَ الَّذِي فِي نَفْسِ مُحْتَسِبِ
مِنَ الثَّنَاءِ وَمِنْهُ نَائِلٌ عَلِقَتْ ... يَدَايَ مِنْهُ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

فَالشُّكْرُ مِنِّي لِمَا أَوْلاَهُ مِنْ نِعَمٍ ... شُكْرٌ يُخَلِّدُ أَوْ يَفْنِي يَدَ الحِقَبِ

مَا جَحْفَلٌ لَجِبٌ ضَاقَ الفَضَاءُ بِهِ ... كَثُّ الجَوَانِبِ فِي أَمْنٍ مِنَ العَطَبِ

يَسْرِي فَيَظْفَرُ بِالأَشْيَاءِ يُقْصِرُ عَنْ ... إِدْرَاكِهَا كُلُّ ذِي عِزٍّ وَذِي شَغَبِ

أَغْنَى بِعَزْمَتِهِ عَنْ كُلِّ ذِي شُطَبٍ ... مَاضِي المَضَارِبِ وَالخَطِّيِّ وَاليَلَبِ

يَوْمًا بِأَمْنَعَ مِنْهُ لِلنَّزِيلِ إِذَا ... قَلَّ المُحَامِي وَخَافَ الذُّلَّ كُلُّ أَبِي

فَاسْلَمْ لَنَا فِي سُرُورٍ لاَ يُعَادِلُهُ ... . الدَّهْرُ فِي أَيَّامِكَ القُشُبِ

مُخَوَّلاً مَدْحَ مَنْ لَمْ يَنْوِ عَنْكَ وَنَى ... وَسَوْفَ يَحْمَدُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ نَصَبِ

وقال أيضًا يمدحه ـ صلوات الله عليه ـ حين سلطن المولى الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين، مرزبان العراق شهريار الشام أبا الفضائل المستنصري، غرس أمير المؤمنين ـ خلد الله دولته ـ: [من الطويل]

خُذُوا عَنْ رُوَاةِ العِشْقِ حَالِي وَمَا أَلْقَى ... فَعِنْدَهُمُ عِلْمٌ بِمَنْ يَدَّعِي العِشْقَا

وَقُصَّا عَلَى مَنْ هِمْتُ فِيهِ قَضِيَّتِي ... عَسَاهُ يَرَى عَطْفًا عَلَى دَنِفٍ مُلْقَى

بَعِيدَةُ عَهْدٍ بِالرُّقَادِ جُفُونُهُ ... فَلَوْ شَاءَ طَيْفًا مَا أَطَاقَ لَهَا طَبْقَا

كَرَاحَةِ مَوْلاَنَا الإِمَامِ وَمَنْ غَدَتْ ... خَزَائِنُهُ تَتْلُو وَتَسْأَلُهُ رِفْقَا

هُوَ المُرْتَجَى فِي سَوْرَةِ الدَّهْرِ وَالَّذِي ... مَنَاقِبُهُ المُدَّاحَ عَلَّمَتِ النُّطْقَا

وَمَا جُهْدُ مَا يَأْتِي المُجِيدُ بِوَصْفِهِ ... وَقَدْ جَاءَتِ الآيَاتُ وَصْفًا لَهُ حَقَّا

/ ٣٠٧ب/ فَلَوْ أَنَّهُ شَاءَ افْتِخَارًا بُلُوغَ مَا ... حَوَى الشُّهْبُ وَالأَفْلاَكُ أَدْرَكَهُ خَرْقَا

فَقُلْ إِنْ تَقُلْ مَا يَسْتَحِيلُ لِغَيْرِهِ ... مِنَ المَكْرُمَاتِ الغُرِّ لَنْ تُعْدَمَ الصِّدْقَا

إِذَا مَا احْتَبَى يَوْمًا لِكَسْبِ مَحَامِدَ ... كَفَى النَّاسَ بِرًّا طَبَّقَ الغَرْبَ وَالشَّرْقَا

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْبِسْ سَحَائِبَ كَفِّهِ ... رَأَيْتَ الوَرَى مِنْ فَيْضِ أَنْعُمِهَا غَرْقَى

غَدَا ذُخْرَ بَدْرِ الدِّينِ ذِي الرُّتْبَةِ الَّتِي ... تَسَنَّمَ أَعْلَى رُتْبَةٍ أَنْجُمًا تَرْقَى

فَتًى جَلَّ عَنْ وَصْفٍ وَمَدْحٍ جَمِيلُهُ ... وَسَدَّ عَلَى مَنْ يَرْتَجِي غَيْرَهُ طُرْقَا

نُؤَمِّلُهُ طَوْرًا لِكَشْفِ مُلِمَّةٍ ... تَنُوبُ وَطَوْرًا نَسْتَدِرُّ بِهِ الرِّزْقَا

وَإِنْ يَكُ أَمْضَى العَزْمِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ ... رَأَيْتَ المَوَالِي الصِّيدَ تَنْظُرُهُ زُرْقَا

فَتَرْهَبُ فِي الحَرْبِ العَوَانِ رُعُودَهُ ... إِذَا هَزَّ فَجْرًا أَوْ إِذَا رَكِبَ البَرْقَا

سَعِيدٌ إِذَا مَا دَبَّرَ المُلْكَ رَأْيُهُ ... لَطِيفٌ إِذَا سَاهَلْتَهُ طَيِّبُ المَلْقَى

مَلِيْكَ الوَرَى فَافْخَرْ بِحُلَّتِكَ الَّتِي ... بِهَا أَنْهَجَ اللَّهُ النَّوَاحِيَ وَالأُفْقَا
فَإِنَّكَ فُتَّ النَّاسَ سَبْقًا إِلَى العُلاَ ... وَأَكْرِمْ بِمَنْ فَاتَ الوَرَى لِلعُلاَ سَبْقَا
فَأَنْتَ يَمِيْنٌ لِلإِمَامِ إِذَا سَطَا ... لَكَ اللَّهُ مِنْ مُسْتَنْصِرِيٍّ عَلاَ الخَلْقَا
فَأَوْلاَكُمُ مُلْكًا تَأَسَّسَ رُكْنُهُ ... وَأَوْضَحَ فِي ثَغْرِ المُعَادِيْ لَكُمْ فَتْقَا
فَدُمْ مَا حَدَا حَادٍ إِلَيْكَ وَمَا شَدَتْ ... عَلَى فَنَنٍ قُمْرِيَّةٌ وَدَعَتْ وُرْقَا[1]

....

/٣٠٨أ/ فَقَدْتُ عَزَائِي وَاصْطِبَارِيْ لِفَقْدِهِ ... فَآهًا لِمَسْلُوبِ العَزَاءِ فَقِيْدُهُ
فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ اسْتَطَعْتُ فَدَيْتُهُ ... بِرُوْحِي وَمَالِيْ وَالوَرَى وَجُدُوْدُهُ

وقال: [من الوافر]

وَذِيْ قَلْبٍ حَدِيْدٍ لَيْسَ يَقْوَى ... عَلَى هِجْرَانِهِ القَلْبَ الجليدِ[2]
وَقَامَ بِكَأْسِهِ فَظَلَلْتُ سَاهٍ ... وَلاَ أَدْرِيْ لأَيِّهِمُ وُرُوْدِيْ[3]
أَلِلْخَمْرِ الَّتِي فِيْ الكَأْسِ أَوْ مَا ... بِفِيْهِ أَوْ لِخَمْرٍ فِيْ الخُدُوْدْ

وله في الشيب: [من المتقارب]

وَطَارِقِ شَيْبٍ أَتَى تَالِدًا ... فَجَارَ عَلَى الأَسْوَدِ التَّالِدِ
فَنَغَّصَ عَيْشِيْ تَلاَفِيهِمَا ... إِلَى أَنْ رَثَى رَحْمَةً حَاسِدِي
وَلَمَّا شَكَوْتُ الَّذِيْ حَلَّ بِي ... مِنَ الشَّاكِيَيْنِ إِلَى عَائِدِي
فَلاَمَ وَعَنَّفَنِيْ ثُمَّ قَالَ ... وَفِيْ قَوْلِهِ الحَقُّ لِلنَّاقِدِ
أَتَشْكُو وَأَنْتَ الَّذِيْ قَدْ جَمَعْـ ... ـتَ ضَرَائِرَ فِيْ مَنْزِلٍ وَاحِدِ

وقال: [من مجزوء الكامل]

لاَ تَعْجَبَنَّ لِسَاقِطٍ ... إِنْ نَازِلٍ مَنْزِلَةً رَفِيْعَهْ
أَعْلَى الكَوَاكِبِ مَنْزِلاً ... زُحَلٌ وَرُتْبَتُهُ وَضِيْعَهْ

/٣٠٨ب/ وقال: [من الطويل]

---

(١) بين هاتين المقطوعتين سقط.
(٢) الصحيح: القلبُ الجليدُ.
(٣) الصحيح: ساهيًا.

صَبَرْتُ وَمَنْ يُرْزَقْ حَمِيدَ اصْطِبَارِه عَلَى حَادِثَاتِ الدَّهْرِ فَهْوَ سَعِيدُ
تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَلَيْسَ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْهُ بَعِيدُ

وله في الشيب: [من الخفيف]

لَمْ يَشِبْ مَفْرِقِي لِطُولِ زَمَانِ العُمْرِ لَكِنْ لِصَرْفِ دَهْرٍ عَنِيدِ
شَيَّبَتْنِي الخُطُوبُ فَاعْجَبْ لأَنْ صَارَ بَيَاضًا إِثْرَ الخُطُوبِ السُّودِ

وقوله: [من الطويل]

بَكَيْتُ... أَبيضاضًا رَأَيْتُهُ بِفَوْدِي وَمَنْ أَهْوَى سَوَادًا بِخَدِّهِ
وَمِنْ عَجَبٍ وَالدَّهْرُ يُبْدِي عَجَائِبًا مِنَ الشَّيءِ أَبْكِيهِ وَأَبْكِي لِضِدِّهِ

وله يصف نهراً: [من الطويل]

وَنَهْرٍ كَظَهْرِ السَّيْفِ إِنْ وَلِعَتْ بِهِ يَدُ الرِّيحِ أَضْحَى ذَلِكَ العَضْبُ مِبْرَدَا
وَإِنْ قَابَلَتْهُ الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا أَرَتْكَ لُجَيْنَ المَاءِ أُلْبِسَ عَسْجَدَا
وَرَوْضٍ إِذَا مَا صَوَّحَتْ زَهَرَاتُهُ كَسَاهَا انْسِكَابُ المُزْنِ وَشْيًا مُجَدَّدَا
وَيُودَعُ دُرُّ الغَيْثِ فِي عَنْبَرِ الثَّرَى فَيُظْهِرُهُ فَصْلُ الرَّبِيعِ زَبَرْجَدَا

وقوله في العذار: [من الطويل]

/٣٠٩أ/ وَقَبَّلْتُ خَدًّا لِلْحَبِيبِ مُوَرَّدًا بِنَفْسِيَ أَفْدِي مِنْهُ خَدًّا مُوَرَّدَا
فَمِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي عَلَا فَوْقَ خَدِّهِ دُخَانٌ فَخَالُوهُ عِذَارًا مُزَرَّدَا

وله يمدح الكَرَم: [من الطويل]

وَقَى حَاتِمَ الطَّائِيَّ جُودُ يَمِينِهِ دُخُولَ جَحِيمٍ كَانَ أَوْجَبَهَا الكُفْرُ
فَقُلْ لِلَّذِي يَلْحَى عَلَى الجُودِ أَهْلَهُ أَلَمْ يَكُ فِي هَذَا لِفَاعِلِهِ عُذْرُ

وله فيمن اسمه إبراهيم: [من السريع]

خَوَّفْتُهُ سُكْنَاهُ قَلْبِي لِمَا أَوْدَعْتُهُ مِنْ حَرِّ إِفْكَارِ
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمِي وَهَلْ يَحْفِلُ إِبْرَاهِيمُ بِالنَّارِ

وقوله: [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ قَدْ أَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِي إِذْ رَمَاهُ بِسَهْمِ لَحْظٍ مَرِيضِ

قَدْ أخَذْتَ الفُؤَادَ منِّي صَحيْحاً ... ثُمَّ صَيَّرْتَهُ كَبَيْتِ العَرُوْضِ

وقال: [من الخفيف]

عَاتَبَتْني عَلَى بَيَاضِ دُمُوْعِي ... بعتَابٍ أصَمَّ منْهُ سَمْعِي

قُلْتُ لا تعْتَبِي فَلَيْسَ سُلُوّاً ... ذَاكَ منِّي وَلاَ تَغَيَّرَ طَبْعِي

مَا تنَقَّلْتُ عَنْ هَوَاكَ وَلكِنْ ... طُوْلُ عُمْرِ البُكَاءِ سَيَّبَ دَمْعِي (١)

....

[من الخفيف]

/ ٣٠٩ب/ [لاَ] تُطعْ نَهْيَ مَنْ وَقَى المَا[لَ] بالعرْضِ عَنِ الجُوْدِ وَالفَهُ غَيْرَ رَاضِي

وَاحْرِسِ العِرْضَ مَا اسْتَطَعْتَ بجُوْدٍ ... إنَّمَا الجُوْدُ حَارِسُ الأعْرَاضِ

وله في الخمر: [من الخفيف]

قُلْتُ لمَّا بَدَتْ كَشُعْلَةِ نَارٍ ... مِنْ دنَانٍ سُوْدٍ كَلَيْلٍ بَهِيْمِ

خَلَّفَتْ فِي العُيُوْنِ نَاراً وَفِي الأحْشَاءِ نُوْراً فَيَا لَهَا مِنْ نَعِيْمِ

فَهْيَ بَرْدٌ عَلَى القُلُوْبِ وَفِي النَّفْسِ كَنَارِ الخَلِيْلِ إِبْرَاهِيْمِ

وله: [من الرمل]

وَبَدَا يُنْكِرُ دَمْعِي إذْ جَرَى ... كَسَقِيْطِ اللُّؤْلُؤِ المُهْتَتَنِ

قُلْتُ لاَ تُنْكِرُ هَذَا إنَّهُ ... بَعْضُ مَا أوْدَعْنَهُ فِي أُذُنِي

أتَمَنَّى مُذْ نَأَيْتُمْ قُرْبَكُمْ ... وَتَمَنِّي قُرْبِكُمْ تَيَّمَنِي

وله في المقص: [من الوافر]

ومعتنقَيْنِ مِنْ حَسَدِ التَّلاَقِي بيننا كُلَّ مَا اتَّصَلاَ إلَيْهِ

وَلاَ يَسْعَيْنِ إلاَّ فِي افْتِرَاقٍ ... وَقَطْعٍ لِلَّذِي قَدَرَا عَلَيْهِ

وله: [من الرمل]

إنْ يُرِدْ كَفّاً يُبَارِيْكَ بِهَا ... فِي النَّدَى لَمْ يَرَ كَفّاً ذَاهِبَهْ

---

(١) بين هاتين المقطوعتين سقط.

/ ٣١٠أ/ وأنشدني لنفسه وزعم أنه صنعها لبديهة، وقد اقترح عليه هذا المعنى:

[من السريع]

وَأَسْمَرَ ٱلْحَاظُهُ كَالسِّهَامْ تُصْمِي فُؤَادَ الحَائِرِ المُسْتَهَامْ
إِذَا تَبَدَّى قَالَ كُلُّ الوَرَى سُبْحَانَ مَنْ صَوَّرَ هَذَا الغُلَامْ
يُظْلَمُ إِنْ قِيلَ سَنَى وَجْهِهِ كَالصُّبْحِ وَالطُّرَّةُ مِثْلُ الظَّلَامْ
وَإِنْ تَثَنَّى غُصْنُهُ أَخْجَلَ الأَغْصَانَ حَقّاً لِينُ ذَاكَ القَوَامْ
مُنَعَّمُ الرِّدْفِ لَقَدْ أَرْدَفَ الجِسْمَ سَقَاماً وَفُؤَادِي غَرَامْ

وأنشدني لنفسه يمدح مولانا الملك الرحيم بدر الدين عضد الإسلام غرس أمير المؤمنين ـ أدام اللّٰه أيامه ـ: [من الطويل]

تَرَفَّقْ بِصَبٍّ مَا يَقَرُّ عَنِ الهَجْرِ أَسِيرِ هَوًى مَا إِنْ لَهُ عَنْكَ مِنْ صَبْرِ
كَئِيبٍ أَصَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالجَوَى يُقَلِّبُهُ فَرْطُ الغَرَامِ عَلَى جَمْرِ
يَبِيتُ عَلَى فَرْشِ الضَّنَى مُذْ هَجَرْتَهُ وَيُذْرِي مَصُونَ الدَّمْعِ فِيكَ وَمَا يَدْرِي
بَلَوْتُ عَظِيمَاتِ الأُمُورِ فَلَمْ أَجِدْ أَمَرَّ وَأَدْهَى فِي الفُؤَادِ مِنَ الهَجْرِ
ثَنَى الدَّنِفَ المُغْرَى بِهِ عَنْ سُلُوِّهِ تَثَنِّيهِ عَنْ غُصْنٍ حَوَى أَحْسَنَ الزَّهْرِ
/ ٣١٠ب/ بِهِ نَرْجِسٌ غَضٌّ وَفِيهِ بَنَفْسَجٌ وَوَرْدٌ جَنِيٌّ وَالأَقَاحِي مِنَ الثَّغْرِ
جَفَا فَدُمُوعِي مَا تَفِيضُ كَأَنَّهَا مَوَاهِبُ بَدْرِ الدِّينِ ذِي النَّائِلِ الغَمْرِ
هُوَ المُرْتَجَى فِي سَوْرَةِ الدَّهْرِ وَالَّذِي مَنَاقِبُهُ جَلَّتْ عَنِ العَدِّ وَالحَصْرِ
هُوَ الوَاهِبُ المَطْلُوبُ وَالمَاجِدُ الَّذِي عَلَا قَدْرُهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ وَالنَّسْرِ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَالزَّمَانِ تُطِيعُهُ وَتَتْبَعُهُ الأَقْدَارُ فِي النَّهْيِ وَالأَمْرِ
هِزَبْرٌ إِذَا لَاقَى الكُمَاةَ لَدَى الوَغَى تَسَلَّتْ مَوَاضِي البِيضِ مِنْهُ مَعَ السُّمْرِ
إِذَا مَا احْتَبَى فِي كُلِّ نَادٍ لِسُؤْدَدٍ فَكُنْ مُوقِناً مِنْ فَيْضِ كَفَّيْهِ بِاليُسْرِ
تَجُودُ بِمَا تَحْوِي يَدَاهُ وَإِنَّهُ لَيَتْبَعُهُ بِاللُّطْفِ مِنْهُ وَبِالبِشْرِ
فَلَوْلَاهُ مَا قَضَّيْتُ لَيْلِي سَاهِراً تُسَامِرُنِي الجَوْزَاءُ لِلنَّظْمِ وَالنَّثْرِ
وَمَا الأَبْحُرُ السَّبْعُ الغِزَارُ إِذَا طَمَتْ بِأَغْزَرَ فَيْضاً مِنْ أَنَامِلِهِ العَشْرِ

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

أَلَا لَيْتَ المَعَاطِفَ فِي عَوَاطِفْ وَلَيْتَ قَوَامَهُ الأَلْفِيَّ آلِفْ

وَيَا لَيْتَ الحَبِيْبَ دَرَى نُحُوْلِي ... فَيَرْحَمَ مُدْنَقًا وَجْداً يُحَالِفْ
يُطِيْعُنِي الغَرَامُ وَعَنْهُ صَبْرِي ... عَصِيٌّ لَمْ يَزَلْ أَبداً يُخَالِفْ

[٥٩٥]

القاسمُ بنُ محمد بنِ سراجٍ / ٣١١أ/ بنِ أبي عبدِ اللّٰهِ بنِ سعدِ بنِ منصورٍ الحلبيُّ

من إنشاء حلب وأبنائها، وسروات أهلهما وكبرائها قدراً وحزمة وجاهًا ونعمة. وكان في بدء أمره، واقتبال شبابه يُعاني التجارة والسفر إلى الديار المصرية، ثم إلى البلاد الرُّومية، ولا يتعدّى في سفره أكثر من ذلك. وكان مع مهامه في الأسفار والتنقل قد حصل انموذجًا جيداً من الأدب، وكتب خطًا حسنًا.

ورأى جماعة من الشعراء والفضلاء، واستظهر من أقوالهم وروى عنهم، وخالطهم في تلك المدّة، وابتاع كثيراً من الكتب الأدبيات والشعريات، ولهج بمطالعتها، وشعف بتحصيلها والاقتباس من فوائدها حتى صار على خاطره صدر صالح من بدائع الأشعار، ورائق الملح والحكايات. ونظم الفائق من الشعر وضمنه المعاني النادرة.

ثم ترك السفر له بأُخَرَة حانوتًا في سوق البنّ يتَّجر فيه، وهو على سيرة جميلة في بيعه وشرائه وأخذه وعطائه مع الناس ذو كلام مقبول، وقول مسموع، واحترام وافر.

وجمعني وإياه مجلس الوزير مؤيد الدين أبي نصر إبراهيم بن يوسف القفطي بمحروسة حلب عدة مرار، وتأكدَّت / ٣١١ب/ بيننا معرفة وكيدة، فوجدته من أكمل الرجال نباهة قدر، وسَعة نفس وصدر، وغزارة مروءة وسماحة بنان. وطيب عشرة، وحسن صحبة. يتعصب لمن يرد عليه تعصبًا زائداً، وينفعه بجاهه وماله، ويجتهد في قضاء حوائجه، ويتوصل إلى أغراضه بكلّ طريق.

وهو نعم الرجل عقلاً وسكونا وخيراً وصلاحًا فاللّٰه تعالى أنْ يبلغه أمانيه ويرزقه سعادة الدنيا والآخرة بمحمد وآله أجمعين، أنه جواد كريم.

أخبرني أنه ولد في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ومما أنشدني

لنفسه، حرس الله اقباله وأدم عزّه وجلاله بمحروسة [حلب] في سنة سبع وثلاثين وستمائة، في غلام اسمه بدران: [من البسيط]

دَاعِيْ الهَوَى بِالهَوَى يَا صَاحِ نَادَانِيْ ... وَمُطْرِبُ الحَيِّ بِالمَحْبُوبِ غَنَّانِيْ
وَسَاقِيَ الشَّوْقِ عَاطَانِيْ عَلَى ظَمَأٍ ... كَأساً فَأسْكَرَنِيْ مِنْ قَبْلِ أسْقَانِيْ
تَبّاً لَهُ سَاقِياً فِيْ السُّكْرِ طَاوَعَنِيْ ... بِالوَصْلِ مِنْهُ وَعِنْدَ الصَّحْوِ عَاطَانِيْ
كَمْ شَفَّنِيْ وَشَفَانِيْ فِيْ هَوَاهُ وَكَمْ ... أَمَاتَنِيْ حُبُّهُ طَوْراً وَأَحْيَانِيْ
مَا يَعْذُبُ القُرْبُ إلَّا بِالبِعَادِ وَلاَ ... يَلْتَذُّ بِالوَصْلِ إلَّا بَعْدَ هِجْرَانِ
/٣١٢أ/ وَرُبَّ خِلْوٍ مِنَ الخُلَّانِ قُلْتُ لَهُ ... إذْ جَاءَ يَعْذُلُنِيْ جَهْلاً وَيَلْحَانِيْ
فِيْ القَلْبِ شَيْطَانُ ذِكْرٍ لا يُفَارِقُنِيْ إلاّ بِعَوْذَةِ وَصْلٍ مِنْ سُلَيْمَانِ
لَيْسَ ابْنُ دَاوُدَ مَا أعْنِيْ بِهِ لَكُمُ ... وإنَّمَا هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ زَيْدَانِ

وأنشدني لنفسه أسعده الله تعالى: [من الطويل]

أَيَا زَائِراً يَخْتَالُ مِنْ غَيْرِ مَا وَعْدِ ... حَبِيْبٌ كَبَدْرٍ فِيْ قَضِيْبٍ مِنَ الرَّنْدِ
فَعَانَقْتُ مِنْ أعْطَافِهِ خُوطَ بَانَةٍ ... وَقَبَّلْتُ مِنْ وَجْنَاتِهِ يَانِعَ الوَرْدِ
وَأَنْشَدْتُ بَيْتاً قَالَهُ مُتَغَزِّلٌ ... وَعِلْمِيْ أَنْ لاَ عِنْدَهُ مِنْهُ مَا عِنْدِيْ:
«خَلِيْلَيَّ هَلْ أبْصَرْتُمَا وَسَمِعْتُمَا ... بِأكْرَمَ مِنْ مَوْلَى يُمَشِّي إلَى عَبْدِ»

وله: [من الوافر]

دَلِيْلٌ قَامَ فِيْ نَحْسِ الوَزِيْرِ ... حَقِيْقاً إنَّهُ بَعْضُ الحَمِيْرِ
يَسُوْمُ إلَى الخِيَانَةِ كُلَّ عَدْلٍ ... عَزِيْزِ الدِّيْنِ مِنْ بَيْتٍ كَبِيْرِ
وَيَعْتَقِدُ الأَمَانَةَ عِنْدَ لِصٍّ ... وَقَوَّادٍ وَعَشَّارٍ حَقِيْرِ
لِذَلِكَ قِيْلَ مُنْجَذِبٌ إلَيْهِ ... حَنِيْنَ الكَلْبِ لِلْكَلْبِ العَقُوْرِ

[٥٩٦]

أبو القاسم بنُ أبي حامد / ٣١٢ب/ بنِ عليٍّ البَعْقُوبيُّ الخريميُّ.

هو من بَعقوبا قريةٌ كبيرةٌ بنواحي بغدادَ على عشرة فراسخَ منهما(١).

ورد بغداد وسكنها إلى أن مات بها سنة إحدى وستمائة. وكان شاعراً، فاضلاً،

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (بعقوبا).

حسن الشعر رقيقه، جيّد الألفاظ والمعاني.

أنشدني أبو القاسم بن أبي الفرج بن أبي منصور البعقوبي المغربي، قال: أنشدني أبو القاسم بن أبي حامد الخُريمي لنفسه: [من الطويل]

إذَا مَا خَلاَ طَفُّ الجُنَيْنَةِ منْكُمُ ... فَلاَ أُخْضَرَّ وَادِيهَا وَلاَ فَاحَ طيبُهَا
وَلاَ جَادَهَا قَطْرُ السَّمَاءِ وَلاَ اكْتَسَى ... مِنَ الوَرَقِ الصَّافِي العَمِيمِ سَكِيبُهُمَا
وَلاَ حَرَّكَتْ رِيحُ الصَّبَا شَجَرَاتِهَا ... وَلاَ نَاحَ فِي أَغْصَانِهَا عَنْدَلِيبُهَا
وَكُنَّا نَرَاهَا أَطْيَبَ الأَرْضِ مَنْزِلاً ... فَبَانَ بِعَيْنِي مُذْ نَأَيْتُمْ عُيُوبُهَا
وَصَحَّ لَنَا قَوْلُ الَّذِي قَالَ قَبْلَنَا: ... (هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا)

[٥٩٧]
أبو القاسمِ بنُ محمدِ بنِ فتيانَ الموصليُّ.

كان بعد الستمائة كما أخبرت، يقول في غلام محموم: [من البسيط]

قَالُوا: بِهِ حَرُّ حُمَّى أَعْقَبَتْ أَلَمًا ... فَبَاتَ مِنْهَا سَلِيمَ القَلْبِ مُكْتَئِبَا
/٣١٣أ/ فَقُلْتُ: نَفْسِي الفِدَا مِمَّا يُحَاذِرُهُ ... لأَنَّنِي كُنْتُ فِيمَا نَالَهُ سَبَبَا
قَبَّلْتُ فَاهُ وَأَنْفَاسِي بِهَا شَرَرٌ ... تَزْدَادُ مِنْ زَفَرَاتٍ فِي الحَشَا لَهَبَا
ثُمَّ اعْتَنَقْنَا فَأَعْدَاهُ عَلَى عَجَلٍ ... حَرُّ الجَوَى مِنْ ضُلُوعِي فَاشْتَكَى الوَصَبَا
حَاشَاكَ يَا مُحْرِضِي مِمَّا تُحَاذِرُهُ ... فَقُمْ بِنَا اليَوْمَ نَقْضِي فِي الهَوَى أَرَبَا

[٥٩٨]
أبو القاسمِ بنُ أبي جعفرِ بنِ عطيةَ، الوزيرُ الكاتبُ.

حدثني شيخ الشيوخ بن حمويه، قال: أبو القاسم هذا كان كاتبًا للشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عمر. وكان أحد أشياخ الموحدين. وأركان دولتهم.

رأيته بمراكش وهو يتولى أكثر أموره، وإليه الترسل والإنشاء في كتاب رقاعه ودرجه، وولاية نفقات دخله وخرجه، وهو المستولي على أمره والمستودع لسرِّه، وله كتابة حسنة، ورسائل وجيزة وأشعار يسيرة. وكان من ذوي المروءات والهيئات، ومن المسارعين إلى إغاثة الملهوف، وقضاء الحاجات.

وكان والده أبو جعفر وزير آل عبد المؤمن نهض بأعباء الدولة في مباديها، وأحكم قواعدها ومبانيها، وله الكتب البليغة /٣١٣ب/ في الجمع والتأليف والاجتماع للدولة المستقبلية، والإدحاض للدولة الماضية، والمبالغات في الترغيب والترهيب، والاقتدار التام في حسن التدبير وعلى التبعيد والتقريب.

وأما ولده هذا فهو متوسط في فنه موافق طبقة سنه، بيني وبينه بمراكش مجاورة ومزاورة ومحاورة؛ ثم قال: وأنشدني يومًا لنفسه وقد جرت مقارضة في إختيار العُزلة والخمول وإيثار الانزواء، فقال: [من المتقارب]

تُنَازِعُنِيْ النَّفْسُ أَعْلَى الأُمُوْر ... وَلَيْسَ مِنَ العَجْزِ لا أَنْشَطُ
وَلكِنْ بِمِقْدَارِ قُرْبِ المَكَانِ ... يَكُوْنُ سَلاَمَةُ مَنْ يَسْقُطُ

تمّ الجزء الخامس من قلائد الجمان
والحمد لله أوّلاً وآخراً
ويتلوه في الجزء الذي يليه
ذكر مفاريد الأسماء في حرف القاف
إن شاء الله تعالى

فهرس تراجم الجزء الخامس

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

حـرف العيـن

ذكر من اسمه علي

ذكر من اسمه عمر

رقم الترجمة | صاحب الترجمة | الصفحة

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة
٥٥٤ ـ	عُمرُ بنُ إسماعيلَ بنِ مسعود بنِ سعد بنِ سعيد بنِ أبي الكتائبِ بنِ أبي العشائرِ الفارقيُّ، الكاتبُ، الفقيهُ، الشافعيُّ، المُدَرِّسُ	٢٦٠
	ذكر من اسمه عيسى	
٥٥٥ ـ	عيسى بنُ سليمانَ بن عبد اللَّه بن عبد الملك بن عبد اللَّه بن محمد الرُّعَيْنيُّ الرُّنْديُّ، أبو محمد، وقيل أبو موسى، الأندلسيُّ	٢٦٣
٥٥٦ ـ	عيسى بنُ عبدِ العزيزِ بنِ يَلَلْبَخْت البردكيُّ، خطيبُ الجامعِ بمراكشَ، أبو موسى الجزوليُّ	٢٦٨
٥٥٧ ـ	عيسى بنُ المُعَلَّى بن مسلمةَ، أبو إبراهيمَ الرافقيُّ	٢٧٠
٥٥٨ ـ	عيسى بنُ مُحمّد بنِ أيوبَ بن شاذي بنِ مروانَ بنِ يعقوبَ، الملكُ المعظمُ، أبو الفضائل بنُ الملك العادل أبي بكرٍ	٢٧٣
٥٥٩ ـ	عيسى بنُ مُحمّد القمراويُّ	٢٧٥
٥٦٠ ـ	عيسى بنُ محفوظ بنِ الطيِّب، أبو الفضل الأصفهانيُّ الطَّرْقيُّ	٢٧٦
٥٦١ ـ	عيسى بنُ محمد بن موسى بن محمد بنِ محمد بنِ عبد اللَّه بنِ إبراهيمَ بنِ خليل الحميريُّ الأندلسيُّ التاكُرُنّيُّ، أبو الروح	٢٧٧
٥٦٢ ـ	عيسى بنُ أقبوري بن عليٍّ بنِ عليٍّ بنِ بكتكينَ بن محمد، الأميرُ أبو سعيد	٢٧٨
٥٦٣ ـ	عيسى بنُ الفضلِ بن بشر بنِ عيسى بنِ مواهب، أبو الفتح، المعروف بابنِ البحريِّ النصرانيُّ الموصليُّ	٢٧٩
٥٦٤ ـ	عيسى بنُ سلامةَ بنِ سَليمِ بنِ عبد الوارثِ بنِ عليٍّ بنِ سليمانَ بنِ عبد الرحمن، أبو موسى الحضرميُّ الحميريُّ	٢٨٠
٥٦٥ ـ	عيسى بنُ سنجرَ بنِ بَهرامَ بنِ جبرائيلَ بنِ خمارتكينَ بنِ طاشتكينَ، أبو الفضل الإربليُّ المعروفُ بالحاجريِّ	٢٨١
	ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف	
٥٦٦ ـ	عبَّاسُ بنُ بزوان بنِ طرخان بنِ بزوان بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ المعمرِ، أبو الفضل الشيبانيُّ، الإربليّ، الموصليّ	٢٨٧

حرف الغين

ذكر من اسمه غازي

حرف الفاء

ذكر من اسمه الفتح

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر من اسمه الفضل

حرف القاف

ذكر من اسمه القاسم